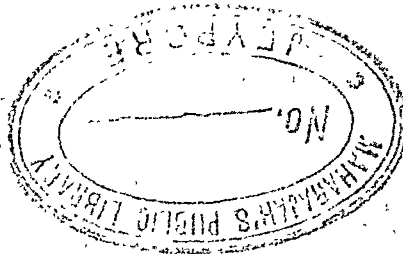
(فهرسة كتاب تاريخ الخلفاء القائمين بأمر الدين للامام العالم العلامة جلال الدين السيوطي رضي الله عنه)

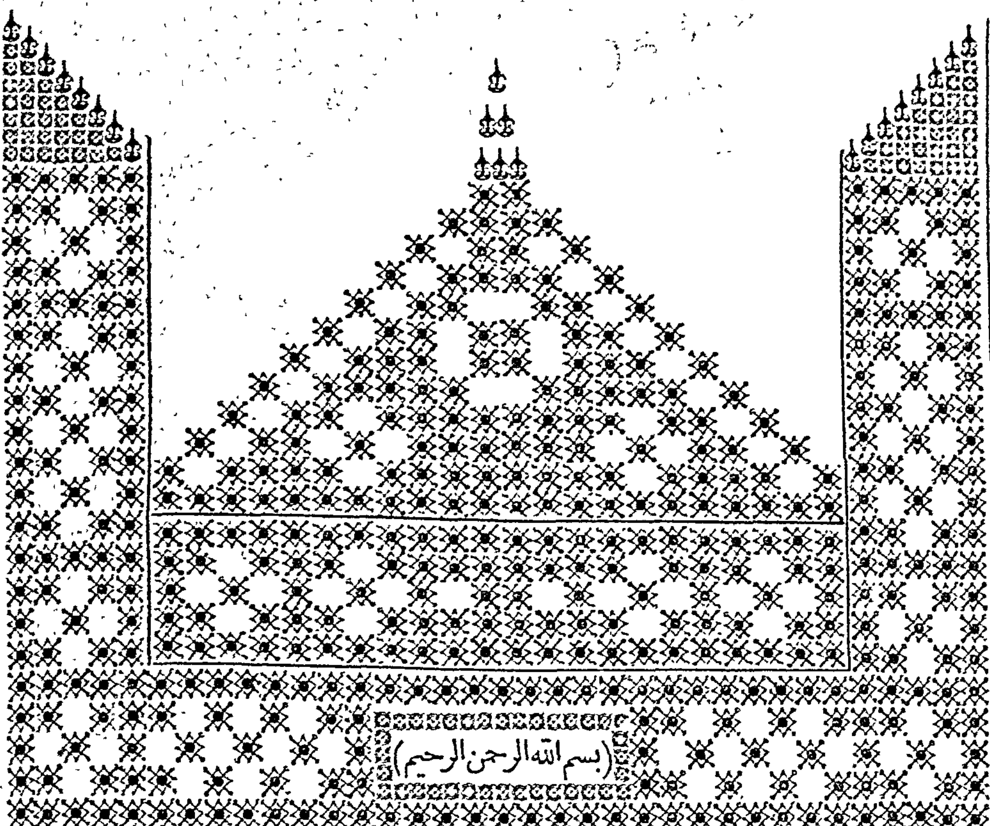
(تمت)

هذا تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين
لجلال الدين عبد الرحمن
السيوطي رحمه
الله تعالى
آمين



وبهامشه كتاب آثار الاول في ترتيب
الدول للعلامة الحسن بن عبد الله

الحمد لله الواحد فى عظمته الماجد فى قدرته القديم فى أزليته العليم فى أبديته الفرد فى وحدانيته الصمد فى سرمديته الحكيم فى عزته الذى خلق الخلق بحكمته وبسط الرزق بقسمته فأوجد الانسان بلطيف صنعته وشرفه بأحسن تقويم فى تكوينه وصورته وجمع فيه محامد العقل وفطرته وفضله على سائر الخلق من بريته وسخر له ما فى البر والبحر بارادته وقدر الآجال بمشيئته وأوضح السبل بمعونته فمن اهتدى فبرحمته ومن ضل فانما ضل على نفسه لخيبته أحمده على ما أسدى من جزيل نعمته وأزدى من جميل صنعته وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له فى ملكه والهيته ولا ضد له فى ربوبيته وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله من أشرف خليقته فكان أعرفهم بحقيقته المخصوص بأفضل كرامته المبعوث الى كافة الناس برسالته لينقذهم من ظلمة الضلالة ببعثته ويوقظهم من سنة الغفلة بنصيحته فأوضح لهم الاحكام بشريعته وبين لهم الحلال والحرام بفصاحته وعرفهم الطريق الى الله



أما بعد حمد الله الذى وعد فوفى وأوعد فعفا والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الشرفاء (٢) ومسود الخلفاء وعلى آله وصحبه أهل الكرم والوفاء * فهذا تاريخ لطيف ترجمت فيه الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الامة من عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه الى عهدنا هذا على ترتيب زمانهم الاول فالاول وذكرت فى ترجمة كل منهم ما وقع فى أيامه من الحوادث المستغربة ومن كان فى أيامه من أئمة الدين وأعلام الامة والداعى الى تأليف هذا الكتاب أمور منها ان الاحاطة بتراجم أعيان الامة مطلوبة ولذوى المعارف محبوبة وقد جمع جماعة تواريخ ذكروا فيها الاعيان مختلطين ولم يستوفوا واستيفاء ذلك يوجب الطول والملال فاردت ان أفرد كل طائفة فى كتاب اقرب الى الفائدة لمن يريد تلك الطائفة خاصة وأسهل فى التحصيل فافردت كتابا فى الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وكتابا فى الصحابة ملخصا من الاصابة لشيخ الاسلام أبى الفضل بن حجر وكتابا حافلا فى طبقات المفسرين وكتابا وجيزا فى طبقات الحفاظ لخصته من طبقات الذهبى وكتابا جليلا فى طبقات النحاة واللغويين لم يؤلف قبله مثله وكتابا فى طبقات الاصوليين وكتابا جليلا فى طبقات الاولياء وكتابا فى طبقات الفرضيين وكتابا فى طبقات البيانيين وكتابا فى طبقات الكتاب أعنى أرباب الانشاء وكتابا فى طبقات أهل الخط المنسوب وكتابا فى شعراء العرب الذين يحتج بكلامهم فى العربية وهذه تجمع غالب أعيان الامة واكتفيت فى طبقات الفقهاء بما ألفه الناس فى ذلك لكثرته والاستغناء به وكذلك اكتفيت فى القراء بطبقات الذهبى واما القضاة فهم داخلون فيمن تقدم ولم يبق من الاعيان غير الخلفاء مع تشوق النفوس الى أخبارهم فأفردت لهم هذا الكتاب ولم أورد أحدا ممن ادعى الخلافة خروجا ولم يتم له الامر ككثير من العلويين وقليل من العباسيين ولم أورد أحدا من الخلفاء العبيديين لان امامتهم غير صحيحة لامور منها انهم غير قرشيين وانما سمتهم بالفاطميين جهلة العوام والا فجدهم مجوسى قال القاضى عبد الجبار البصرى اسم جد الخلفاء المصريين سعيد وكان أبوه يهوديا حدادا نشابة وقال القاضى أبو بكر الباقلانى القداح جد عبيد الله الذى يسمى

(٢) وفى نسخة سوّدد

بالمهدى

18284

3615

بالمهدى كان مجوسيا ودخل عبيدالله المغرب وادّعى انه علوى ولم يعرفه أحد من علماء النسب وسماهم جهلة الناس الفاطميين وقال ابن خلكان أكثر أهل العلم لايصححون نسب المهدى عبيدالله جدّ خلفاء مصر حتى ان العزيز بالله ابن المعز فى أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها هذه الابيات شعر

انا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على المنبر فى الجامع
ان كنت فيما تدعى صادقا * فاذكر أبا بعد الاب السابع
وان ترد تحقيق ماقلته * فانسب لنا نفسك كالطائع
أولا دع الانساب مستورة * وادخل بنا فى النسب الواسع
فان أنساب بنى هاشم * يقصر عنها طمع الطامع

وكتب العزيز الى الاموى صاحب الاندلس كتابا سبه فيه وهجاه فكتب اليه الاموى أما بعد فانك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك فاشتد ذلك على العزيز فأفحمه عن الجواب يعنى انه دعى لاتعرف قبيلته قال الذهبى المحققون متفقون على ان عبيدالله المهدى ليس بعلوى وما أحسن ماقال حفيده المعز صاحب القاهرة وقد سأله ابن طباطبا العلوى عن نسبهم فجذب نصف سيفه من الغمد وقال هذا نسبى ونثر على الامراء والحاضرين الذهب وقال هذا حسبى ومنها ان أكثرهم زنادقة خارجون عن الاسلام ومنهم من أظهر سب الانبياء ومنهم من أباح الخمر ومنهم من أمر بالسجود له والخير منهم رافضى خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة رضى الله عنهم ومثل هؤلاء لاتنعقد لهم بيعة ولاتصح لهم امامة قال القاضى أبو بكر الباقلانى كان المهدى عبيدالله باطنيا خبيثا حريصا على ازالة ملة الاسلام أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من اغواء الخلق وجاء أولاده على أسلوبه أباحوا الخمور والفروج وأشاعوا الرفض وقال الذهبى كان القائم بن المهدى شرا من أبيه زنديقا ملعونا أظهر سب الانبياء وقال وكان العبيديون على ملة الاسلام شرا من التتر وقال أبو الحسن القابسى ان الذين قتلهم عبيدالله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضى عن الصحابة فاختاروا الموت فياحبذا لو كان رافضيا فقط ولكنه زنديق وقال القاضى عياض سئل أبو محمد القيروانى الكيزانى من علماء المالكية عمن أكرهه بنو عبيد يعنى خلفاء مصر على الدخول فى دعوتهم أو يقتل قال يختار القتل ولايعذر أحد فى هذا الامر كان أول دخولهم قبل ان يعرف أمرهم واما بعد فقد وجب الفرار فلا يعذر أحد بالخوف بعد اقامته لان المقام فى موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لايجوز وانما أقام من أقام من الفقهاء على المباينة لهم لئلا تخلو للمسلمين حدودهم فيفتنوهم عن دينهم وقال يوسف الرعينى أجمع العلماء بالقيروان على ان حال بنى عبيد حال المرتدين والزنادقة لما أظهروا من خلاف الشريعة وقال ابن خلكان وقد كانوا يدعون علم المغيبات وأخبارهم فى ذلك مشهورة حتى ان العزيز صعد يوما المنبر فرأى ورقة فيها مكتوب شعر

بالظلم والجور قد رضينا * وليس بالكفر والحماقه
ان كنت أعطيت علم غيب * بين لنا كاتب البطاقه

وكتبت اليه امرأة قصة فيها بالذى أعز اليهود بميشا والنصارى بابن نسطور وأذل المسلمين بك الانظرت فى أمرى وكان ميشا اليهودى عاملا بالشام وابن نسطور النصرانى بمصر ومنها ان مبايعتهم صدرت والامام العباسى قائم موجود سابق البيعة فلا تصح اذ لاتصح البيعة لامامين فى وقت واحد والصحيح المتقدم ومنها ان الحديث ورد بأن هذا الامر اذا وصل الى بنى العباس لايخرج عنهم حتى يسلموه الى عيسى بن مريم أو المهدى فعلم ان من يسمى بالخلافة مع قيامهم خارج باغ فلهذه الامور لم أذكر أحدا من العبيديين ولا غيرهم من الخوارج وانما ذكرت الخليفة المتفق على صحة امامته وعقد بيعته وقد قدمت فى أول الكتاب فصولا فيها فوائد مهمة وما أوردته من الوقائع الغريبة والحوادث العجيبة فهو ملخص من تاريخ الحافظ الذهبى والعهدة فى أمره عليه والله المستعان

بهدايته وبشرهم بما أعد لهم الرحمن الرحيم فى جنته وأنذرهم بما اعتد لهم فى ناره وعقوبته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعترته فالسعيد السعيد من كان فى ذمته مقتديا به فى معاملته ملازما على فرضه وسنته تابعا لآله وخليفته مستمسكا بحبل أثر صحابته ينسج على منوال العالمين العاملين من رفقته ويقفو أثر العافين العارفين من أمته والشقى الشقى من تفوه بمخالفته واغتر باقبال الدار الفانية لشقاوته وذلك امهالا لااهمالا من عالم سريرته فأعاذنا الله من محنته ورزقنا الملازمة على طاعته والاخلاص فى عبادته والانتقال اليه على فطرته وحشرنا مع سيد البشر وفى زمرته وعصمنا من أبى مرة ونصرنا عليه وعلى ذريته (وبعد) فانى لما رأيت أنوار شعاع شمس الايام السلطانية قد بزغت على أقطار الارض من فلك مركز الديار المصرية وتثبتت أركان دعائم الاسلام بالهمم العالية الركنية وتقوم اعوجاج حظوظ النفوس الشهوانية واشتد أزر العصابة المحمدية وتشمخت جبال أحمد الشريعة الاحمدية وتشرفت المراكب بالمواكب الملكية

(فصل) في بيان كونه صلى الله عليه وسلم لم يستخلف وسر ذلك* قال البزار في مسنده حدثنا عبد الله بن وضاح الكوفي حدثنا يحيي بن اليمان حدثنا اسرائيل عن أبي اليقظان عن أبي وائل عن حذيفة قال قالوا يارسول الله ألا تستخلف علينا قال اني ان أستخلف عليكم فتعصون خليفتي ينزل عليكم العذاب (أخرجه الحاكم في المستدرك وأبو اليقظان ضعيف) وأخرج الشيخان عن عمر انه قال حين طعن ان أستخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر وان أترككم فقد ترككم من هو خير مني يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج أحمد والبيهقي في دلائل النبوة بسند حسن عن عمرو بن سفيان قال لما ظهر علي يوم الجمل قال أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد الينا في هذه الامارة شيأ حتى رأينا من الرأي ان نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ثم ان أبا بكر رأى من الرأي ان يستخلف عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه ثم ان أقواما طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي الله فيها وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه البيهقي في الدلائل عن أبي وائل قال قيل لعلي ألا تستخلف علينا قال ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلف ولكن ان يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم قال الذهبي وعند الرافضة أباطيل في انه عهد الى علي رضي الله عنه وقد قال هذيل بن شرحبيل أكان أبو بكر يتأمر على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ود أبو بكر انه وجد عهدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخزم أنفه بخزام (أخرجه ابن سعد والبيهقي في الدلائل) وأخرج ابن سعد عن الحسن قال قال علي لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه لديننا فقدمنا أبا بكر وقال البخاري في تاريخه روى عن ابن جهان عن سفينة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر وعثمان هؤلاء الخلفاء بعدي قال البخاري ولم يتابع على هذا لان عمر وعليا وعثمان قالوا لم يستخلف النبي صلى الله عليه وسلم انتهى والحديث المذكور أخرجه ابن حبان قال حدثنا أبو يعلى حدثنا يحيي الحماني حدثنا حشرج عن سعيد بن جهان عن سفينة لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع في البناء حجرا وقال لابي بكر ضع حجرك الى جنب حجري ثم قال لعمر ضع حجرك الى جنب حجر أبي بكر ثم قال لعثمان ضع حجرك الى جنب حجر عمر ثم قال هؤلاء الخلفاء بعدي قال أبو زرعة اسناده لا بأس به وقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه البيهقي في الدلائل وغيرهما *قلت ولا منافاة بينه وبين قول عمر وعلي انه لم يستخلف لان مرادهما انه عند الوفاة لم ينص على استخلاف أحد وهذا اشارة وقعت قبل ذلك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي (أخرجه الحاكم من حديث العرباض بن سارية) وكقوله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وغير ذلك من الاحاديث المشيرة الى الخلافة

(فصل في بيان ان الائمة من قريش والخلافة فيهم) قال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا سكين بن عبد العزيز عن سيار بن سلامة عن أبي برزة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الائمة من قريش ما حكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا واسترحموا فرحموا (أخرجه الامام أحمد وأبو يعلى في مسنديهما والطبراني) وقال الترمذي حدثنا أحمد بن منيع حدثنا زيد بن الحباب حدثنا معاوية بن صالح حدثنا أبو مريم الانصاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملك في قريش والقضاء في الانصار والاذان في الحبشة اسناده صحيح وقال الامام أحمد في مسنده حدثنا الحكم بن نافع حدثنا اسمعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح عن كثير بن مرة عن عتبة بن عبد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلافة في قريش والحكم في الانصار والدعوة في الحبشة رجاله موثقون وقال البزار حدثنا ابراهيم بن هانئ حدثنا الفيض بن الفضل حدثنا مسعر عن سلمة ابن كهيل عن أبي صادق عن ربيعة بن ماجد عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الملقب به مداينه ظل احسان مالكها على الامم وملاءيد اقتداره رقاب العرب والعجم وأعدم بوجود جوده ماذكر من العدم ونصر بعزائمه الاسلام حيث الغيوم تقع والبروق سيوف والوبل نبل والديم دم ولازالت ملائكة النصر حافة بألويته وملوك العصر متشرفة بعبوديته قائمة بما يجب عليها من حقوق طاعته وخدمته وقلوب الخلق مجبولة على موالاته ومحبته متفيئة بظلال فضله ونعمته وشأفة الاعداء مستأصلة بسيوف سطوته ونقمته ولابرحت أعلام نصره خافقة في الخافقين متولية يد أمره ممالك المشرقين والمغربين عالية هممه احسانه على هامات الفرقدين جديدة ملابس سعادته على ممر الجديدين مقتبسة من أنوار مساعيه أنوار النيرين متشبهة أيام سيرته العادلة بسيرة العمرين فقبل المملوك الارض بشكر الله معفرا خديه في الثرى مستمسكا بيد الآمال في الخدمة الشريفة بأوثق العرى مستمطرا من النعم الوافية أوفر ماعم الورى لان موارد سلطانه للواردين صافية وظلال امتنانه على الصادرين متوافية واقبال احسانه لمرضي الآملين

الامراء من قريش أبرارها أمراء أبرارها وفجارها أمراء فجارها

(فصل) قال الامام أحمد حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة حدثنا سعيد بن جهمان عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون بعد ذلك الملك (أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره) قال العلماء لم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم الا الخلفاء الاربعة وأيام الحسن وقال البزار حدثنا محمد بن سكين حدثنا يحيى بن حسان حدثنا يحيى بن حمزة عن مكحول عن أبي ثعلبة عن أبي عبيدة بن الجراح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول دينكم بدأ نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا وجبرية حديث حسن وقال عبد الله بن أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا يزيد بن زريع حدثنا ابن عون عن الشعبي عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال هذا الامر عزيزا ينصرون على من ناواهم عليه اثنا عشر خليفة كلهم من قريش أخرجه الشيخان وغيرهما وله طرق وألفاظ منها لا يزال هذا الامر صالحا ومنها لا يزال الامر ماضيا رواهما أحمد ومنها عند مسلم لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا ومنها عنده أن هذا الامر لا ينقضي حتى يمضي له فيهم اثنا عشر خليفة ومنها عنده لا يزال الاسلام عزيزا منيعا الى اثني عشر خليفة ومنها عند البزار لا يزال أمر أمتي قائما حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ومنها عند أبي داود زيادة فلما رجع الى منزله أتته قريش فقالوا ثم يكون ماذا قال ثم يكون الهرج ومنها عنده لا يزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع الامة عليه وعند أحمد والبزار بسند حسن عن ابن مسعود أنه سئل كم يملك هذه الامة من خليفة فقال سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اثنا عشر كعدة نقباء بني اسرائيل قال القاضي عياض لعل المراد بالاثني عشر في هذه الاحاديث وما شابهها انهم يكونون في مدة عزة الخلافة وقوة الاسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس الى أن اضطرب أمر بني أمية ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد فاتصلت بينهم الى أن قامت الدولة العباسية فاستأصلوا أمرهم قال شيخ الاسلام ابن حجر في شرح البخاري كلام القاضي عياض أحسن ما قيل في الحديث وأرجحه لتأييده بقوله في بعض طرق الحديث الصحيحة كلهم يجتمع عليه الناس وايضاح ذلك ان المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعته والذي وقع ان الناس اجتمعوا على أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي الى ان وقع أمر الحكمين في صفين فتسمى معاوية يومئذ بالخلافة ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن ثم اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف الى ان اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ثم اجتمعوا على أولاده الاربعة الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام فولي نحو أربع سنين ثم قاموا عليه فقتلوه وانتشرت الفتن وتغيرت الاحوال من يومئذ ولم يتفق ان يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك لان يزيد بن الوليد الذي قام على ابن عمه الوليد بن يزيد لم تطل مدته بل ثار عليه قبل أن يموت ابن عم أبيه مروان بن محمد بن مروان ولما مات يزيد ولي أخوه ابراهيم فقتله مروان ثم ثار على مروان بنو العباس الى ان قتل ثم كان أول خلفاء بني العباس السفاح ولم تطل مدته مع كثرة من ثار عليه ثم ولي أخوه المنصور فطالت مدته لكن خرج عنهم المغرب الاقصى باستيلاء المروانيين على الاندلس واستمرت في أيديهم متغلبين عليها الى أن تسموا بالخلافة بعد ذلك وانفرط الامر الى ان لم يبق من الخلافة الا الاسم في البلاد بعد أن كان في أيام بني عبد الملك بن مروان يخطب للخليفة في جميع الاقطار من الارض شرقا وغربا يمينا وشمالا مما غلب عليه المسلمون ولا يتولى أحد في بلد من البلاد كلها الامارة على شيء منها الا بأمر الخليفة ومن انفراط الامر انه كان في المائة الخامسة بالاندلس وحدها ستة أنفس كلهم يتسمى بالخلافة ومعهم صاحب مصر العبيدي والعباسي ببغداد خارجا عمن

نرى الناس في أبوابه ورحابها
كأنهم من فرط كثرتهم نمل
قد ازدحموا في مورد الفضل والعطا
وكل امرئ قد عمه ذلك الفضل

فرمت ان أقدم هدية لخزانته الشريفة وتحفة أتقرب بها الى مقام جلالته المنيفة وتعذر ان يقدم اليه الا بقايا انعامه ولا تستقي كل أرض الا بصيب غمامه فان خزانته العالية مجمع الاخاير والذخائر وراحته المتوالية تشمل المقيم والسائر هذا مع ما خصه الله به من الفطرة الزكية والفطنة الذكية والدين المتين وحسن اليقين وجميل الظن بزيارة المشايخ والفقراء وجزيل بره مع النظر التام في مصالح الاجناد والامراء والرفق بالرعية والعمل بالاحكام الشرعية مضافا الى ما تكامل فيه من فضائل الشجاعة والفروسية واحكام الامور الحربية والضوابط السياسية والهمم العلية والسيرة العادلة المرضية فضائل جاء الله بمجموعها وخصائل حسن منظورها مع مسموعها فلهذا رقاه الله ذروة المعالي افضالا وملكه رقاب عبيده انعاما عليه واجلالا وافتخر على ملوك العصر وزاده نوالا وأوضحت بداية نهاية غيره

كان يدعى الخلافة فى أقطار الارض من العلوية والخوارج قال فعلى هذا التأويل يكون المراد بقوله ثم يكون الهرج يعنى القتل الفاشى عن الفتن وقوعا فاشيا ويستمر ويزداد وكذا كان وقيل ان المراد وجود اثنى عشر خليفة فى جميع مدة الاسلام الى يوم القيامة يعملون بالحق وان لم تتوال أيامهم ويؤيد هذا ما أخرجه مسدد فى مسنده الكبير عن أبى الخلد انه قال لا تهلك هذه الامة حتى يكون منها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق منهم رجلان من أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالمراد بقوله ثم يكون الهرج أى الفتن المؤذنة بقيام الساعة من خروج الدجال وما بعده انتهى قلت وعلى هذا فقد وجد من الاثنى عشر الخلفاء الاربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز هؤلاء ثمانية ويحتمل ان يضم اليهم المهتدى من العباسيين لانه فيهم كعمر بن عبد العزيز فى بنى أمية وكذلك الطاهر لما أوتيه من العدل وبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدى لانه من آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم

(فصل فى الاحاديث المنذرة بخلافة بنى أمية) قال الترمذى حدثنا محمد بن غيلان حدثنا أبو داود الطيالسى حدثنا القاسم بن الفضل المدنى عن يوسف بن سعد قال قام رجل الى الحسن بن على بعد ما بايع معاوية فقال سودت وجوه المؤمنين فقال لا تؤنبنى رحمك الله فان النبى صلى الله عليه وسلم رأى بنى أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت انا أعطيناك الكوثر ونزلت انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية يا محمد قال القاسم فعددنا فاذا هى ألف شهر لا تزيد ولا تنقص قال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث القاسم وهو ثقة ولكن شيخه مجهول وأخرج هذا الحديث الحاكم فى مستدركه وابن جرير فى تفسيره قال الحافظ أبو الحجاج وهو حديث منكر وكذا قال ابن كثير وقال ابن جرير فى تفسيره حدثت عن محمد بن زبالة حدثت عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل حدثنى أبى عن جدى قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الحكم بن أبى العاص ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات وأنزل الله فى ذلك وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس اسناده ضعيف لكن له شواهد من حديث عبد الله بن عمرو ويعلى بن مرة والحسين بن على وغيرهم وقد أوردتها بطرقها فى كتاب التفسير والمسند وأشرت اليها فى كتاب أسباب النزول

(فصل فى الاحاديث المبشرة بخلافة بنى العباس) قال البزار حدثنا يحيى بن يعلى بن منصور حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن اسمعيل بن أبى فديك عن محمد بن عبد الرحمن العامرى عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس فيكم النبوة والمملكة (العامرى ضعيف وقد أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة وابن عدى فى الكامل وابن عساكر من طرق عن ابن أبى فديك) وقال الترمذى حدثنا ابراهيم ابن سعيد الجوهرى حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن ثور بن يزيد عن مكحول عن كريب عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس اذا كان غداة الاثنين فأتنى أنت وولدك حتى أدعو لهم بدعوة ينفعك الله بها وولدك فغدا وغدونا معه وألبسنا كساء ثم قال اللهم اغفر للعباس ولولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه فى ولده هكذا أخرجه الترمذى فى جامعه وزاد رزين العبدرى فى آخره واجعل الخلافة باقية فى عقبه قلت هذا الحديث والذى قبله أصلح ما ورد فى هذا الباب وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة حدثنا اسحق عن ابراهيم بن أبى النضر عن يزيد بن ربيعة عن أبى الاشعث عن ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت بنى مروان يتعاورون على منبرى فساءنى ذلك ورأيت بنى العباس يتعاورون على منبرى فسرنى ذلك وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن المظفر حدثنا عمر بن الحسن بن على حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبيد حدثنا محمد بن صالح العدوى حدثنا ابن جعفر التميمى حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى أخبرنى على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبى

هكذا هكذا والا فلالا
لله من ملك اذا ما لامست
كفاه بحرا صار ذاك زلالا
ملك غدت كل الملوك ببابه
مستمطرين نواله افضالا
مستمسكين بحبل عروته التى
أضحى غمام جميلها هطالا
ملك بدا يتسم نهاية غيره
كالبدر أول ما يكون هلالا
كمل الخصائل والمكارم والتقى
فالله يكفيه الزمان كمالا

الهمه الله العدل والانصاف وعلمه ان يتصف بهذه الاوصاف وفهمه الطريق الواضحة اليه ووسمه بميسم الاولياء منة من الله عليه ورسمه الله برسم قالب الكرامة وحكمه فى ملكه وخلقه فى صحة منه وسلامة هذا بعد ما أوضح له مالكه أحوال الرعية عيانا فأحاط بها ظاهرا وباطنا معرفة وتبيانا ولم يبق له عذر عن ازاحة عذرهم وحسن النظر الكريم فى مصالح أمرهم فانه لم تنطو عليه الاحوال البرانية ولم تعزب عنه الاسرار الداخلية فلما اطلع عالم سريرته على حسن سيره وسيرته فوض اليه أمور بلاده وملكه رقاب عباده فركب فى برج السعادة أسرع من طرفة العين ودانت له البلاد والعباد فى البرين والبحرين وأيده

هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاه العباس فقال ألا أبشرك يا أبا الفضل قال بلى يا رسول الله قال ان الله افتتح بى هذا الامر وبذريتك يختمه (اسناده ضعيف) وقد ورد من حديث على باسناد أضعف من هذا أخرجه ابن عساكر من طريق محمد بن يونس الكديمى وهو وضاع عن ابراهيم بن سعيد الاشقر عن خلف بن خليفة عن أبى هاشم عن محمد بن الحنفية عن على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس ان الله فتح هذا الامر بى ويختمه بولدك وورد أيضا من حديث ابن عباس أخرجه الخطيب فى التاريخ ولفظه بكم يفتح هذا الامر وبكم يختم وسيأتى بسنده فى ترجمة المهتدى بالله وورد أيضا من حديث عمار بن ياسر أخرجه الخطيب وقال فى الحلية حدثنا محمد بن المظفر حدثنا نصر بن محمد حدثنا على بن أحمد السواق حدثنا عمر بن راشد حدثنا عبد الله بن محمد بن صالح عن أبيه عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من ولد العباس ملوك تكون أمراء أمتى يعز الله بهم الدين (عمر بن راشد ضعيف) وقال أبو نعيم فى الدلائل حدثنا الحسن بن اسحق بن ابراهيم بن زيد حدثنا المنتصر بن نصر بن المنتصر حدثنا أحمد بن راشد بن أبى خثيم عن حنظلة عن طاوس عن ابن عباس رضى الله عنه قال حدثتنى أم الفضل رضى الله عنها قالت مررت بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدت فأتينى به فلما ولدت أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فاذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى وألبأه من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبى بأبى الخلفاء فأخبرت العباس فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو ما أخبرتك هو أبو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدى حتى يكون منهم من يصلى بعيسى بن مريم عليه السلام وقال الديلمى فى مسند الفردوس أخبرنا عبدوس بن عبد الله كتابة أخبرنا الحسين بن فنجويه حدثنا عبد الله بن أحمد بن يعقوب المقرى حدثنا العباس بن على النسائى حدثنا يحيى بن يعلى الرازى حدثنا سهل بن تمام حدثنا الحرث بن شبل حدثتنا أم النعمان عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا سيكون لبنى العباس رايات ولن تخرج من أيديهم ما أقاموا الحق وقال الدارقطنى فى الافراد حدثنا عبد الله بن عبد الصمد ابن المهتدى حدثنا محمد بن هرون السعدى حدثنا أحمد بن ابراهيم الانصارى عن أبى يعقوب بن سليمان الهاشمى قال سمعت المنصور يقول حدثنى أبى عن جدى عن ابن عباس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للعباس اذا سكن بنوك السواد ولبسوا السواد وكان شيعتهم أهل خراسان لم يزل الامر فيهم حتى يدفعوه الى عيسى بن مريم (أحمد بن ابراهيم ليس بشئ وشيخه مجهول والحديث ضعيف حتى ان ابن الجوزى ذكره فى الموضوعات) وله شاهد أخرجه الطبرانى فى الكبير عن أحمد بن داود المكى عن محمد بن اسمعيل بن عون النبلى عن الحرث بن معاوية بن الحرث عن أبيه عن جده أبى أمه عن أم سلمة رضى الله عنها مرفوعا الخلافة فى ولد عمى وصنو أبى حتى يسلموها الى المسيح (وأخرجه الديلمى من وجه آخر عن أم سلمة رضى الله عنها) وقال العقيلى فى كتاب الضعفاء حدثنا أحمد بن محمد النصيبى حدثنا ابراهيم بن المستمر العروقى حدثنا أحمد بن سعيد الجبيرى حدثنا عبد العزيز بن بكار بن عبد العزيز بن أبى بكرة عن أبيه عن جده أبى بكرة رضى الله عنه مرفوعا يلى ولد العباس من كل يوم تليه بنو أمية يومين ومن كل شهر شهرين هذا حديث أورده ابن الجوزى فى الموضوعات وأعله ببكار وليس كما قال فان بكارا لم يتهم بكذب ولا وضع بل قال فيه ابن عدى هو من جملة الضعفاء الذين يكتب حديثهم ثم قال وأرجو أنه لا بأس به ولعمرى فليس معنى الحديث ببعيد فان دولة العباسيين فى حال علوها ونفوذ كلمتها فى أقطار الارض شرقا وغربا ما عدا أقصى المغرب كانت من سنة بضع وثلاثين ومائة الى سنة بضع وتسعين ومائتين حتى تولى المقتدر وفى أيامه انخرم النظام وخرجت المغرب باسرها عن أمره ثم تتابع الفساد والاختلال فى دولته وبعده كما سيأتى فكانت أيام شموخ دولتهم وتملكهم مائة وبضعا وستين سنة وهى ضعف أيام بنى أمية الشامخة فانها كانت اثنتين وتسعين سنة منها تسع سنين الامر فيها لابن الزبير فصفت

بملائكة نصره فتزعزعت لركوبه ابطال الثقلين وألبسه من خلع الهيبة والوقار درعين حصينين وقلده من سلاح العظامة فى التقليد بسيفين وشرفه من خزائن العز بتشريفين وتفاءل من تفاءل به عند ركوبه فطالع فأله غاية مطالع به قوله تعالى فى القرآن الكريم وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم فاستبشر به وسكنت هيبته ومحبته قلوب الخاص والعام واغدق على أرباب دولته بالتشاريف والانعام فكان قبولها دليل اقبالها وتلقيها بحول الله وقوته أصل استقبالها فكانت يومئذ هى أولى له وهو أولى لها كما قيل

فلم تك تصلح الا له
ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره
لزلزلت الارض زلزالها

ادخرها الله له فى قدم قدم قدمه وهيأه لها كما كان فى سابق علمه وحكمه فلما آن وقتها انشرح فى الخافقين علمه وأمضى فى رقاب الاعداء سيفه وأجرى بالارزاق قلمه وقد قلت

من شاء يسمع منى اصوب الكلام

ثلاثة وثمانين سنة وكسرا وهي ألف شهر سواء ثم وجدت الحديث شاهدا قال الزبير بن بكار في الموفقيات حدثني علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لمعاوية لا تملكون يوما الا ملكنا يومين ولا شهرا الا ملكنا شهرين ولا حولا الا ملكنا حولين وقال الزبير في الموفقيات حدثني علي بن المغيرة عن ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الرايات السود لنا أهل البيت وقال لا يجيء هلاكها الا من قبل المغرب وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق أنبأنا أبو القاسم بن بنان أخبرنا أبو علي بن شاذان حدثنا جعفر بن محمد الواسطي حدثنا محمد بن يونس الكريمي حدثنا عبد الله ابن سوار العنبري حدثنا أبو الاشهب جعفر بن حيان عن أبي رجاء العطاردي عن عبد الله بن عباس عن أبيه رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اللهم انصر العباس وولد العباس قالها ثلاثا ثم قال يا عم اما شعرت ان المهدي من ولدك موفقا راضيا مرضيا (الكريمي وضاع) وقال ابن سعد في الطبقات حدثنا محمد ابن عمر حدثنا عمر بن عقبة الليثي عن شعبة مولى ابن العباس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أرسل العباس ابن عبد المطلب الى بني عبد المطلب فجمعهم عنده وكان علي عنده بمنزلة لم يكن أحد بها فقال العباس يا ابن أخي اني قد رأيت رأيا لم أحب ان أقطع فيه شيأ حتى استشيرك فقال علي ماهو قال ندخل على النبي صلى الله عليه وسلم نسأله الى من هذا الامر من بعده فان كان فينا لم نسلمه والله ما بقي في الارض منا طارق وان كان في غيرنا لم نطلبها بعد أبدا قال علي يا عم وهل هذا الامر الا اليك وهل أحد ينازعكم في هذا الامر

(فصل) قال الديلمي في مسند الفردوس أخبرنا أبو منصور بن خيرون حدثنا أحمد بن علي حدثنا بشرى بن عبد الله الرومي حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر القارئ يعرف بغندر قال قرأ علي بن شاكر ميسرة بن عبد الله حدثنا الحسن بن يزيد حدثنا ابن المبارك حدثنا الاعمش حدثنا ابراهيم بن جعفر الانصاري حدثنا أنس بن مالك مرفوعا اذا أراد الله أن يخلق خلقا للخلافة مسح على ناصيته بيمينه (ميسرة ذاهب الحديث متروك) وقد ورد من حديث أبي هريرة أخرجه الديلمي من ثلاث طرق عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس رضي الله عنه

(فصل في شأن البردة النبوية التي تداولها الخلفاء الى آخر وقت) أخرج السلفي في الطيوريات بسنده الى الاصمعي عن ابن عمرو بن العلاء ان كعب بن زهير رضي الله عنه لما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته بانت سعاد رمى اليه ببردة كانت عليه فلما كان زمن معاوية رضي الله عنه كتب الى كعب بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه فلما مات كعب بعث معاوية الى أولاده بعشرين ألف درهم وأخذ منهم البردة التي هي عند الخلفاء آل العباس وهكذا قاله خلائق آخرون وأما الذهبي فقال في تاريخه اما البردة التي عند الخلفاء آل العباس فقد قال يونس بن بكير عن ابن اسحق في قصة غزوة تبوك ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أمانا لهم فاشتراها أبو العباس السفاح بثلثمائة دينار قلت فكانت التي اشتراها معاوية فقدت عند زوال دولة بني أمية وأخرج الامام أحمد بن حنبل في الزهد عن عروة ابن الزبير رضي الله عنه ان ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه للوفد رداء حضرمي طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر فهو عند الخلفاء قد خلق وطووه بثياب تلبس يوم الاضحى والفطر في اسناده ابن لهيعة وقد كانت هذه البردة عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على أكتافهم في المواكب جلوسا وركوبا وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم وأظن انها فقدت في فتنة التتار فانا لله وانا اليه راجعون

(فصل) في فوائد منثورة تقع في التراجم ولكن ذكرها ههنا في موضع واحد أنسب وأفيد* قال ابن الجوزي ذكر الصولي ان الناس يقولون ان كل سادس يقوم للناس يخلع قال فتأملت هذا فرأيته عجبا اعتقد الامر لنبينا صلى الله عليه وسلم ثم قام به بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن فخلع ثم معاوية ويزيد

فاجتلي درر ارصعتها بفمي
ويجتني ثمرات من مكارم من
أحيا النفوس بطامي جوده الشبم
خصائص جمعت في سيد ملك
أضحى عن الناس حقا كاشف الغمم
فاق ما حازه كسرى وفاق على
أمثاله نبأ بالسيف والقلم
فهو الذي خضعت أسد الحروب له
ودانت الخلق طوعا قبل في القدم
لانه ملك كل الملوك غدت
في بابه طاعة من جملة الخدم
همانه لم تزل فوق السماك علا
وهكذا يبلغ العلياء بالهمم
قد مد للعدل بسطا غير واحدة
ومد احسانه ظلا على الامم
أجاد بالعفو والمعروف ابنية
بها من المجد قصرا عالي الهرم
راحاته بخلت سح السحاب ندى
فباري حاتم الطائي في الكرم
يروي العفاة بخمس من أصابعه
فضلا عن النيل مدرار المغتنم
لان ذا النيل يروي في زيادته
من ستة مع عشر جدن بالغنم
والفرق بينهما الاشك متضح
معناه أشهر من نار على علم

ابن معاوية ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك بن مروان وابن الزبير فخلع ثم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام والوليد فخلع ثم لم ينتظم لبنى أمية أمر فولى السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد والامين فخلع ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع * ثم المعتز والمهتدى والمعتمد والمعتضد والمكتفى والمقتدر فخلع مرتين ثم قتل ثم القاهر والراضى والمتقى والمستكفى والمطيع والطائع فخلع ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد والراشد فخلع هذا آخر كلام ابن الجوزى قال الذهبي وماذكره ينخرم بأشياء أحدها قوله وعبد الملك وابن الزبير وليس الامر كذلك بل ابن الزبير خامس وبعده عبد الملك أو كلاهما خامس أو أحدهما خليفة والآخر خارج لان ابن الزبير سابق البيعة عليه وانما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير والثانى تركه لعد يزيد الناقص وأخيه ابراهيم الذى خلع ومروان فيكون الامين باعتبار عددهم تاسعا قلت قد تقدم ان مروان ساقط من العدد لانه باغ ومعاوية ابن يزيد كذلك لان ابن الزبير بويع له بعد موت يزيد وخالف عليه معاوية بالشام فهما واحد وابراهيم الذى بعد يزيد الناقص لم يتم له أمر فان قوما بايعوه بالخلافة وآخرين لم يبايعوه وقوم كانوا يدعونه بالامارة دون الخلافة ولم يقم سوى أربعين يوما أو سبعين يوما فعلى هذا مروان الحمار سادس لانه الثانى عشر من معاوية والامين بعده سادس والثالث ان الخلع ليس مقتصرا على كل سادس فان المعتز خلع وكذا القاهر والمتقى والمستكفى قلت لا انخرام بهذا فان المقصود ان السادس لابد من خلعه ولا ينافى هذا كون غيره أيضا يخلع ويقال زيادة على ماذكره ابن الجوزى ولى بعد الراشد المقتفى والمستنجد والمستضىء والناصر والظاهر والمستنصر وهو السادس فلم يخلع ثم المستعصم وهو الذى قتله التتار وكان آخر دولة الخلفاء وانقطعت الخلافة بعده الى ثلاث سنين ونصف ثم أقيم بعده المستنصر فلم يقم فى الخلافة بل بويع بمصر وسار الى العراق نصادف التتار فقتل أيضا وتعطلت الخلافة بعده سنة ثم أقيمت الخلافة بمصر فأولهم الحاكم ثم المستكفى ثم الواثق ثم الحاكم ثم المعتضد ثم المتوكل وهو السادس فخلع وولى المعتصم ثم خلع بعده بخمسة عشر يوما وأعيد المتوكل ثم خلع وبويع الواثق ثم المعتصم ثم خلع وأعيد المتوكل فاستمر الى ان مات ثم المستعين ثم المعتضد ثم المستكفى ثم القائم وهو السادس من المعتصم الاول ومن المعتصم الثانى فخلع ثم المستنجد خليفة العصر وهو الحادى والخمسون من خلفاء بنى العباس (فوائد) يقال لبنى العباس فاتحة وواسطة وخاتمة فالفاتحة المنصور والواسطة المأمون والخاتمة المعتضد خلفاء بنى العباس كلهم أبناء سرارى الا السفاح والمهدى والامين ولم يل الخلافة هاشمى ابن هاشمية الا على بن أبى طالب رضى الله عنه وابنه الحسن والامين (قاله الصولى) ولم يل الخلافة من اسمه على الا على بن أبى طالب وعلى المكتفى (قاله الذهبي) قلت غالب أسماء الخلفاء افراد والمثنى منهم قليل والمتكرر كثيرا عبد الله وأحمد ومحمد وجميع ألقاب الخلفاء افراد الى المستعصم آخر خلفاء العراقيين ثم كررت الالقاب فى الخلفاء المصريين فكرر المستنصر والمستكفى والواثق والحاكم والمعتضد والمتوكل والمستعصم والمستعين والقائم والمستنجد وكلها لم يتكرر غير مرة واحدة الا المستكفى والمعتضد فكررا مرة أخرى فتلقب بهما من الخلفاء العباسيين ثلاثة ولم يتلقب أحد من خلفاء بنى العباس بلقب أحد من بنى عبيد الا القائم والحاكم والظاهر والمستنصر وأما المهدى والمنصور فسبق التلقب به لبنى العباس قبل وجود بنى عبيد قال بعضهم وما تلقب أحد بالقاهر فافلح لا من الخلفاء ولا من الملوك قلت وكذا المستكفى والمستعين لقب بكل منهما اثنان من بنى العباس فخلعا ونفيا والمعتضد من أجل الالقاب وأبركها لمن يلقب به ولم يل الخلافة أحد بعد ابن أخيه الا المقتفى بعد الراشد والمستنصر بعد المعتصم (قاله الذهبي) قال ولم يل الخلافة ثلاثة اخوة الا أولاد الرشيد الامين والمأمون والمعتصم وأولاد المتوكل المستنصر والمعتز والمعتمد وأولاد المقتدر الراضى والمقتفى والمطيع قال وولى الامر من أولاد عبد الملك أربعة ولا نظير لذلك الا فى

وحسبك الآن من أضحت مكارمه
تمحو عن الناس أصنافا من العدم
فهو المظفر بالتأييد قد نشرت
بالنصر راياته والعز والحكم
وهكذا لم تزل آراؤه أبدا
صوابها بحساب غير منخرم
بالحزم والعزم مع ماله ملك
مازال واسطة للناس كلهم
أقام للملك أركانا مشيدة
نعم وللدين ركنا غير منهدم
صحت له فى رضا البارى معاملة
مع القبول بحبل غير منصرم
لما تواضع اجلالا لعزته
ذلت لديه رقاب العرب والعجم
ونال من ربه عز المكانة اذ
أعطاه ملكا عزيزا غير متهم
مازال فى صلب الاجداد متشحا
بالرشد والدين والايمان والعصم
حتى اذا شرف المريخ أظهره
فى برج سعد المعالى بارئ النسم
مؤيدا برداء النصر مشتملا
مطرزا بطراز الجود والنعم
مجاهدا فى سبيل الله مجتهدا
بسيفه الباتر السفاك فى القمم
ما أضرمت نار حرب يوم معمعة
الا وكان لها كالزاخر العرم
قد فاز بالحج مبرورا مناسكه
مع الجهاد وبذل الخيل والنعم
فتارة يستقى من زمزم غدقا

وتارة للعدا يسقى كؤس دم
ولامة الحرب نوماهو لابسها
ويلتقي بدم الاحرام في الحرم
وجامع الشتيت المكرمات فلم
يدع بمعناه مفعولا لمن يرم
وذلك ابداع سر فيه من صمد
أعطاه من أوفر التوفيق
في القسم
فالحمد لله اذ خص الانام به
لانه حسن الاخلاق والشيم
والله يبقي لنا أيامه أبدا
مادام يجلو صباح غشوة الظلم
فخلد الله ملكه ما اتصل ليل
بفجره وأعز الاسلام ببقائه
وتأييد نصره ونظم الهه في سلك
السعادة أيام دهره وأجرى
الاقدار بنفاذ أمره وجمل
الدنيا بامتداد زمنه وعصره
وادام في ملكوت السموات
والارض علو قدره فلم يكن
بد من خدمة تنبئ عن صدق
الاخلاص في الولاء وصحة
قصد الاشخاص والانتماء
(فاستخرت الله تعالى) في
جمع هذا الكتاب وتأليف
مافيه من اللباب في قواعد
المملكة ومبانيها وأسرار
السياسة ومعانيها وتدبير
الدولة الفاضلة وتقرير
السيرة العادلة وذلك على
سبيل الاذكار وتنبيه
الافكار كما ورد في الكتاب
المبين قال الله تعالى وهو
أصدق القائلين وذكر
فان الذكرى تنفع المؤمنين
(وسميته) آثار الاول في
ترتيب الدول وقد رتبته

الملوك قلت بل له نظير في الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم فولي الخلافة من أولاد المتوكل محمد أربعة بل خمسة المستعين والمعتضد والمستكفي والقائم والمستنجد خليفة العصر ولم يل الخلافة أحد في حياة أبيه الا أبو بكر الصديق وأبو بكر الطائع بن المطيع حصل لابيه فالج فنزل لابنه عنها طوعا قال العلماء أول من ولي الخلافة وأبوه حي أبو بكر وهو أول من عهد بها وأول من اتخذ بيت المال وأول من سمى المصحف مصحفا وأول من سمي بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو أول من اتخذ الدرة وأول من أرخ من الهجرة وأول من امر بصلاة التراويح وأول من وضع الديوان وأول من حمى الحمى عثمان وهو أول من أقطع الاقطاعات أي أكثر من ذلك وأول من زاد الاذان في الجمعة وأول من رزق المؤذنين وأول من ارتج عليه في الخطبة وأول من اتخذ صاحب شرطة وأول من استخلف ولي العهد في حياته معاوية وهو أول من اتخذ الخصيان لخدمته وأول من حملت اليه الرؤس عبد الله بن الزبير وأول من ضرب اسمه على السكة عبد الملك بن مروان وأول من منع من ندائه باسمه الوليد بن عبد الملك وأول ما حدثت الالقاب لبني العباس وقال ابن فضل الله زعم بعضهم ان لبني أمية القابا مثل القاب بني العباس قلت وكذا ذكر بعض المؤرخين ان لقب معاوية الناصر لدين الله ولقب يزيد المستنصر ولقب معاوية ابنه الراجع الى الحق ولقب مروان المؤتمن بالله ولقب عبد الملك الموفق لامر الله ولقب ابنه الوليد المنتقم بالله ولقب عمر بن عبد العزيز المعصوم بالله ولقب يزيد بن عبد الملك القادر بصنع الله ولقب يزيد الناقص الشاكر لانعم الله أول ما تفرقت الكلمة في دولة السفاح أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم المنصور وهو أول خليفة استعمل مواليه في الاعمال وقدمهم على العرب أول من أمر بتصنيف الكتب في الرد على المخالفين المهدي أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف والاعمدة الهادي أول من لعب بالصوالجة في الميدان الرشيد أول من دعي وكتب للخليفة بلقبه في أيامه الامين أول من أدخل الاتراك الديوان المعتصم أول من أمر بتغيير أهل الذمة زيهم المتوكل أول من تحكمت الاتراك في قتله المتوكل وظهر بذلك تصديق الحديث النبوي كما أخرج الطبراني بسند جيد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ماتركوكم فان أول من يسلب أمتي ملكهم وماخولهم الله بنو قنطوراء أول من أحدث لبس الاكمام الواسعة وصغر القلانس المستعين أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب المعتز أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به المعتمد أول من ولي الخلافة من الصبيان المقتدر آخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والاموال الراضي وهو آخر خليفة له شعر مدون وآخر خليفة خطب وصلى بالناس دائما وآخر خليفة جالس الندماء وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وخدمه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومشاربه ومجالسه وحجابه وأموره جارية على ترتيب الخلافة الاولية وهو آخر خليفة سافر بزي الخلفاء القدماء أول ما كررت الالقاب من المستنصر الذي تولى بعد المستعصم في الاوائل للعسكري أول خليفة ولي في حياة أمه عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم الهادي ثم الرشيد ثم الامين ثم المتوكل ثم المنتصر ثم المستعين ثم المعتز ثم المعتضد ثم المطيع ولم يل الخلافة في حياة أبيه غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه وزيد عليه الطائع وقال الصولي لا نعرف امرأة ولدت خليفتين الا ولادة أم الوليد وسليمان ابني عبد الملك وشاهين أم يزيد الناقص وابراهيم ابني الوليد والخيزران أم الهادي والرشيد قلت ويزاد أم العباس وحمزة وأم داود وسليمان أولاد المتوكل الاخير (فائدة) المتسمون بالخلافة من العبيديين أربعة عشر ثلاثة بالمغرب المهدي والقائم والمنصور واحد عشر بمصر المعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد وكان ابتداء أمر مملكتهم سنة بضع وتسعين ومائتين وانقراضها في سنة سبع وستين وخمسمائة قال الذهبي وهي الدولة المجوسية واليهودية لا العلوية والباطنية لا الفاطمية وكانوا أربعة عشر متخلفا لا مستخلفا انتهى (فائدة) المتسمون بالخلافة من الامويين بالمغرب كانوا أحسن حالا من العبيديين بكثير اسلاما وسنة وعدلا

وفضلاء وعلماء وجهادا وغزوا وهم كثير حتى انه اجتمع بالاندلس فى عصر واحد ستة كلهم تسمى بالخلافة (فائدة) افرد تواريخ الخلفاء بالتأليف جماعة من المتقدمين منها تاريخ الخلفاء لنفطويه النحوى مجلدان انتهى الى أيام القاهر والاوراق للصولى ذكر فيه العباسيين فقط وانتهى الى ثلاث وقد وقفت عليه وتاريخ خلفاء بنى العباس لابن الجوزى رأيته أيضا انتهى الى أيام الناصر وتاريخ الخلفاء لابى الفضل أحمد بن أبى طاهر المروزى الكاتب أحد فحول الشعراء مات فى سنة ثمانين ومائتين وتاريخ خلفاء بنى العباس للامير أبى موسى هرون بن محمد العباسى (فائدة) أخرج الخطيب فى التاريخ بسنده عن محمد بن عباد قال لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء الا عثمان بن عفان رضى الله عنه والمأمون قلت وهذا الحصر ممنوع بل حفظه أيضا الصديق رضى الله عنه على الصحيح وصرح به جماعة منهم النووى فى تهذيبه وعلى رضى الله عنه وردمن طريق انه حفظه كله بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم (فائدة) قال ابن الساعى حضرت مبايعة الخليفة الظاهر فكان جالسا فى شباك القبة بثياب بيض وعليه الطرحة وعلى كتفه بردة النبى صلى الله عليه وسلم والوزير قائما بين يديه على منبر واستاذ الدار دونه بمرقاة وهو يأخذ البيعة على الناس ولفظ المبايعة أبايع سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام أبا نصر محمد الظاهر بأمر الله على كتاب الله وسنة نبيه واجتهاد أمير المؤمنين وان لا خليفة سواه انتهى

(أبو بكر الصديق)

أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى التيمى يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة قال النووى فى تهذيبه وما ذكرناه من ان اسم أبى بكر عبد الله هو الصحيح المشهور وقيل اسمه عتيق والصواب الذى عليه كافة العلماء ان عتيقا لقب له لا اسم ولقب عتيقا لعتقه من النار كما ورد فى حديث رواه الترمذى وقيل لعتاقة وجهه أى حسنه وجماله (قاله مصعب بن الزبير والليث بن سعد وجماعة) وقيل لانه لم يكن فى نسبه شئ يعاب به قال مصعب بن الزبير وغيره واجتمعت الامة على تسميته بالصديق لانه بادر الى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازم الصدق فلم تقع منه هناة ما ولا وقفة فى حال من الاحوال وكانت له فى الاسلام المواقف الرفيعة منها قصة ليلة الاسراء وثباته وجوابه للكفار فى ذلك وهجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك عياله واطفاله وملازمته فى الغار وسائر الطريق ثم كلامه يوم بدر ويوم الحديبية حين اشتبه على غيره الامر فى تأخر دخول مكة ثم بكاؤه حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة ثم ثباته يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبته الناس وتسكينهم ثم قيامه فى قضية البيعة لمصلحة المسلمين ثم اهتمامه فى بعث جيش أسامة بن زيد الى الشام وتصممه فى ذلك ثم قيامه فى قتال أهل الردة ومناظرته للصحابة حتى حجهم بالدلائل وشرح الله صدورهم لما شرح له صدره من الحق وهو قتال أهل الردة ثم تجهيزه الجيوش الى الشام لفتوحه وامدادهم ثم ختم ذلك بمهم من أحسن مناقبه وأجل فضائله وهو استخلافه على المسلمين عمر رضى الله عنه وكم للصديق من مناقب ومواقف وفضائل لا تحصى (هذا كلام النووى) وأقول قد أردت أن أبسط ترجمة الصديق بعض البسط ذاكرا فيه جملة كثيرة مما وقفت عليه من حاله وأرتب ذلك فصولا .

(فصل) فى اسمه ولقبه تقدمت الاشارة الى ذلك قال ابن كثير اتفقوا على ان اسمه عبد الله بن عثمان الا ما روى ابن سعد عن ابن سيرين ان اسمه عتيق والصحيح انه لقبه ثم اختلف فى وقت تلقيبه به وفى سببه فقيل لعتاقة وجهه أى لجماله (قاله الليث بن سعد وأحمد بن حنبل وابن معين وغيرهم) وقال أبو نعيم الفضل بن دكين

على اربعة أقسام كل قسم يشتمل على أبواب وفصول وضوابط وأصول (القسم الاول) فى الضوابط والاصول وقواعد المملكة وهو عشرة أبواب (الباب الاول) فى فضل الملك وشرفه والحاجة الداعية اليه (الباب الثانى) فى أركان الملك ودعائمه وأسه وقوانينه (الباب الثالث) فى مجمع الملك وهيآته وخصاله وابهته (الباب الرابع) فيما يجب للملوك على الرعية وما للرعية على الملوك (الباب الخامس) فى حسن سيرته مع الملوك المجاورين والقبائل الاوداء والمعاندين (الباب السادس) فى سيرة الملك مع أمراء دولته وأركان مملكته (الباب السابع) فى سيرة الملك مع أهل الشريعة والعلماء والفقهاء والفضلاء (الباب الثامن) فى حسن سيرة الملك مع العباد والنساك وقبول نصائحهم (الباب التاسع) فى سيرته مع ذوى الشرف والبيوتات واعانتهم (الباب العاشر) فى سيرته مع التجار والقاصدين والصناع والمزارعين

(القسم الثانى)

فى أحوال الملك فى ذاته مع خواصه وخدمه وهو ثمانية أبواب (الباب الاول) فى آداب الدخول عليه ومخاطبته ومجالسته (الباب الثانى) فى

لتقدمه في الخير وقيل لعتاقة نسبه أي طهارته اذ لم يكن في نسبه شئ يعاب به وقيل سمي به أولا ثم سمي بعبد الله وروى الطبراني عن القاسم بن محمد انه سأل عائشة رضي الله عنها عن اسم أبي بكر فقالت عبد الله فقال ان الناس يقولون عتيق قالت ان أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد سماهم عتيقا ومعتقا ومعيتقا وأخرج ابن منده وابن عساكر عن موسى بن طلحة قال قلت لابي طلحة لم سمي أبو بكر عتيقا قال كانت أمه لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به البيت ثم قالت اللهم ان هذا عتيق من الموت فهبه لي وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال انما سمي عتيقا لحسن وجهه وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت اسم أبي بكر الذي سماه به أهله عبد الله ولكن غلب عليه اسم عتيق وفي لفظ ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه عتيقا وأخرج أبو يعلى في مسنده وابن سعد والحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت والله اني لفي بيتي ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الفناء والستر بيني وبينهم اذ أقبل أبو بكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر وان اسمه الذي سماه أهله عبد الله فغلب عليه اسم عتيق وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها ان أبا بكر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار فمن يومئذ سمي عتيقا وأخرج البزار والطبراني بسند جيد عن عبد الله بن الزبير قال كان اسم أبي بكر عبد الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت عتيق الله من النار فسمي عتيقا وأما الصديق فقيل كان يلقب به في الجاهلية لما عرف منه من الصدق ذكره ابن مسدى وقيل لمبادرته الى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبر به قال ابن اسحق عن الحسن البصري وقتادة وأول ما اشتهر به صبيحة الاسراء وأخرج الحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء المشركون الى أبي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه أسري به الليلة الى بيت المقدس قال أو قال ذلك قالوا نعم فقال لقد صدق اني لاصدقه بابعد من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة فلذلك سمي الصديق (اسناده جيد) وقد ورد ذلك من حديث أنس وأبي هريرة أسندهما ابن عساكر وأم هانئ (أخرجه الطبراني) قال سعيد بن منصور في سننه حدثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به فكان بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق وأخرجه الطبراني في الاوسط موصولا عن أبي وهب عن أبي هريرة. وأخرج الحاكم في المستدرك عن النزال بن سبرة قال قلنا لعلي يا أمير المؤمنين أخبرنا عن أبي بكر قال ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل وعلى لسان محمد كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا (اسناده جيد) وأخرج الدارقطني والحاكم عن أبي يحيي قال لا أحصي كم سمعت عليا يقول على المنبر ان الله سمي أبا بكر على لسان نبيه صديقا وأخرجه الطبراني بسند جيد صحيح عن حكيم بن سعد قال سمعت عليا يقول ويحلف لانزل الله اسم أبي بكر من السماء الصديق وفي حديث أحد اسكن فانما عليك نبي وصديق وشهيدان وأم أبي بكر بنت عم أبيه اسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب وتكنى أم الخير قاله الزهري أخرجه ابن عساكر

(فصل في مولده ومنشئه ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وأشهر فانه مات وله ثلاثة وستون سنة)

قال ابن كثير وأما ما أخرجه خليفة بن الخياط عن يزيد بن الاصم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أنا أكبر أو أنت قال أنت أكبر وأنا أسن منك فهو مرسل غريب جدا والمشهور خلافه وانما صح ذلك عن العباس وكان منشؤه بمكة لا يخرج منها الا لتجارة وكان ذا مال جزيل في قومه ومروأة تامة واحسان وتفضل فيهم كما قال ابن الدغنة انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر وتقري الضيف قال النووي وكان من رؤساء قريش في الجاهلية وأهل مشاورتهم ومحببا فيهم واعلم لمعالمهم فلما جاء الاسلام آثره على ماسواه ودخل فيه أكمل دخول وأخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن معروف بن خربوذ قال ان

أحوال الوزراء واختيارهم وما يجب لهم وعليهم (الباب الثالث) في كتاب الرسائل والدواوين وما لهم من الرسوم والقوانين (الباب الرابع) في ولاة المظالم وانصاف المظلوم من الظالم (الباب الخامس) في أصحاب البريد والاخبار والعيون (الباب السادس) في الحجاب والنقباء والحرس والاعوان (الباب السابع) في ذكر رسل الملوك وصفاتها وهداياها وتحفها (الباب الثامن) في صحبة السلطان وشرائطها وما يحمد ويذم من ذلك

(القسم الثالث)

في الامور المختصة بالملك وخواصه وحاشيته وهو عشرة أبواب (الباب الاول) في هيئة الملك ولباسه وركوبه وجلوسه وانفراده بخصائص يتميز بها (الباب الثاني) في آداب خواص الملك معه في جميع أحواله وبطانته (الباب الثالث) في آداب الاولاد والاقارب وحسن السيرة معهم (الباب الرابع) في أمر الحرم وسياستهن (الباب الخامس) في سيرة الملك مع مماليكه والخدم وتفضيلهم (الباب السادس) في طعام الملك والادب فيه (الباب السابع) في سماع تلاوة القرآن والمنادمة والمسامرة (الباب الثامن)

أبابكر الصديق رضى الله عنه أحد عشرة من قريش اتصل بهم شرف الجاهلية والاسلام فكان اليه أمر الديات والغرم وذلك ان قريشا لم يكن لهم ملك ترجع الامور كلها اليه بل كان فى كل قبيلة ولاية عامة تكون لرئيسها فكانت فى بنى هاشم السقاية والرفادة ومعنى ذلك انه لا يأكل ولا يشرب أحد الا من طعامهم وشرابهم وكانت فى بنى عبد الدار الحجابة واللواء والندوة أى لا يدخل البيت أحد الا باذنهم واذا عقدت قريش راية حرب عقدها لهم بنو عبد الدار واذا اجتمعوا الامر ابراما أو نقضا الا يكون اجتماعهم الا بدار الندوة ولا ينفذ الا بها وكانت لبنى عبد الدار

(فصل) كان أبو بكر رضى الله عنه أعف الناس فى الجاهلية أخرج ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت والله ما قال أبو بكر شعرا قط فى جاهلية ولا اسلام ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر فى الجاهلية وأخرج أبو نعيم بسند جيد عنها قالت لقد كان حرم أبو بكر الخمر على نفسه فى الجاهلية وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن الزبير قال ما قال أبو بكر شعرا قط وأخرج ابن عساكر عن ابى العالية الرياحى قال قيل لابى بكر الصديق فى مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هل شربت الخمر فى الجاهلية فقال أعوذ بالله فقيل ولم قال كنت أصون عرضى وأحفظ مروأتى فان من شرب الخمر كان مضيعا فى عرضه ومروأته قال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدق أبو بكر صدق أبو بكر مرتين مرسل غريب سندا ومتنا

(فصل فى صفته رضى الله عنه) أخرج ابن سعد عن عائشة رضى الله عنها ان رجلا قال لها صفى لنا أبا بكر فقالت رجل أبيض نحيف خفيف العارضين أجنأ لا يستمسك ازاره يسترخى عن حقويه معروق الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة عارى الاشاجع هذه صفته وأخرج عن عائشة رضى الله عنها ان أبا بكر كان يخضب بالحناء والكتم وأخرج عن أنس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فى أصحابه أشمط غير أبى بكر فغلفها بالحناء والكتم

*(فصل فى اسلامه رضى الله عنه) أخرج الترمذى وابن حبان فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى قال قال أبو بكر ألست أحق الناس بها أى الخلافة ألست أول من أسلم ألست صاحب كذا ألست صاحب كذا وأخرج ابن عساكر من طريق الحارث عن على رضى الله عنه قال أول من أسلم من الرجال أبو بكر وأخرج خيثمة بسند صحيح عن زيد بن أرقم قال أول من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وأخرج ابن سعد عن أبى أروى الدوسى الصحابى رضى الله عنه قال أول من أسلم أبو بكر الصديق وأخرج الطبرانى فى الكبير وعبد الله ابن أحمد فى زوائد الزهد عن الشعبى قال سألت ابن عباس أى الناس كان أول اسلاما قال أبو بكر الصديق ألم تسمع قول حسان حيث يقول شعرا

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها * الا النبى وأوفاها بما حملا
والثانى التالى المحمود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسلا

*وأخرج أبو نعيم عن فرات بن السائب قال سألت ميمون بن مهران قلت على أفضل عندك أم أبو بكر وعمر قال فارتعد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال ما كنت أظن ان أبقى الى زمان يعدل بهما لله درهما كانا رأس الاسلام قلت فأبو بكر كان أول اسلاما أم على قال والله لقد آمن أبو بكر بالنبى صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا الراهب حين مر به واختلف فيما بينه وبين خديجة حين أنكحها اياه وذلك كله قبل ان يولد على وقد قال انه أول من أسلم خلائق من الصحابة والتابعين وغيرهم بل ادعى بعضهم الاجماع عليه وقيل أول من أسلم على وقيل خديجة وجمع بين الاقوال بان أبا بكر أول من أسلم من الرجال وعلى أول من أسلم من الصبيان وخديجة أول من أسلمت من النساء وأول من ذكر هذا الجمع الامام أبو حنيفة رحمه الله أخرجه عنه وأخرج ابن أبى شيبة وابن

فى مجلس السماع وراحة النفس واختيار ذلك (الباب التاسع) فى الرياضة واللعب بالكرة والمطاردة (الباب العاشر) فى الصيد والقنص وصفات الجوارح والكواسر وأمراضها وعلاجاتها

(القسم الرابع)

فى الحروب وهو عشرة أبواب (الباب الاول) فى وصف أجناس الناس واختلاف أصنافهم وأطوارهم (الباب الثانى) فى الشجاعة وحدها وفضلها وصفاتها (الباب الثالث) فى الفروسية ورياضة الخيل والركوب (الباب الرابع) فى الاسلحة واستعمالها فى الحرب وصفات الرمى وفضله والطعن والضرب للغزاة والحث على الجهاد (الباب الخامس) فى تولية الاعمال والمدن والامصار (الباب السادس) فى حفظ الثغور والقلاع وما يجب من أمورها (الباب السابع) فى الحروب والمصافاة وتعبية العساكر (الباب الثامن) فى الكر والهزيمة وما ينبغى أن يفعله الهازم والمهزوم (الباب التاسع) فى الحصار وفتح القلاع وما ينبغى أن يفعله الحاصر والمحصور (الباب العاشر) فى حروب البحر وصفاتها ونبتدئ الآن بما سبق ذكره على ترتيبه

عساكر عن سالم بن أبي الجعد قال قلت لمحمد بن الحنفية هل كان أبو بكر أول القوم اسلاما قال لا قلت فبما علا أبو بكر وسبق حتى لا يذكر أحد غير أبي بكر قال لانه كان أفضلهم اسلاما حين أسلم حتى لحق بربه وأخرج ابن عساكر بسند جيد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص انه قال لابيه سعد أكان أبو بكر الصديق أولكم اسلاما قال لا ولكنه أسلم قبله أكثر من خمسة ولكن كان خيرنا اسلاما قال ابن كثير الظاهر ان أهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا قبل كل أحد زوجته خديجة ومولاه زيد وزوجة زيد أم أيمن وعلي وورقة انتهى وأخرج ابن عساكر عن عيسى بن يزيد قال قال أبو بكر الصديق كنت جالسا بفناء الكعبة وكان زيد بن عمرو بن نفيل قاعدا فمر به أمية بن أبي الصلت فقال كيف أصبحت يا باغي الخير قال بخير قال هل وجدت قال لا فقال شعرا

كل دين يوم القيامة الا * ما قضى الله في الحقيقة بور

أما ان هذا النبي الذي ينتظر منا أو منكم قال ولم أكن سمعت قبل ذلك بنبي ينتظر ويبعث قال فخرجت الى ورقة بن نوفل وكان كثير النظر الى السماء كثير همهمة الصدر فاستوقفته ثم قصصت عليه الحديث فقال نعم يا ابن اخي انا أهل الكتب والعلوم الا ان هذا النبي الذي ينتظر من أوسط العرب نسبا ولي علم بالنسب وقومك أوسط العرب نسبا قلت يا عم وما يقول النبي قال يقول ما قيل له الا انه لا يظلم ولا يظلم ولا يظالم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت به وصدقته وقال ابن اسحق حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر الا أبا بكر ما عتم عنه حين ذكرته وما تردد فيه عتم أي تلبث قال البيهقي وهذا لانه كان يرى دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمع آثاره قبل دعوته فحين دعاه كان قد سبق له فيه تفكر ونظر فأسلم في الحال ثم أخرج عن أبي ميسرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا برز سمع من يناديه يا محمد فاذا سمع الصوت ولى هاربا فأسر ذلك الى أبي بكر وكان صديقا له في الجاهلية وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كلمت في الاسلام أحدا الا أبى علي وراجعني الكلام الا ابن أبي قحافة فاني لم أكلمه في شئ الا قبله واستقام عليه وأخرج البخاري عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنتم تاركون الى صاحبي اني قلت أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت

(فصل في صحبته ومشاهده) قال العلماء صحب أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم من حين أسلم الى حين توفي لم يفارقه سفرا ولا حضرا الا فيما اذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج فيه من حج وغزو وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو رفيقه في الغار قال تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وقام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير موضع وله الآثار الجليلة في المشاهد وثبت يوم أحد ويوم حنين وقد فر الناس كما سيأتي في فصل شجاعته أخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال تباشرت الملائكة يوم بدر فقالوا أما ترون الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش وأخرج أبو يعلى والحاكم وأحمد عن علي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولابي بكر مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل وأخرج ابن عساكر عن ابن سيرين ان عبد الرحمن بن أبي بكر كان يوم بدر مع المشركين فلما أسلم قال لابيه لقد أهدفت لي يوم بدر فانصرفت عنك ولم أقتلك فقال أبو بكر لكنك لو أهدفت لي لم أنصرف عنك قال ابن قتيبة معنى أهدفت أشرفت ومنه قيل للبناء المرتفع هدف

فصل في شجاعته وانه أشجع الصحابة رضي الله عنه أخرج البزار في مسنده عن علي انه قال أخبروني من أشجع الناس فقالوا أنت قال اما اني ما بارزت أحدا الا انتصفت منه ولكن اخبروني بأشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال أبو بكر انه لما كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوي اليه احد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد الا أبا بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول

في الضوابط والاصول وقواعد المملكة وهو عشرة أبواب

(الباب الاول في فضل الملك وشرفه والحاجة الداعية اليه) اعلم أيدك الله ان الملك فضل الهي ينعم الله به على من يصطفيه من خلقه قال الله تعالى ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء قال المفسرون اصطفاه بمعنى اختاره والبسطة لها تأويلان أحدهما سعة في علم الدين والثاني زيادة في علم الحروب وعظم في خلقة الجسم وقال عز من قائل ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين والاشارة في ذلك الى الذين بهم الدفع ومنهم النفع ولولا ردع الملوك لتغالبت الناس وتحاربت وطمع بعضهم في بعض واستولى الاقوياء على الضعفاء وتمكن الاشرار من الاخيار فيضطرون الى التشرد والتفرد وفي ذلك خراب البلاد وفناء العباد فان الجنس الانساني مضطر الى التالف والتجمع في اتمام معشيته وانتظام حال بنيته فيحتاج الى سياسة تقيم أمره على الاستقامة وقال الله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع

الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى اليه أحد الا هوى اليه فهو أشجع الناس قال على رضى الله عنه ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش فهذا يجبأه وهذا يتلتله وهم يقولون أنت الذى جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله مادنا منا أحد الا أبو بكر يضرب هذا ويجبأ هذا ويتلتل هذا وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال الا تجيبونى فوالله لساعة من أبى بكر خير من ألف ساعة مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم ايمانه وهذا رجل أعلن ايمانه وأخرج البخارى عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبى معيط جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فوضع رداءه فى عنقه فخنقه به خنقا شديدا فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وأخرج الهيثم بن كليب فى مسنده عن أبى بكر قال لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أول من فاء وسيأتى تتمة الحديث فى مسند مارواه وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها قالت لما اجتمع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظهور فقال يا أبا بكر انا قليل فلم يزل أبو بكر يلح على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد كل رجل فى عشيرته وقام أبو بكر فى الناس خطيبا فكان أول خطيب دعا الى الله والى رسوله وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين وضربوا فى نواحى المسجد ضربا شديدا وسيأتى تتمة الحديث فى ترجمة عمر رضى الله عنه وأخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه قال لما أسلم أبو بكر أظهر اسلامه ودعا الى الله والى رسوله

(فصل فى انفاقه ماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم) وأنه أجود الصحابة قال الله تعالى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى الى آخر السورة قال ابن الجوزى أجمعوا على أنها نزلت فى أبى بكر وأخرج أحمد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالى الا لك يا رسول الله وأخرج أبو يعلى من حديث عائشة رضى الله عنها مرفوعا مثله قال ابن كثير وروى أيضا من حديث على وابن عباس وأنس وجابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم وأخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلا وزاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى فى مال أبى بكر كما يقضى فى مال نفسه وأخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة رضى الله عنها وعروة بن الزبير ان أبا بكر رضى الله عنه أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف دينار وفى لفظ أربعون ألف درهم فأنفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج أبو سعيد بن الاعرابى عن ابن عمر رضى الله عنه قال أسلم أبو بكر رضى الله عنه يوم أسلم وفى منزله أربعون ألف درهم فخرج الى المدينة فى الهجرة وماله غير خمسة آلاف كل ذلك ينفقه فى الرقاب والعون على الاسلام وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها ان أبا بكر أعتق سبعة كلهم يعذب فى الله وأخرج ابن شاهين فى السنة والبغوى فى تفسيره وابن عساكر عن ابن عمر قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فقال يا جبريل أنفق ماله على قبل الفتح قال فان الله تعالى يقرأ عليه السلام ويقول قل له أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أأسخط على ربى انا عن ربى راض انا عن ربى راض انا عن ربى راض (غريب وسنده ضعيف جدا) وأخرج أبو نعيم عن أبى هريرة وابن مسعود مثله وسندهما ضعيف أيضا وأخرج ابن عساكر نحوه من حديث ابن عباس وأخرج الخطيب بسند واه أيضا عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال هبط على جبريل عليه السلام وعليه طنفسة وهو

الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير فقرن الملك بالعزة ونبه على فضله وشرفه بهذه الاضافة (وقال) تعالى حاكيا عن فصل شكر يوسف عليه السلام رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث قيل هو العلم باحداث الزمان وقيل هو تعبير الرؤيا (وقال) تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا فهو نعمة الله السابقة وقد شبه بعض الفضلاء الملك بالروح والرعية بالجسد فلا قوام للرعية الا بالملك كالاقوام للجسد الا بالروح ثم فصل ذلك فنسب العيون الى الحجاب ونسب الاذن الى أصحاب الاخبار والجواسيس ونسب اليد والاصابع الى الجند والاعوان ونسب الرجل الى المراكب من سائر الاصناف ونسب الشعر الى الزينة والجمال ونسب الاحشاء الى الحرم وقد شبهه بعضهم بالشمس التى بها نور العالم وضياؤه وصلاحه ونماؤه وقال معاوية بن أبى سفيان نحن الزمان فمن رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع وقيل لبعضهم هل ينتظم حال بلد بغير ملك قال نعم اذا كان كل من فيها حكيما فاضلا وهذا نادر

متخلل بها فقلت له يا جبريل ما هذا قال ان الله تعالى أمر الملائكة ان تتخلل في السماء كتخلل أبي بكر في الارض قال ابن كثير وهذا منكر جدا وقال ولولا ان هذا والذي قبله يتداوله كثير من الناس لكان الاعراض عنهما أولى وأخرج أبو داود والترمذي عن عمر بن الخطاب قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك فقلت مثله وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لاهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسبقه في شيء أبدا (قال الترمذي حسن صحيح) وأخرج أبو نعيم في الحلية عن الحسن البصري أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقته فأخفاها فقال يا رسول الله هذه صدقتي ولله عندي معاد وجاء عمر بصدقته فأظهرها فقال يا رسول الله هذه صدقتي ولي عند الله معاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما (اسناده جيد لكنه مرسل) وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالاحد عندنا يد الا وقد كافأناه الا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر وأخرج البزار عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال جئت بأبي قحافة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلا تركت الشيخ حتى آتيه قال بل هو أحق ان يأتيك قال انا نحفظه لايادي ابنه عندنا وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد عندي أعظم يدا من أبي بكر واساني بنفسه وماله وانكحني ابنته

(فصل في علمه) وأنه أعلم الصحابة وأذكاهم قال النووي في تهذيبه ومن خطه نقلت استدل أصحابنا على عظم علمه بقوله في الحديث الثابت في الصحيحين والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه واستدل الشيخ أبو اسحق بهذا وغيره في طبقاته على ان أبا بكر أعلم الصحابة لانهم كلهم وقفوا عن فهم الحكم في المسئلة الا هو ثم ظهر لهم بمباحثته لهم ان قوله هو الصواب فرجعوا اليه ورويناعن ابن عمر أنه سئل من كان يفتي الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ما أعلم غيرهما وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال ان الله تبارك وتعالى خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله تعالى فبكى أبو بكر وقال نفديك بآبائنا وامهاتنا فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن اخوة الاسلام ومودته لا يبقين باب الاسد الا باب أبي بكر (هذا كلام النووي) وقال ابن كثير كان الصديق رضي الله عنه أقرأ الصحابة أي أعلمهم بالقرآن لانه صلى الله عليه وسلم قدمه اماما للصلاة بالصحابة رضي الله عنهم مع قوله يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر ان يؤمهم غيره وكان مع ذلك أعلمهم بالسنة كما رجع اليه الصحابة في غير موضع يبرز عليهم بنقل سنن عن النبي صلى الله عليه وسلم يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة اليها ليست عندهم وكيف لا يكون كذلك وقد واظب صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم من أول البعثة الى الوفاة وهو مع ذلك من أذكى عباد الله وأعقلهم وانما لم يروعنه من الاحاديث المسندة الا القليل لقصر مدته وسرعة وفاته بعد النبي صلى الله عليه وسلم والا فلو طالت مدته لكثر ذلك عنه جدا ولم يترك الناقلون عنه حديثا الا نقلوه ولكن كان الذين في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم وأخرج أبو القاسم البغوي عن ميمون بن مهران قال كان أبو بكر اذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به وان لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الامر سنة قضى به فان

أعياه

(وقال الشاعر)

لا تصلح الناس فوضى لاسراة لهم

ولا سراة اذا جهالهم سادوا

ولو لم يكن في شرف الملك وعظيم خطره الا ما أشار اليه الحديث النبوي في قوله عليه الصلاة والسلام السلطان ظل الله في الارض يأوي اليه كل ملهوف لكان ذلك من أدل الدلائل على جليل خطره وعظيم موقعه وشرف مرتبته وأثره ولم تزل الملوك تعظمها الامم الخالية المؤتلفة والملل المختلفة وتشرفها وتدين بطاعتها لاسيما ملوك الفرس فان الفرس تبلغ في تبجيل ملوكها الغاية القصوى وطائفة من الهند كانوا يتخذون الملوك أربابا وكذلك أهل مصر كانوا يفعلون بملوكهم كفرعون موسى عليه السلام واسمه الوليد بن مصعب وفرعون يوسف واسمه الريان بن الوليد بن دومغ في قول يوسف اذكرني عند ربك * وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لرسول كسرى الذي ورد اليه بحمله أخبرني ربي ان ربك هلك البارحة واستبهله مسافة الطريق فكان كما قال عليه السلام * فيجب على من أنعم الله عليه بهذه النعمة وهذه الرتبة أن يزداد تواضعه لله تعالى وانكساره

أعياه خرج فسأل المسلمين وقال أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء فيقول أبو بكر الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا فان أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤس الناس وخيارهم فاستشارهم فان أجمع أمرهم على رأى قضى به وكان عمر رضى الله عنه يفعل ذلك فان أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لابي بكر فيه قضاء فان وجد أبا بكر قد قضى فيه بقضاء قضى به والا دعا رؤس المسلمين فاذا اجتمعوا على أمر قضى به وكان الصديق رضى الله عنه مع ذلك أعلم الناس بأنساب العرب لاسيما قريش أخرج ابن اسحق عن يعقوب بن عتبة عن شيخ من الانصار قال كان جبير بن مطعم من أنسب قريش لقريش والعرب قاطبة وكان يقول انما أخذت النسب من أبي بكر الصديق وكان أبو بكر الصديق من أنسب العرب وكان الصديق مع ذلك غاية في علم تعبير الرؤيا وقد كان يعبر الرؤيا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال محمد بن سيرين وهو المقدم في هذا العلم بالاتفاق كان أبو بكر أعبر هذه الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم (أخرجه ابن سعد) وأخرج الديلمي في مسند الفردوس وابن عساكر عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان أؤول الرؤيا أبا بكر قال ابن كثير وكان من أفصح الناس وأخطبهم قال الزبير بن بكار سمعت بعض أهل العلم يقول افصح خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهما وسيأتي في حديث السقيفة قول عمر رضى الله عنه وكان من أعلم الناس بالله وأخوفهم له وسيأتي من كلامه في ذلك وفي تعبير الرؤيا ومن خطبه جملة في فصل مستقل ومن الدال على انه أعلم الصحابة حديث صلح الحديبية حيث سأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الصلح وقال علام نعطى الدنية في ديننا فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذهب الى أبي بكر فسأله عما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فأجابه الصديق بمثل جواب النبي صلى الله عليه وسلم سواء بسواء (أخرجه البخاري وغيره) وكان مع ذلك أسد الصحابة رأيا وأكملهم عقلا وأخرج تمام الرازي في فوائده وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتاني جبريل فقال ان الله يأمرك ان تستشير أبا بكر وأخرج الطبراني وأبو نعيم وغيرهما عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد ان يسرح معاذا الى اليمن استشار ناسا من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وأسيد بن حضير فتكلم القوم كل انسان برأيه فقال ماترى يامعاذ قلت أرى ما قال أبو بكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يكره فوق سمائه ان يخطأ أبو بكر ورواه بن أسامة في مسنده ان الله يكره في السماء ان يخطأ أبو بكر الصديق في الارض وأخرج الطبراني في الاوسط عن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يكره ان يخطأ أبو بكر (رجاله ثقات)

(فصل) قال النووي في تهذيبه الصديق أحد الصحابة الذين حفظوا القرآن كله وذكره أيضا جماعة منهم ابن كثير في تفسيره وأما حديث أنس جمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة فراده من الانصار كما أوضحته في كتاب الاتقان وأما ما أخرجه بن أبي داود عن الشعبي قال مات أبو بكر الصديق رضى الله عنه ولم يجمع القرآن كله فهو مدفوع أو مؤول على ان المراد جمعه في المصحف على الترتيب الذي صنعه عثمان رضى الله عنه

(فصل) في انه أفضل الصحابة وخيرهم أجمع أهل السنة ان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم سائر العشرة ثم باقي أهل بدر ثم باقي أهل أحد ثم باقي أهل البيعة ثم باقي الصحابة هكذا حكى الاجماع عليه أبو منصور البغدادي روى البخاري عن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان وزاد الطبراني في الكبير فيعلم بذلك النبي صلى الله

وانقياده للشريعة واجتهاده في تنفيذ أحكامها بسبب قربه منها وقال أردشير بن بابك في عهده الدين أس الملك والملك حارس الدين فما لا أس له فمهدوم ومالا حارس له فمعدوم وقد ظهر ذلك في بيان قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا فهذه اشارة الى ان بعض الناس يحامون عن البيع والمساجد أن تهدم ويقومون أمور الدين ويحملون الناس عليها وهم الملوك

(الباب الثاني في أركان الملك ودعائمه واسه وقوانينه)

نبتدئ أولا في مقدمة جملية تتضمن الضوابط السلطانية اذا كان الملك محافظا على الشريعة محسنا الى متبعها معاقبا لمجتنبها محصنا للاسرار متخيرا للوزراء والعلماء مهيبا في أنفس الرعية مثمرا للاموال بقدر ما ينفق كان جديرا بثبات الملك وحسن الذكر وانقطاع أمل من يروم الخلل في دولته وأي ملك خالف الشريعة خالفته الرعية وأعانت عدوه عليه وينبغي للملك أن يكون خلقه وسطا بين الرقة والقسوة لان الرقة تطمع فيه فيتحرك أهل الفساد والقسوة تنفر عنه فييأس أهل الخير والتائب من حرمه والاول من اخلاق البغاث من الطيور والثاني من اخلاق الكواسر منها (وينبغي للملك) أن يكون منزها عن خمس خلال* أولها أن لا يكون غضوبا حديدا فانه مع الحدة والقدرة يهلك الرعية والغضب

عليه وسلم ولا ينكره وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال كنا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفضل أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال كنا معاشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول أفضل هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت وأخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله قال قال عمر لابي بكر يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر اما انك ان قلت ذاك فلقد سمعته يقول ماطلعت الشمس على رجل خير من عمر وأخرج البخاري عن محمد بن علي بن أبي طالب قال قلت لابي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت أن يقول عثمان قلت ثم أنت قال ما أنا الا رجل من المسلمين وأخرج أحمد وغيره عن علي قال خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر قال الذهبي هذا متواتر عن علي فلعن الله الرافضة ما أجهلهم وأخرج الترمذي والحاكم عن عمر بن الخطاب قال أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عمر صعد المنبر ثم قال ألا ان أفضل هذه الامة بعد نبيها أبو بكر فمن قال غير هذا فهو مفتر عليه ما على المفتري وأخرج أيضا عن ابن أبي ليلى قال قال علي لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر الا جلدته حد المفتري وأخرج عبد الرحمن بن حميد في مسنده وأبو نعيم وغيرهما من طرق عن أبي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبي بكر الا ان يكون نبي وفي لفظ على أحد من المسلمين بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر وقد ورد أيضا من حديث جابر ولفظه ماطلعت الشمس على أحد منكم أفضل منه أخرجه الطبراني وغيره وله شواهد من وجوه أخر تقضي له بالصحة أو الحسن وقد أشار ابن كثير الى الحكم بصحته وأخرج الطبراني عن سلمة بن الاكوع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق خير الناس الا أن يكون نبي وفي الاوسط عن سعد بن زرارة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس جبريل أخبرني ان خير أمتك بعدك أبو بكر وأخرج الشيخان عن عمرو بن العاص قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أحب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب وقد ورد هذا الحديث بدون ثم عمر في رواية أنس وابن عمرو وابن عباس وأخرج الترمذي والنسائي والحاكم عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أبو بكر قلت ثم من قالت ثم عمر قلت ثم من قالت أبو عبيدة بن الجراح وأخرج الترمذي وغيره عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين الا النبيين والمرسلين وأخرج مثله عن علي وفي الباب عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وأخرج الطبراني في الاوسط عن عمار بن ياسر قال من فضل على أبي بكر وعمر أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ازرى على المهاجرين والانصار وأخرج ابن سعد عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت هل قلت في أبي بكر شيأ قال نعم فقال قل وأنا أسمع فقال شعر

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت

(فصل) روى أحمد والترمذي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد ابن ثابت وأقرأهم أبي بن كعب ولكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن عمر وزاد فيه وأقضاهم علي وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث شداد بن أوس وزاد

مرض من أمراض النفس اذا حدث بها فسدت معه الآراء ولهذا ينهى الحاكم في الشرع عن الحكم وهو غضبان * الثانية أن لا يكون بخيلا لانه اذا بخل اختلت عليه أحوال أصحابه فيعجزون عن الوفاء بالخدمة ولا يناصحونه ولا يصلح الملك الا بالمناصحة * الثالثة أن لا يكون مخلفا للوعد ولا وعيده فانه ان كان كذلك لم يرج ولم يخف * الرابعة أن لا يكون حسودا فان الحسود لا يسود عنده أحد ولا يشرف ولا يصلح الناس الا بساداتهم وأشرافهم * الخامسة أن لا يكون جبانا فانه ان كان كذلك أدى ذلك الى جبن الاولياء واجتراء الاعداء (وقال) بزرجمهر يحتاج الملك الى اجناد يحفظون دولته وأعوان يخدمونه ويحفظون مهجته وعلماء يحفظون دينه ووزراء يحفظون ملكه وعمال يحفظون ماله وخطباء يدعون اليه وشعراء يخلدون ذكره وندماء يجلبون أنسه وأطباء يحفظون صحته ومنجمين يختارون له الاوقات ويبشرونه بالمسرات ومطربين يغذون روحه بالنغمات (وسئل) الموبذان عن سيرة أزدشير فقال انه لم يهزل في أمر ولا نهي ولا أحلف في وعد ولا وعيد وولي للتقى لا للهوى وعاقب للذنب لا للغضب فأشربت قلوب الرعية محبته من غير جراءة وأودعت هيبته من غير ظلم (وقال جاماسب) حكيم الفرس ينبغي للملك أن تكون همته عالية فيوطن

وأبوذر ازهد أمتي وأصدقها وأبو الدرداء أعبد أمتي واتقاها ومعاوية بن أبي سفيان أحلم أمتي وأجودها وقد سئل شيخنا العلامة الكافيجي عن هذه التفضيلات هل تنافي التفضيل السابق فأجاب بانه لا منافاة

(فصل) فيما أنزل من الآيات في مدحه أو تصديقه أو أمر من شأنه اعلم اني رأيت لبعضهم كتابا في أسماء من نزل فيهم القرآن غير محرر ولا مستوعب وقد ألفت في ذلك كتابا حافلا مستوعبا محررا وانا الخص هذا ما يتعلق منه بالصديق رضي الله عنه قال تعالى ثاني اثنين اذهما في الغار اذيقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه أجمع المسلمون على ان الصاحب المذكور أبو بكر وسيأتي فيه أثر عنه وأخرج بن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه قال على أبي بكر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم تزل السكينة عليه وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود ان أبا بكر اشترى بلالا من أمية بن خلف وأبي بن خلف ببردة وعشر أواق فاعتقه لله فأنزل الله والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى سعي أبي بكر وأمية وأبي وأخرج ابن جرير عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان أبو بكر يعتق على الاسلام بمكة فكان يعتق عجائز ونساء اذا أسلمن فقال أبوه اي بني أراك تعتق أناسا ضعافا فلوانك تعتق رجالا جلدا يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك قال اي أبت أنا أريد ما عند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي ان هذه الآية نزلت فيه فأما من أعطى واتقى الى آخرها وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن عروة ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه أعتق سبعة كلهم يعذب في الله وفيه نزلت وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وأخرج البزار عن عبد الله بن الزبير قال نزلت هذه الآية وما لاحد عنده من نعمة تجزى الى آخر السورة في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان أبا بكر لم يكن يحنث في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين وأخرج البزار وابن عساكر عن أسيد بن صفوان وكانت له صحبة قال قال علي والذي جاء بالحق محمد وصدق به أبو بكر الصديق قال ابن عساكر هكذا الرواية بالحق ولعلها قراءة لعلي وأخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالى وشاورهم في الامر قال نزلت في أبي بكر وعمر وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال نزلت ولمن خاف مقام ربه جنتان في أبي بكر رضي الله عنه وله طرق أخرى ذكرتها في أسباب النزول وأخرج الطبراني في الاوسط عن ابن عمر وابن عباس في قوله تعالى وصالح المؤمنين قال نزلت في ابي بكر وعمر وأخرج عبد الله بن أبي حميد في تفسيره عن مجاهد قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر يارسول الله ما أنزل الله عليك خيرا الا أشركنا فيه فنزلت هذه الآية هو الذي يصلي عليكم وملائكته وأخرج ابن عساكر عن علي بن الحسين ان هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين واخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال نزلت في أبي بكر الصديق ووصينا الانسان بوالديه احسانا الى قوله وعد الصدق الذي كانوا يوعدون وأخرج ابن عساكر عن ابن عيينة قال عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أبا بكر وحده فانه خرج من المعاتبة ثم قرأ الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذهما في الغار

(فصل) في الاحاديث الواردة في فضله مقرونا بعمر سوى ما تقدم أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي فالتفت اليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري وبينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت اليه فكلمته فقالت اني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث قال الناس سبحان الله بقرة تتكلم قال النبي صلى الله عليه وسلم فاني أومن بذلك وأبو بكر وعمر وما ثم أبو بكر وعمر اي لم يكونا في المجلس شهد لهما بالايمان بذلك لعلمه بكمال ايمانهما وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فاما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل واما وزيراي من أهل الارض فأبو بكر وعمر وأخرج أصحاب السنن وغيرهم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول

نفسه على بلوغ أقصى المراتب ونيل الغايات ثم يقدر في نفسه حدوث النوازل وطروق النوائب وما يجب ان يقابل به كل حادثة ان طرأت فلا يستفزه الفرح بالبشائر الواردة ولا تزعجه الحوادث النازلة فيكون في المسرة كمن وعد بأمر ثم جاءه ويكون في المضرة كمن وطن نفسه على ذلك (ومثاله) كمن علم بوقوع آنية من الصفر من أعلى قصر فانه عند وقوعها لا ارتياع كمن لم يعلم بها وهو غافل عنها (وقال) ارسطاطاليس من علم ان الكون والفساد يتعاقبان الاشياء لم يحزن لورود الفجائع لعلمه أنه لابد من كونها وهان عليه لعجز الكل عن ذلك وقال المتنبي في ذلك

اذا استقبلت نفس الكريم مصابها
بخبث ثنت فاستدبرته بطيب

وذهب بعض الملوك الى ان الاصلح للمملكة ان يكون الخوف من الملك أكثر من الامن منه (وقال) كسرى قباد ينبغي للملك ان يكون كالاسد حوله الفرائس لا كالفريسة حولها الآساد وما أسعد رعية تكامل في ملكها فضائل النفس والجسم ومن اجتمعت له الفضائل الجسمية وعدم الفضائل النفسية لا يستقيم له حال في ملكه ولا تنتظم رئاسته كما قال المتنبي

وما الحسن في وجه الفتى شرف له
اذا لم يكن في فعله والخلائق

ومن كان بالعكس انتظم أمره ومن اجتمعت له الحالتان فقد كمل في الشرف واستحق الملك وان لم يكن ملكا فان

الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وذكر تمام العشرة وأخرج الترمذي عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء وان أبا بكر وعمر منهم (وأخرجه الطبراني من حديث جابر بن سمرة وأبي هريرة) وأخرج الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع اليه أحد منهم بصره الا أبو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال هكذا نبعث يوم القيامة (وأخرجه الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة) وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الله بن حنظلة ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى أبا بكر وعمر فقال هذان السمع والبصر (وأخرجه الطبراني من حديث ابن عمر وابن عمرو) وأخرج البزار والحاكم عن أبي أروى الدوسي قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر وعمر فقال الحمد لله الذي أيدني بكما وورد أيضا من حديث البراء بن عازب (أخرجه الطبراني في الاوسط) وأخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل آنفا فقلت يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر مدة ما لبث نوح في قومه ما نفدت فضائل عمر وان عمر حسنة من حسنات أبي بكر وأخرج أحمد عن عبد الرحمن بن غنم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما وأخرجه الطبراني من حديث البراء بن عازب وأخرج ابن سعد عن ابن عمر انه سأل من كان يفتي في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر وعمر ولا أعلم غيرهما وأخرج عن أبي القاسم بن محمد قال كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يفتون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل نبي خاصة من أمته وان خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر وأخرج ابن عساكر عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وأعتق بلالا رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحييه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار وأخرج الطبراني عن سهل رضي الله عنه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان أبا بكر لم يسؤني قط فاعرفوا له ذلك أيها الناس اني راض عنه وعن عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الاولين فاعرفوا ذلك لهم وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن ابن أبي حازم قال جاء رجل الى علي بن الحسين فقال ما كان منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمنزلتهما منه الساعة وأخرج ابن سعد عن بسطام بن مسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر لا يتامر عليكما أحد بعدي وأخرج ابن عساكر عن أنس مرفوعا حب أبي بكر وعمر ايمان وبغضهما كفر وأخرج عن ابن مسعود قال حب أبي بكر وعمر ومعرفتهما من السنة وأخرج عن أنس مرفوعا اني لارجو لامتي في حبهم لابي بكر وعمر ما ارجو لهم في قول لا اله الا الله

(فصل في الاحاديث الواردة في فضله وحده سوى ما تقدم) أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنفق زوجين من شيء من الاشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان فقال أبو بكر ما على من يدعى من تلك الابواب من ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد قال نعم وارجو ان تكون منهم يا أبا بكر وأخرج

السعادة أمر وراء الاحاطة والوصف ومن رام تسبيبه أو تعليله فقد غلط ولقد تقاصرت عقول العلماء والحكماء عن ذلك والى ذلك أشار بقوله

ولله سر في علاك وانما
كلام العدا ضرب من الهذيان

(فصل في قواعد الملك وأركانه وأولا في ذكر العدل)

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق الآية المراد بالخلافة هو الولاية في الارض على الناس ومنه قوله تعالى ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون (وقيل) المراد بها خليفة عن سلفه من الانبياء والحكام فاحكم بين الناس بالحق أي بالعدل * وقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان في تفسيره أقوال أشهرها وأوضحها القضاء بالحق والانصاف في الحكم حكاه الرماني * وقال تعالى واذا قلتم فاعدلوا قيل معناه فانصفوا وقيل فاصدقوا وقيل لا تميلوا * وقال تعالى وشددنا ملكه قيل بالتأييد والنصر وقيل بالجنود والهيبة وآتيناه الحكمة قال السدي هي النبوة وقال قتادة هي الشريعة وقال ابن أبي نجيح هي العدل والانصاف وفصل الخطاب هو علم القضاء بين الناس والعدل فيهم * وفي صحيح مسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته * وعن أبي هريرة رضي الله تعالى

ابو

ابوداود والحاكم وصححه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انك يا أبابكر أول من يدخل الجنة من أمتي وأخرج الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أمن الناس علي في صحبته وماله أبابكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبابكر خليلا ولكن أخوة الاسلام وقد ورد هذا الحديث من رواية ابن عباس وابن الزبير وابن مسعود وجندب بن عبد الله والبراء وكعب ابن مالك وجابر بن عبد الله وأنس وأبي واقد الليثي وأبي المعلى وعائشة وأبي هريرة وابن عمر رضي الله عنه وقد سردت طرقهم في الاحاديث المتواترة وأخرج البخاري عن أبي الدرداء قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أقبل أبو بكر فسلم وقال اني كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيء فاسرعت اليه ثم ندمت فسألته ان يغفر لي فأبى علي فأقبلت اليك فقال يغفر الله لك يا أبابكر ثلاثا ثم ان عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فلم يجده فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثى على ركبتيه فقال يارسول الله أنا كنت أظلم منه مرتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو الي صاحبي مرتين فما أوذي بعدها وأخرج ابن عدي من حديث ابن عمر رضي الله عنه نحوه وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في صاحبي فان الله بعثني بالهدى ودين الحق فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت ولولا ان الله سماه صاحبا لاتخذته خليلا ولكن أخوة الاسلام وأخرج ابن عساكر عن المقدام قال استب عقيل بن أبي طالب وأبو بكر قال وكان أبو بكر نسابا غير انه تحرج من قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه وشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقال ألا تدعون لي صاحبي ماشأنكم وشأنه فوالله مامنكم رجل الا على باب بيته ظلمة الا باب أبي بكر فان على بابه النور فوالله لقد قلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وأمسكتم الاموال وجاد لي بماله وخذلتموني وواساني واتبعني وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة فقال أبو بكر ان أحد شقي ثوبي يسترخي الا أن أتعاهد ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لست تصنع ذلك خيلاء وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم اليوم صائما قال أبو بكر أنا قال فمن تبع منكم اليوم جنازة قال أبو بكر أنا قال فمن أطعم منكم اليوم مسكينا قال أبو بكر أنا قال فمن عاد اليوم منكم مريضا قال أبو بكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مااجتمعت في امرئ الادخل الجنة وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس بن مالك وعبد الرحمن بن أبي بكر فحديث أنس أخرجه (البيهقي في الاصل) وفي آخره وجبت لك الجنة وحديث عبد الرحمن أخرجه البزار ولفظه صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم أقبل على أصحابه بوجهه فقال من أصبح منكم اليوم صائما فقال عمر يارسول الله لم أحدث نفسي بالصوم البارحة فاصبحت مفطرا فقال أبو بكر ولكن حدثت نفسي بالصوم البارحة فأصبحت صائما فقال هل أحد منكم اليوم عاد مريضا فقال عمر يارسول الله لم نبرح فكيف نعود المريض فقال أبو بكر بلغني ان أخي عبد الرحمن بن عوف شاك فجعلت طريقي عليه لانظر كيف أصبح فقال هل منكم أحد أطعم اليوم مسكينا فقال عمر صلينا يارسول الله ثم لم نبرح فقال أبو بكر دخلت المسجد فاذا بسائل فوجدت كسرة من خبز الشعير في يد عبد الرحمن فأخذتها ودفعتها اليه فقال أنت فابشر بالجنة ثم قال كلمة أرضى بها عمر وزعم انه لم يرد خيرا قط الا سبقه اليه أبو بكر وأخرج أبو يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت في المسجد أصلي فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر فوجدني أدعو فقال سل تعطه ثم قال من أحب ان يقرأ القرآن غضا طريا فليقرأ بقراءة ابن أم عبد فرجعت الى منزلي فأتاني أبو بكر فبشرني ثم أتى عمر فوجد أبابكر خارجا قد سبقه فقال انك لسباق بالخير وأخرج أحمد بسند حسن عن ربيعة الاسلمي رضي الله عنه قال جرى بيني وبين أبي بكر كلام فقال لي كلمة كرهتها وندم فقال لي ياربيعة رد علي مثلها

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل الا ظله امام عادل وذكر باقي الحديث والعدل هيئة في الانسان يطلب بها المساواة وأما في الفعل فهو التقسيط عن الاستواء ومنه عدل الميزان وهو استواء الكفتين وقيل هو وضع الشيء في محله وأما اطلاقه في حق الباري عز وجل فالمراد به التصرف في الملك كما ان الظلم التصرف في غير الملك وأثره يظهر في ان أفعال الباري تعالى واقعة على نهاية الانتظام والاستقامة فبالعدل قامت السموات والارض وبالعدل انتظمت أمور العالم واستقامت بقدرة الحكيم القدير (قال) الله تعالى أنزل الكتاب بالحق والميزان قال أهل التفسير المراد به العدل اذ هو الميزان على الحقيقة ومن أثره هذا الميزان الحسي الذي يعرف به الرجحان والتساوي (وقال) حكيم اليونان العدل سنة الحق الناظمة للامور وقال أزدشير الملك والعدل اخوان توأمان يصلح ان لايفترقا ولاغنى لاحدهما عن الآخر (وقال) عبد الله بن المقفع يحتاج الملك الى ثلاثة مال مبذول وسيف مسلول وعدل غير معلول وناهيك من فضيلة العدل ان الجور الذي هو ضده لايتم الا به فلو ان طائفة من أهل الجور والغصب وقطع السبيل اجتمعوا لذلك فلابد لهم ان يكون بينهم اتفاق على قضية من العدل والانصاف بينهم فاذا التزموه هان لهم مايرونه من الجور فان أخلوا بذلك النوع

حتى يكون قصاصا قلت لا أفعل قال لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما أنا بفاعل فانطلق أبو بكر وجاء أناس من أسلم فقالوا لي رحم الله أبا بكر في أي شيء يستعدي عليك وهو الذي قال لك ما قال فقلت أتدرون من هذا أبو بكر الصديق هذا ثاني اثنين وهذا ذو شيبة المسلمين اياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة وانطلق أبو بكر وتبعته وحدي حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث كما كان فرفع الي رأسه فقال يا ربيعة مالك والصديق فقلت يا رسول الله كان كذا وكذا فقال لي كلمة كرهتها فقال لي قل كما قلت حتى يكون قصاصا فأبيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل لا ترد عليه ولكن قل قد غفر الله لك يا أبا بكر فقلت غفر الله لك يا أبا بكر وأخرج الترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار وأخرج عبد الله بن أحمد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار (اسناده حسن) وأخرج البيهقي عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة طيرا كامثال البخاتي قال أبو بكر انها لناعمة يا رسول الله قال أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج بي الى السماء فما مررت بسماء الا وجدت فيها اسمي محمد رسول الله وأبو بكر الصديق خلفي اسناده ضعيف لكنه ورد أيضا من حديث ابن عباس وابن عمر وأنس وأبي سعيد وأبي الدرداء رضي الله عنه باسانيد ضعيفة يشد بعضها بعضا وأخرج ابن أبي حاتم وأبو نعيم عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال قرأت عند النبي صلى الله عليه وسلم يا أيتها النفس المطمئنة فقال أبو بكر يا رسول الله ان هذا لحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الملك سيقولها لك عند الموت وأخرج ابن أبي حاتم عن عامر ابن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال لما نزلت ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم الآية قال أبو بكر يا رسول الله لو أمرتني ان أقتل نفسي لفعلت فقال صدقت وأخرج أبو القاسم البغوي حدثنا داود بن عمر حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مليكة قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه غديرا فقال ليسبح كل رجل الى صاحبه قال فسبح كل رجل حتى بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر حتى اعتنقه وقال لو كنت متخذا خليلا حتى ألقى الله لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه صاحبي تابعه وكيع عن عبد الجبار بن الورد (أخرجه ابن عساكر) وعبد الجبار ثقة وشيخه ابن أبي مليكة امام الا أنه مرسل وهو غريب جدا ثم أخرجه الطبراني في الكبير وابن شاهين في السنة من وجه آخر موصولا عن ابن عباس وأخرج ابن أبي الدنيا في مكارم الاخلاق وابن عساكر من طريق صدقة بن ميمون القرشي عن سليمان بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال الخير ثلثمائة وستون خصلة اذا أراد الله بعبد خيرا جعل فيه خصلة منها يدخل بها الجنة قال أبو بكر يا رسول الله أفي شيء منها قال نعم جمعا من كل وأخرج ابن عساكر من طريق أخرى عن صدقة القرشي عن رجل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال الخير ثلثمائة وستون فقال أبو بكر يا رسول الله لي منها شيء قال كلها فيك فهنيئا لك يا أبا بكر وأخرج ابن عساكر من طريق مجمع بن يعقوب الانصاري عن أبيه قال ان كانت حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشتبك حتى تصير كالاسوار وان مجلس أبي بكر منها الفارغ ما يطمع فيه أحد من الناس فاذا جاء أبو بكر جلس ذلك المجلس وأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه وألقى اليه حديثه وسمع الناس وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب أبي بكر وشكره واجب على كل أمتي وأخرج مثله في حديث سهل بن سعد وأخرج عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا الناس كلهم يحاسبون الا أبا بكر

*(فصل) فيما ورد من كلام الصحابة والسلف الصالح في فضله * أخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه قال قال

من العدل فسد أمرهم (والعدل) عام مطلق وخاص مقيد فالمطلق هو الاحسان الى المحسن وكف الاذى عمن كف أذاه والمقيد هو المضبط بالاوامر الشرعية والنواهي والتناصف بين أهل الملة وعقوبة أهل الخيانة وقهر أهل الكفر والعناد وسلبهم وسبيهم وعدل السلطان خير من خصب الزمان وعدل شامل خير من مطر وابل (يحكى) ان بعض الملوك خرج الى متصيد له فأداه الطلب الى قرية صغيرة فنزل مستترا بخفاء منزل عجوز بجانب القرية وقد أدركه الكلال والتعب وانقطع عنه أصحابه سوى غلامين كانا معه ملازمين له فبعث أحدهما في طلب أصحابه ونزل معه الآخر فقالت العجوز لابنتها يا بنية قدمي لضيفنا البقيرة مع ما عندك من الخبز فأتت بقصعة فيها لبن كثير فقال لها هذا حلب بقرة واحدة قالت نعم هذا حلب الغداة وبالعشي تحلب مثله فاستكثر ذلك وقال من عنده العشرات والمئون كيف تكون فائدته فأضمر في نفسه ان يوظف على أصحاب البقر خراجا يؤدونه في كل سنة ثم أقام الى العشي فقامت ابنة العجوز فحلبت فلم يحصل الا بعض ما كانت تحلب فجاءت الى أمها متعجبة من خلاف العادة مع انه لم يتغير من حال البقرة ولا مرعاها شيء فقالت لها يا بنية لعل نية الملك تغيرت فانها تؤثر في الخصب والجدب فلما سمع مقالتها أصلح نيته وعاهد الله على الاحسان

عمر بن الخطاب أبو بكر سيدنا وأخرج البيهقي في شعب الايمان عن عمر رضي الله عنه قال لو وزن ايمان أبي بكر بايمان أهل الارض لرجحهم وأخرج ابن أبي خيثمة وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عمر رضي الله عنه قال ان أبا بكر كان سابقا مبرزا وقال عمر لوددت أني شعرة في صدر أبي بكر (أخرجه مسدد في مسنده) وقال وددت أني من الجنة حيث أرى أبا بكر (أخرجه ابن أبي الدنيا وابن عساكر) وقال لقد كان ريح أبي بكر أطيب من ريح المسك (أخرجه أبو نعيم) وأخرج ابن عساكر عن علي أنه دخل على أبي بكر وهو مسجى فقال ما أحد لقي الله بصحيفته أحب الي من هذا المسجى وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني عمر بن الخطاب انه ما سبق أبا بكر الى خير قط الا سبقه به وأخرج الطبراني في الاوسط عن علي قال والذي نفسي بيده ما استبقنا الى خير قط الا سبقنا اليه أبو بكر وأخرج في الاوسط أيضا عن جحيفة قال قال علي خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر في قلب مؤمن وأخرج في الكبير عن ابن عمر قال ثلاثة من قريش أصبح قريش وجوها وأحسنها أخلاقا وأثبتها جنانا ان حدثوك لم يكذبوك وان حدثتهم لم يكذبوك أبو بكر الصديق وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن عفان وأخرج ابن سعد عن ابراهيم النخعي قال كان أبو بكر يسمى الاواه لرأفته ورحمته وأخرج ابن عساكر عن الربيع بن أنس قال مكتوب في الكتاب الاول مثل أبي بكر الصديق مثل القطر أينما وقع نفع وأخرج ابن عساكر عن الربيع بن أنس قال نظرنا في صحابة الانبياء فما وجدنا نبيا كان له صاحب مثل أبي بكر الصديق وأخرج عن الزهري قال من فضل أبي بكر انه لم يشك في الله ساعة قط وأخرج عن الزبير بن بكار قال سمعت بعض أهل العلم يقول خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخرج عن أبي حصين قال ما ولد لآدم في ذريته بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر ولقد قام أبو بكر يوم الردة مقام نبي من الانبياء

(فصل) أخرج الدينوري في المجالسة وابن عساكر عن الشعبي قال خص الله تبارك وتعالى أبا بكر بأربع خصال لم يخص بها أحدا من الناس سماه الصديق ولم يسم أحدا الصديق غيره وهو صاحب الغار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيقه في الهجرة وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة والمسلمون شهود وأخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن أبي جعفر قال كان أبو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يراه وأخرج الحاكم عن ابن المسيب قال كان أبو بكر من النبي صلى الله عليه وسلم مكان الوزير فكان يشاوره في جميع أموره وكان ثانيه في الاسلام وثانيه في الغار وثانيه في العريش يوم بدر وثانيه في القبر ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليه أحدا

*(فصل) في الاحاديث والآيات المشيرة الى خلافته وكلام الائمة في ذلك * أخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وأخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء والحاكم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وأخرج أبو القاسم البغوي بسند حسن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون خلفي اثنا عشر خليفة أبو بكر لا يلبث الا قليلا صدر هذا الحديث مجمع على صحته وارد من طرق عدة وقد تقدم شرحه في أول هذا الكتاب وفي الصحيحين في الحديث السابق انه صلى الله عليه وسلم لما خطب قرب وفاته وقال ان عبدا خيره الله الحديث وفي آخره لا يبقين باب الا سد الا باب أبي بكر وفي لفظ لهما لا يبقين في المسجد خوخة الا خوخة أبي بكر قال العلماء هذا اشارة الى الخلافة لانه يخرج منها الى الصلاة بالمسلمين وقد ورد هذا اللفظ من حديث أنس رضي الله عنه ولفظه سدوا هذه الابواب الشارعة في المسجد الا باب أبي بكر (أخرجه ابن عدي ومن حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه الترمذي وغيره ومن حديث ابن عباس في زوائد المسند

الى الرعية وترك التعرض لاموالهم ثم قام ليلته وقد تلاحق أصحابه واعتبر حال البقرة فوجدها قد عاد لبنها الى ما كان عليه فعلم ان ذلك تنبيه من الله تعالى ليحسن سيرته فأنعم على العجوز وجهز ابنتها وانصرف (وقيل) ان الاسكندر كانت بين يديه كرة مثمنة من الذهب وضعها له الحكيم ارسطاطاليس على كل جهة منها كلمة سياسية تتعلق كل واحدة بالاخرى لتكون بين يديه يقلبها في حركاته ويعمل بما فيها وهي هذه (العلم) بستان سياجه الدولة (الدولة) سلطان تحفظها السنة (السنة) شريعة يحوطها الملك (الملك) راع يعضده الجند (الجند) أعوان يكفلهم المال (المال) رزق تجمعه الرعية (الرعية) خدام يتعبدهم العدل (العدل) مألوف وبه صلاح العالم فحقيق لمن قلده الله أمر عباده وبلاده ان يعطف عليهم ويعدل فيهم وينصف ضعيفهم من قويهم ويساوي في الحق بين شريفهم ومشروفهم ويبتدئ أولا بالانصاف من نفسه وولده وأهله وخاصته فالناس على دين الملك كما قيل يعني انهم يتبعونه في أحواله وأفعاله (وأخبر الحافظ) في تاريخ دمشق باسناده الى العباس بن محمد الهاشمي قال اني لواقف بين يدي المأمون اذ دخلت امرأة متظلمة في أخريات الناس وعليها أطمار بالية وقد أذن المؤذن الاولى وهم بالقيام فقالت

يا خير منتصف يهدى له الرشد * ويا اماما به قد أشرق البلد

ومن حديث معاوية بن أبي سفيان أخرجه الطبراني ومن حديث أنس أخرجه البزار) وأخرج الشيخان عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال أتت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع اليه قالت أرأيت أن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت قال ان لم تجديني فأتي أبابكر وأخرج الحاكم وصححه عن أنس رضي الله عنه قال بعثني بنو المصطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سله الى من ندفع صدقاتنا بعدك فأتيته فسألته فقال الى أبي بكر وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله شيأ فقال لها تعودين فقالت يارسول الله ان عدت فلم أجدك تعرض بالموت فقال ان جئت فلم تجديني فأتي أبابكر فانه الخليفة من بعدي وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فاني أخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون الا أبابكر وأخرجه أحمد وغيره من طرق عنها وفي بعضها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي فيه مات ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر اكتب لابي بكر كتابا لا يختلف عليه أحد بعدي ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المؤمنون في أبي بكر وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها انها سئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلف قالت أبو بكر قيل لها ثم من بعد أبي بكر قالت عمر قيل لها من بعد عمر قالت أبو عبيدة بن الجراح وأخرج الشيخان عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد مرضه فقال مروا أبابكر فليصل بالناس قالت عائشة يارسول الله انه رجل رقيق القلب اذا قام مقامك لم يستطع ان يصلي بالناس فقال مري أبابكر فليصل بالناس فعادت فقال مري أبابكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف فأتاه الرسول صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث متواتر ورد أيضا من حديث عائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن زمعة وأبي سعيد وعلي بن أبي طالب وحفصة رضي الله عنها وقد سقت طرقهم في الاحاديث المتواترة وفي بعضها عن عائشة رضي الله عنها لقد راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته الا انه لم يقع في قلبي ان يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا والا كنت أرى انه لن يقوم أحد مقامه الا تشاءم الناس به فأردت ان يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر وفي حديث ابن زمعة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائبا فتقدم عمر فصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لا لا يأبى الله والمسلمون الا أبابكر يصلي بالناس أبو بكر وفي حديث ابن عمر كبر عمر فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيره فاطلع رأسه مغضبا فقال أين ابن أبي قحافة قال العلماء في هذا الحديث أوضح دلالة على ان الصديق أفضل الصحابة على الاطلاق وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالامامة قال الاشعري قد علم بالضرورة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الصديق أن يصلي بالناس مع حضور المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فدل على انه كان أقرأهم أي أعلمهم بالقرآن انتهى وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على انه أحق بالخلافة منهم عمر وسيأتي قوله في فصل المبايعة ومنهم علي وأخرج ابن عساكر عنه قال لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبابكر ان يصلي بالناس واني لشاهد وما أنا بغائب وما بي مرض فرضينا للدنيا ما رضي به النبي صلى الله عليه وسلم لديننا قال العلماء وقد كان معروفا بأهلية الامامة في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج أحمد وأبو داود وغيرهما عن سهل بن سعد قال كان قتال بين بني عمرو بن عوف فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم وقال يابلال ان حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس فلما حضرت صلاة العصر أقام بلال الصلاة ثم أمر أبابكر فصلى وأخرج أبو بكر الشافعي في الغيلانيات وابن عساكر عن حفصة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أنت مرضت قدمت أبابكر قال لست أنا أقدمه ولكن الله يقدمه وأخرج الدارقطني في الافراد والخطيب وابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

تشكو اليك سليل الملك أرملة عدا عليها فلن يقوى به أحد فابتز مني ضياعا بعد منعتها وقد تفرق عني الاهل والولد

فأجابها المأمون ارتجالا

من دون ما قلت عيل الصبر والجلد مني ودام به في قلبي الكمد

هذا أوان صلاة الظهر فانصرفي وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد

والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا أنصفك فيه والا المجلس الاحد

(قال) فجلس يوم الاحد ودخلت المرأة فقال لها وأين الخصم فقالت هو بين يديك وأشارت الى ولده العباس فقال لاحمد بن أبي خالد خذ بيده فاجلسه معها ففعل فادعت عليه بالضيعة وجعلت ترفع صوتها عليه فقال أحمد اخفضي من صوتك فانك بين يدي أمير المؤمنين فقال اسكت فان الحق أنطقها والباطل أسكته ثم ظهر الحق معها فقضى لها عليه وأمر برد ضيعتها وغرم ولده ما أخذ من ريعها

(فصل في الكرم والجود)

أحق الناس بالكرم الملوك وذلك لارتفاع أقدارهم واجتماع أموالهم وعظيم أخطارهم وحد الكرم هو اعطاء المحتاج فوق ما يحتاج اليه وللكرم أيضا حد اذا زاد عليه انتهى الى السرف واذا تناقص عنه انتهى الى الشح (قال) الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والكرم هي الحالة الوسطى المحمودة والبارى سبحانه وتعالى مع انه هو الكريم الجواد المطلق

سألت

سأل الله ان يقدم ثالثا فابى على الا تقديم أبي بكر وأخرج ابن سعد عن الحسن قال قال أبو بكر يارسول الله ما أزال أراني أطأ في عذرات الناس قال لتكونن من الناس بسبيل قال ورأيت في صدري كالرقمتين قال سنتين وأخرج ابن عساكر عن أبي بكرة قال أتيت عمر وبين يديه قوم يأكلون فرمى ببصره في مؤخر القوم الى رجل فقال ماتجد فيما تقرأ قبلك من الكتب قال خليفة النبي صلى الله عليه وسلم صديقه وأخرج ابن عساكر عن محمد بن الزبير قال أرسلني عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصري اسأله عن أشياء فجئته فقلت له اشفني فيما اختلف الناس فيه هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر فاستوى الحسن قاعدا وقال أو في شك هو لا أبالك اى والله الذي لا اله الا هو لقد استخلفه ولهو كان أعلم بالله واتقى له وأشد له مخافة من ان يموت عليها لولم يؤمره وأخرج ابن عدي عن أبي بكر بن عياش قال قال لي الرشيد يا أبا بكر كيف استخلف الناس أبا بكر الصديق قلت يا أمير المؤمنين سكت الله وسكت رسوله وسكت المؤمنون قال والله ما زدتني الا غما قال يا أمير المؤمنين مرض النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أيام فدخل عليه بلال فقال يارسول الله من يصلي بالناس قال مر أبا بكر يصلي بالناس فصلى أبو بكر بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسكوت الله وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعجبه فقال بارك الله فيك وقد استنبط جماعة من العلماء خلافة الصديق من آيات القرآن فاخرج البيهقي عن الحسن البصري في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال هو والله أبو بكر وأصحابه لما ارتدت العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردوهم الى الاسلام وأخرج يونس بن بكير عن قتادة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فذكر قتال أبي بكر لهم الى أن قال فكنا نتحدث ان هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وأخرج ابن أبي حاتم عن جويبر في قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد قال هم بنو حنيفة قال ابن أبي حاتم وابن قتيبة هذه الآية حجة على خلافة الصديق لانه الذي دعا الى قتالهم وقال الشيخ أبو الحسن الاشعري سمعت أبا العباس بن شريح يقول خلافة الصديق في القرآن في هذه الآية قال لان أهل العلم أجمعوا على أنه لم يكن بعد نزولها قتال دعوا اليه الا دعاء أبي بكر لهم وللناس الى قتال أهل الردة ومن منع الزكاة قال فدل ذلك على وجوب خلافة أبي بكر وافتراض طاعته اذ أخبر الله ان المتولي عن ذلك يعذب عذابا أليما قال ابن كثير ومن فسر القوم بانهم فارس والروم فالصديق هو الذي جهز الجيوش اليهم وتمام أمرهم كان على يد عمر وعثمان وهما فرعا الصديق وقال تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية قال ابن كثير هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الرحمن بن عبد الحميد المهدي قال ان ولاية أبي بكر وعمر في كتاب الله يقول الله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية وأخرج الخطيب عن أبي بكر بن عياش قال أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن لان الله تعالى يقول للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون فمن سماه الله صادقا فليس يكذب وهم قالوا يا خليفة رسول الله قال ابن كثير استنباط حسن وأخرج البيهقي عن الزعفراني قال سمعت الشافعي يقول أجمع الناس على خلافة أبي بكر الصديق وذلك انه اضطر الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر فولوه رقابهم وأخرج أسد السنة في فضائله عن معاوية بن قرة قال ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون ان أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يسمونه الا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يجتمعون على خطا ولا ضلال وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء وقد رأى الصحابة جميعا ان يستخلفوا أبا بكر وأخرج الحاكم وصححه الذهبي عن مرة الطيب قال جاء أبو سفيان بن

قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء وقد اختلف أهل السياسة في وصف كرم الملوك فقالت الفرس الملك السعيد المصيب هو السخي على نفسه السخي على رعيته وقالت الهند بضدها بل يدخر المال لوقت حاجته وقالت الروم لا عيب على الملك ان يكون بخيلا على نفسه سخيا على رعيته وأجمع الكل على أن السخي على نفسه البخيل على رعيته مخطئ غير مصيب مذموم غير محمود فلما استقر انه أليق بالملوك وهم أحق به حتى ان بعضهم يفرط به محبة الكرم واختياره فيغار من كرم غيره منافسة منه لهذه الفضيلة ليكون هو مختصا بها (وقد) ليم بعض الملوك على كثرة بذله للاموال فقيل له لا خير في السرف فعكس القول وأجاب لا سرف في الخير وينبغي ان يكون كرمه غير مقصور على خواص أصحابه ومن قرب منه فانه كرم خاص قليل الجدوى وبه سميت شجرة العنب كرما لانها تتشبث وتتعلق بما قرب منها وتلقي عليه ثمرها بل يكون كالشمس يضيء على الآفاق ويعم الاقاصي والاداني بالاشراق

(كما قال المتنبي)

كالبحر يقذف للقريب جواهرا
جودا ويبعث للبعيد سحائبا

والشعر في هذا المعنى كثير (وقال بهرام جور) في خطبته الاولى باسائه ما معناه انا تجمع الرجال لا الاموال وندخر الذكر لا الوفر ونعد الآجلة لا العاجلة وهكذا أوائل الدول ومباديها تؤلف بالكرم

حرب الى علي فقال مابال هذا الامر في أقل قريش قلة وأذلها ذلا يعني أبابكر والله لئن شئت لاملأنها عليه خيلا ورجالا قال فقال علي لطالما عاديت الاسلام وأهله يا أباسفيان فلم يضره ذلك شيأ انا وجدنا أبابكر لها أهلا

(فصل) في مبايعته روى الشيخان ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس مرجعه من الحج فقال في خطبته قد بلغني ان فلانا منكم يقول لومات عمر بايعت فلانا فلا يغترن امرؤ أن يقول ان بيعة أبي بكر كانت فلتة الا وانها كانت كذلك الا ان الله وقى شرها وليس فيكم اليوم من تقطع اليه الاعناق مثل أبي بكر وانه كان من خيرنا حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وان عليا والزبير ومن معهما تخلفوا في بيت فاطمة وتخلفت الانصار عنا بأجمعها في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون الى أبي بكر فقلت له يا أبابكر انطلق بنا الى اخواننا من الانصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذي صنع القوم فقالا أين تريدون يامعشر المهاجرين قلت نريد اخواننا من الانصار فقالا عليكم أن لاتقربوهم واقضوا أمركم يامعشر المهاجرين فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فاذاهم مجتمعون واذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ماله قالوا وجع فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله وقال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة منكم تريدون ان تختزلونا من أصلنا وتحضنونا من الامر فلما سكت أردت أن أتكلم وقد كنت زورت مقالة أعجبتني اردت أن أقولها بين يدي أبي بكر وقد كنت أداري منه بعض الحد وهو كان أحلم مني وأوقر فقال أبو بكر على رسلك فكرهت أن أغضبه وكان أعلم مني والله ماترك من كلمة أعجبتني في تزويري الا قالها في بداهته وأفضل حتى سكت فقال أما بعد فما ذكرتم من خير فانتم أهله ولم تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح فلم أكره مما قال غيرها وكان والله ان أقدم فتضرب عنقي لايقربني ذلك من اثم أحب الي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر فقال قائل من الانصار أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش وكثر اللغط وارتفعت الاصوات حتى خشيت الاختلاف فقلت ابسط يدك يا أبابكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الانصار أما والله ماوجدنا فيما حضرنا أمرا هو أوفق من مبايعة أبي بكر خشينا ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة ان يحدثوا بعدنا بيعة فاما ان نبايعهم على مالا نرضى واما ان نخالفهم فيكون فيه فساد وأخرج النسائي وأبو يعلى والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الانصار منا أمير ومنكم أمير فأتاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يامعشر الانصار ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبابكر أن يؤم الناس فأيكم تطيب نفسه ان يتقدم أبابكر فقالت الانصار نعوذ بالله ان نتقدم أبابكر وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر فقام خطباء الانصار فجعل الرجل منهم يقول يامعشر المهاجرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استعمل رجلا منكم قرن معه رجلا منا فنرى ان يلي هذا الامر رجلان منا ومنكم فتتابعت خطباء الانصار على ذلك فقام زيد بن ثابت فقال أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ثم أخذ بيد أبي بكر فقال هذا صاحبكم فبايعه عمر ثم بايعه المهاجرون والانصار وصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير فدعا بالزبير فجاء فقال قلت ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لاتثريب ياخليفة رسول الله فقام فبايعه ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليا فدعا به فجاء فقال قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته أردت ان تشق عصا المسلمين فقال لاتثريب ياخليفة رسول الله فبايعه وقال ابن اسحق في السيرة حدثني الزهري قال حدثني أنس بن مالك قال لما بويع

وفيض الجود قال الصاحب بن عباد لعضد الدولة انما هما سيفك ودرهمك ازرع بذا من شكر واحصد بذا من كفر ومن اطلع على أخبار الماضين وسير المتقدمين علم أن بالجود تشعبت الدول واستقرت الممالك (ومثال ذلك) ان دولة بني أمية كان مبدؤها معاوية بن أبي سفيان وطدها على الكرم والحلم فاستقرت وتشعبت لمن بعده منه الى مروان بن محمد بن مروان احدى وتسعين سنة وتسع شهور و يومين والدولة العباسية أنشأها أبو مسلم الخراساني ممزوجة بالرغبة والرهبة فكان يقتل حتى يقال انه لايصفح ولا يبقي ويبذل الاموال حتى يقال انه لايبقي على شيء من أصناف الاموال فاستمرت الدولة على الخوف والرجاء الى الآن وكانت المبايعة للسفاح وهو أول الخلفاء العباسيين رضي الله عنهم بالكوفة في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة (وهكذا) الدولة السامانية والدولة البويهية والدولة المعزية والدولة الايوبية حتى جاءت هذه الدولة المباركة السعيدة المنصورية نشأت بالعدل والكرم وبه بدئت واستمرت وبالحزم والعزم تثبتت واستقرت فان مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون قدس الله روحه ونور ضريحه لما ملكه الله الديار المصرية وظفر بخزائنها الكثيرة وذخائرها الاثيرة وأموالها المكنوزة وتحفها المحروزة فرق من الاموال على الوجه الصحيح المشروع المقتصد

أبو

أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله وثاني اثنين اذ هما في الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه ان شاء الله والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط الا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله وأخرج موسى بن عقبة في مغازيه والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف قال خطب أبو بكر فقال والله ما كنت حريصا على الامارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولا سألتها الله في سر ولا علانية ولكني أشفقت من الفتنة ومالي في الامارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما مالي به من طاقة ولا يد الا بتقوية الله فقال علي والزبير ما غضبنا الا لانا أخرنا عن المشورة وانا نرى أبا بكر أحق الناس بها انه لصاحب الغار وانا لنعرف شرفه وخيره ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي وأخرج ابن سعد عن ابراهيم التيمي قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح فقال ابسط يدك لابايعك انك أمين هذه الامة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لعمر ما رأيت لك فهة قبلها منذ أسلمت أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين الفهة ضعف الرأي وأخرج ابن سعد أيضا عن محمد ان أبا بكر قال لعمر ابسط يدك لابايعك فقال له عمر أنت أفضل مني فقال له أبو بكر أنت أقوى مني ثم كرر ذلك فقال عمر فان قوتي لك مع فضلك فبايعه وأخرج أحمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في طائفة من المدينة فجاء فكشف عن وجهه فقبله وقال فداء لك أبي وأمي ما أطيبك حيا وميتا مات محمد ورب الكعبة فذكر الحديث قال وانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتوهم فتكلم أبو بكر فلم يترك شيأ أنزل في الانصار ولا ماذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم الا ذكره وقال لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو سلك الناس واديا وسلكت الانصار واديا سلكت وادي الانصار ولقد علمت ياسعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم فقال له سعد صدقت نحن الوزراء وأنتم الامراء وأخرج ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال لما بويع أبو بكر رأى من الناس بعض الانقباض فقال أيها الناس ما يمنعكم ألست أحقكم بهذا الامر ألست أول من أسلم ألست ألست فذكر خصالا وأخرج أحمد عن رافع الطائي قال حدثني أبو بكر عن بيعته وما قالته الانصار وما قاله عمر قال فبايعوني وقبلتها منهم وتخوفت أن تكون فتنة يكون بعدها ردة وأخرج ابن اسحق وابن عايذ في مغازيه عنه انه قال لابي بكر ما حملك على أن تلي أمر الناس وقد نهيتني أن أتأمر على اثنين قال لم أجد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة وأخرج أحمد عن قيس بن أبي حازم قال اني لجالس عند أبي بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر فذكر قصته فنودي في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر ثم قال أيها الناس لوددت ان هذا كفانيه غيري ولئن أخذتموني بسنة نبيكم ما أطيقها ان كان لمعصوما من الشيطان وان كان لينزل عليه الوحي من السماء وأخرج ابن سعد عن الحسن البصري قال لما بويع أبو بكر قام خطيبا فقال * (أما بعد) * فاني وليت هذا الامر وأناله كاره ووالله لوددت ان بعضكم كفانيه الا وانكم ان كلفتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أقم به كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا أكرمه الله بالوحي وعصمه به ألا وانما أنا بشر ولست بخير من أحدكم فراعوني فاذا رأيتموني استقمت فاتبعوني واذا رأيتموني زغت فقوموني واعلموا أن لي شيطانا يعتريني فاذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم وأخرج ابن سعد والخطيب في

ماجمعوه وأحرزمن الذكر الجميل بالبذل ما بالمنع ضيعوه لجزاه الله الجزاء الوافر ونصره على العدو الكافر وكانت وقعة مشهورة بعد ما أنفق الأموال على العساكر المنصورة وأثبت لذاته الشريفة صفة الكرم والشجاعة ودانت له البلاد والعباد بالسمع والطاعة وفتح المرقب والاعمال الطرابلسية وجاءت الى خدمته رسل البر والبحر والاقاليم الاندلسية فسلك في طريق الحق ونصرة الشرع أوضح سلوك فاستقرت من بعده لاولاده ومماليكه فسلكوا منهاج بيانه فأولاهم الله من فضله واحسانه وكذلك ولده الملك الاشرف كان غزير الكرم حسن الاخلاق والشيم حاصر القلاع الساحلية وفتحها وطهرها من المشركين وأصلحها وفتح قلعة الروم التي ما فتحها وتملكها قبله سواه ثم سبا وأخذ كل من فيهما أسرى قهرا بالسيف وذلك من بعض فضل الله وما أعطاه وكذلك الملك الناصر ولده الثاني وملتقاه العدو المحذور بلا توان فنصره الله عليهم فولوا بين يديه وهم منهزمون وكانوا مائة ألف أو يزيدون وكذلك من تملك من المماليك المنصورية حتى وصلت الى الليث الغضنفر مولانا السلطان الملك المظفر ركن الدنيا والدين سيد الملوك والسلاطين فهو واسطة عقدهم وكوكب بسعدهم الذي كرمه غير مقصور وفضله غير محصور (وأما الملوك) فانها تتفاوت على أصناف منهم من يغمر جوده القريب والبعيد والمتعرض

رواية مالك عن عروة قال لما ولي أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال *(أما بعد)* فاني قد وليت أمركم ولست بخيركم ولكنه نزل القرآن وسن النبي صلى الله عليه وسلم السنن وعلمنا فعلمنا اعلموا أيها الناس أن أكيس الكيس التقى وأعجز العجز الفجور وان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه وان أضعفكم عندي القوي حتى اخذ منه الحق أيها الناس انما أنا متبع ولست بمبتدع فاذا أحسنت فاعينوني وان أنا زغت فقوموني أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم قال مالك لا يكون أحد اماما أبدا الا على هذا الشرط وأخرج الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجت مكة فسمع أبو قحافة ذلك فقال ماهذا قالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمر جلل فمن قام بالامر بعده قالوا ابنك قال فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف و بنو المغيرة قالوا نعم قال لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت وأخرج الواقدي من طرق عن عائشة وابن عمر وسعيد بن المسيب وغيرهم رضي الله عنهم أن أبا بكر بويع يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وأخرج الطبراني في الاوسط عن ابن عمر قال لم يجلس أبو بكر الصديق في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر حتى لقي الله ولم يجلس عمر في مجلس أبي بكر حتى لقي الله ولم يجلس عثمان في مجلس عمر حتى لقي الله

(فصل فيما وقع في خلافته) والذي وقع في أيامه من الامور الكبار تنفيذ جيش أسامة وقتال أهل الردة ومانعي الزكاة ومسيلمة الكذاب وجمع القرآن أخرج الاسماعيلي عن عمر رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد من ارتد من العرب وقالوا نصلي ولا نزكي فأتيت أبا بكر فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فانهم بمنزلة الوحش فقال رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك جبارا في الجاهلية خوارا في الاسلام بماذا عسيت أن أتألفهم بشعر مفتعل أو بسحر مفترى هيهات هيهات مضى النبي صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي والله لاجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي وان منعوني عقالا قال عمر فوجدته في ذلك أمضى مني وأحزم وأدب الناس على أمور هانت على كثير من مؤنتهم حين وليتهم وأخرج أبو القاسم البغوي وأبو بكر الشافعي في فوائده وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرأب النفاق وارتدت العرب وانحازت الانصار فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها فما اختلفوا في نقطة الا طار أبي بغنائها وفصلها قالوا أين يدفن النبي صلى الله عليه وسلم فما وجدنا عند أحد من ذلك علما فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن نبي يقبض الا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه قالت واختلفوا في ميراثه فما وجدوا عند أحد من ذلك علما فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا معشر الانبياء لانورث ما تركناه صدقة قال الاصمعي الهيض الكسر للعظم والاشرئباب رفع الرأس قال بعض العلماء وهذا اول اختلاف وقع بين الصحابة رضي الله عنهم فقال بعضهم ندفنه بمكة بلده الذي ولد بها وقال آخرون بل بمسجده وقال آخرون بل بالبقيع وقال آخرون بل في بيت المقدس مدفن الانبياء حتى أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم قال ابن زنجويه وهذه سنة تفرد بها الصديق من بين المهاجرين والانصار ورجعوا اليه فيها وأخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة قال والذي لا اله الا هو لولا ان أبا بكر استخلف ماعبد الله ثم قال الثانية ثم قال الثالثة فقيل له مه يا أبا هريرة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أسامة بن زيد في سبعمائة الى الشام فلما نزل بذي خشب قبض النبي صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب حول المدينة واجتمع اليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اردد هؤلاء توجه هؤلاء الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فقال والذي لا اله الا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مارددت جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده فوجه أسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد الا قالوا لولا ان لهؤلاء قوة ماخرج

والمعرض (كما حكى) عن الفضل بن يحيى البرمكي انه كان يكتب رقاعا بخطه كثيرة فيها أمض الى فلان الصيرفي وخذ منه كذا وكذا دينارا حسبما يجريه الله تعالى على يده ويركب في الليل أو في القائلة ويخترق شوارع البلد وينثرها فيها فسئل عن ذلك فقال أردت أن يصل بري الى من لا يصل الي ولا أعرفه ولا يعرفني فاذا وجد أحد رقعة من تلك الرقاع مضى بها الى ذلك الصيرفي فيأخذها منه ويعطيه مافيها وعند الصيرفي أمين جالس لئلا يصالحه على بعضها ولا يعطي لاحد غير رقعة واحدة ولا يسأل عنه ولا يثبت اسمه وربما جاءت بيد الصبي والمرأة والذمي فيأخذ مافيها وهذا تلطف في الكرم (ومنهم) من يتكرم على القريب منه والسائل على قدر رتبهم والسعة وهو الكرم الناقص ويسمى المقتصد (مثل) لهراسب وكيقاوس وأزدشير (ومن) الدولة الاسلامية مثل معاوية وهشام من بني أمية (ومن) بني العباس المأمون والمعتصم وغيرهم (ومنهم) من يتكرم بالاقطاع والاطلاق ويبخل بالمال اذا رآه وحضر بين يديه كالمتشدد والمقتدي والمنصور من العباسيين (ومنهم) من يكون كرمه بالمال وبخله بالطعام كما حكى عن الامين أنه وهب بمجلسه غير مرة بما فيه من فرش وبسط وآنية وأسرة وكان اذا رأى أحدا يمعن في الاكل عنده مقته (ومنهم) من يتكرم بالطعام ويبخل بالمال وهو الغالب على طباع العرب (وقد كان) من ملوك الاول مثل

مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الاسلام وأخرج عن عروة قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه أنفذوا جيش أسامة فسار حتى بلغ الجرف فأرسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول لا تعجل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل فلم يبرح حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رجع الى أبي بكر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني وأنا على غير حالكم هذه وأنا أتخوف أن تكفر العرب وان كفرت كانوا أول من يقاتل وان لم تكفر مضيت فان معي سروات الناس وخيارهم فخطب أبو بكر الناس ثم قال والله لئن تخطفني الطير أحب الي من أن أبدأ بشئ قبل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه قال الذهبي لما اشتهرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بالنواحي ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الاسلام ومنعوا الزكاة فنهض أبو بكر الصديق لقتالهم فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم فقال والله لو منعوني عقالا أو عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه الا بحقها وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال وقد قال الا بحقها قال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق أخرجه (البياض في الاصل) وعن عروة قال خرج أبو بكر في المهاجرين والانصار حتى بلغ نقعا حذاء نجد وهربت الاعراب بذراريهم فكلم الناس أبا بكر وقالوا ارجع الى المدينة والى الذرية والنساء وأمر رجلا على الجيش ولم يزل وأبه حتى رجع وأمر خالد بن الوليد وقال له اذا أسلموا وأعطوا الصدقة فمن شاء منكم أن يرجع فليرجع ورجع أبو بكر الى المدينة وأخرج الدارقطني عن ابن عمر قال لما برز أبو بكر واستوى على راحلته أخذ علي بن أبي طالب بزمامها وقال الى أين يا خليفة رسول الله أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا وعن حنظلة بن علي الليثي ان أبا بكر بعث خالدا وأمره ان يقاتل الناس على خمس من ترك واحدة منهن قاتله كما تقاتل من ترك الخمس جميعا على شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وسار خالد ومن معه في جمادى الآخرة فقاتل بني أسد وغطفان وقتل من قتل وأسر من أسر ورجع الباقون الى الاسلام واستشهد بهذه الواقعة من الصحابة عكاشة ابن محصن وثابت بن أقرم وفي رمضان من هذه السنة ماتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين وعمرها أربع وعشرون سنة قال الذهبي وليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم نسب الا منها فان عقب ابنته زينب انقرضوا قاله الزبير بن بكار وماتت قبلها بأشهر أم أيمن وفي شوال مات عبد الله بن أبي بكر الصديق ثم سار خالد بجموعه الى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب في أواخر العام والتقى الجمعان ودام الحصار أياما ثم قتل الكذاب لعنه الله قتله وحشي قاتل حمزة واستشهد فيها خلق من الصحابة أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولى أبي حذيفة وشجاع بن وهب وزيد بن الخطاب وعبد الله بن سهل ومالك بن عمرو والطفيل بن عمرو الدوسي ويزيد ابن قيس وعامر بن البكير وعبد الله بن مخرمة والسائب بن عثمان بن مظعون وعباد بن بشر ومعن بن عدي وثابت بن قيس بن شماس وأبو دجانة سماك بن حرب وجماعة آخرون تتمة سبعين وكان لمسيلمة يوم قتل مائة وخمسون سنة ومولده قبل مولد عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم وفي سنة اثنتي عشرة بعث الصديق العلاء بن الحضرمي الى البحرين وكانوا قد ارتدوا فالتقوا بجواثى فنصر المسلمون وبعث عكرمة بن أبي جهل الى عمان وكانوا قد ارتدوا وبعث المهاجر بن أبي أمية الى أهل النجير وكانوا قد ارتدوا وبعث زياد بن لبيد الانصاري الى طائفة من المرتدة وفيها مات أبو العاصي بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والصعب بن جثامة الليثي وأبو مرثد الغنوي وفيها بعد فراغ قتال أهل الردة بعث الصديق رضي الله عنه

من اشتهر بالكرم وعم جوده أهل الوجود والعدم مثل جمشيد وافريدون وكشتاسب من الفرس (٢٩) ومن ملوك اليمن تبع الاوسط والشمر ومن ملوك الروم ناوستن وقيصر الاصغر وصاحب دومة الذي كانت نيران قدوره لا تخمد وكان يبعث بصدقاته الى البلاد اذا لا يجد في مدينته من يستعطي ولو ذهبت الى استقصاء حال الكرماء وعدد أسمائهم ووصف أفعالهم لطال الكتاب وهذا المولى السلطان الملك المظفر أدام الله أيامه ونشر في الخافقين اعلامه قد عم جوده الخاص والعام وتجملت بصفاته الشهور والاعوام وتشرفت بدولته الليالي والايام فانه كثير البر والصدقات متنوع في وجوه الانعام والاطلاقات يشمل فضله الداني والقاصي ويعم عدله الطائع والعاصي مع ما خصه الله تعالى به من عمارة المدارس والخانقاه وتجديد الجامع الحاكمي وحسن ملتقاه وتباشر به سائر الملا وانكسر ببركته عن الناس مد الغلا وتضاعفت البركات واتسعت الغلات وكثرت الاقوات وأمنت العباد وتشتت من هيبته أهل الفساد

(فصل) ويتلو هذه الفضيلة الشجاعة فانها من أركان الملك وقد قيل ان الكرم مقرون بالشجاعة والبخل مقرون بالجبن وقد أخرت ذكرها الى قسم الحروب فانها به ألزم وههنا نذكر فضيلة الصدق والوفاء (قال) الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقيل هي العقود التي بين الخلق من بيع وصلح

خالد بن الوليد الى أرض البصرة فغزا الابلة فافتتحها وافتتح مدائن كسرى التي بالعراق صلحا وحربا وفيها أقام الحج أبو بكر الصديق ثم رجع فبعث عمرو بن العاص والجنود الى الشام فكانت وقعة أجنادين في جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة ونصر المسلمون وبشر بها أبو بكر وهو بآخر رمق واستشهد بها عكرمة بن أبي جهل وهشام بن العاصي في طائفة وفيها كانت وقعة مرج الصفر وهزم المشركون واستشهد بها الفضل بن العباس في طائفة (ذكر جمع القرآن) أخرج البخاري عن زيد بن ثابت قال أرسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر ان عمر أتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس واني لاخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن الا ان تجمعوه واني لارى ان تجمع القرآن قال أبو بكر فقلت لعمر كيف أفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمر قال زيد وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر انك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيأ لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والاكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة ابن ثابت لم أجدهما مع غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخرها فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها وأخرج أبو يعلى عن علي قال أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر ان أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين

(فصل في أولياته) منها أنه أول من أسلم وأول من جمع القرآن وأول من سماه مصحفا وتقدم دليل ذلك وأول من سمي خليفة أخرج أحمد عن أبي بكر بن أبي مليكة قال قيل لابي بكر يا خليفة الله قال أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا راض به ومنها انه أول من ولي الخلافة وأبوه حي وأول خليفة فرض له رعيته العطاء أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت لما استخلف أبو بكر قال لقد علم قومي ان حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلي وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين . وأخرج ابن سعد عن عطاء بن السائب قال لما بويع أبو بكر أصبح وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب الى السوق فقال عمر أين تريد قال الى السوق قال أتصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين قال فمن أين أطعم عيالي فقال انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانطلقا الى أبي عبيدة فقال أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم وكسوة الشتاء والصيف اذا أخلقت شيأ رددته وأخذت غيره ففرضا له كل يوم نصف شاة وما كساه في الرأس والبطن وأخرج ابن سعد عن ميمون قال لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين فقال زيدوني فان لي عيالا وقد شغلتموني عن التجارة فزادوه خمسمائة وأخرج الطبراني في مسنده عن الحسن بن علي بن أبي طالب قال لما احتضر أبو بكر قال يا عائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبغ فيها والقطيفة التي كنا نلبسها فانا كنا ننتفع بذلك حين كنا نلي أمر المسلمين فاذا مت فارديه الى عمر فلما مات أبو بكر أرسلت به الى عمر فقال عمر رحمك الله يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن حفص قال قال أبو بكر لما احتضر لعائشة رضي الله عنها يا بنية انا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ لنا دينارا ولا درهما ولكنا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وانه لم يبق عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير الا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة فاذا مت فابعثي بهن الى عمر ومنها انه أول من اتخذ بيت المال وأخرج ابن سعد عن سهل بن أبي حثمة وغيره ان أبا بكر كان له بيت مال بالسنح ليس يحرسه أحد فقيل له الا تجعل عليه من يحرسه قال عليه قفل فكان يعطي ما فيه حتى يفرغ فلما انتقل الى المدينة حوله فجعله في

دار

ونكاح وقيل شي التي بين العبد وبين ربه من نذر ويمين (وقال) تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قيل ان الاشارة فيه لابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقرئ الصادقين وقيل المراد به الثلاثة الذين خلفوا قاله السدي وقيل معناه كونوا مع صدق الله في فعله وقوله وعلانيته وسره قاله قتادة (وقال) تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالصدق رأس الفضائل الانسانية وهو للملوك والعظماء ألزم (وللصدق) مراتب أولها صدق الخبر والثاني صدق الفعل وهو أفضلها والثالث الصدق فيهما وهو التام (وأما) من صدق أو صدق بلسانه ولم يوافق ذلك ضميره وفعله فلا يكون معتبرا ويصح ان يسمى كاذبا لقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فمن لم يصلح صدقه لم يرج ولم يخف ولا يعتبر وعده ولا وعيده وهذا مضر بآحاد الناس فناهيك بالعظماء (وأجمع) أهل العلم على ان الصدق المطلق من خصائص الانبياء وان الله تعالى يعصمهم عن الكذب فبالصدق انتظمت الشرائع ونقلت الكتب والاحكام واستقرت في النفوس العلوم الخبرية وبه تمت السياسات واعتمدت الرعية على الملوك في وعدها وخافت من وعيدها فما أنفع الصدق وأكثر فوائده (ومن الكذب) أنواع رخص الشرع فيها والمصلحة لا تنافيها وفي مسند النسائي عن أم كلثوم بنت

دار فقدم عليه مال فكان يقسمه على فقراء الناس فيسوي بين الناس في القسم وكان يشتري الابل والخيل والسلاح فيجعله في سبيل الله واشترى قطائف أتي بها من البادية ففرقها في أرامل المدينة فلما توفي أبو بكر ودفن دعا عمر الامناء ودخل بهم في بيت مال أبي بكر منهم عبد الرحمن ابن عوف وعثمان بن عفان ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه شيأ لا دينارا ولا درهما قلت وبهذا الأثر يرد قول العسكري في الاوائل ان أول من اتخذ بيت المال عمر وانه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا لأبي بكر رضي الله عنه وقد رددته عليه في كتابي الذي صنفته في الاوائل ثم رأيت العسكري تنبه له في موضع آخر من كتابه فقال ان أول من ولي بيت المال أبو عبيدة بن الجراح لابي بكر ومنها قال الحاكم أول لقب في الاسلام لقب أبي بكر رضي الله عنه عتيق

(فصل أخرج الشيخان عن جابر رضي الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا فلما جاء مال البحرين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين أو عدة فليأتنا فجئت وأخبرته فقال خذ فأخذت فوجدتها خمسمائة فأعطاني ألفا وخمسمائة

(فصل) في نبذ من حلمه وتواضعه أخرج ابن عساكر عن أنيسة قالت نزل فينا أبو بكر ثلاث سنين قبل ان يستخلف وسنة بعد ما استخلف فكان جواري الحي يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن وأخرج أحمد في الزهد عن ميمون بن مهران قال جاء رجل الى أبي بكر فقال السلام عليك يا خليفة رسول الله قال من بين هؤلاء أجمعين وأخرج ابن عساكر عن ابي صالح الغفاري ان عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل فيستقي لها ويقوم بامرها فكان اذا جاءها وجد غيره قد سبقه اليها فاصلح ما ارادت فجاءها غير مرة كلا يسبق اليها فرصده عمر فاذا هو بابي بكر الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة فقال عمر أنت هو لعمري وأخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن الاصبهاني قال جاء الحسن بن علي الى أبي بكر وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انزل عن مجلس أبي فقال صدقت انه مجلس أبيك وأجلسه في حجره وبكى فقال علي والله ما هذا عن أمري فقال صدقت والله ما أتهمتك

(فصل أخرج ابن سعد عن ابن عمر قال استعمل النبي صلى الله عليه وسلم) أبا بكر على الحج في أول حجة كانت في الاسلام ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة المقبلة فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر استعمل عمر بن الخطاب على الحج ثم حج أبو بكر من قابل فلما قبض أبو بكر واستخلف عمر استعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج ثم لم يزل عمر يحج سنيه كلها حتى قبض فاستخلف عثمان واستعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج

(فصل في مرضه ووفاته ووصيته واستخلافه عمر) أخرج سيف والحاكم عن ابن عمر قال كان سبب موت أبي بكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمد فما زال جسمه يجري حتى مات يجري أي ينقص وأخرج ابن سعد والحاكم بسند صحيح عن ابن شهاب ان أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة أهديت لابي بكر فقال الحارث لابي بكر ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله ان فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة وأخرج الحاكم عن الشعبي قال ماذا نتوقع من هذه الدنيا الدنية وقد سم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسم أبو بكر وأخرج الواقدي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان أول بدء مرض أبي بكر انه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج الى صلاة وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة وأخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا عن أبي السفر قال دخلوا على أبي بكر في مرضه فقالوا يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الي فقالوا ما قال لك قال اني فعال لما أريد وأخرج الواقدي من طرق

عقبة قالت لم أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث مواضع في الحرب أو الاصلاح بين الناس أو حديث الرجل امرأته أو حديث المرأة زوجها فهذه رخص لا تقدح في صدق الصادق (ومن ذلك) ضرب الامثال والاستعارات والحكايات عن الحيوان الغير الناطق مثل قوله تعالى حكاية عن مخاطبة داود عليه السلام ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة فان هذه الالفاظ وان كان ظاهرها الكذب لكن الاصطلاح العرفي وقع على المراد منها والمعاني المقصودة بها فلا تكون من الكذب ولا يقدح في صفة الصادق

(فصل في مضرة الكذب ونقض العهد) أجمع العقلاء على ان الكذب رذيلة ينحط عنه كل رذيلة وفي الحديث النبوي المؤمن لا يكذب (وأما الغدر) فمراتعه وخيمة وعواقبه ذميمة من ارتقى في سلمه كان السقوط اليه أقرب *ومن توصل بسهولته وقع في الاشد الاصعب *ومن تتبع شرح مصارع ذوي الغدر ومواقع أهل المكر وجدها تجل عن الحصر (كان الرشيد) قد سجل بولاية العهد من بعده لاولاده الامين ثم المأمون ثم المؤتمن واستحلف وأكد في أيمان البيعة وأودع النسخ الكعبة فلما مات الرشيد وجالس الامين أقواما لا رأي لهم ولا صواب عندهم حسنوا له الغدر وأوقعوا بينه وبين أخيه فنقض العهد ورد البيعة الى ولده فجنى ثمرة بغيه وعاد مقتولا والقصة مشهورة (ومن ذلك)

ان أبا بكر لما ثقل دعا عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال ما تسألني عن أمر الا وأنت أعلم به مني فقال أبو بكر وان فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من رأيك فيه ثم دعا عثمان بن عفان فقال اخبرني عن عمر فقال أنت أخبرنا به فقال على ذلك فقال اللهم علمي به ان سريرته خير من علانيته وانه ليس فينا مثله وشاور معهما سعيد بن زيد وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والانصار فقال أسيد اللهم أعلمه الخير بعدك يرضى للرضى ويسخط للسخط الذي يسر خير من الذي يعلن ولن يلي هذا الامر أحد أقوى عليه منه ودخل عليه بعض الصحابة فقال له قائل منهم ما أنت قائل لربك اذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته فقال أبو بكر بالله تخوفني أقول اللهم اني استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عني ما قلت من وراءك ثم دعا عثمان فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب اني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا واني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي واياكم خيرا فان عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وان بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورضوا به ثم دعا أبو بكر عمر خاليا فأوصاه بما أوصاه ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه وقال اللهم اني لم أرد بذلك الا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيا فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك أصلح اللهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته وأخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة أبو بكر حين استخلف عمر وصاحبة موسى حين قالت استأجره والعزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه وأخرج ابن عساكر عن يسار بن حمزة قال لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال أيها الناس اني قد عهدت عهدا أفترضون به فقال الناس رضينا يا خليفة رسول الله فقام علي فقال لا نرضى الا أن يكون عمر قال فانه عمر وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت ان أبا بكر لما حضرته الوفاة قال أي يوم هذا قالوا يوم الاثنين قال فان مت من ليلتي فلا تنتظر وابي الغد فان أحب الايام والليالي الى أقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج مالك عن عائشة رضي الله عنها ان أبا بكر نحلها جداد عشرين وسقا من ماله بالغابة فلما حضرته الوفاة قال يا بنية والله ما من الناس أحد أحب الي غنى منك ولا أعز علي فقرا بعدي منك واني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا فلو كنت جددته واحترزته كان لك وانما هو اليوم مال وارث وانما هو أخواك وأختاك فاقسموه على كتاب الله فقالت يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته انما هي أسماء فمن الاخرى قال ذو بطن ابنة خارجة أراها جارية وأخرجه ابن سعد وقال في آخره قال ذات بطن ابنة خارجة قد ألقي في روعي انها جارية فاستوصي بها خيرا فولدت أم كلثوم وأخرج ابن سعد عن عروة ان أبا بكر أوصى بخمس ماله وقال آخذ من مالي ما أخذ الله من فيء المسلمين وأخرج من وجه آخر عنه قال لان أوصي بالخمس أحب الي من أن أوصي بالربع وان أوصي بالربع أحب الي من أن أوصي بالثلث ومن أوصى بالثلث لم يترك شيأ وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن الضحاك ان أبا بكر وعليا أوصيا بالخمس من أموالهما لمن لا يرث من ذوي قرابتهما وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عائشة رضي الله عنها قالت والله ما ترك أبو بكر دينارا ولا درهما ضرب الله سكته وأخرج ابن سعد وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت لما ثقل أبو بكر تمثلت بهذا البيت شعر

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي

ما ذكره أهل التواريخ أن الخيشوار ملك الهياطلة لما أسر فيروز بن يزدجرد ملك الفرس وأراد اطلاقه منا عليه ورعاية لبنيته أخذ عليه العهد أن لا يغزوه أبدا ولا يقصده بسوء ولا يطرق بلاده بمكروه وكانت في أقصى بلاده صخرة عظيمة شرط عليه أن لا يتعداها ولا يأمر بذلك فحلف له وأكد المواثيق فأطلقه فحين عاد الى بلاده وملكته واستظهر بالعدد والعدد حسن في نفسه الغدر واستشار أصحابه فخوفوه الغدر وحذروه من عاقبته وقال له الموبذان ان رب العالم يغار من ذلك ولا يمهل فأبى وقال أنا آمر بقلع الصخرة وتجذبها الفيل امام العسكر فلا يتجاوزها أحد ثم جمع العساكر وسار في مائة ألف عنان فلما قرب من الصخرة أمر بقلعها وجذبها بين يديه وتوغل في بلاد الخيشوار فلما رأى الخيشوار كثرة جنوده نزل عن فرسه وكشف رأسه وعفر خديه في الثرى وقال يا رب أنت تعلم ان هذا عبدك فيروز قد خان عهدك ونكث بأيمانك ولا طاقة لي به الا بتأييدك فلا تكلني الى نفسي ولا الى أحد من خلقك فانه عاص لك مخالف لامرك ثم ركب وأمر أصحابه بصدق اللقاء وتمكين الحملة فلم يكن بأسرع من ان نصر الله الخيشوار فبدد شمل فيروز وفرق عساكره وكسره ثم قتل فيروز وهو منهزم فهذه وأمثالها من ثمرات البغي والغدر وقيل ما حصل بالغدر والبغي الا اليسير وفات الكثير ولكل عاثر راحم الا الغادر فما له راحم وقال تعالى

هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي أحوج الى الجديد من الميت وأخرج أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت دخلت على أبي بكر وهو في الموت فقلت شعرا من لا يزال دمعه مقنعا * فانه في مرة مدفوق فقال لا تقولي هذا ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ثم قال في أي يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يوم الاثنين قال أرجو فيما بيني وبين الليل فتوفي في ليلة الثلاثاء ودفن قبل أن يصبح وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن بكر بن عبد الله المزني قال لما احتضر أبو بكر قعدت عائشة رضي الله عنها عند رأسه فقالت شعرا

كل ذي ابل يوما موردها * وكل ذي سلب لابد مسلوب

ففهمها أبو بكر فقال ليس كذلك يا ابنتاه ولكنه كما قال الله وجاءت سكرة الموت الآية. وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها انها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضي

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال أبو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عبادة بن قيس قال لما حضرت أبا بكر الوفاة قال لعائشة اغسلي ثوبي هذين وكفنيني بهما فانما أبوك أحد رجلين اما مكسو أحسن الكسوة أو مسلوب أسوأ السلب وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن أبي مليكة ان أبا بكر أوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس ويعينها عبد الرحمن بن أبي بكر * وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب ان عمر رضي الله عنه صلى على أبي بكر بين القبر والمنبر وكبر عليه أربعا وأخرج عن عروة والقاسم بن محمد ان أبا بكر أوصى عائشة أن يدفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي حفر له وجعل رأسه عند كتف رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصق اللحد بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج عن ابن عمر قال نزل في حفرة أبي بكر عمر وطلحة وعثمان وعبد الرحمن ابن أبي بكر وأخرج من طرق عدة انه دفن ليلا وأخرج عن ابن المسيب ان أبا بكر لما مات ارتجت مكة فقال أبو قحافة ما هذا قالوا مات ابنك قال رزء جليل من قام بالامر بعده قالوا عمر قال صاحبه وأخرج عن مجاهد ان أبا قحافة رد ميراثه من أبي بكر على ولد أبي بكر ولم يعش أبو قحافة بعد أبي بكر الا ستة أشهر وأياما ومات في المحرم سنة أربع عشرة وهو ابن سبع وتسعين سنة قال العلماء لم يل الخلافة أحد في حياة أبيه الا أبو بكر ولم يرث خليفة أبوه الا أبا بكر وأخرج الحاكم عن ابن عمر قال ولي أبو بكر سنتين وسبعة أشهر وفي تاريخ ابن عساكر بسنده عن الاصمعي قال قال خفاف بن ندبة السلمي يبكي أبا بكر شعرا

ليس لحي فاعلمنه بقا * وكل دنيا أمرها للفنا * والملك في الاقوام مستودع
عارية فالشرط فيه الأدا * والمرء يسعى وله راصد * تندبه العين ونار الصدا
بهرم أو يقتل أو يقهره * يشكو سقم ليس فيه شفا * ان أبا بكر هو الغيث اذا
لم تزرع الجوزاء بقلا بما * تالله لا يدرك أيامه * ذو مئزر ناش ولا ذو ردا.
من يسع كي يدرك أيامه * مجتهدا شذ بأرض فضا

*(فصل) فيما روى عنه من الحديث المسند * قال النووي في تهذيبه روى الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنين وأربعين حديثا وسبب قلة روايته انه تقدمت وفاته قبل انتشار الاحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها قلت وقد ذكر عمر رضي الله عنه في حديث البيعة السابق ان أبا بكر لم يترك شيأ أنزل في الانصار ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم الا ذكره وهذا أدل دليل على كثرة محفوظه من السنة وسعة علمه بالقرآن وروى عنه عمر وعثمان وعلي وابن عوف وابن مسعود وحذيفة وابن عمر وابن الزبير وابن عمرو وابن عباس وأنس وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأبو هريرة وعقبة بن الحرث وعبد الرحمن ابنه وزيد بن أرقم وعبد الله بن مغفل وعقبة بن عامر الجهني وعمران بن حصين وأبو برزة الاسلمي وأبو سعيد الخدري وأبو موسى الاشعري وأبو الطفيل الليثي وجابر بن عبد الله

ينبغي ان يكون الملك كثير الوقار قليل الكلام قليل التلفت الى الجهات ليس بضحاك ولا هزال ولا دائم العبوس ولا سريع الملال يكفهر ويغلظ على أهل الشر والفساد ويحنو ويلطف على الضعاف والقصاد ولا يكون في مجلسه اشارات ولا ترفع عنده الاصوات ولا صخاب ولا سباب (كما تحكى) عن بعض أشراف العرب وقد دخل على كسرى وهو محتجب لا يراه أحد فاستنطقه فاعجبه كلامه فامره الترجمان بالجلوس وأخرج له وسادة فوقف وجعلها على رأسه فضحك كسرى وقال له الترجمان ليس المراد منها ذلك بل لتجلس عليها فقال قد علمت ذلك ولكني رأيت أن أضع تشريف الملك على أشرف أعضائي فاعجب كسرى كلامه وقال اجلسوه مكرما وارفعوا درجته ففعل به ذلك فسجد فقيل له لم فعلت ذلك قال لاني سمعت كلام الملك ورجوت أن أراه قيل ومن أين علمت انه كلام الملك قال سمعت كلاما عاليا في موضع لا ترفع فيه الاصوات فعلمت انه كلام الملك فقال كسرى زه احشوا فمه من الجوهر النفيس (وقد كان) بعض الملوك يرى الاحتجاب من العامة والرعية وكثير من الخاصة وبعضهم يرى التبذل للجميع وخير الامور أوسطها فان الملك اذا ابتذلته العيون نقصت هيبته واذا

اشتد حجابه استولت خاصته على المملكة فضاعت الرعية (فينبغي) ان يجلس بخواصه وأمراء دولته وعلماء ملته كثيرا حسبما نشرحه فيما بعد ثم يجلس للعامة مجالس مفردة وكذلك للمظالم بحيث لا يحتجب عنه أحد وينبغي ان يكون لمجلسه أمير يعرف بامير جاندار يحفظ مراتب الناس ومجالسهم في مواضع تليق بهم وعليه تأديب من تعدى طوره وزجر من أساء أدبه بحسب ما يليق به فليكن هذا الشخص عارفا باحوال الملك وأغراضه ليكون ترتيبه لذلك سديدا ولا يمكن الناس من مفاجأته بالاقوال ولا مبادرته بالسؤال سوى المتظلمين وقد قيل ان الرعية اذا قدرت أن تقول فعلت واذا قدرت أن تفعل اختل النظام ويجب ان يكون للملك ميزة في ملبسه ومجلسه ومركبه ولقبه ونعته (وأما) الطعام والشراب فلا ينبغي أن تميز فيه عن حضر مجلسه فانه الى الكرم أقرب وكذلك يجب ان يسهل حجابه عند حضور الطعام هذا اذا كان الملك ممن يؤاكل الناس فاذا كان لا يأكل معهم فلا باس بتخصيص قوم بما يليق بهم (وأما) الالقاب فكانت للملوك الاول ألقاب تنسب الى الالوان مثل سفيد كار وألقاب تنسب الى الاحوال مثل جمشيد وكيومرث والى الصفات مثل بزه كار والاحد هاق ثم لقبت الكيانية فقيل كيقاوس وكيقباذ ثم القياصرة في الروم والاقيال والتبابعة في اليمن والنجاشي في الحبشة وجاء الاسلام فجرى الامر على ذلك الرسم في تمييز وما للملك

وبلال وعائشة ابنته وأسماء ابنته ومن التابعين أسلم مولى عمر وواسط البجلي وخلائق وقد رأيت أن أسرد أحاديثه هنا على وجه وجيز مبينا عقب كل حديث من خرجه وسأفردها بطرقها في مسند ان شاء الله تعالى

(الاول) حديث الهجرة (الشيخان وغيرهما) الثاني حديث البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته (الدار قطني) (الثالث) حديث السواك مطهرة للفم مرضاة للرب (أحمد) (الرابع) حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل كتفا ثم صلى ولم يتوضأ (البزار وأبو يعلى) (الخامس) حديث لا يتوضأ أحد كم من طعام أحل له أكله (البزار) (السادس) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب المصلين (أبو يعلى والبزار) (السابع) حديث ان آخر صلاة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم خلفي في ثوب واحد (أبو يعلى) (الثامن) حديث من سره ان يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد (أحمد) (التاسع) حديث انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال قل اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك أنت الغفور الرحيم (البخاري ومسلم) (العاشر) حديث من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفروا الله في عهده (ابن ماجه) (الحادي عشر) ما قبض نبي قط حتى يؤمه رجل من أمته (البزار) (الثاني عشر) حديث ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله الا غفر له (أحمد وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان) (الثالث عشر) حديث ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يحب ان يدفن فيه (الترمذي) (الرابع عشر) حديث لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (أبو يعلى) (الخامس عشر) حديث ان الميت ينضح عليه الحميم ببكاء الحي (أبو يعلى) (السادس عشر) اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان (أبو يعلى) (السابع عشر) حديث فرائض الصدقات بطوله (البخاري وغيره) (الثامن عشر) حديث عن ابن أبي مليكة قال كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق فيضرب بذراع ناقته فينيخها فقالوا له أفلا أمرتنا نناولكه فقال ان حبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن لا أسأل الناس شيأ (أحمد) (التاسع عشر) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت عميس حين نفست بمحمد بن أبي بكر ان تغتسل وتهل (البزار والطبراني) (العشرون) سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الحج أفضل فقال العج والثج (الترمذي وابن ماجه) (الحادي والعشرون) حديث انه قبل الحجر وقال لولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك (الدارقطني) (الثاني والعشرون) حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ببراءة الى أهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان الحديث (أحمد) (الثالث والعشرون) حديث ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة (أبو يعلى) (الرابع والعشرون) حديث انطلاقه صلى الله عليه وسلم الى دار أبي الهيثم ابن التيهان بطوله (أبو يعلى) (الخامس والعشرون) حديث الذهب بالذهب مثلا بمثل والفضة بالفضة مثلا بمثل والزائد والمستزيد في النار (أبو يعلى والبزار) (السادس والعشرون) حديث ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به (الترمذي) (السابع والعشرون) حديث لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وأول من يدخل الجنة المملوك اذا أطاع الله وأطاع سيده (أحمد) (الثامن والعشرون) حديث الولاء لمن أعتق (الضياء المقدسي في المختارة) (التاسع والعشرون) حديث لا نورث ما تركناه صدقة (البخاري) (الثلاثون) حديث ان الله اذا أطعم نبيا طعمة ثم قبضه جعلها للذي يقوم من بعده (أبو داود) (الحادي والثلاثون) حديث كفر بالله من تبرأ من نسب وان دق (البزار) (الثاني والثلاثون) حديث انه

الامام بنعت يختص به وكذلك الملوك الى الآن فحقيق على من نعت بنعت يقصد به الشرف والتمييزان يجتهد فى تكميل ذاته وحيازة الشرف بخصاله مثل من ينعت بالكامل والعادل والجواد وما أشبه ذلك فينبغى ان يبالغ فى بلوغ غاية تلك الدرجة بالفعل لا بالقول لتصح التسمية وتحقق الفضيلة

(الباب الرابع)
فيما يجب للملوك على الرعية وما للرعية على الملوك

(قال) الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وفى أولى الامر أقوال أحدها انهم الامراء قاله ابن عباس والسدى وأبو هريرة والثانى انها نزلت فى أمراء النبى صلى الله عليه وسلم مثل خالد وعمار قاله مجاهد والثالث انهم العلماء حكاه الزجاج وأظنه اختاره والاول هو الاشهر الاظهر فالرعية عليهم بذل الطاعة لملكهم والاستقامة لامره والانقياد لحكمه واجتناب نهيه وليس للملك أن يطالب بمحبة القلوب واخلاص الضمائر فذلك أمر ربانى لا تقدر عليه البشر ولا تملكه (وقد) تخيل بعض الاكاسرة ورام أن يضبط القلوب فقال فى خطبة له أيها الناس ان لنا عليكم حق شمول النعمة وعموم السكون والدعة فمن طلب غاية لم ينلها منا أو رام فوق ما يستحقه ولم يقسم له قاسم الحظوظ شيأ مما يرضيه فانه يسخط ويمقتنا ويتمنى زوال دولتنا وما يدريه لعل الشقاء له فى ذلك أكثر فاذا دخل علينا اطلعنا عليه وظهر لنا ذلك فى أسارير وجهه وفلتات لسانه

وما لك لابيك قال أبو بكر وانما يعنى بذلك النفقة (البيهقى) (الثالث والثلاثون) حديث من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمهما الله على النار (البزار) (الرابع والثلاثون) حديث أمرت ان أقاتل الناس الحديث (الشيخان وغيرهما) (الخامس والثلاثون) حديث نعم عبد الله واخو العشيرة خالد بن الوليد وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين (أحمد) (السادس والثلاثون) حديث ماطلعت الشمس على رجل خير من عمر (الترمذى) (السابع والثلاثون) حديث من ولى من أمر المسلمين شيأ فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم ومن أعطى أحدا حمى الله فقد انتهك من حمى الله شيأ بغير حقه فعليه لعنة الله (أحمد) (الثامن والثلاثون) حديث قصة ماعز ورجمه (أحمد) (التاسع والثلاثون) حديث ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة (الترمذى) (الاربعون) حديث انه صلى الله عليه وسلم شاور فى أمر الحرب (الطبرانى) (الحادى والاربعون) حديث لما نزلت من يعمل سوأ يجز به الحديث (الترمذى وابن حبان وغيرهما) (الثانى والاربعون) حديث انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الحديث (أحمد والاربعة وابن حبان) (الثالث والاربعون) حديث ماظنك باثنين الله ثالثهما (الشيخان) (الرابع والاربعون) حديث اللهم طعنا وطاعونا (أبو يعلى) (الخامس والاربعون) حديث شيبتنى هود الحديث (الدارقطنى فى العلل) (السادس والاربعون) حديث الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل الحديث (أبو يعلى وغيره) (السابع والاربعون) حديث قلت يا رسول الله علمنى شيأ أقوله اذا أصبحت واذا أمسيت الحديث (الهيثم ابن كليب فى مسنده وهو عند الترمذى وغيره من مسند أبى هريرة) (الثامن والاربعون) حديث عليكم بلا اله الا الله والاستغفار فان ابليس قال أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالاهواء فهم يحسبون انهم مهتدون (أبو يعلى) (التاسع والاربعون) حديث لما نزلت لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى قلت يا رسول الله والله لا أكلمك الا كأخى السرار (البزار) (الخمسون) حديث كل ميسر لما خلق له (أحمد) (الاحد والخمسون) حديث من كذب على متعمدا أو رد على شيأ أمرت به فليتبوأ بيتا فى جهنم (أبو يعلى) (الثانى والخمسون) حديث ما نجاة هذا الامر الحديث فى لا اله الا الله (أحمد وغيره) (الثالث والخمسون) حديث أخرج فناد فى الناس من شهد أن لا اله الا الله وجبت له الجنة فخرجت فلقينى عمر الحديث (أبو يعلى وهو محفوظ من حديث أبى هريرة غريب جدا من حديث أبى بكر) (الرابع والخمسون) حديث صنفان من أمتى لا يدخلان الجنة المرجئة والقدرية (الدارقطنى فى العلل) (الخامس والخمسون) حديث سلوا الله العافية (أحمد والنسائى وابن ماجه وله طرق كثيرة عنهم) (السادس والخمسون) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أمرا قال اللهم خر لى واختر لى (الترمذى) (السابع والخمسون) حديث دعاء الدين اللهم فارج الهم الحديث (البزار والحاكم) (الثامن والخمسون) حديث كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به وفى لفظ لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام (أبو يعلى) (التاسع والخمسون) حديث ليس شئ من الجسد الا وهو يشكو ذرب اللسان (أبو يعلى) (الستون) حديث ينزل الله ليلة النصف من شعبان فيغفر فيها لكل بشر ما خلا كافرا أو رجلا فى قلبه شحناء (الدارقطنى) (الاحد والستون) حديث ان الدجال يخرج بالمشرق من أرض يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة (الترمذى وابن ماجه) (الثانى والستون) حديث أعطيت سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب الحديث (أحمد) (الثالث والستون) حديث الشفاعة بطوله فى تردد الخلائق الى نبى بعد نبى (أحمد) (الرابع والستون) حديث لو سلك الناس واديا وسلكت الانصار واديا لسلكت وادى الانصار (أحمد) (الخامس والستون) حديث قريش ولاة هذا الامر

فنقابله تارة بالاعراض عنه وتارة بالاحسان اليه لنختبر حالتيه فى ذلك فاذا تحققنا ذلك أهملناه فان استقام استعملناه وان زادت حاله فساداعاقبناه وعقوبتنا ضرب العنق وفى هذا الكلام من دقائق السياسة وضوابط الاستيلاء مايجل موقعه ويعظم نفعه وهكذا النبى صلى الله عليه وسلم كان يبايع أصحابه على السمع والطاعة فى المنشط والمكره وفى صحيح مسلم عن أم الحصين انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فى حجة الوداع فقال ولواستعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا وفى طريق آخر عبداحبشيامجدعا فعلى هذا لايطاع فى معصية الله (وفى الصحاح) عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال فى خطبته على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره الاأن يؤمر بمعصية الله فلاسمع ولا طاعة (وفى البخارى) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى من أميره شيأ يكرهه فليصبر فانه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا الامات ميتة جاهلية فعلى هذا من أظهر العناد وجاهر بالشقاق فقد خالف واستحق العقوبة

*(فصل فيما يجب للرعية على الملك) قال عليه السلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فيجب على الملك أن يلتزم لرعيته بأربع خلال (أحدها) الشفقة وهى تتألف من محبته لهم وخوفه عليهم وحذره كالوالدين (الثانية) العناية بهم وهى باعمال الفكر فى أمرهم وانجاز ماصح

برهم تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم (أحمد) (السادس والستون) حديث انه صلى الله عليه وسلم أوصى بالانصار عند موته وقال اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم (البزار والطبرانى) (السابع والستون) حديث انى لاعلم أرضا يقال لها عمان ينضح بناحيتها البحر بهاحى من العرب لو أتاهم رسولى مارموه بسهم ولاحجر (أحمد وأبو يعلى) (الثامن والستون) حديث ان أبا بكر مر بالحسن وهو يلعب مع الغلمان فاحتمله على رقبته وقال بأبى شبيه بالنبى ليس شبيها بعلى (البخارى) قال ابن كثير وهو فى حكم المرفوع لانه فى قوة قوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشبه الحسن (التاسع والستون) حديث ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يزور أم أيمن (مسلم) (السبعون) حديث قتل السارق فى الخامسة (أبو يعلى والديلمى) (الحادى والسبعون) حديث قصة أحد (الطيالسى والطبرانى) (الثانى والسبعون) حديث بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رأيته يدفع عن نفسه شيأ ولا أرى شيأ قلت يارسول الله ما الذى تدفع قال الدنيا تطوّلت لى فقلت اليك عنى فقالت لى أما انك لست بمدركى (البزار) هذا ما أورده ابن كثير فى مسند الصديق من الاحاديث المرفوعة وقد فاته أحاديث أخرى نتبعها بالتكملة العدة التى ذكرها النووى (الثالث والسبعون) حديث اقتلوا القرد كائنا ما كان من الناس (الطبرانى فى الاوسط) (الرابع والسبعون) حديث انظروا دورا من تعمرون وأرضا من تسكنون وفى طريق من تمشون (الديلمى) (الخامس والسبعون) حديث أكثروا الصلاة على فان الله وكل بقبرى ملكا فاذا صلى رجل من أمتى قال لى ذلك الملك ان فلان بن فلان صلى عليك الساعة (الديلمى) (السادس والسبعون) حديث الجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما والغسل يوم الجمعة كفارة الحديث (العقيلى فى الضعفاء) (السابع والسبعون) حديث انما حرجهم على أمتى مثل الجام (الطبرانى) (الثامن والسبعون) حديث اياكم والكذب فان الكذب مجانب للايمان (ابن لال فى مكارم الاخلاق) (التاسع والسبعون) حديث بشر من شهد بدرا بالجنة (الدارقطنى فى الافراد) (الثمانون) حديث الدين راية الله الثقيلة من هذا الذى يطيق حملها (الديلمى) (الحادى والثمانون) حديث سورة يس تدعى المعمة (المطعمة) الحديث (الديلمى والبيهقى فى الشعب) (الثانى والثمانون) حديث السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه فى الارض ويرفع له فى كل يوم وليلة عمل ستين صديقا أبو الشيخ العقيلى فى الضعفاء وابن حبان فى كتاب الثواب (الثالث والثمانون) حديث قال موسى لربه ماجزاء من عزى الثكلى قال أظله فى ظلى (ابن شاهين فى الترغيب والديلمى) (الرابع والثمانون) حديث اللهم اشدد الاسلام بعمر بن الخطاب (الطبرانى فى الاوسط) (الخامس والثمانون) حديث ماصيد صيد ولا عضدت عضاه ولا قطعت وشيجة الا بقلة التسبيح (ابن راهويه فى مسنده) (السادس والثمانون) حديث لولم أبعث فيكم لبعث عمر الحديث (الديلمى) (السابع والثمانون) حديث لواتجر أهل الجنة لاتجروا بالبز (أبو يعلى) (الثامن والثمانون) حديث من خرج يدعو الى نفسه أو الى غيره وعلى الناس امام فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فاقتلوه (الديلمى فى التاريخ) (التاسع والثمانون) حديث من كتب عنى علما أو حديثا لم يزل يكتب له الاجر ما بقى ذلك العلم أو الحديث (الحاكم فى التاريخ) (التسعون) حديث من مشى حافيا فى طاعة الله لم يسأله الله يوم القيامة عما افترض عليه (الطبرانى فى الاوسط) (الحادى والتسعون) حديث من سره ان يظله الله من فور جهنم ويجعله فى ظله فلا يكن على المؤمنين غليظا وليكن بهم رحيما (ابن لال فى مكارم الاخلاق وأبو الشيخ وابن حبان فى الثواب) (الثانى والتسعون) حديث من أصبح ينوى لله طاعة كتب الله له أجر يومه وان عصاه (الديلمى) (الثالث والتسعون) حديث ماترك قوم الجهاد الاعمهم الله بالعذاب (الطبرانى فى الاوسط) (الرابع والتسعون) حديث لايدخل الجنة مقتر (الديلمى ولم يسنده) (الخامس والتسعون) حديث لاتحقرن أحدا من المسلمين فان صغير

المسلمين

المسلمين عند الله كبير (الديلمي) (السادس والتسعون) حديث يقول الله ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي (أبو الشيخ بن حبان والديلمي) (السابع والتسعون) حديث سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الازار فأخذ بعضلة الساق فقلت يارسول الله زدني فأخذ بمقدم العضلة فقلت زدني قال لاخير فيما هو أسفل من ذلك فقلت هلكنا يارسول الله قال يا أبا بكر سددوا وقاربوا تنجوا (أبو نعيم في الحلية) (الثامن والتسعون) حديث كفي وكف علي في العدل سواء (الديلمي وابن عساكر) (التاسع والتسعون) حديث لاتغفلوا التعوذ من الشيطان فانكم ان لم تكونوا ترونه فانه ليس عنكم بغافل (الديلمي ولم يسنده) (المائة) حديث من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة (الطبراني في الاوسط) (الحادي والمائة) حديث من أكل من هذه البقلة الخبيثة فلا يقربن مسجدنا (الطبراني في الاوسط) (الثاني والمائة) حديث رفع اليدين في الافتتاح والركوع والسجود (الرفع) (البيهقي في السنن) (الثالث والمائة) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أهدى جملا لابي جهل (الاسماعيلي في معجمه) (الرابع والمائة) حديث النظر الى علي عبادة (ابن عساكر)

(فصل فيما ورد عن الصديق من تفسير القرآن) أخرج أبو القاسم البغوي عن ابن أبي مليكة قال سئل أبو بكر عن آية فقال أي أرض تسعني أو أي سماء تظلني اذا قلت في كتاب الله مالم يرد الله وأخرج أبو عبيدة عن ابراهيم التيمي قال سئل أبو بكر عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني أو أي أرض تقلني ان قلت في كتاب الله مالا أعلم وأخرج البيهقي وغيره عن أبي بكر انه سئل عن الكلالة فقال اني ساقول فيها برأيي فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان أراه ماخلا الولد والوالد فلما استخلف عمر قال اني لاستحيي ان أرد شيأ قاله أبو بكر وأخرج أبو نعيم في الحلية عن الاسود بن هلال قال قال أبو بكر لاصحابه ماتقولون في هاتين الآيتين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا والذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قالوا ثم استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا ايمانهم بخطيئة قال لقد حملتموها على غير المحمل ثم قال قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا الى اله غيره ولم يلبسوا ايمانهم بشرك وأخرج ابن جرير عن عامر بن سعد البجلي عن ابي بكر الصديق في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله تعالى وأخرج ابن جرير عن أبي بكر في قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال قد قالها الناس فمن مات عليها فهو ممن استقام

(فصل فيما روي عن الصديق رضي الله عنه من الآثار الموقوفة قولا أوقضاء أوخطبة أودعاء) أخرج اللالكائي في السنة عن ابن عمر قال جاء رجل الى أبي بكر فقال أرأيت الزنا بقدر قال نعم قال فان الله قدره علي ثم يعذبني قال نعم يا ابن اللخناء أما والله لو كان عندي انسان أمرت أن يجأ أنفك وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن الزبير ان أبا بكر قال وهو يخطب الناس يامعشر الناس استحيوا من الله فوالذي نفسي بيده اني لاظل حين أذهب الى الغائط في الفضاء مغطيا رأسي استحياء من الله وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن عمرو بن دينار قال قال أبو بكر استحيوا من الله فوالله اني لادخل الكنيف فأسند ظهري الى الحائط حياء من الله وأخرج أبو داود في سننه عن أبي عبد الله الصنابحي انه صلى وراء أبي بكر الصديق المغرب فقرأ في الركعتين الاوليين بأم القرآن وسورة من قصار المفصل وقرأ في الثالثة ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الآية وأخرج ابن أبي خيثمة وابن عساكر عن ابن عيينة قال كان أبو بكر اذا عزى رجلا قال ليس مع العزاء مصيبة وليس مع الجزع فائدة الموت أهون مما قبله وأشد مما بعده اذكروا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصغر مصيبتكم وأعظم الله أجركم وأخرج ابن أبي شيبة والدارقطني عن سالم بن عبيد وهو صحابي قال كان أبو بكر الصديق يقول لي قم بيني وبين الفجر حتى أتسحر وأخرج عن أبي قلابة وأبي السفر قالا كان أبو بكر الصديق يقول اجيفوا الباب حتى نتسحر وأخرج البيهقي وأبو بكر بن زياد النيسابوري في كتاب الزيادات عن حذيفة بن أسيد قال لقد أدركت أبا بكر وعمر وما يضحيان ارادة ان يستن بهما وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال شهدت على أبي

الفكر في مصلحتهم (الثالثة) التأليف من الملك أو من نائبه ممن يقوم مقامه في ذلك لانه يسوس جماعات قلوبهم متفرقة وأغراضهم متباينة فمنفعة التأليف جمعهم وتأنيس نافرهم وتقريب متباعدهم (الرابعة) الرفق فانه أصل في السياسة لان القسوة اذا أفرطت نفرت وكذلك الرقة اذا أفرطت أطمعت وخير الامور أوسطها ومما يجب لهم عليه حمايتهم ورعايتهم وحفظ ثغورهم من الاعداء والطرق يؤمنها من القطاع والحرامية ومدنهم ومساكنهم من السراق وأهل الفساد فهذه وظيفة الملوك وأيضا انصاف المظلوم من الظالم فان النفوس الامارة بالسوء مشبهة لنفوس السباع وأخلاقها وطباع الحيات والعقارب فانها تلتذ بالقهر وتستضري عليه وتتمرن ومنشأ هذه الاخلاق من افراط القوة الغضبية من وجوه امامن حرمان أو بطر أواختلاف وعدو وعيد فاذا بلي الملك بأصناف هذه الطائفة فيداويهم بالزجر والنفي من الارض أودفعهم الى الحروب والمصاعب (كما قالت) مرازبة الفرس لازدشير انا قد أجمعنا عليك وليناك علينا لنستبدل ماكنا فيه من الاساآت باحسانك فقال لهم احفظوا لي ثمرة الملك أحفظ لكم سنة العدل وأوف لكم بالقول والفعل ففكروا فاذا هو قد جمع لهم في هاتين الكلمتين جميع الكلام السياسي والحقوق التي لهم وعليهم (وينبغي للملك) ان يتفقد أحوال رعيته فيعطي الفقير ويكمل الناقص ويصل المنقطع ويورث

بكر الصديق الذي كان النا[illegible] من الحدث وأخرج الشافعي في الام عن أبي بكر الصديق انه كره بيع اللحم بالحيوان وأخرج البخاري عنه انه جعل الجد بمنزلة الاب اعني في الميراث وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن عطاء عن أبي بكر قال الجد بمنزلة الاب ما لم يكن أب دونه وابن الابن بمنزلة الابن ما لم يكن دونه وأخرج عن القاسم ان أبا بكر أتي برجل انتفى من أبيه فقال أبو بكر اضرب الرأس فان الشيطان في الرأس وأخرج عن ابن جريج قال كان أبو بكر اذا صلى على الميت قال اللهم عبدك أسلمه الاهل والمال والعشيرة والذنب عظيم وأنت غفور رحيم وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن عمر ان أبا بكر قضى بعاصم بن عمر بن الخطاب لام عاصم وقال ريحها وشمها ولطفها خير له منك وأخرج البيهقي عن قيس بن أبي حازم قال جاء رجل الى أبي بكر فقال ان أبي يريد ان يأخذ مالي كله يجتاحه فقال لابيه انما لك من ماله ما يكفيك فقال يا خليفة رسول الله أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لابيك فقال نعم وانما يعني بذلك النفقة وأخرج أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان أبا بكر وعمر كانا لا يقتلان الحر بالعبد وأخرج البخاري عن ابن أبي مليكة عن جده ان رجلا عض يد رجل فندرت ثنيته فاهدرها أبو بكر وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن عكرمة ان أبا بكر قضى في الاذن بخمس عشرة من الابل وقال يواري شينها الشعر والعمامة وأخرج البيهقي وغيره عن أبي عمران الجوني ان أبا بكر بعث جيوشا الى الشام وأمر عليهم يزيد بن أبي سفيان فقال اني موصيك بعشر خلال لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطع شجرا مثمرا ولا تخربن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بعيرا الا لمأكلة ولا تغرقن نخلا ولا تحرقنه ولا تغلل ولا تجبن وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي برزة الاسلمي قال غضب أبو بكر من رجل فاشتد غضبه جدا فقلت يا خليفة رسول الله اضرب عنقه قال ويلك ما هي لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج سيف في كتاب الفتوح عن شيوخه ان المهاجر بن أبي امية وكان أميرا على اليمامة رفع اليه امرأتان مغنيتان غنت احداهما بشتم النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها وغنت الاخرى بهجاء المسلمين فقطع يدها ونزع ثنيتها فكتب اليه أبو بكر بلغني الذي فعلت في المرأة التي تغنت بشتم النبي صلى الله عليه وسلم فلولا ما سبقتني فيها لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد أو معاهد فهو محارب غادر وأما التي تغنت بهجاء المسلمين فان كانت ممن يدعي الاسلام فأدب وتعزير دون المثلة وان كانت ذمية فلعمري لما صفحت عنه من الشرك أعظم ولو كنت تقدمت اليك في مثل هذا لبلغت مكروها فاقبل الدعة واياك والمثلة في الناس فانها مأثم ومنفرة الا في قصاص وأخرج مالك والدارقطني عن صفية بنت أبي عبيد ان رجلا وقع على جارية بكر واعترف فأمر به فجلد ثم نفاه الى فدك وأخرج أبو يعلى عن محمد بن حاطب قال جيء الى أبي بكر برجل قد سرق وقد قطعت قوائمه فقال أبو بكر ما أجد لك شيأ الا ما قضى فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أمر بقتلك فانه كان أعلم بك فأمر بقتله وأخرج مالك عن القاسم بن محمد ان رجلا من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قدم فنزل على أبي بكر فشكا اليه ان عامل اليمن ظلمه فكان يصلي من الليل فيقول أبو بكر وأبيك ما ليلك بليل سارق ثم انهم افتقدوا حليا لاسماء بنت عميس امرأة أبي بكر فجعل يطوف معهم ويقول اللهم عليك بمن بيت أهل هذا البيت الصالح فوجدوا الحلي عند صائغ زعم ان الاقطع جاءه به فاعترف الاقطع أو شهد عليه فأمر به أبو بكر فقطعت يده اليسرى وقال أبو بكر والله لدعاؤه على نفسه أشد عندي عليه من سرقته وأخرج الدارقطني عن أنس ان أبا بكر قطع في مجن قيمته خمسة دراهم وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي صالح قال لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر وسمعوا القرآن جعلوا يبكون فقال أبو بكر هكذا كنا ثم قست القلوب قال أبو نعيم أي قويت واطمأنت بمعرفة الله تعالى وأخرج البخاري عن ابن عمر قال قال أبو بكر ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته وأخرج أبو عبيد في الغريب عن أبي بكر قال طوبى لمن مات في النأنأة أي في أول الاسلام قبل تحرك الفتن وأخرج الاربعة ومالك عن قبيصة

قال

بعد عنه أو قرب من الغذاء مقدار حاجته حسب … من دون … ذوي الحاجات (٣٨) انه كالرئيس الذي يوصل الى كل عضو ذلك … عن عبد الرحمن بن شماسة قال أتيت عائشة أسألها عن شيء فقالت ممن أنت فقلت رجل من أهل مصر فقالت كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه فقلت ما نقمنا منه شيئا ان كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير والعبد فيعطيه العبد ويحتاج الى النفقة فيعطيه النفقة فقالت اما انه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي ان أخبرك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به (ويجب) ان ينظر في حال رعيته فيحسن الى المحسن ويردع المسيء المجرم ويكف بجنده عن ظلم الرعية والتعدي عليهم ولهذا كانت الملوك تتخذ منازلها بمعزل عن منازل الاجناد ومنازل الاجناد بمعزل عن منازل الرعية لئلا يتأذى بعضهم ببعض ويقع بينهم مخاصمات وشرور بين النساء والصبيان والغلمان وكذلك يكون لهم جامع مفرد وحمامات مفردة ولا تشارك الجند الرعية في حرفهم ومتاجرهم ومزارعهم فانه اذا كان الجند زراعا وتجارا ضعفت أحوال الرعية من عدم التسبب وضعفت بيوت أموال المسلمين من عدم تحصيل الزكاة وما وجب ويفسد حال الرعية المتسببين والزراع (وفي ذلك)

قال جاءت الجدة الى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها فقال مالك في كتاب الله وما علمت لك في سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم شيأ فارجعي حتى أسأل الناس فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس فقال أبو بكر هل معك غيرك فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة فانفذه لها أبو بكر وأخرج مالك والدارقطني عن القاسم بن محمد ان جدتين أتتا أبا بكر تطلبان ميراثهما أم أم وأم أب فاعطى الميراث لام الام فقال له عبد الرحمن بن سهل الانصاري وكان ممن شهد بدرا وهو أخو بني حارثة فقال يا خليفة رسول الله أعطيت التي لو انها ماتت لم يرثها فقسمه بينهما وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن عائشة رضي الله عنها حديث امرأة رفاعة التي طلقت منه وتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير فلم يستطع ان يغشاها وأرادت العود الى رفاعة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وهذا القدر في الصحيح وزاد عبد الرزاق فقعدت ثم جاءته فاخبرته أنه قد مسها فمنعها ان ترجع الى زوجها الاول وقال اللهم ان كان انما بها ان ترجع الى رفاعة فلا يتم لها نكاحه مرة أخرى ثم أتت أبا بكر وعمر في خلافتهما فمنعاها وأخرج البيهقي عن عقبة بن عامر ان عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة بعثاه بريدا الى أبي بكر برأس بنان بطريق الشام فلما قدم على أبي بكر أنكر ذلك فقال له عقبة يا خليفة رسول الله فانهم يصنعون ذلك بنا قال أفيستنان بفارس والروم لا يحمل الى رأس انما يكفي الكتاب والخبر وأخرج البخاري عن قيس بن أبي حازم قال دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم فقال مالها لا تتكلم فقالوا حجت مصمتة قال لها تكلمي فان هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية فتكلمت فقالت من أنت قال امرؤ من المهاجرين قالت أي المهاجرين قال من قريش قالت من أي قريش قال انك لسؤول أنا أبو بكر قالت ما بقاؤنا على هذا الامر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية قال بقاؤكم عليه ما استقامت أئمتكم قالت وما الائمة قال أوما كان لقومك رؤس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم قالت بلى قال فهم أولئك الناس وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام تدري ما هذا قال أبو بكر ما هو قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة الا اني خدعته فلقيني فاعطاني هذا الذي أكلت منه فادخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه وأخرج أحمد في الزهد عن ابن سيرين قال لم أعلم أحدا استقاء من طعام أكله غير أبي بكر وذكر القصة وأخرج النسائي عن أسلم أن عمر اطلع على أبي بكر وهو آخذ بلسانه فقال هذا الذي أوردني الموارد وأخرج أبو عبيد في الغريب عن أبي بكر أنه مر بعبد الرحمن بن عوف وهو يماظ جارا له فقال له لا تماظ جارك فانه يبقى ويذهب عنك الناس (المماظة المنازعة والمخاصمة) وأخرج ابن عساكر عن موسى بن عقبة أن أبا بكر الصديق كان يخطب فيقول الحمد لله رب العالمين أحمده وأستعينه ونسأله الكرامة فيما بعد الموت فانه قد دنا أجلي وأجلكم وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد ضل ضلالا مبينا أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بامر الله الذي شرع لكم وهداكم به فان جوامع هدى الاسلام بعد كلمة الاخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم فانه من يطع الله وأولي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق واياكم واتباع الهوى فقد أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب واياكم والفخر وما فخر من خلق من تراب ثم الى التراب يعود ثم يأكله الدود ثم هو اليوم حي وغدا ميت فاعملوا يوما بيوم وساعة بساعة وتوقوا دعاء المظلوم وعدوا أنفسكم في الموتى واصبروا فان العمل كله بالصبر واحذروا والحذر ينفع واعملوا والعمل يقبل واحذروا ما حذركم الله من عذابه وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته وافهموا وتفهموا واتقوا وتوقوا فان الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجى به من نجى قبلكم قد بين لكم في كتابه حلاله

عما ذكر في فتوح مصر وافريقية قال حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن وهب عن حيوة بن شريح عن (٣٩) بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أمر مناديه ان يخرج الى أمراء الاجناد يتقدمون الى الرعية بأن عطاءهم قائم ورزق عيالهم سائل فلا يزرعون ولا يزارعون (قال) ابن وهب وأخبرني شريك بن عبد الرحمن انه بلغه ان شريك بن أبي سمي الغطيفي أتى الى عمرو بن العاص فقال انكم لا تعطونا ما يحسبنا افتأذن لي بالزرع فقال له عمرو ما أقدر على ذلك فزرع شريك من غير اذن عمرو فلما بلغ ذلك عمرا كتب الى عمر بن الخطاب يخبره ان شريك بن سمي الغطيفي زرع بأرض مصر فكتب اليه عمر بن الخطاب أن ابعث الي به فلما انتهى كتاب عمر الى عمرو بن العاص أقرأه شريكا فقال شريك لعمرو قتلتني يا عمرو فقال له عمرو أنا قتلتك أنت صنعت هذا بنفسك فقال له اذا كان هذا من رأيك فأذن لي بالخروج اليه من غير كتاب ولك عهد الله ان أجعل يدي في يده فاذن له بالخروج فلما وقف على عمر قال تؤمني يا أمير المؤمنين قال ومن أي الاجناد أنت قال من جند مصر قال فلعلك شريك بن سمي قال نعم يا أمير المؤمنين قال لاجعلنك نكالا لمن خلفك قال أو تقبل مني ما قبل الله من العباد قال أو تفعل قال نعم فكتب الى عمرو ان شريكا جاءني تائبا فقبلت منه (ولما) استولى جوهر المعزي على مصر بنى لسيده المعزية القاهرة والقصور

وحرامه وما يحب من الاعمال وما يكره فانى لا آلوكم ونفسى والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله واعلموا انكم ما اخلصتم لله من أعمالكم فربكم اطعتم وحظكم حفظتم واغتبطتم وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا لسلفكم وتعطوا جرايتكم حين فقركم وحاجتكم اليها ثم تفكروا عباد الله فى اخوانكم وصحابتكم الذين مضوا قد وردوا على ما قدموا فاقاموا عليه وحلوا فى الشقاء والسعادة فيما بعد الموت ان الله ليس له شريك وليس بينه و بين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه سوأ الا بطاعته واتباع أمره فانه لا خير فى خير بعده النار ولا شر فى شر بعده الجنة أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم وصلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم والسلام عليه ورحمة الله و بركاته وأخرج الحاكم والبيهقى عن عبد الله بن حكيم قال خطبنا أبو بكر الصديق فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال أوصيكم بتقوى الله وان تثنوا عليه بما هو له أهل وان تخلطوا الرغبة بالرهبة فان الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال انهم كانوا يسارعون فى الخيرات و يدعوننا رغبا و رهبا وكانوا لنا خاشعين ثم اعلموا عباد الله ان الله قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك مواثيقكم واشترى منكم القليل الفانى بالكثير الباقى وهذا كتاب الله فيكم لا يطفأ نوره ولا تنقضى عجائبه فاستضيئوا بنوره وانتصحوا كتابه واستضيئوا منه ليوم الظلمة فانه انما خلقكم لعبادته ووكل بكم كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ثم اعلموا عباد الله انكم تغدون وتروحون فى أجل قد غيب عنكم علمه فان استطعتم ان تنقضى الآجال وأنتم فى عمل لله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك الا باذن الله سابقوا فى آجالكم قبل ان تنقضى آجالكم فتردكم الى اسوء أعمالكم فان قوما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فانهاكم ان تكونوا أمثالهم فالوحا الوحا ثم النجا النجا فان وراءكم طالبا حثيثا أمره سريع وأخرج ابن أبى الدنيا وأحمد فى الزهد وأبو نعيم فى الحلية عن يحيى بن أبى كثير أن أبا بكر كان يقول فى خطبته أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها أين الذين كانوا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب قد تضعضع أركانهم حين أخنى بهم الدهر وأصبحوا فى ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا وأخرج أحمد فى الزهد عن سلمان قال أتيت أبا بكر فقلت اعهد الى فقال ياسلمان اتق الله واعلم أنه سيكون فتوح فلا أعرفن ما كان حظك منها ما جعلته فى بطنك أو ألقيته على ظهرك واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس فانه يصبح فى ذمة الله و يمسى فى ذمة الله تعالى فلا تقتلن أحدا من اهل ذمة الله فتخفر الله فى ذمته فيكبك الله فى النار على وجهك وأخرج عن ابى بكر رضى الله عنه قال يقبض الصالحون الاول فالاول حتى يبقى من الناس حثالة كحثالة التمر والشعير لا يبالى الله بهم وأخرج سعيد بن منصور فى سننه عن معاوية بن قرة أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يقول فى دعائه اللهم اجعل خير عمرى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم لقائك وأخرج أحمد فى الزهد عن الحسن قال بلغنى ان أبا بكر كان يقول فى دعائه اللهم انى أسألك الذى هو خير لى فى عاقبة الامر اللهم اجعل آخر ما تعطينى الخير رضوانك والدرجات العلى من جنات النعيم وأخرج عن عرفجة قال قال أبو بكر من استطاع ان يبكى فليبك والا فليتباك وأخرج عن عزرة عن أبى بكر قال أهلكهن الاحمران الذهب والزعفران وأخرج عن مسلم بن يسار عن أبى بكر قال ان المسلم ليؤجر فى كل شئ حتى فى النكبة وانقطاع شسعه والبضاعة تكون فى كمه فيفقدها فيفزع لها فيجدها فى غبنه وأخرج عن ميمون بن مهران قال أتى أبو بكر بغراب وافر الجناحين فقلبه ثم قال ما صيد من صيد ولا عضدت من شجرة الا ضيعت من التسبيح وأخرج البخارى فى الادب وعبد الله ابن أحمد فى زوائد الزهد عن الصنابحى أنه سمع أبا بكر يقول ان دعاء الاخ لاخيه فى الله يستجاب وأخرج عبد الله فى زوائد الزهد عن عبيد بن عمير عن لبيد الشاعر انه قدم على أبى بكر فقال ع ألا كل شئ ما خلا الله باطل فقال صدقت فقال ع وكل نعيم لا محالة زائل فقال كذبت عند الله نعيم لا يزول فلما ولى قال أبو بكر ربما قال الشاعر الكلمة من الحكمة.

ليكون ذو وأصحابه وأجناده بمعزل (٤٠) عن العامة وكان ذلك فى سنة تسع وخمسين وثلثمائة وبنى الجامع الازهر فى سنة ستين وثلثمائة ووصل المعز الى الديار المصرية ودخل قصره فى سنة اثنتين وستين وثلثمائة وكان من أمرهم ما كان وتلى هذه العادة ملوك بنى عبد المؤمن بالغرب نعالوا بمراكش وتلمسان وغيرها (وينبغى) ان ينظر فى حال الحجاج والزوار فيصلح احوالهم و يوضح سبيلهم و يختار دليلهم ويؤمن عليهم من يرفق بضعيفهم ويوسع عليهم فى الزاد والماء والحمل وكثيرا ما كانت الخلفاء تباشر ذلك بنفوسها أو تقدم من يقوم مقامها وتتكلف النفقات الكثيرة لذلك و ينظر فى حال أهل الذمة والمعاهدين فيمنع من ظلمهم ويشفق عليهم فانهم كالعبيد والمستضعف جانبهم وكذلك يمنع من تعدى طوره وخرج عما يجب عليه منهم ويحسم المادة فى ذلك

(الباب الخامس)

(فى حسن سيرته مع الملوك المجاورين والقبائل الاوداء والمعاندين) قيل كانت ملوك اليونان والفرس اذا أرادت تأكيد انقياد الرعية لهم وحسن تأدبهم مع الملوك وتعظيمهم انقادت هى لمن هو أرفع منها فى الرتبة والملك فان العامة تحذو حذوها وتتبع أثرها وتزداد انقيادا للملوك كما لم تزل فى كل ملة ومملكة وأهل بيت من تعظمه الملوك والناس من أهل العلم والدين كما كانت تفعل ملوك الفرس من تعظيم زرادشت ومانى وكان كسرى اذا دخل على مانى (فصل)

(فصل فى كلماته الدالة على شدة خوفه من ربه) أخرج أبو أحمد الحاكم عن معاذ بن جبل قال دخل أبو بكر حائطا واذا بدبسى فى ظل شجرة فتنفس الصعداء ثم قال طوبى لك ياطير تأكل من الشجر وتستظل بالشجر وتصير الى غير حساب ياليت أبا بكر مثلك وأخرج ابن عساكر عن الاصمعى قال كان أبو بكر اذا مدح قال اللهم أنت أعلم منى بنفسى وأنا أعلم بنفسى منهم اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون واغفر لى مالا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون وأخرج أحمد فى الزهد عن أبى عمران الجونى قال قال أبو بكر الصديق لوددت انى شعرة فى جنب عبد مؤمن وأخرج أحمد فى الزهد عن مجاهد قال كان ابن الزبير اذا قام فى الصلاة كانه عود من الخشوع قال وحدثت ان أبا بكر كان كذلك وأخرج عن الحسن قال قال أبو بكر والله لوددت انى كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد وأخرج عن قتادة قال بلغنى ان أبا بكر قال وددت انى خضرة تأكلنى الدواب وأخرج عن ضمرة بن حبيب قال حضرت الوفاة ابنا لابى بكر الصديق فجعل الفتى يلحظ الى وسادة فلما توفى قالوا لابى بكر رأينا ابنك يلحظ الى وسادة فدفعوه عن الوسادة فوجدوا تحتها خمسة دنانير أو ستة فضرب أبو بكر بيده على الاخرى يرجع ويقول انا لله وانا اليه راجعون يافلان ما أحسب جلدك يتسع لها وأخرج عن ثابت البنانى ان أبا بكر كان يتمثل بهذا الشعر

لاتزال تنعى حبيبا حتى تكونه * وقد يرجو الفتى الرجا يموت دونه

وأخرج ابن سعد عن ابن سيرين قال لم يكن أحد بعد النبى صلى الله عليه وسلم أهيب لما لا يعلم من أبى بكر ولم يكن أحد بعد أبى بكر أهيب لما لا يعلم من عمر وان أبا بكر نزلت فيه قضية فلم يجد لها فى كتاب الله أصلا ولا فى السنة أثرا فقال أجتهد رأيى فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمنى وأستغفر الله

*(فصل فيما ورد عنه من تعبير الرؤيا) أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال رأت عائشة رضى الله عنها كانه وقع فى بيتها ثلاثة أقمار فقصتها على أبى بكر وكان من أعبر الناس فقال ان صدقت رؤياك ليدفنن فى بيتك خير أهل الارض ثلاثا فلما قبض النبى صلى الله عليه وسلم قال ياعائشة هذا خير أقمارك وأخرج أيضا عن عمرو بن شرحبيل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتنى أردفت غنم سود ثم أردفتها غنم بيض حتى ماترى السود فيها فقال أبو بكر يارسول الله أما الغنم السود فانها العرب يسلمون ويكثرون والغنم البيض الاعاجم يسلمون حتى لايرى العرب فيهم من كثرتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك عبرها الملك سحرا وله عن ابن أبى ليلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتنى على بئر أنزع فيها فوردت على غنم سود ثم ردفها غنم عفر فقال أبو بكر دعنى أعبرها فذكر نحوه وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين قال كان أعبر هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وأخرج ابن سعد عن ابن شهاب قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على أبى بكر فقال رأيت كانى استبقت أنا وأنت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يارسول الله يقبضك الله الى مغفرة ورحمة وأعيش بعدك سنتين ونصفا وأخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن أبى قلابة أن رجلا قال لابى بكر الصديق رأيت فى النوم انى أبول دما قال أنت رجل تأتى امرأتك وهى حائض فاستغفر الله ولا تعد *(فائدة)* أخرج البيهقى فى الدلائل عن عبد الله بن بريدة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص فى سرية فيهم أبو بكر وعمر فلما انتهوا الى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لاينوروا نارا فغضب عمر فهم ان يأتيه فنهاه أبو بكر وأخبره انه لم يستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك الا لعلمه بالحرب فهدأ عنه وأخرج البيهقى من طريق أبى معشر عن بعض مشيختهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لأؤمر الرجل على القوم فيهم من هو خير منه لانه أيقظ عينا وأبصر بالحرب

(فصل) أخرج خليفة بن خياط وأحمد بن حنبل وابن عساكر عن يزيد بن الاصم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر أنا أكبر أو أنت قال أنت أكبر وأكرم وأنا أسن منك مرسل غريب جدا فان صح عد هذا

قبل اسفل قدميه تواضعا وخضوعا وكذلك كانت تفعل ملوك اليونان مع اسقليارس وغيره واستمر الحال على ذلك فكان للروم (الاركن) وهو الذى لايلى الملوك الامر الاباذنه وللفرنج (البابا) وللمسلمين (الخليفة) وكذلك بعض طوائف الهند والصين فكل من حقق الطاعة لغيره تحققت طاعة غيره له وكلما ظهر أحد ممن يملك وينشئ دولة ويدعو لنفسه قل ان ينتظم أمره أو تصير منه حالة (ثم يجب) ان يكون الملك دينا عالما ناسكا مشتغلا بالعلوم منزها عن شوائب النقص والمعايب فى خلقه وخلقه فان انضاف الى ذلك كرم وشجاعة فقد كمل ثم لايخلو اما أن يكون حاضرا يراه الناس ويسمعون كلامه أو غائبا يشار اليه فيجب ان يكون له نائب قائم بأمره ومترجم عنه على ماوصفنا من الدين والعفة والعدل وحسن السيرة والشجاعة (ويجب) على الملك ان يحسن الى مجاوريه من الملوك الذين حوله فيأمر ولاة اطرافه بكف المتعدين على حدودهم والمتوغلين فى تخومهم ويرد عليهم الضالة والآبق ولايحمى عنهم المفسد ولا السارق ثم لايمنعهم من الانتفاع من أرضه وبلاده بما لايوهن المملكة ولايضرها (قيل) لبعضهم ما الرآسة قال كف الاذى وبذل الندى ثم ينبغى للملك ان ينزه مجلسه من الغيبة وأن تقال فى مجلسه فان سكت ففيه رضا واقرار وان أنكر وغير ففيه

البوار أي لا منكر عليه ان لم يمتثل هذا على العموم وأما على الخصوص فيجب عليه ان يعاقب من يسب الملوك بين يديه ولا يمكن من ثلبهم أصلا

الجواب من فرط ذكائه وأدبه والمشهور ان هذا الجواب للعباس وقد وقع أيضا لسعيد بن يربوع (أخرجه الطبراني) ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اينا أكبر قال انت أكبر وأخير مني وأنا أقدم وأخرج أبو نعيم ان أبا بكر قيل له يا خليفة رسول الله ألا تستعمل أهل بدر قال اني أرى مكانهم ولكني أكره ان أدنسهم بالدنيا وأخرج أحمد في الزهد عن اسمعيل بن محمد ان أبا بكر قسم قسما فسوى فيه بين الناس فقال له عمر تسوي بين أصحاب بدر وسواهم من الناس فقال أبو بكر انما الدنيا بلاغ وخير البلاغ أوسعه وانما فضلهم في أجورهم

(فصل) أخرج أحمد في الزهد عن أبي بكر بن حفص قال بلغني ان أبا بكر كان يصوم الصيف ويفطر الشتاء وأخرج ابن سعد عن حيان الصائغ قال كان نقش خاتم أبي بكر نعم القادر الله *(فائدة)* أخرج الطبراني عن موسى بن عقبة قال لا نعلم أربعة أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأبناءهم الا هؤلاء الاربعة أبو قحافة وابنه أبو بكر الصديق وابنه عبد الرحمن وأبو عتيق بن عبد الرحمن واسمه محمد وأخرج ابن منده وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت ما أسلم أبو أحد من المهاجرين الا أبو أبي بكر *(فائدة)* أخرج ابن سعد والبزار بسند حسن عن أنس قال كان أسنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وسهيل ابن عمرو بن بيضاء *(فائدة)* أخرج البيهقي في الدلائل عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما كان عام الفتح خرجت ابنة لابي قحافة فلقيتها الخيل وفي عنقها طوق من ورق فاقتطعه انسان من عنقها فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد قام أبو بكر وقال أنشد بالله والإسلام طوق أختي فوالله ما أجابه أحد ثم قال الثانية فما أجابه أحد ثم قال يا أختاه احتسبي طوقك فوالله ان الامانة اليوم في الناس لقليل *(فائدة)* رأيت بخط الحافظ الذهبي من كان فرد زمانه في فنه أبو بكر الصديق في النسب عمر بن الخطاب في القوة في أمر الله عثمان ابن عفان في الحياء علي في القضاء أبي بن كعب في القراءة زيد بن ثابت في الفرائض أبو عبيدة بن الجراح في الامانة ابن عباس في التفسير أبو ذر في صدق اللهجة خالد بن الوليد في الشجاعة الحسن البصري في التذكير وهب بن منبه في القصص ابن سيرين في التعبير نافع في القراءة أبو حنيفة في الفقه ابن اسحق في المغازي مقاتل في التأويل الكلبي في قصص القرآن الخليل في العروض فضيل بن عياض في العبادة سيبويه في النحو مالك في العلم الشافعي في فقه الحديث أبو عبيد في الغريب علي بن المديني في العلل يحيى بن معين في الرجال أبو تمام في الشعر أحمد بن حنبل في السنة البخاري في نقد الحديث الجنيد في التصوف محمد بن نصر المروزي في الاختلاف الجبائي في الاعتزال الاشعري في الكلام محمد بن زكريا الرازي في الطب أبو معشر في النجوم ابراهيم الكرماني في التعبير ابن نباتة في الخطب أبو الفرج الاصبهاني في المحاضرة أبو القاسم الطبراني في العوالي ابن حزم في الظاهر أبو الحسن البكري في الكذب الحريري في مقاماته ابن منده في سعة الرحلة المتنبي في الشعر الموصلي في الغناء الصولي في الشطرنج الخطيب البغدادي في سرعة القراءة علي بن هلال في الخط عطاء السليمي في الخوف القاضي الفاضل في الانشاء الاصمعي في النوادر أشعب في الطمع معبد في الغناء ابن سينا في الفلسفة

عمر بن الخطاب

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي أمير المؤمنين أبو حفص القرشي العدوي الفاروق أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة قاله الذهبي وقال النووي ولد عمر بعد الفيل بثلاث عشرة سنة وكان من أشراف قريش واليه كانت السفارة في ا[illegible] وكانت قريش اذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرا أي رسولا واذا نافرهم منافر أو فاخرهم

(ومما يحكى ان الاسكندر أمر مناديه معاشر الناس من فيكم قاتل عدونا دارا فليظهر لنا فانا نحازيه باستحقاقه ونرفع مكانه فلما ظهر رواله وصح عنده ذلك وكانوا من خواص دار أحدهم صاحب شرابه فقال لهم هل كان محسنا اليكم قالوا نعم قال فهل كان مسيئا اليكم بعد ذلك قالوا لا وانما رفع غيرنا علينا وأردنا التقرب اليك بقتله فقال تجرأتم على عظيم وجازيتم الاحسان بالاساءة ثم أمر بقتلهم وصلبهم على الجذوع وقال هذه مجازاتهم وهذا ارتفاع مكانهم *وسب رجل صاحب طبرستان في مجلس السلطان محمود وكان معاديه فأمر بضربه وعقوبته وقال الملوك بعضهم لبعض أقارب وان تباعدت الانساب وكما يسب في مجالسنا الملوك نسب في مجالسهم فيجب على الملك المداراة والتواضع لمجاوريه من الملوك فمن كان أكبر منه سنا كان معه كالولد ومن كان أصغر منه كان له كالوالد ومن كان في سنه كان معه كالاخ الشفيق وان كان أوسع مملكة منهم فهذا لا يقدره ولا ينقصه ويحسن اليهم في المكاتبات ويرفع أقدارهم فهذا من جملة الادب والمروآت وهو بالملوك الزم

(فصل في محاذرة الاعداء والمعاندين) يجب ان يقوى احترازه منهم على ما هو مشروح في قسم الحروب في آخر هذا الكتاب ويستعمل معهم المناصفة فيما بينهم لئلا يكون مبتدئا

مفاخر بعثوه منافرا أو مفاخرا وأسلم قديما بعد أربعين رجلا واحدى عشرة امرأة وقيل بعد تسعة وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين امرأة وقيل بعد خمسة وأربعين رجلا واحدى عشرة امرأة فما هو الا أن أسلم فظهر الاسلام بمكة وفرح به المسلمون قال وهو أحد السابقين الاولين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الخلفاء الراشدين وأحد أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثا روى عنه عثمان بن عفان وعلى وطلحة وسعد وابن عوف وابن مسعود وأبوذر وعمرو بن عبسة وابنه عبد الله وابن عباس وابن الزبير وأنس وأبوهريرة وعمرو بن العاص وأبوموسى الاشعرى والبراء بن عازب وأبوسعيد الخدرى وخلائق آخرون من الصحابة وغيرهم رضى الله عنهم أقول وأنا ألخص هذا فصولا فيها جملة من الفوائد تتعلق بترجمته

(فصل في الاخبار الواردة في اسلامه) أخرج الترمذى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعز الاسلام بأحب هذين الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام وأخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود وأنس رضي الله عنهم وأخرج الحاكم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وأخرجه الطبراني في الاوسط من حديث أبي بكر الصديق وفي الكبير من حديث ثوبان وأخرج أحمد عن عمر قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت والله هذا شاعر كما قالت قريش فقرأ أنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون الآيات فوقع في قلبي الاسلام كل موقع وأخرج ابن أبي شيبة عن جابر قال كان أول اسلام عمر ان عمر قال ضرب أختي المخاض ليلا فخرجت من البيت فدخلت في أستار الكعبة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل الحجر وعليه بتان وصلى لله ماشاء الله ثم انصرف فسمعت شيئا لم أسمع مثله فخرج فاتبعته فقال من هذا فقلت عمر فقال يا عمر ماتدعني لا ليلا ولا نهارا فخشيت أن يدعو على فقلت أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فقال يا عمر أسره قلت لا والذي بعثك بالحق لاعلننه كما أعلنت الشرك وأخرج ابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقي في الدلائل عن أنس رضي الله عنه قال خرج عمر متقلدا سيفه فلقيه رجل من بني زهرة فقال أين تعمد يا عمر فقال أريد أن أقتل محمدا قال وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا فقال ما أراك الا قد صبأت قال أفلا أدلك على العجب ان ختنك وأختك قد صبا وتركا دينك فمشى عمر فأتاهما وعندهما خباب فلما سمع بحس عمر توارى في البيت فدخل فقال ما هذه الهيمنة وكانوا يقرؤن طه قالا ما عدا حديثا تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبأتما فقال له ختنه يا عمر ان كان الحق في غير دينك فوثب عليه عمر فوطئه وطأ شديدا فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها فقالت وهي غضبى وان كان الحق في غير دينك انى أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فقال عمر اعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرؤه وكان عمر يقرأ الكتاب فقالت أخته انك رجس وانه لا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى الى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري فقال عمر دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج فقال أبشر يا عمر فاني أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصل الدار التي في أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس فقال حمزة هذا عمر ان يرد الله به خيرا يسلم وان يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال والنبي صلى الله عليه وسلم داخل يوحى اليه فخرج حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة فقال عمر أشهد أن لا اله الا الله وانك عبد الله ورسوله * وأخرج البزار والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي

بالتعدي ومن أكثفه الاعداء لا يتهاون في التدبير فيهم اما باصلاحهم أو بقمعهم (وقال) بزرجمهر من ركب الفيل الهائج أو الفرس الجموح لا ينبغي ان ينعس وكذا من قاربه العدو أو قارنه لا ينبغي له ان يغفل وأما من كثرت عليه الخوارج والمنافقون والمخامرون فينبغي له في مبدا الحال ان يسكن ولا ينفر ويعفو فانه الى انتظام الحال وعود المعاندين الى الرضا أقرب ولا يغتر الملك بالاعداء اذا تنافروا وتباغضوا وكانوا على دين واحد ويجمعهم نسب فانهم اذا قصدهم أحد عادوا بجمعهم عليه كذلك السباع والذئاب تتهارش مع بعضها ثم اذا قصدها أحد من غير جنسها قصدته باسرها واصطلحت عليه (ويجب) ان يقابل الظفر على الاعداء بالعفو ويزيد في شكر الله ويعرف قدر نعمة الله عليه سواء كان مثله أو أرفع منه أو دونه ولا يقابل ذلك بالتجبر والعتو بل بالخضوع والتواضع فان أمكنه العفو فليعف وان لم تقتض المصلحة ذلك فليجعل الامساك والحبس وليوسع عليهم في الطعام واللباس ويمنع من الاهانة والاذلال فان الملوك ترتفع أقدارها عن ذلك (ولما) حارب السلطان طغرل السلجوقي قزل أرسلان في المرة الاولى انكسر لمخامرة عسكره عليه وبقي السلطان أسيرا مع غلمانه راكبا على فرسه والجتر على رأسه وقد هربت عساكره وتفرقت جموعه ونهبت أثقاله فتقدم قزل أرسلان وترجل عن فرسه وقبل الارض بين يديه وقال له

في الدلائل عن أسلم قال قال لنا عمر كنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا انا في يوم حار بالهاجرة في بعض طريق مكة اذ لقيني رجل فقال عجبا لك يا ابن الخطاب انك تزعم انك وأنك وقد دخل عليك الامر في بيتك قلت وماذاك قال أختك قد أسلمت فرجعت مغضبا حتى قرعت الباب قيل من هذا قلت عمر فتبادروا فاختفوا مني وقد كانوا يقرؤن صحيفة بين أيديهم تركوها ونسوها فقامت أختي تفتح الباب فقلت ياعدوة نفسها أصبأت وضربتها بشئ كان في يدي على رأسها فسال الدم وبكت فقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد صبأت قال ودخلت حتى جلست على السرير فنظرت الى الصحيفة فقلت ماهذا ناولينيها قالت لست من أهلها انك لا تطهر من الجنابة وهذا كتاب لا يمسه الا المطهرون فمازلت بها حتى ناولتنيها ففتحتها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت باسم من أسماء الله تعالى ذعرت منه فألقيت الصحيفة ثم رجعت الى نفسي فتناولتها فاذا فيها سبح لله مافي السموات والارض فذعرت فقرأت الى آمنوا بالله ورسوله فقلت أشهد أن لا اله الا الله فخرجوا الى مبادرين وكبروا وقالوا أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال اللهم أعز دينك بأحب الرجلين اليك اما أبو جهل بن هشام واما عمر ودلوني على النبي صلى الله عليه وسلم في بيت بأسفل الصفا فخرجت حتى قرعت الباب فقالوا من قلت ابن الخطاب وقد علموا اشدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اجترأ أحد يفتح الباب حتى قال صلى الله عليه وسلم افتحوا له ففتحوا لي فأخذ رجلان بعضدي حتى أتيا بي النبي صلى الله عليه وسلم فقال خلوا عنه ثم أخذ بمجامع قميصي وجذبني اليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده فتشهدت فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة وكانوا مستخفين فلم أشأ أن أرى رجلا يضرب ويضرب الا رأيته ولا يصيبني من ذلك شئ فجئت الى خالي أبي جهل بن هشام وكان شريفا فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت ابن الخطاب وقد صبأت فقال لا تفعل ثم دخل وأجاف الباب دوني فقلت ماهذا بشئ فذهبت الى رجل من عظماء قريش فناديته فخرج الي فقلت له مثل مقالتي لخالي وقال لي مثل ما قال خالي فدخل وأجاف الباب دوني فقلت ماهذا بشئ ان المسلمين يضربون وانا لا اضرب فقال لي رجل أتحب أن يعلم باسلامك قلت نعم قال فاذا جلس الناس في الحجر فائت فلانا الرجل لم يكن يكتم السر فقل له فيما بينك وبينه اني قد صبأت فانه قل ما يكتم السر فجئت وقد اجتمع الناس في الحجر فقلت فيما بيني وبينه اني قد صبأت قال أوقد فعلت قلت نعم فنادى بأعلى صوته ان ابن الخطاب قد صبأ فبادروا الى فمازلت أضربهم ويضربوني واجتمع على الناس فقال خالي ماهذه الجماعة قيل عمر قد صبأ فقام على الحجر فأشار بكمه الا اني قد أجرت ابن أختي فتكشفوا عني فكنت لا اشاء ان أرى أحدا من المسلمين يضرب ويضرب الا رأيته فقلت ماهذا بشئ قد يصيبني فأتيت خالي فقلت جوارك رد عليك فمازلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الاسلام وأخرج أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنه قال سألت عمر لاي شئ سميت الفاروق فقال أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام فخرجت الى المسجد فأسرع أبو جهل الى النبي صلى الله عليه وسلم يسبه فأخبر حمزة فأخذ قوسه وجاء الى المسجد الى حلقة قريش التي فيها أبو جهل فاتكأ على قوسه مقابل أبي جهل فنظر اليه فعرف أبو جهل الشر في وجهه فقال مالك يا أبا عمارة فرفع القوس فضرب بها أخدعيه فقطعه فسالت الدماء فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف في دار الارقم بن أبي الارقم المخزومي فانطلق حمزة فأسلم فخرجت بعده بثلاثة أيام فاذا فلان المخزومي فقلت أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد فقال ان فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقا مني قلت ومن هو قال أختك وختنك فانطلقت فوجدت همهمة فدخلت فقلت ماهذا فمازال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختني فضربته فادميته فقامت الى أختي فأخذت برأسي وقالت قد كان ذلك على رغم انفك فاستحييت حين رأيت الدماء فجلست وقلت أروني هذا الكتاب فقالت انه لا يمسه الا المطهرون فقمت فاغتسلت فأخرجوا الي صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت أسماء طيبة طاهرة طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى الى قوله له الاسماء

ياخداوند أنت السلطان ونحن عبيد ومماليك ونحوجه تاشيه نتخاصم مع بعضنا ونتقاتل ونصطلح فارجع الى همدان ونحن بين يديك نفعل ذلك مدة وهذا من جميل مقابلة النعم بالشكر (ويحكى) ان زبيدة العباسية كانت جالسة ذات يوم في قصرها وقد دخلت عليها حاجبتها تقول لها ان امرأة جميلة عليها أطمار رثة تريد الدخول عليك وتذكر ان لها معرفة قديمة تامة بها فأنكرت زبيدة ذلك وتوقفت فيه ثم سألها من حضرها من نسائها وجواريها في الاذن لها فاذنت فدخلت امرأة تامة القامة معتدلة الخلقة جميلة الصورة عليها أطمار بالية ورداء مرقع فجعلت تمشي على استحياء تلاصق حيطان الاروقة حتى انتهت الى باب المجلس فسلمت فقالت زبيدة حييت فمن أنت قالت أنا جريحة الزمان وطريحة الحدثان ذهبت الرجال واختلت الاحوال وجفانا الصديق وكدنا أن نلقى على الطريق فقالت لها انتسبي فقالت أنا ربيبة ابنة مروان بن محمد فقالت لها لا حياك الله ولا سلم عليك ويلك أتذكرين وقد دخل عجائزنا وأنت في ملكك وجبروتك تسألنك ويرغبن أن تسألي صاحبك أن يأذن في انزال ابراهيم من خشبته فما فعلت فتغرغرت عيناها بالدموع وقالت يا ابنة العم وأي شئ أعجبك من ثمرة العقوق وقطع الرحم وكفر النعمة حتى تأسين السلام عليكم ورحمة الله ثم ولت منصرفة فندمت زبيدة على بادرتها وأدركتها رقة

الحسيني

الحسنى فتعظمت فى صدرى وقلت من هذا فرت قريش فاسلمت وقلت أين رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فانه فى دار الارقم فأتيت فضربت الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة مالكم قالوا عمر قال وعمر افتحوا له الباب فان أقبل قبلنا منه وان أدبر قتلناه فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد عمر فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل مكة قلت يا رسول الله ألسنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاخفاء فخرجنا صفين انا فى أحدهما وحمزة فى الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الى والى حمزة فاصابتهم كآبة شديدة فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ لانه أظهر الاسلام وفرق بين الحق والباطل وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال قلت لعائشة من سمى عمر الفاروق قالت النبى صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن ماجه والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنه قال لما أسلم عمر نزل جبريل فقال يا محمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما أسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وأخرج البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال مازلنا أعزة منذ أسلم عمر وأخرج ابن سعد والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان اسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت امامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى الى البيت حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا وأخرج ابن سعد والحاكم عن حذيفة قال لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قربا فلما قتل عمر كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا بعدا وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أول من جهر بالاسلام عمر بن الخطاب اسناده صحيح حسن وأخرج ابن سعد عن صهيب قال لما أسلم عمر رضى الله عنه أظهر الاسلام ودعا اليه علانية وجلسنا حول البيت حلقا وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتى به وأخرج ابن سعد عن اسلم مولى عمر قال أسلم عمر فى ذى الحجة السنة السادسة من النبوة وهو ابن ست وعشرين سنة

(فصل فى هجرته) أخرج ابن عساكر عن على قال ماعلمت احدا هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده أسهما وأتى الكعبة واشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه من أراد ان تثكله أمه ويوتم ولده وترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى فما تبعه منهم أحد وأخرج عن البراء رضى الله عنه قال أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير ثم ابن أم مكتوم ثم عمر بن الخطاب فى عشرين راكبا فقلنا ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو على أثرى ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه معه قال النووى شهد عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان ممن ثبت معه يوم أحد

(فصل فى الاحاديث الواردة فى فضله غير ما تقدم فى ترجمة الصديق رضى الله عنه) أخرج الشيخان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة فاذا امرأة تتوضأ الى جانب قصر قلت لمن هذا القصر قالوا لعمر فذكرت غيرتك فوليت مدبرا فبكى عمر وقال عليك أغار يا رسول الله وأخرج الشيخان عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم شربت يعنى اللبن حتى انظر الرى يجرى فى أظفارى ثم ناولته عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم وأخرج الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم رأيت الناس عرضوا على وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدى ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض على عمر وعليه قميص يجره قالوا فما أولته يا رسول الله قال الدين وأخرج الشيخان عن سعد بن أبى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك وأخرج البخارى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما قبلكم من الامم ناس محدثون فان يكن فى أمتى أحد فانه عمر أى ملهمون وأخرج الترمذى

وبعث جواريه اليها فلم ترجع فقامت تعدو خلفها حتى أدركتها فى الدهليز وردتها واعتذرت اليها فرجعت فأمرت جواريها أن يدخلنها الحمام وأحضرت لها أصنافا من الثياب والجباب فاختارت منها ما لبست وتطيبت وأقبلت كانها فلقة قمر فقامت اليها واعتنقتها ورفعت مجلسها وآكلتها فلما دخل الخليفة قصت عليه القصة فشكرها على تدارك فارطها وأمرها ان تفرض لها مقصورة وجوارى يخدمنها وتسألها هل بقى لها من تعنى بامره ففعلت معها ذلك وهكذا ينبغى ان تقابل نعمة الله ولا مقابلة لها

(الباب السادس)
(فى سيرة الملك مع الامراء وأركان مملكته)

كانت ملوك الفرس تفضل الجند على سائر أصناف الناس ويحتجون لذلك بان الناس يبذلون منفعة جوارحهم أو حواسهم والجند يبذلون نفوسهم ورؤسهم ولا قرب بين الحالتين وكانت تجعل الناس على أربعة أقسام الجند أولها ثم تقسم الجند على أربعة أقسام على كل قسم أمير يسمى ميرميران وكل أمير معه أربعة يسمى كل واحد منهم اصفهبذ ومع كل اصفهبذ أربعة مرازبة ومع كل مرزبان أربعة سالارية ومع كل سالار عشرة أساورة وهم الفرسان المفردة وخمسة من الرجالة وتسمى البيادة فاذا أراد الملك انفاذ أمر خاطب بعض الامراء فسهل عليه وعلى من يخاطبه (وكانت) ملوك الروم ترتب ذلك عشرة عشرة ويسمون كل واحد باسم من لغتهم ومثاله فى العربية ان مع الملك عشرة أمراء مع

عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه قال ابن عمر وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال الا نزل القرآن على نحو ما قال عمر وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب (وأخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري وعصمة بن مالك وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر) وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لانظر الى شياطين الجن والانس قد فروا من عمر وأخرج ابن ماجه والحاكم عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يصافحه الحق عمر وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخل الجنة وأخرج ابن ماجه والحاكم عن أبي ذر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وأخرج أحمد والبزار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وأخرجه الطبراني من حديث عمر بن الخطاب وبلال ومعاوية بن أبي سفيان وعائشة رضي الله عنها وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر وأخرج ابن منيع في مسنده عن علي رضي الله عنه قال كنا أصحاب محمد لا نشك ان السكينة تنطق على لسان عمر وأخرج البزار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر سراج أهل الجنة وأخرجه ابن عساكر من حديث أبي هريرة والصعب بن جثامة وأخرج البزار عن قدامة بن مظعون عن عمه عثمان بن مظعون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا غلق الفتنة وأشار بيده الى عمر لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم وأخرج الطبراني في الاوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقرئ عمر السلام وأخبره ان غضبه عز ورضاه حكم وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يفرق من عمر وأخرج أحمد من طريق بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان ليفرق منك يا عمر وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في السماء ملك الا وهو يوقر عمر ولا في الارض شيطان الا وهو يفرق من عمر وأخرج الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله باهى بأهل عرفة عامة وباهى بعمر خاصة (وأخرج في الكبير مثله من حديث ابن عباس رضي الله عنهما) وأخرج الطبراني والديلمي عن الفضل بن العباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق بعدي مع عمر حيث كان وأخرج الشيخان عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنه قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت في يده غربا فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن قال النووي في تهذيبه قال العلماء هذا اشارة الى خلافة أبي بكر وعمر وكثرة الفتوح وظهور الاسلام في زمن عمر وأخرج الطبراني عن سديسة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم الا خر لوجهه (وأخرجه الدارقطني في الافراد من طريق سديسة عن حفصة وأخرج الطبراني عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل ليبك الاسلام على موت عمر وأخرج الطبراني في الاوسط عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبغض عمر فقد أبغضني ومن أحب عمر فقد أحبني وان الله باهى بالناس عشية عرفة عامة وباهى بعمر خاصة وانه لم يبعث الله نبيا الا كان في أمته محدث وان يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر قالوا يا رسول الله كيف محدث قال تتكلم الملائكة على لسانه اسناده حسن

(فصل) في أقوال الصحابة والسلف فيه قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما على ظهر الارض رجل أحب الي من عمر (أخرجه ابن عساكر) وقيل لابي بكر في مرضه ماذا تقول لربك وقد وليت عمر قال أقول له وليت عليهم خيرهم (أخرجه ابن سعد) وقال علي رضي الله عنه اذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر ما كنا نبعد ان السكينة

تنطق

كل أمير عشرة نقباء مع كل نقيب عشرة عرفاء مع كل عريف عشرة قواد مع كل قائد عشرة فرسان ومع الرجالة كذلك وبعضهم يجعل عوض العريف زعيما هذا ترتيب الاول (وكذلك) لما كثر جيش النبي صلى الله عليه وسلم رتب عليهم نقباء وعرفاء تكون مخاطبته معهم وأما في زماننا هذا فانه ترتيب حسن اذا استقر الحال على ما ذكر أن يكون الملك لجيشه اتابك أتم ما يكون في الشجاعة والكرم والمعرفة والنباهة والشهامة والبسطة والتجارب والدين والعفة والمكنة في العدة والعدد ثم من بعده مقدمو الآلاف على كل ألف فارس مقدم كبير ومعه مقدمون مفاردة على كل خمسين فارس مقدم مفردي ومع المفردي خمس مقدمين دونه مع كل مقدم عشرة فرسان وعلى الكل نقيب كبير وتحت يده نقباء رؤس نوب على الآلاف فلكل مقدم ألف معه نقيب ألف في خدمته ومع النقيب نقباء صغار على كل خمسين فارسا نقيب فهذا أجل وأحوط ما يكون من الترتيب (فينبغي) للملك أن ينظر في حال جيشه وازاحة أعذارهم وان يحملهم على اتباع الشرع والانقياد للوازم الدين مع التزامه هو لذلك فانه ان لم يكن محافظا على الشريعة لا يستقيم التزامه كما قيل
* متى يستقيم الظل والعود أعوج *
فبالتزامه لذلك التزامهم على الطاعات فيحصل خير الدنيا والآخرة ثم يتفقد أحوالهم فمن حسنت سيرته ومناصحته يضاعف الاحسان اليه حتى يتشبه به غيره ويجتهد

الجند في الطاعة لله تعالى ولملكهم (ويحكى) عن بعض ملوك العرب انه كان يخرج في بعض الليالي الباردة فيصلي الفجر والعشاء

تنطق على لسان عمر (أخرجه الطبراني في الاوسط) وقال ابن عمر رضي الله عنه ما رأيت أحدا قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين قبض أحد ولا أجود من عمر (أخرجه ابن سعد) وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو ان علم عمر وضع في كفة ميزان ووضع علم أحياء الارض في كفة لرجح علم عمر بعلمهم ولقد كانوا يرون انه ذهب بتسعة أعشار العلم (أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم) وقال حذيفة رضي الله عنه كأن علم الناس كان مدسوسا في حجر عمر وقال حذيفة والله ما أعرف رجلا لا تأخذه في الله لومة لائم الا عمر وقالت عائشة رضي الله عنها وذكرت عمر كان والله أحوذيا نسيج وحده وقال معاوية رضي الله عنه اما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده واما عمر فارادته الدنيا ولم يردها واما نحن فتمرغنا فيها ظهرا لبطن (أخرجه الزبير بن بكار في الموفقيات) وقال جابر رضي الله عنه دخل على عمر وهو مسجى فقال رحمة الله عليك ما من أحد أحب الي ان ألقى الله بما في صحيفته بعد صحبة النبي صلى الله عليه وسلم من هذا المسجى (أخرجه الحاكم) وقال ابن مسعود رضي الله عنه اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ان عمر كان أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا في دين الله تعالى (أخرجه الطبراني والحاكم) وسئل ابن عباس عن أبي بكر فقال كان كالخير كله وسئل عن عمر فقال كان كالطير الحذر الذي يرى ان له بكل طريق شركا يأخذه وسئل عن علي فقال ملئ عزما وحزما وعلما ونجدة أخرجه في الطيوريات وأخرج الطبراني عن عمير بن ربيعة ان عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار كيف تجد نعتي قال أجد نعتك قرنا من حديد قال وما قرن من حديد قال أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم قال ثم مه قال ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة قال ثم مه قال ثم يكون البلاء وأخرج أحمد والبزار والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال فضل عمر بن الخطاب الناس باربع بذكر الاسرى يوم بدر امر بقتلهم فانزل الله لولا كتاب من الله سبق الآية وبذكر الحجاب أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتجبن فقالت له زينب وانك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل علينا في بيوتنا فانزل الله واذا سألتموهن متاعا الآية وبدعوة النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أيد الاسلام بعمر وبرأيه في أبي بكر كان أول من بايعه وأخرج ابن عساكر عن مجاهد قال كنا نحدث ان الشياطين كانت مصفدة في امارة عمر فلما أصيب بثت وأخرج عن سالم ابن عبد الله قال أبطأ خبر عمر على أبي موسى فأتى امرأة في بطنها شيطان فسألها عنه فقالت حتى يجيئني شيطاني فجاء فسألته عنه فقال تركته مؤتزرا بكسائه يهنأ ابل الصدقة وذاك رجل لا يراه شيطان الا خر لمنخريه الملك بين عينيه وروح القدس ينطق بلسانه

*(فصل قال سفيان الثوري من زعم ان عليا كان أحق بالولاية من أبي بكر وعمر فقد أخطأ وخطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والانصار وقال شريك ليس يقدم عليا على أبي بكر وعمر احد فيه خير وقال أبو اسامة أتدرون من أبو بكر وعمر هما أبو الاسلام وأمه وقال جعفر الصادق أنا بريء ممن ذكر أبا بكر وعمر الا بخير

*(فصل في موافقات عمر رضي الله عنه قد أوصلها بعضهم الى أكثر من عشرين أخرج ابن مردويه عن مجاهد قال كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن وأخرج ابن عساكر عن علي قال ان في القرآن لرأيا من رأي عمر وأخرج عن ابن عمر مرفوعا ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر الا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر وأخرج الشيخان عن عمر قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وأخرج مسلم عن عمر قال وافقت ربي في ثلاث في الحجاب وفي أسارى بدر وفي مقام ابراهيم ففي هذا الحديث خصلة رابعة وفي التهذيب للنووي نزل القرآن بموافقته في أسرى بدر وفي الحجاب وفي مقام ابراهيم وفي تحريم الخمر فزاد خصلة خامسة وحديثها في السنن ومستدرك الحاكم انه قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تحريمها وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس قال قال عمر وافقت ربي في أربع نزلت

الآخرة في جامع قلعته وللجامع أبواب مشرعة الى البلد تفتح في وقت الصلاة فاذا سلم الامام أمر بغلق الابواب على الناس ثم يأمر لكل من حضر الصلاة بخمسة دنانير أو بثمانية وربما أمر بعشرة وكذلك يفعل في يوم عاشوراء المحرم والقصد بذلك الترغيب في الخير والمواظبة على الصلوات (ويجب) على الملك أن يحسن النظر في حال الامراء وتقديمهم وارتفاع درجاتهم لمن تظهر منه النجابة والشهامة والدين ولا يفعل ذلك بالهوى وميل النفس بل بالفكرة والمشورة والتجربة فان الخطأ في ذلك مضر فانه ربما يخف على قلبه شخص ويثقل آخر فيكون الخفيف غير أهل لما حصل له من التقدمة والآخر أهل لها فيحصل الخطأ وتتولد المضرة كمن يتناول الحلو الضار ويترك المر النافع فليشدد الاحتراز في ذلك ويفرق بين الشريف والمتشرف والجندي والمتجند فانه ان أهمل ذلك وقدم على غير نسق صارت الرؤس أذنابا والاذناب رؤسا وتحكيم الصغار شديد المضرة سريع الخلل ومن اعتبر سيرة من مضى في زماننا هذا وجد وقائع كثيرة من هذه النسبة حصل بسببها ما لا يستدرك فارطه وقد يوجد في الصغار والوسط من تكون فيه نجابة وكفاية كما يوجد في ابناء ذوي الشرف من فيه القصور والتخلف فليوصل كل أحد الى موضع يليق به على التدريج

هذه الآية ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية فلما نزلت قلت أنا فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت فتبارك الله أحسن الخالقين فزاد في هذا الحديث خصلة سادسة وللحديث طريق آخر عن ابن عباس أوردته في التفسير المسند ثم رأيت في كتاب فضائل الامامين لابي عبد الله الشيباني قال وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضعا فذكر هذه الستة وزاد سابعا قصة عبد الله بن أبي قلت حديثها في الصحيح عنه قال لما توفي عبد الله بن أبي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فقمت حتى وقفت في صدره فقلت يا رسول الله أو على عدو الله ابن أبي القائل يوم كذا كذا فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية وثامنا يسئلونك عن الخمر الآية وتاسعا يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة الآية قلت هما مع آية المائدة خصلة واحدة والثلاثة في الحديث السابق وعاشرا لما أكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاستغفار لقوم قال عمر سواء عليهم فأنزل الله سواء عليهم استغفرت لهم الآية قلت أخرجه الطبراني عن ابن عباس الحادي عشر لما استشار صلى الله عليه وسلم الصحابة في الخروج الى بدر أشار عمر بالخروج فنزلت كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الآية الثاني عشر لما استشار الصحابة في قصة الافك قال عمر من زوجكها يا رسول الله قال الله قال أفتظن ان ربك دلس عليك فيها سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت كذلك الثالث عشر قصته في الصيام لما جامع زوجته بعد الانتباه وكان ذلك محرما في أول الاسلام فنزل أحل لكم ليلة الصيام الآية قلت أخرجه أحمد في مسنده الرابع عشر قوله تعالى من كان عدوا لجبريل الآية قلت أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة وأقربها للموافقة ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ان يهوديا لقي عمر فقال ان جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا فقال له عمر من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين فنزلت على لسان عمر الخامس عشر قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية قلت أخرج قصتها ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي الاسود قال اختصم رجلان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى بينهما فقال الذي قضى عليه ردنا الى عمر بن الخطاب فأتيا اليه فقال الرجل قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا فقال ردنا الى عمر فقال أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج اليكما فخرج اليهما مشتملا على سيفه فضرب الذي قال ردنا الى عمر فقتله وأدبر الآخر فقال يا رسول الله قتل عمر والله صاحبي فقال ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن فأنزل الله فلا وربك لا يؤمنون الآية فأهدر دم الرجل وبرئ عمر من قتله وله شاهد موصول أوردته في التفسير المسند السادس عشر الاستئذان في الدخول وذلك انه دخل عليه غلامه وكان نائما فقال اللهم حرم الدخول فنزلت آية الاستئذان السابع عشر قوله في اليهود انهم قوم بهت الثامن عشر قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قلت أخرج قصتها ابن عساكر في تاريخه عن جابر بن عبد الله وهي في أسباب النزول التاسع عشر رفع تلاوة الشيخ والشيخة اذا زنيا الآية العشرون قوله يوم أحد لما قال أبو سفيان أفي القوم فلان لانجيبنه فوافقه رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أخرج قصته أحمد في مسنده قال ويضم الى هذا ما أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد الله ان كعب الاحبار قال ويل لملك الارض من ملك السماء فقال عمر الا من حاسب نفسه فقال كعب والذي نفسي بيده انها في التوراة لتابعتها فخر عمر ساجدا ثم رأيت في الكامل لابن عدي من طريق عبد الله بن نافع وهو ضعيف عن أبيه عن ابن عمر ان بلالا كان يقول اذا أذن أشهد أن لا اله الا الله حي على الصلاة فقال له عمر قل في أثرها أشهد أن محمدا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل كما قال عمر

(فصل في كراماته) أخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في دلائل النبوة واللالكائي في شرح السنة والديرعاقولي في فوائده وابن الاعرابي في كرامات الاولياء والخطيب في رواة مالك عن نافع عن ابن عمر قال وجه عمر جيشا ورأس عليهم رجلا يدعى سارية فبينا عمر يخطب جعل ينادي يا سارية الجبل ثلاثا ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر

(ويجب) ان يمنع الجند من الجلوس في الحوانيت والاسواق للتجارة والصناعة ومزاحمة الرعية في معايشهم فان في ذلك تضييقا على الرعية ثم يتفقد أحوال الجند ومن عبر الى رحمة الله منهم ومن حصل له العطب في الغزاة أو الهرم في الخدمة فيحسن اليهم والى مخلفيهم ويطلق لهم ما يقوم بأودهم وان كان في أولادهم من يقوم مقامهم أجرى لهم ما كان لهم جاريا وكذلك كانت تفعل الملوك المتقدمون (وقال) النبي عليه السلام من ترك كلا أو ضياعا فالي وعلي وكذلك ينظر في حال من افتقر أو ركبته الديون واقطاعه قليل لا يقوم بحاله وينظر أيضا في حال الجند البطالين الذين طلبوا منه استخدامهم فلم يستخدمهم أو أعطاهم اقطاعا لا يرضيهم فانهم يتربصون به الدوائر وينظرون له ريبة ينبعون فيها فيحترز منهم اذا كثروا اما بالارضاء أو بالابعاد * وصنف آخر من الجند تركوا الجندية اختيارا وملالا فان اشتغلوا بزهد أو بتجارة أو صناعة تركوا وشأنهم فان حصل منهم من الشرور ما لا يمكن تداركه فيجب ان يشغلوا ويبعدوا (وصنف) آخر من الجند ذو بأس شديد وشجاعة أفرط اعتقادهم في حق أنفسهم حتى ظنوا ان انتظام الدولة بهم واستقامة الملك بسببهم وانه لا يستحق العطاء والحباء غيرهم ومتى أعطى غيرهم أو أكرم حنقوا وان توقعوا أو طلبوا أشياء لم ينالوه تعزبوا وضلوا فينبغي للملك العارف ان يتفكر في حالة من أحوال الفروسية ليعلم انهم مقصرون

فقال

فقال يا أمير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك اذ سمعنا صوتا ينادي ياسارية الجبل ثلاثا فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله قال قيل لعمر انك كنت تصيح بذلك وذلك الجبل الذي كان سارية عنده بنهاوند من أرض العجم قال ابن حجر في الاصابة اسناده حسن وأخرج ابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر قال كان عمر يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته ان قال ياسارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال لهم علي ليخرجن مما قال فلما فرغ سألوه فقال وقع في خلدي ان المشركين هزموا اخواننا وانهم يمرون بجبل فان عدلوا اليه قاتلوا من وجه واحد وان جاوز واهلكوا فخرج مني ماتزعمون انكم سمعتموه قال فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم قال فعدلنا الى الجبل ففتح الله علينا وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن عمرو بن الحرث قال بينما عمر يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة فقال ياسارية الجبل مرتين أو ثلاثا ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن انه لمجنون فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن اليه فقال انك لتجعل لهم على نفسك مقالا بينا أنت تخطب اذ أنت تصيح ياسارية الجبل أي شئ هذا قال اني والله ماملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت ياسارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلبثوا الى أن جاء رسول سارية بكتابه ان القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى اذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادي ياسارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم فقال أولئك الذين طعنوا عليه دعوا هذا الرجل فانه مصنوع له وأخرج أبو القاسم بن بشران في فوائده من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال قال عمر بن الخطاب لرجل ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحرقة قال أين مسكنك قال الحرة قال بأيها قال بذات لظى فقال عمر أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا أخرجه مالك في الموطا عن يحيى بن سعيد نحوه وأخرجه ابن دريد في الاخبار المنثورة وابن الكلبي في الجامع وغيرهم وقال أبو الشيخ في كتاب العظمة حدثنا أبو الطيب حدثنا علي ابن داود حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو ابن العاص حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها قال وماذاك قالوا اذا كان احدى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فارضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلي أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون أبدا في الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا والنيل لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب له أن قد أصبت بالذي قلت وان الاسلام يهدم ما كان قبله وبعث بطاقة في داخل كتابه وكتب الى عمرو اني قد بعثت اليك ببطاقة في داخل كتابي فألقها في النيل فلما قدم كتاب عمر الى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى نيل مصر *(أما بعد)* فان كنت تجري من قبلك فلا تجر وان كان الله يجريك فأسأل الله الواحد القهار ان يجريك فالقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم فاصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر الى اليوم وأخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب قال ان كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكذبه الكذبة فيقول احبس هذه ثم يحدثه بالحديث فيقول احبس هذه فيقول له كل ما حدثتك حق الا ما أمرتني ان احبسه وأخرج عن الحسن قال ان كان أحد يعرف الكذب اذا حدث به فهو عمر بن الخطاب وأخرج البيهقي في الدلائل عن أبي هدبة الحمصي قال أخبر عمر بان أهل العراق قد حصبوا أميرهم فخرج غضبان فصلى فسها في صلاته فلما سلم قال اللهم انهم قد لبسوا علي فالبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم قلت أشار به الى الحجاج قال ابن لهيعة وما ولد الحجاج يومئذ

(فصل في نبذ من سيرته) أخرج ابن سعد عن الاحنف بن قيس قال كنا جلوسا بباب عمر فمرت جارية فقالوا

في بلوغ غايتها فينبههم لها ليتبين لهم التقصير ويعيرهم بها فيعرفوا مقدار نفوسهم

(الباب السابع) *(في سيرة الملك مع أهل الشريعة العلماء والفقهاء والفضلاء)* يتعين على الملك ان يبذل اجتهاده في اظهار رونق الشريعة واحترام أهلها واكرامهم والاثابة على تعلمها والمحافظة عليها ويأمر أولاد العلماء بالاشتغال بالعلم وكذلك يفعل مع جميع الطوائف سوى أهل الشرور والمهن الخسيسة فيتركوا وشأنهم وما تصل وتنهض به هممهم اليه ولم يكن في الدنيا أعظم دولة ولا أشمخ مملكة ولا أدوم أياما وذكرا من دولة الفرس ودولة اليونان وسبب ذلك تعظيمهم للعلوم والحكم وتمكين من يشتغل بذلك ورعاية جانبه حتى كان أكثر ملوكهم علماء وحكماء وقديما كان الانبياء ملوكا وكانوا يشتغلون بالعلم واستنباط الحكمة حتى بلغوا في ذلك غاية المنتهى وتعلمه نساؤهم وصبيانهم (مثل) أزرميدخت وورش الفارسيتين وايلاو بعاره بنت بطليموس صاحب الحكمة والتصانيف ومثل سوريد بن سهلوق ابن سرياق الانطاكي اليوناني الذي ملك الديار المصرية ووضع الحكم بعد أبويه وقبل الطوفان واشتغلوا في زمانهم بالعلوم والاستنباطات وعلموا بحادثة الطوفان وكان سبب ذلك ان سوريد الملك رأى رؤيا هالته وافزعته وذلك انه رأى كأن الارض انقلبت بأهلها والناس يهوون منها

سريه أمير المؤمنين فقال ماهى لامير المؤمنين بسرية ولا تحل له انها من مال الله فقلنا فما اذا يحل له من مال الله تعالى قال انه لا يحل لعمر من مال الله الا حلتين حلة للشتاء وحلة للصيف وما حج به واعتمر وقوتى وقوت أهلى كرجل من قريش ليس باغناهم ولا بافقرهم ثم أنا بعد رجل من المسلمين وقال خزيمة بن ثابت كان عمر اذا استعمل عاملا كتب له واشترط عليه ان لا يركب برذونا ولا يأكل نقيا ولا يلبس رقيقا ولا يغلق بابه دون ذوى الحاجات فان فعل فقد حلت عليه العقوبة وقال عكرمة بن خالد وغيره ان حفصة وعبد الله وغيرهما كلموا عمر فقالوا لو أكلت طعاما طيبا كان أقوى لك على الحق قال أكلكم على هذا الرأى قالوا نعم قال قد علمت نصحكم ولكنى تركت صاحبى على جادة فان تركت جادتهما لم أدركهما فى المنزل قال وأصاب الناس سنة فما أكل عامئذ سمنا ولا سمينا وقال ابن أبى مليكة كلم عتبة بن فرقد عمر فى طعامه فقال ويحك آكل طيباتى فى حياتى الدنيا واستمتع بها وقال الحسن دخل عمر على ابنه عاصم وهو يأكل لحما فقال ماهذا قال قرمنا اليه قال أوكلما قرمت الى شئ أكلته كفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما اشتهى وقال أسلم قال عمر لقد خطر على قلبى شهوة السمك الطرى قال فرحل يرفأ راحلته وسار أربعا مقبلا وأربعا مدبرا واشترى مكتلا فجاء به وعمد الى الراحلة فغسلها فأتى عمر فقال انطلق حتى أنظر الى الراحلة فنظر وقال أنسيت أن تغسل هذا العرق الذى تحت اذنها عذبت بهيمة فى شهوة عمر لا والله لا يذوق عمر مكتلك وقال قتادة كان عمر يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقوعة بعضها بادم ويطوف فى الاسواق على عاتقه الدرة يؤدب بها الناس ويمر بالنكث والنوى فيلتقطه ويلقيه فى منازل الناس ينتفعون به وقال أنس رأيت بين كتفى عمر أربع رقاع فى قميصه وقال أبو عثمان النهدى رأيت على عمر ازارا مرقوعا بادم وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة حججت مع عمر فما ضرب فسطاطا ولا خباء كان يلقى الكساء والنطع على الشجرة ويستظل تحته وقال عبد الله بن عيسى كان فى وجه عمر بن الخطاب خطان أسودان من البكاء وقال الحسن كان عمر يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد منها أياما وقال أنس دخلت حائطا فسمعت عمر يقول وبينى وبينه جدار عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ والله لتتقين الله ابن الخطاب أو ليعذبنك الله وقال عبد الله ابن عامر بن ربيعة رأيت عمر أخذ تبنة من الارض فقال ياليتنى كنت هذه التبنة ياليتنى لم أك شيا ليت أمى لم تلدنى وقال عبيد الله بن عمر بن حفص حمل عمر بن الخطاب قربة على عنقه فقيل له فى ذلك فقال ان نفسى أعجبتنى فاردت أن أذلها وقال محمد بن سيرين قدم صهر لعمر عليه فطلب ان يعطيه من بيت المال فانتهره عمر وقال أردت أن ألقى الله ملكا خائنا ثم أعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم وقال النخعى كان عمر يتجر وهو خليفة وقال أنس تقرقر بطن عمر من أكل الزيت عام الرمادة وكان قد حرم على نفسه السمن فنقر بطنه باصبعه وقال انه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس وقال سفيان بن عيينة قال عمر بن الخطاب أحب الناس الى من رفع الى عيوبى وقال أسلم رأيت عمر بن الخطاب يأخذ باذن الفرس ويأخذ بيده الاخرى اذنه ثم ينزو على متن الفرس وقال ابن عمر ما رأيت عمر غضب قط فذكر الله عنده أو خوف أو قرأ عنده انسان آية من القرآن الا وقف عما كان يريد وقال بلال لاسلم كيف تجدون عمر فقال خير الناس الا أنه اذا غضب فهو أمر عظيم فقال بلال لو كنت عنده اذا غضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه وقال الاحوص بن حكيم عن أبيه أتى عمر بلحم فيه سمن فأبى ان يأكلهما وقال كل واحد منهما أدم أخرج هذه الآثار كلها ابن سعد وأخرج ابن سعد عن الحسن قال قال عمر هان شئ أصلح به قوما ان أبدلهم أميرا مكان أمير

(فصل فى صفته رضى الله عنه) أخرج ابن سعد والحاكم عن زر قال خرجت مع أهل المدينة فى يوم عيد فرأيت عمر يمشى حافيا شيخا أصلع آدم أعسر طوالا مشرفا على الناس كانه على دابة قال الواقدى لا يعرف عندنا ان عمر كان آدم الا ان يكون رآه عام الرمادة فانه كان تغير لونه حين أكل الزيت وأخرج ابن سعد عن ابن عمر انه وصف عمر فقال رجل أبيض تعلوه حمرة طوال أصلع أشيب وأخرج عن عبيد بن عمير قال كان عمر

سفلا على رؤسهم وكأن الكواكب تتساقط و يصدم بعضها ببعض باصوات مختلفة هائلة ففزع لذلك ثم رأى رؤيا ثانية وثالثة وفسرها على علماء دولته وبحضرة مملكته فاخبروه بحادثة الطوفان والرؤيا الثانية بعد الاولى بسنة وهى كأنه فى هيكل له يعرف بدقيانوس فرأى كأن خمسة من الكواكب محصورة فى عقدة الذنب والجوزهر هابطا والشمس قد انكسفت ولم يبق منها الا القليل والقمر قد انحدر من السماء فى صورة امرأة باكية تشكو زوالها فانتبه فزعا وكتم الرؤيا وعلم انها معونة للاولى وأمر بتنظيف الهياكل والمقامات والزيادة فى قربانها وذبائحها وبخوراتها وتعظيم أهل العلم والعبادة وتفقد مواضع الظلم وازالته وقصر عن اللهو وبقى مترقبا ما يحدث حتى رأى الرؤيا الثالثة وهى كأن الكواكب الثابتة فى صورة الطيور البيض وكأنها تختطف العالم وكأن الكواكب النيرة مظلة والطيور تلقى العالم بين جبلين عظيمين والجبلين قد انطبقا على العالم فانتبه فزعا أشد من الاولين فالتجأ الى هيكله الذى فى بيته وجعل يتضرع ويتمرغ بخديه على الارض ويدعو ويبكى الى ان أصبح فاحضر رؤساء الكهنة وكانوا ثلثمائة وثلاثين كاهنا رؤساء فضلاء وعليهم رئيس كبير يقال له فليمون وأخبر أيضا انه رأى رؤيا وهى كأنه والملك واقفان على رأس المنار التى للملك بامسوس وكأن الفلك قد تطأطأ ونزل حتى صار على سمت رؤسنا

يفوق

يفوق الناس طولا وأخرج عن سلمة بن الاكوع قال كان عمر رجل أيسر يعنى يعمل بيديه جميعا وأخرج ابن عساكر عن أبى رجاء العطاردى قال كان عمر رجلا طويلا جسيما أصلع شديد الصلع أبيض شديد الحمرة فى عارضيه خفة سبلته كبيرة وفى أطرافها صهبة وفى تاريخ ابن عساكر من طرق ان أم عمر بن الخطاب حنتمة بنت هشام بن المغيرة أخت أبى جهل بن هشام فكان أبو جهل خاله

(فصل) فى خلافته ولى الخلافة بعهد من أبى بكر فى جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة قال الزهرى استخلف عمر يوم توفى أبو بكر وهو يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة (أخرجه الحاكم) فقام بالامر أتم قيام وكثرت الفتوح فى أيامه ففى سنة أربع عشرة فتحت دمشق ما بين صلح وعنوة وحمص وبعلبك صلحا والبصرة والابلة كلاهما عنوة وفيها جمع عمر الناس على صلاة التراويح (قاله العسكرى فى الاوائل) وفى سنة خمس عشرة فتحت الاردن كلها عنوة الا طبرية فانها فتحت صلحا وفيها كانت وقعة اليرموك والقادسية (قال ابن جرير) وفيها مصر سعد الكوفة وفيها فرض عمر الفروض ودون الدواوين وأعطى العطاء على السابقة وفى سنة ست عشرة فتحت الاهواز والمدائن وأقام بها سعد الجمعة فى ايوان كسرى وهى أول جمعة جمعت بالعراق وذلك فى صفر وفيها كانت وقعة جلولاء وهزم فيها يزدجرد بن كسرى وتقهقر الى الرى وفيها فتحت تكريت وفيها سار عمر ففتح بيت المقدس وخطب بالجابية خطبته المشهورة وفيها فتحت قنسرين عنوة وحلب وانطاكية ومنبج صلحا وسروج عنوة وفيها فتحت قرقيسياء صلحا وفى ربيع الاول كتب التاريخ من الهجرة بمشورة على وفى سنة سبع عشرة زاد عمر فى المسجد النبوى وفيها كان القحط بالحجاز وسمى عام الرمادة واستسقى عمر للناس بالعباس أخرج ابن سعد عن نيار الاسلمى ان عمر لما خرج يستسقى خرج وعليه برد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج عن ابن عون قال أخذ عمر بيد العباس ثم رفعها وقال اللهم انا نتوسل اليك بعم نبيك أن تذهب عنا المحل وأن تسقينا الغيث فلم يبرحوا حتى سقوا فاطبقت السماء عليهم أياما وفيها فتحت الاهواز صلحا وفى سنة ثمان عشرة فتحت جنديسابور صلحا وحلوان عنوة وفيها كان طاعون عمواس وفيها فتحت الرهى وسميساط (شميساط) عنوة وحران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة وقيل صلحا والموصل ونواحيها عنوة وفى سنة تسع عشرة فتحت قيسارية عنوة وفى سنة عشرين فتحت مصر عنوة وقيل مصر كلها صلحا الا الاسكندرية فعنوة وقال على بن رباح المغرب كله عنوة وفيها فتحت تستر وفيها هلك قيصر عظيم الروم وفيها أجلى عمر اليهود عن خيبر وعن نجران وقسم خيبر ووادى القرى وفى سنة احدى وعشرين فتحت الاسكندرية عنوة ونهاوند ولم يكن للاعاجم بعدها جماعة وبرقة وغيرها وفى سنة اثنتين وعشرين فتحت أذربيجان عنوة وقيل صلحا والدينور عنوة وماسبذان عنوة وهمدان عنوة وطرابلس المغرب والرى وعسكر وقومس وفى سنة ثلاث وعشرين كان فتح كرمان وسجستان ومكران من بلاد الجبل وأصبهان ونواحيها وفى آخرها كانت وفاة سيدنا عمر رضى الله عنه بعد صدوره من الحج شهيدا قال سعيد بن المسيب لما نفر عمر من منى أناخ بالابطح ثم استلقى ورفع يديه الى السماء وقال اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفرط فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل (أخرجه الحاكم) وقال أبو صالح السمان قال كعب الاحبار لعمر أجدك فى التوراة تقتل شهيدا قال وانى لى بالشهادة وأنا بجزيرة العرب وقال اسلم قال عمر اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك (أخرجه البخارى) وقال معدان بن أبى طلحة خطب عمر فقال رأيت كأن ديكا نقرنى نقرة أو نقرتين وانى لا أراه الا حضور أجلى وان قوما يأمروننى أن أستخلف وان الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته فان عجل بى أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم (أخرجه الحاكم) قال الزهرى كان عمر رضى الله عنه لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب اليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده جملة صنائع ويستأذنه

وصار كالمكبة المحيطة بنا وكان كواكبه قد خالفتنا فى صور شتى نورانية على قدر اجرامها والناس يستغيثون بالملك والملك رافع يديه عن نفسه الفلك اذ بلغ رأسه وأمرنى برفع يدى لمثل ذلك وكان صورة الشمس طالعة علينا ونحن نستغيث فخاطبتنا ان الفلك سيعود موضعه فاذا مضى أربعمائة دورة اطبق اطباقا شديدا على أهل الارض فحينئذ تخر الاصنام وتبيد الاحكام وتزول الاعلام ويقوم بالامر واضع الزمان ثم تطأطأ المنار بنا الى الارض ورجع الى موضعه فانتبهت فزعا مرعوبا فقال له الملك متى كانت الرؤيا فاخبره بليلتها فوجدها موافقة لما رآه الملك الاولى فقال له الملك فعلى ماذا تأولت يا اقليمون قال حدث عظيم يحدث بعد أربعمائة سنة يضر بجميع العالم الا قليلا من الناس وهو عنصر الماء فسأل هل من حادثة بعدها فاخذوا طالع سؤاله وحققوه وحرروه فذكروا حادثة ثانية ضد الاولى فقال هل من حدث ثالث لهما ففتشوا فخفى عليهم فقالوا نعم يحدث حادثة عظمى وداهية دهيا لم يبق وجه على الارض متحرك الا تلف وينحل عقد الفلك باذن القديم الازلى وهى الساعة فعند ذلك أمر ببناء الاهرام والاقبر ونبات وهى البرابى لتكون قبورا لهم ومثوى لاجسادهم وكنزا لاموالهم وكتبهم وذخائرهم فاختاروا لها الاوقات الثابتة فى مبدأ حفر أساسها وعمارتها وتحرر حفر أساسها فى ست سنين وتكملت عمارتها فى ستين سنة وكان فيها صناع وفعلة سبعون

ألف نفس وارتفاعها بذراعهم مائة ذراع وراسه عشرة أذرع في مثله فعاش سور بد دهرا طويلا ومات ودفن في الهرم الشرقي وكان عمره

ان يدخل المدينة ويقول ان عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس انه حداد نقاش نجار فاذن له ان يرسله المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم في الشهر فجاء الى عمر يشتكي شدة الخراج فقال ما خراجك بكثير فانصرف ساخطا يتذمر فلبث عمر ليالي ثم دعاه فقال ألم أخبر انك تقول لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح فالتفت الى عمر عابسا وقال لاصنعن لك رحى يتحدث الناس بها فلما ولى قال عمر لاصحابه أوعدني العبد آنفا ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي راسين نصابه في وسطه فكمن بزاوية من زوايا المسجد في الغلس فلم يزل هنالك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات (أخرجه ابن سعد) وقال عمرو بن ميمون الانصاري ان أبا لؤلؤة عبد المغيرة طعن عمر بخنجر له رأسان وطعن معه اثني عشر رجلا مات منهم ستة فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا فلما اغتم فيه قتل نفسه وقال أبو رافع كان أبو لؤلؤة عبد المغيرة يصنع الارحاء وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم فلقي عمر فقال يا أمير المؤمنين ان المغيرة قد أثقل علي فكلمه فقال أحسن الى مولاك ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه فغضب وقال يسع الناس كلهم عدله غيري وأضمر قتله واتخذ خنجرا وشحذه وسمه وكان عمر يقول أقيموا صفوفكم قبل أن يكبر فجاء فقام حذاءه في الصف وضربه في كتفه وفي خاصرته فسقط عمر وطعن ثلاثة عشر رجلا معه فمات منهم ستة وحمل عمر الى أهله وكادت الشمس تطلع فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين وأتي عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين فسقوه لبنا فخرج من جرحه فقالوا لا بأس عليك فقال ان يكن بالقتل بأس فقد قتلت فجعل الناس يثنون عليه ويقولون كنت وكنت فقال أما والله وددت اني خرجت منها كفافا لا علي ولا لي وان صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لي وأثنى عليه ابن عباس فقال لو أن لي طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع وقد جعلتها شورى في عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وأمر صهيبا أن يصلي بالناس وأجل الستة ثلاثا (أخرجه الحاكم) وقال ابن عباس كان أبو لؤلؤة مجوسيا وقال عمرو بن ميمون قال عمر الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الاسلام ثم قال لابنه يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا ونحوها فقال ان وفى مال آل عمر فأده من أموالهم والا فاسئل في بني عدي فان لم تف أموالهم فاسئل في قريش اذهب الى أم المؤمنين عائشة فقل يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه فذهب اليها فقالت كنت أريده تعني المكان لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي فأتى عبد الله فقال قد أذنت فحمد الله تعالى وقيل له أوص يا أمير المؤمنين واستخلف قال ما أرى أحدا أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى الستة وقال يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الامر شيء فان أصابت الامرة سعدا فهو ذاك والا فليستعن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله من عجز ولا خيانة ثم قال أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله وأوصيه بالمهاجرين والانصار وأوصيه بأهل الامصار خيرا في مثل ذلك من الوصية فلما توفي خرجنا به نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال عمر يستأذن فقالت عائشة أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه فلما فرغوا من دفنه ورجعوا اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمري الى علي وقال سعد قد جعلت أمري الى عبد الرحمن وقال طلحة قد جعلت أمري الى عثمان قال فخلا هؤلاء الثلاثة فقال عبد الرحمن أنا لا أريدها فأيكما يبرأ من هذا الامر ونجعله اليه والله عليه والاسلام لينظرن أفضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الامة فسكت الشيخان علي وعثمان فقال عبد الرحمن اجعلوه الي والله علي لا آلو كم عن أفضلكم قالا نعم فخلا بعلي وقال لك من القدم في الاسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت الله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن قال نعم ثم خلا بالآخر فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه علي وفي مسند أحمد عن عمر انه قال ان أدركني أجلي وأبو عبيدة بن الجراح حي استخلفته فان سألني ربي قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل نبي أمينا وأميني أبو عبيدة بن الجراح فان

لما عمر الاهرام ستين سنة وملك بعده أخوه هرجيت فاتك وأقام على منهاج أخيه مائة وثلاثين سنة ثم مات ودفن بالهرم الغربي ثم ملك بعده ولد أخيه افروس بن سور بمائة وخمس عشرة سنة ومات ودفن بالهرم الصغير وهذا ذكره أبو معشر في كتاب الالوف وسببه انه وجده في كثير من كتب الكهنة مثل كتاب انطاجس وباهونه ومنسبه وميا كل واستيدس وفي كتاب محمد بن هرون العباسي مما نقله من كتاب علي بن محمد بن عبد الله بن حنون الطابري وكان السبب في ذلك انه وجد لبعض أهل مصر وهو رجل من القبط يقال له ابتميت كتاب بالقبطية في قرطاس على صدره وهو ميت من تحت أكفانه فيه مكتوب علم الاول ان هذا انتخبه فيليش اليوناني وهو أبو الاسكندر ذي القرنين ونسخه من صحيفة ذهب كاتبها بالقبطية مخرقة منثورة أخذها من أخوين قبطيين يقال لاحدهما امساول والآخر ربرثاوس ألهما عن سبب معرفتهما بهذه الكتابة فذكرا أنهما من ولد رجل آمن بنوح نبي الله عليه السلام وحمله في السفينة وورثا عنه علم الاول وكان تاريخ الصحيفة من حين كتبت الى أن أخرجت لفيليش ألفي سنة وتسعمائة سنة وخمسا وثمانين سنة ومن فيليش الى هذا

أدركني أجلي وقد توفي أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل فان سألني ربي لم استخلفته قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء نبذة وقدما تأتي خلافته وفي المسند أيضا عن أبي رافع انه قيل لعمر عند موته في الاستخلاف فقال قد رأيت من أصحابي حرصا سيئا ولو أدركني أحد رجلين ثم جعلت هذا الامر اليه لوثقت به سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجراح أصيب عمر يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة ودفن يوم الاحد مستهل المحرم الحرام وله ثلاث وستون سنة وقيل ست وستون سنة وقيل احدى وستون وقيل ستون ورجحه الواقدي وقيل تسع وخمسون وقيل خمس أو أربع وخمسون وصلى عليه صهيب في المسجد وفي تهذيب المزني كان نقش خاتم عمر كفى بالموت واعظا وأخرج الطبراني عن طارق بن شهاب قال قالت أم أيمن يوم قتل عمر اليوم وهى الاسلام وأخرج عن عبد الرحمن بن يسار (بشار) قال شهدت موت عمر بن الخطاب فانكسفت الشمس يومئذ (رجاله ثقات)

(فصل) في أوليات عمر قال العسكري هو أول من سمي أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ من الهجرة وأول من اتخذ بيت المال وأول من سن قيام شهر رمضان وأول من عس بالليل وأول من عاقب على الهجاء وأول من ضرب في الخمر ثمانين وأول من حرم المتعة وأول من نهى عن بيع أمهات الاولاد وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات وأول من اتخذ الديوان وأول من فتح الفتوح ومسح السواد وأول من حمل الطعام من مصر في بحر أيلة الى المدينة وأول من احتبس صدقة في الاسلام وأول من أعال الفرائض وأول من أخذ زكاة الخيل وأول من قال أطال الله بقاءك (قاله لعلي) وأول من قال أيدك الله (قاله لعلي) هذا آخر ما ذكره العسكري وقال النووي في تهذيبه هو أول من اتخذ الدرة وكذا ذكره ابن سعد في الطبقات قال ولقد قيل بعده لدرة عمر أهيب من سيفكم قال وهو أول من استقضى القضاة في الامصار وأول من مصر الامصار الكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومصر وموصل وأخرج ابن عساكر عن اسمعيل بن زياد قال مر علي بن أبي طالب على المساجد في رمضان وفيها القناديل فقال نور الله على عمر في قبره كما نور علينا في مساجدنا

(فصل) قال ابن سعد اتخذ عمر دار الدقيق فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج اليه يعين به المنقطع ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ينقطع به وهدم المسجد النبوي وزاد فيه ووسعه وفرشه بالحصباء وهو الذي أخرج اليهود من الحجاز الى الشام وأخرج أهل نجران الى الكوفة وهو الذي أخر مقام ابراهيم الى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت

(فصل) في نبذ من أخباره وقضاياه أخرج العسكري في الاوائل والطبراني في الكبير والحاكم من طريق ابن شهاب ان عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة لاي شئ كان يكتب من خليفة رسول الله في عهد أبي بكر ثم كان عمر كتب أولا من خليفة أبي بكر فمن أول من كتب من أمير المؤمنين فقال حدثتني الشفاء وكانت من المهاجرات ان أبا بكر كان يكتب من خليفة رسول الله وكان عمر يكتب من خليفة خليفة رسول الله حتى كتب عمر الى عامل العراق ان يبعث اليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله فبعث اليه لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم فقدما المدينة ودخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص فقالا استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال عمرو أنتما والله أصبتما اسمه فدخل عليه عمرو فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال ما بدا لك في هذا الاسم لتخرجن مما قلت فأخبره وقال أنت الامير ونحن المؤمنون فجرى الكتاب بذلك من يومئذ وقال النووي في تهذيبه سماه بهذا الاسم عدي بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من العراق وقيل سماه به المغيرة بن شعبة وقيل ان عمر قال للناس أنتم المؤمنون وانا أميركم فسمي أمير المؤمنين وكان قبل ذلك يقال له خليفة خليفة رسول الله فعدلوا عن تلك العبارة لطولها وأخرج ابن عساكر عن معاوية بن قرة قال كان يكتب من أبي بكر

الكتاب وهو سنة ثمان وسبعمائة للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام ألف وسبعمائة وثلاث وثمانون سنة يكون تاريخها الى الآن أربعة آلاف سنة وسبعمائة سنة وثمان وستين سنة ولو شرحنا ما في الصحيفة لطال الكتاب وفات الغرض وهذا ثمرة العلم والاجتهاد فيه (ولقد) أجاد كسرى أنوشروان في قوله اما أهل العلم والدين فلهم علينا ان نسمع منهم ونصدق قولهم ونرفع مراتبهم ونذب عنهم ونوسع لهم ما يصلح نفقتهم ونظهر صلاحهم ونثبت نزاهتهم وعفتهم (وقال أيضا) ان من الناس صنفا طلبوا الرآسة بالدين والتفقه فاشهروا أنفسهم لذلك وربما خالفوا بعض المخالفة ليتميزوا وانهم استطالوا على الناس وأذاعوا أسرار الشريعة وحقيقة التأويل والتفسير وغير ذلك للعوام والجهال حتى مالوا اليهم وانا لم نجد في ديننا فيما تقدم خلافا بين السلف ولا افتراقا الا في عهد سابور بن سابور فان أولئك المبتدعة أظهروا التفسير واختلاف التأويل وكان من عاقبة أمرهم ما كان من طلب الرئاسة واثارة الفتن حتى أطفأها الله برأي سابور وحزم التذكير الا لمن يوثق بعلمه ومعرفته وأمانته ومن تعدى ذلك عاقبه (ثم ينظر) في المتفقهة الذين ينتحلون البدعة ويدعون اليها ويخالفون ما عليه الجمهور ويردعهم ويفرق جمعهم وكذلك يمنع التعصب للمذاهب والمغالاة في ذلك فانها تؤدي الى فتن عظيمة وخطوب جسيمة

وقع له حكم من أحكام الشريعة لا يدركه عقله ولا يلحقه فهمه أسرع الى الطعن فيه ودبر فيه برأيه وهذه الطائفة وان كانت قليلة لكنها ذميمة ونكايتها أليمة وربما يزعمون ويوهمون ان الشرائع أمور موضوعة بازاء العامة دون الخاصة الذين هم منهم وان تفاصيله لا تستقر عند حاكم العقل ولو صح نظرهم وثبت ذكاهم لعلموا ان رتبة النبوة والشريعة مستعلية على مراتب الحكمة وانها تحصل بالامر الالهي لا بالكسب الاجتهادي فأنى تنتهي العقول البشرية الى معرفة المقادير الربانية فينبغي ان يحسم مادة هذه الطائفة ليشتغلوا بأنفسهم فانهم ان تفرغوا وضعوا للعامة بدعا متنوعة يسمونها حكمة ثم يدعون انهم يطلعون على أسرار الشريعة وأغوارها ومن تتبع أخبار المتقدمين علم ان أكثر البدع والفرق بهذا السبب ظهرت واشتهرت (فأما العلماء) وحفاظ الشريعة الذين على السنة فيجب على الملك احترامهم واكرامهم لانهم يحفظون قواعد الشرع الذي هو يحرسه ويذب عنه ويقاتل من يعانده فيرفع طبقاتهم على مقاديرهم من العلوم والتبحر فيها فأول علوم الشريعة علم القرآن ومعرفة تفسيره وتأويله وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وأسباب نزوله ثم علوم الحديث

خليفة رسول الله فلما كان عمر بن الخطاب أرادوا ان يقولوا خليفة خليفة رسول الله قال عمر هذا يطول قالوا لا ولكنا أمرناك علينا فأنت أميرنا قال نعم أنتم المؤمنون وأنا أميركم فكتب أمير المؤمنين وأخرج البخاري في تاريخه عن ابن المسيب قال أول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي وأخرج السلفي في الطيوريات بسند صحيح عن ابن عمر عن عمر انه أراد ان يكتب السنن فاستخار الله شهرا فأصبح وقد عزم له ثم قال اني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتابا فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله وأخرج ابن سعد عن شداد قال كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال اللهم اني شديد فليني واني ضعيف فقوني واني بخيل فسخني وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق عن عمر انه قال اني أنزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم من ماله ان أيسرت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فان أيسرت قضيت وأخرج ابن سعد عن ابن عمر ان عمر بن الخطاب كان اذا احتاج أتى صاحب بيت المال فاستقرضه فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه فيحتال له عمر وربما خرج عطاؤه فقضاه وأخرج ابن سعد عن ابن البراء بن معرور ان عمر خرج يوما حتى أتى المنبر وكان قد اشتكى شكوى فنعت له العسل وفي بيت المال عكة فقال ان أذنتم لي فيها أخذتها والا فهي علي حرام فأذنوا له وأخرج عن سالم بن عبد الله ان عمر كان يدخل يده في دبرة البعير ويقول اني لخائف أن أسأل عما بك وأخرج عن ابن عمر قال كان عمر اذا أراد ان ينهى الناس عن شيء تقدم الى أهله فقال لا أعلمن أحدا وقع في شيء مما نهيت عنه الا أضعفت عليه العقوبة وروينا من غير وجه ان عمر بن الخطاب خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة وكان يفعل ذلك كثيرا اذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقا عليها بابها وهي تقول شعر

تطاول هذا الليل تسري كواكبه * وأرقني أن لا ضجيع ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه * لزحزح من هذا السرير جوانبه
ولكنني أخشى رقيبا موكلا * بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه
مخافة ربي والحياء يصدني * وأكرم بعلي أن تنال مراتبه

فكتب الى عماله بالغزو أن لا يغيب أحد أكثر من أربعة أشهر وأخرج ابن سعد عن زاذان عن سلمان ان عمر قال له أملك أنا أم خليفة فقال له سلمان ان انت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة فاستعبر عمر وأخرج عن سفيان بن أبي العرجاء قال قال عمر بن الخطاب والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك فان كنت ملكا فهذا أمر عظيم فقال قائل يا أمير المؤمنين ان بينهما فرقا قال ما هو قال الخليفة لا يأخذ الا حقا ولا يضعه الا في حق وأنت بحمد الله كذلك والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا فسكت عمر وأخرج عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ركب عمر فرسا فانكشف ثوبه عن فخذه فرأى أهل نجران بفخذه شامة سوداء فقالوا هذا الذي نجد في كتابنا انه يخرجنا من أرضنا وأخرج عن سعد الجاري ان كعب الاحبار قال لعمر انا نجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها فاذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها الى يوم القيامة وأخرج عن أبي معشر قال حدثنا أشياخنا ان عمر قال ان هذا الامر لا يصلح الا بالشدة التي لا جبرية فيها وباللين الذي لا وهن فيه وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن حكيم ابن عمير قال كتب عمر بن الخطاب ألا لا يجلدن أمير جيش ولا سرية أحدا الحد حتى يطلع الدرب لئلا تحمله حمية الشيطان أن يلحق بالكفار وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن الشعبي قال كتب قيصر الى عمر بن الخطاب ان رسلي أتتني من قبلك فزعمت ان قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الشجر تخرج مثل آذان الحمير ثم تنشق عن مثل اللؤلؤ ثم تخضر فيكون كالزمرد الاخضر ثم تحمر فيكون كالياقوت الاحمر ثم ينع فينضج فيكون كأطيب فالوذج أكل ثم ييبس فيكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر فان تكن رسلي صدقتني فلا أدري هذه

الشجرة الامن شجر الجنة فكتب اليه عمر من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى قيصر ملك الروم ان رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا هي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى الاها من دون الله فان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب الآية وأخرج ابن سعد عن ابن عمر ان عمر أمر عماله فكتبوا أموالهم منهم سعد بن أبي وقاص فشاطرهم عمر في أموالهم فأخذ نصفا واعطاهم نصفا وأخرج عن الشعبي ان عمر كان اذا استعمل عاملا كتب ماله وأخرج عن أبي امامة بن سهل بن حنيف قال مكث عمر زمانا لا يأكل من مال بيت المال شيا حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة فأرسل الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشارهم فقال قد شغلت نفسي في هذا الامر فما يصلح لى منه فقال على غداء وعشاء فاخذ بذلك عمر وأخرج عن ابن عمر أن عمر حج سنة ٢٣ فانفق في حجته ستة عشر دينارا فقال يا عبد الله أسرفنا في هذا المال وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن قتادة والشعبي قال جاءت عمر امرأة فقالت زوجي يقوم الليل ويصوم النهار فقال عمر لقد أحسنت الثناء على زوجك فقال كعب بن سوار لقد شكت فقال عمر كيف قال تزعم انه ليس لها من زوجها نصيب قال فاذا قد فهمت ذلك فاقض بينهما فقال يا أمير المؤمنين أحل الله له من النساء أربعا فلها من كل أربعة أيام يوم ومن كل أربع ليال ليلة وأخرج عن ابن جريج قال أخبرني من أصدقه ان عمر بينما هو يطوف سمع امرأة تقول شعرا

تطاول هذا الليل واسود جانبه * وأرقني أن لا خليل ألاعبه
فلولا حذار الله لا شئ مثله * لزحزح من هذا السرير جوانبه

فقال عمر ومالك قالت أغزيت زوجي منذ أشهر وقد اشتقت اليه قال أردت سوأ قالت معاذ الله قال فاملكى عليك نفسك فانما هو البريد اليه فبعث اليه ثم دخل على حفصة فقال انى سائلك عن أمر قد أهمني فافرجيه عنى كم تشتاق المرأة الى زوجها فخفضت رأسها واستحيت قال فان الله لا يستحيي من الحق فاشارت بيدها ثلاثة أشهر والا فاربعة أشهر فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر وأخرج عن جابر بن عبد الله انه جاء الى عمر يشكو اليه ما يلقى من النساء فقال عمر انا لنجد ذلك حتى انى لاريد الحاجة فتقول لى ما تذهب الا الى فتيات بنى فلان تنظر اليهن فقال له عبد الله بن مسعود أما بلغك ان ابراهيم عليه السلام شكا الى الله خلق سارة فقيل له انها خلقت من ضلع فالبسها على ما كان فيها مالم تر عليها خربة في دينها وأخرج عن عكرمة بن خالد قال دخل ابن لعمر ابن الخطاب عليه وقد ترجل ولبس ثيابا حسانا فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه فقالت له حفصة لم ضربته قال رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت ان أصغرها اليه وأخرج عن معمر عن ليث بن أبي سليم ان عمر بن الخطاب قال لا تسموا الحكم ولا أبا الحكم فان الله هو الحكم ولا تسموا الطريق السكة وأخرج البيهقي في شعب الايمان عن الضحاك قال قال أبو بكر والله لوددت انى كنت شجرة الى جنب الطريق فمر على بعير فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني ثم أخرجني بعرا ولم أكن بشرا فقال عمر ياليتني كنت كبش أهلى سمنوني ما بدا لهم حتى اذا كنت كأسمن ما يكون زارهم من يحبون فذبحوني لهم فجعلوا بعضي شواء وبعضي قديدا ثم أكلوني ولم أكن بشرا وأخرج ابن عساكر عن أبي البختري قال كان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر فقام اليه الحسين بن على رضى الله عنه فقال انزل عن منبر أبي فقال عمر منبر أبيك لا منبر أبي من أمرك بهذا فقام على فقال والله ما أمره بهذا أحد أما لاوجعنك يا غدر فقال لا توجع ابن أخي فقد صدق منبر أبيه اسناده صحيح وأخرج الخطيب في الرواة عن مالك من طريقه عن أبي شهاب عن ابي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا يتنازعان في المسئلة بينهما حتى يقول الناظر انهما لا يجتمعان أبدا فما يفترقان الا على أحسنه وأجمله وأخرج ابن سعد عن الحسن قال أول خطبة خطبها عمر حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فقد ابتليت بكم وابتليتم بي وخلفت فيكم بعدى صاحبي فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ومن غاب عنا وليناه أهل

النبوى ومعانيها ولغاتها وأسبابها ومعرفة رواتها وتخريجهم وتعديلهم ومعرفة المرسل من المسند ومن (٥٥) روى الحديث ورجع عنه أو تشكك فيه ومن روى بضد ما روى ومعرفة اجماع الصحابة ومن روى منهم ومن أفتى ثم علم أصول الدين هو وان كان مما يجب تقديمه لان شرف العلم بشرف معلومه لكنه يبنى على الشرع الذى هو كتاب الله وسنة رسوله فينبغى أن يكون الاصولى عالما بالنصوص الشرعية والادلة البرهانية العقلية فيبين الحدود والرسوم ويذكر الادلة على تفصيل العقائد الشرعية وهى العلم بذات الله تعالى وصفاته وأسمائه وما يجوز اطلاقه من ذلك وما لا يجوز وتأويل ما يحتاج الى التأويل ومعرفة النبوة والرسالة وحقيقة الوحى والخطاب والكلام ووصف المعجزة والفرق بينها وبين الكرامة والكهانة ومعرفة الجائز والواجب والمستحيل ومعرفة اليوم الآخر وما وعدت به الاخبار الصادقة من عذاب القبر والجنة والنار ومعرفة الامامة والخلافة كل ذلك من لوازم أصول الدين ثم أصول الفقه فيكون عارفا باللغة والنحو والاصطلاح فيطلع على معانى النصوص فان تحريف الاحكام لم يكن الا من الجهل بذلك فاذا عرف الناسخ والمنسوخ والمنطوق والمفهوم والخاص والعام واحكام ذلك أمكنه ان يبنى على ذلك الاحكام الشرعية والاقيسة الصحيحة ثم علم الفروع وهو معرفة فرائض العبادات وهيآتها وتكميلاتها

القوة والامانة ومن يحسن نزده حسنا ومن يسئ نعاقبه ويغفر الله لنا ولكم وأخرج عن جبير بن الحويرث ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الدوان فقال له علي تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيا وقال عثمان أرى مالا كثيرا يسع الناس وان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت ان يلتبس الامر فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا اجنودا فدون ديوانا وجند جنودا فاخذ بقوله فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من نساب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا فبدؤا ببني هاشم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ثم عمر وقومه على الخلافة فلما نظر فيه عمر قال ابدؤا بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله وأخرج عن سعيد بن المسيب قال دون عمر الدوان في المحرم سنة عشرين وأخرج عن الحسن قال كتب عمر الى حذيفة أن أعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم فكتب اليه انا قد فعلنا وبقي شئ كثير فكتب اليه عمر انه فيؤهم الذي أفاء الله عليهم ليس هو لعمر ولا لآل عمر اقسمه بينهم وأخرج ابن سعد عن جبير ابن مطعم قال بينما عمر واقف على جبال عرفة سمع رجلا يصرخ ويقول يا خليفة يا خليفة فسمعه رجل آخر وهم يعتافون فقال مالك ذلك الله لهواتك فاقبلت على الرجل فصحت عليه فقال جبير فاني الغد واقف مع عمر على العقبة يرميها اذ جاءت حصاة عائرة (عايرة) فنفقت رأس عمر ففصدت فسمعت رجلا من الجبل يقول أشعرت ورب الكعبة لا يقف عمر هذا الموقف بعد العام أبدا قال جبير فاذا هو الذي صرخ فينا بالامس فاشتد ذلك علي وأخرج عن عائشة رضي الله عنها قالت لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين اذ صدرنا عن عرفة مررت بالمحصب فسمعت رجلا على راحلته يقول أين كان عمر أمير المؤمنين فسمعت رجلا آخر يقول ههنا كان أمير المؤمنين فاناخ راحلته ثم رفع عقيرته فقال شعر

عليك سلام من امام وباركت * يد الله في ذاك الاديم الممزق * فمن يسع أو يركب جناحي نعامة
ليدرك ما قدمت بالامس يسبق * قضيت أمورا ثم غادرت بعدها * بوائق في أكمامها لم تفتق

فلم يتحرك ذلك الراكب ولم يدر من هو فكنا نحدث انه من الجن فقدم عمر من تلك الحجة فطعن بالخنجر فمات وأخرج عن عبد الرحمن بن أبزى عن عمر انه قال هذا الامر في أهل بدر ما بقي منهم أحد ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد وفي كذا وكذا وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شئ وأخرج عن النخعي ان رجلا قال لعمر الا تستخلف عبد الله بن عمر فقال قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا استخلف رجلا لم يحسن ان يطلق امرأته وأخرج عن شداد بن أوس عن كعب قال كان في بني اسرائيل ملك اذا ذكرناه ذكرنا عمر واذا ذكرنا عمر ذكرناه وكان الى جنبه نبي يوحى اليه فأوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول له اعهد عهدك واكتب الى وصيتك فانك ميت الى ثلاثة أيام فاخبره النبي بذلك فلما كان اليوم الثالث وقع بين الجدار والسرير ثم جاء الى ربه فقال اللهم ان كنت تعلم اني كنت أعدل في الحكم واذا اختلفت الامور اتبعت هداك وكنت وكنت فزدني في عمري حتى يكبر طفلي وتربو أمتي فأوحى الله الى النبي انه قد قال كذا وكذا وقد صدق وقد زدته في عمره خمس عشرة سنة ففي ذلك ما يكبر طفله وتربو أمته فلما طعن عمر قال كعب لئن سأل عمر ربه ليبقينه الله فاخبر بذلك عمر فقال اللهم اقبضني اليك غير عاجز ولا ملوم وأخرج عن سليمان بن يسار ان الجن ناحت على عمر وأخرج الحاكم عن مالك بن دينار قال سمع صوت بجبل تبالة حين قتل عمر رضي الله عنه شعر

ليبك على الاسلام من كان باكيا * فقد أوشكوا صرعى وما قدم العهد
وأدبرت الدنيا وأدبر خيرها * وقد ملها من كان يوقن بالوعد

وأخرج ابن أبي الدنيا عن يحيى بن أبي راشد البصري قال قال عمر لابنه اقتصد في كفني فانه ان كان لي عند الله خير أبدلني ما هو خير منه وان كنت على غير ذلك سلبني فاسرع سلبي واقتصد في حفرتي فانه ان كان لي

والمعاملات وعقودها وفسوخها والمناكحات ومباحها ومحظورها والجنايات وعقوباتها والاقضية وحكوماتها ثم يخرج من ذلك الى علم الخلاف وعلم الجدل وهي علوم متأخرة عنها في الرتبة ومستنبطة منها ومن ذلك علم اللغة والنحو وهو علم شريف يضطر اليه في شرح الالفاظ لتحقيق المعاني ومن العلوم علوم شريفة ينتفع بها ويحتاج اليها كعلم الطب وعلم الحساب والمساحة وعلم الاوقات والازمان فمن تمام رونق المملكة اشتمالها على أئمة في هذه العلوم فما أضيع دولة قل علماؤها فانها ينقطع ذكرها عند انقضاء أيامها (وكان) المعتضد بالله لما بنى قصوره المعروفة بالشماسية ورتبها له المهندسون زاد في ذرعها فوق الذي اختطوه كثيرا فسئل عن ذلك فقال أريد أن أتخذ حولي مساكن وغرفا اسكنها رؤس العلماء والفضلاء من كل فن وأجري عليهم الادرارات وما يحتاجون اليه من النفقات وكل من أراد ان يشتغل بنوع من العلوم قصد ذلك الامام واشتغل عليه وحصل منه بغير تعب ولا مؤنة وكان مقصوده انتشار العلم والزيادة في الفضائل ولو مد له في العمر حتى يتم ذلك لكان قد خلد ذكرا باقيا وجدد للعلوم والفضائل رونقا باقيا الا ترى الى المأمون لما قال بالتنجيم قوي أمر الشيعة في زمنه وكاد ان يخرج الخلافة من بيته وكذلك كان يشتغل بعلم النحو واتخذ الرصد فصنف له الزيج المأموني وظهر في زمانه

عند

عند الله خير أوسع لي فيهما مد بصري وان كنت على غير ذلك ضيقها على حتى تختلف أضلاعي ولا تخرج معي امرأة ولا تزكوني بما ليس في فان الله هو أعلم بي فاذا أخرجتم فاسرعوا في المشي فانه ان كان لي عند الله خير قدمتموني الى ما هو خير لي وان كنت على غير ذلك ألقيتم عن رقابكم شرا تحملونه

(فصل) أخرج ابن عساكر عن ابن عباس ان العباس قال سألت الله حولا بعد ما مات عمر أن يرينيه في المنام فرأيته بعد حول وهو يسلت العرق عن جبينه فقلت بابي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ما شأنك فقال هذا أوان فرغت وان كاد عرش عمر ليهد لولا أني لقيت رؤفا رحيما وأخرج أيضا عن زيد بن أسلم ان عبد الله بن عمرو بن العاص رأى عمر في المنام فقال كيف صنعت قال متى فارقتكم قال منذ اثنتي عشرة سنة قال انما انفلت الآن من الحساب وأخرج ابن سعد عن سالم بن عبد الله بن عمر قال سمعت رجلا من الانصار يقول دعوت الله أن يريني عمر في المنام فرأيته بعد عشر سنين وهو يمسح العرق عن جبينه فقلت يا أمير المؤمنين ما فعلت قال الآن فرغت ولولا رحمة ربي لهلكت وأخرج الحاكم عن الشعبي قال رثت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عمر فقالت شعرا

عين جودي بعبرة ونحيب * لا تملي على الامام الصليب
فجعتني المنون بالفارس المعلم يوم الهياج والتأنيب * عصمة الدين والمعين على الدهر وغيث الملهوف والمكروب
قل لاهل الضراء والبؤس موتوا * اذ سقتنا المنون كاس شعوب

(فصل) مات في أيام عمر رضي الله عنه من الاعلام عتبة بن غزوان والعلاء بن الحضرمي وقيس بن السكن وأبو قحافة والد الصديق وسعد بن عبادة وسهيل بن عمرو وابن أم مكتوم المؤذن وعياش بن أبي ربيعة وعبد الرحمن أخو الزبير بن العوام وقيس بن أبي صعصعة أحد من جمع القرآن ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وأخوه أبو سفيان ومارية أم السيد ابراهيم وأبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل ابن حسنة والفضل بن العباس وأبو جندل بن سهيل وأبو مالك الاشعري وصفوان بن المعطل وأبي بن كعب وبلال المؤذن وأسيد بن الحضير والبراء بن مالك أخو أنس وزينب بنت جحش وعياض بن غنم وأبو الهيثم بن التيهان وخالد بن الوليد والجارود سيد بني عبد القيس والنعمان بن مقرن وقتادة بن النعمان والاقرع بن حابس وسودة بنت زمعة وعويم بن ساعدة وغيلان الثقفي وأبو محجن الثقفي وخلائق آخرون من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

(عثمان بن عفان رضي الله عنه)

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب القرشي الاموي أبو عمرو ويقال أبو عبد الله وأبو ليلى ولد في السنة السادسة من الفيل وأسلم قديما وهو ممن دعاه الصديق الى الاسلام وهاجر الهجرتين الاولى الى الحبشة والثانية الى المدينة وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وماتت عنده في ليالي غزوة بدر فتأخر عن بدر لتمريضها باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب له بسهمه وأجره فهو معدود في البدريين بذلك وجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دفنوها بالمدينة فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها اختها أم كلثوم وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة قال العلماء ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ولذلك سمي ذا النورين فهو من السابقين الاولين وأول المهاجرين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن بل قال ابن عباد لم يجمع القرآن من الخلفاء الا هو والمأمون وقال ابن سعد استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوته الى ذات الرقاع والى غطفان روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وستة وأربعون حديثا روى عنه زيد بن خالد الجهني وابن

فضلاء من المنجمين مثل ابي معشر وغيره وقد قيل ان الناس على دين الملك فاذا اشتغل بامر العلم والعلماء أو بفن من الفنون كثر في زمانه وذكر في سيرته (وكان الناس) في زمن يزيد وسليمان يلقى أحدهم صاحبه فيقول له كيف كانت ليلتك وكيف غنت جاريتك ومن كانت قينتك ثم في زمن عمر بن عبد العزيز يلقى أحدهم صاحبه فيقول كم صليت البارحة ومتى نمت ومتى قمت الى وردك وما الذي قرأت من القرآن ثم في زمن مروان بن محمد يقول هذا لهذا كم أنفقت على قصرك وما ارتفاع مجلسك وجدارك واجارك على الرسم في متابعة الملوك واقتفاء آثارهم فالملك السعيد الذي يتبع الحامد ويقتفي الناس أثره فيخلد في الخير ذكره

(الباب الثامن في سيرة الملك مع العباد والنساك والزهاد وقبول نصائحهم)

ينبغي للملك ان يبلغ الغاية القصوى في احترام النساك والعباد والزهاد الذين تخلوا عن الدنيا وشواغلها وأقبلوا على العبادة والتبتل فانهم ملوك بالطابع وهممهم أعلى لاختيارهم وسعيهم لنيل الملك الادوم وما زالت الملوك على هذا في الزمن الاول الا الدول الظالمة والجاهلة (قال الله تعالى) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية وقال عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع وغير ذلك من الآيات والاخبار الواردة في حق الزهاد وقال عليه السلام رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله

الزبير والسائب بن يزيد وأنس بن مالك وزيد بن ثابت وسلمة بن الاكوع وأبو امامة الباهلي وابن عباس وابن عمرو وعبد الله بن مغفل وأبو قتادة وأبو هريرة وآخرون من الصحابة رضي الله عنهم وخلائق من التابعين أخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن حاطب قال ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حدث أتم حديثا ولا أحسن من عثمان بن عفان الا أنه كان رجلا يهاب الحديث وأخرج عن محمد بن سيرين قال كان أعلمهم بالمناسك عثمان وبعده ابن عمر وأخرج البيهقي في سننه عن عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي قال قال لي خالي حسين الجعفي تدري لم سمي عثمان ذا النورين قلت لا قال لم يجمع بين ابنتي نبي منذ خلق الله آدم الى أن تقوم الساعة غير عثمان فلذلك سمي ذا النورين وأخرج أبو نعيم عن الحسن قال انما سمي عثمان ذا النورين لانه لا نعلم أحدا أغلق بابه على ابنتي نبي غيره وأخرج خيثمة في فضائل الصحابة وابن عساكر عن علي بن أبي طالب انه سئل عن عثمان فقال ذاك أمرؤ يدعى في الملأ الاعلى ذا النورين كان ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه وأخرج الماليني بسند فيه ضعف عن سهل بن سعد قال قيل لعثمان ذو النورين لانه ينتقل من منزل الى منزل في الجنة فتبرق له برقتين فلذلك قيل له ذلك قال انه كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو فلما كان الاسلام ولدت له رقية عبد الله فاكتنى به وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم توأمة أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأم عثمان بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق وكان أول الناس اسلاما بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة وأخرج ابن عساكر من طرق ان عثمان كان رجلا ربعة ليس بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه ابيض مشربا بصفرة (حمرة) بوجهه نكتات جدري كثير اللحية عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين خدل الساقين طويل الذراعين شعره قد كسا ذراعيه جعد الرأس اصلع أحسن الناس ثغرا جمته أسفل من اذنيه يخضب بالصفرة وكان قد شد أسنانه بالذهب وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن حزم المازني قال رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قط ذكرا ولا انثى أحسن وجها منه وأخرج عن موسى بن طلحة قال كان عثمان بن عفان أجمل الناس وأخرج ابن عساكر عن اسامة بن زيد قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزل عثمان بصحفة فيها لحم فدخلت فاذا رقية رضي الله عنها جالسة فجعلت مرة انظر الى وجه رقية ومرة أنظر الى وجه عثمان فلما رجعت سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي دخلت عليهما قلت نعم قال فهل رأيت زوجا أحسن منهما قلت لا يا رسول الله وأخرج ابن سعد عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي قال لما أسلم عثمان بن عفان أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محدث والله لا أدعك ابدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه ابدا ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه وأخرج أبو يعلى عن انس قال أول من هاجر من المسلمين الى الحبشة باهله عثمان بن عفان فقال النبي صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ان عثمان لاول من هاجر الى الله باهله بعد لوط وأخرج ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته أم كلثوم بعثمان قال لها ان بعلك اشبه الناس بجدك ابراهيم وابيك محمد وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نشبه عثمان بابينا ابراهيم

فصل في الاحاديث الواردة في فضله غير ما تقدم أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال ألا استحيي من رجل تستحيي منه الملائكة وأخرج البخاري عن أبي عبد الرحمن السلمي ان عثمان حين حوصر اشرف عليهم فقال انشدكم بالله ولا انشد الا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فحفرتها فصدقوه بما قال وأخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان يا رسول

لايره وكذلك لم يزل في كل ملة طائفة تلازم البيع وبيوت العبادات وتلازم أيضا الزهد وتكثر من التقليل على أنفسهم وتزهد عما في أيدي الناس وترك الدنيا وملوك العصر يحترمونهم والعامة يعظمونهم ويتبركون بدعائهم ويستسقي الغيث باستسقائهم ومثلهم في الدنيا خدم الملك وخاصته المشتغلون بأموره الخاصة فيجب رعايتهم والعناية بهم والخوف من تغير خواطرهم وموداتهم وانصراف هممهم وعلى هذا القياس (ويجب على الملك الرشيد ان يقبل نصائحهم ويسمع مواعظهم ويرجع الى اشاراتهم واذا كان فيهم صاحب رأي وعقل ومعرفة وتجربة وقد تخلى عن الدنيا واشتغل بالله تعالى يسمع من اشارته في أموره ويرجع الى رأيه ومن صبر على خشونة الموعظة ومضض الزجر يحمد عاقبة ذلك (دخل ابن السماك على المنصور فقال له عظني فوعظه موعظة بالغة قال في آخرها أسألك لو عطشت يوما حتى أشرف بك العطش على التلف ومنعت من الماء الا بنصف ملكك أكنت تسمح به قال نعم قال فلما شربتها امتنعت أن تخرج الا بنصف ملكك الثاني أكنت تسمح قال نعم قال فما الاغترار بملك قيمته بولة (ونقل) أن المنصور لما حج طاف بالبيت ليلة فسمع قائلا يقول وهو متعلق باستار الكعبة اللهم اني أشكو اليك ظهور الفساد والبغي في الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع قال فجلس المنصور في ناحية من المسجد ثم أرسل الى الرجل يدعوه

الله على مائة بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يارسول الله على مائتا بعير باحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يارسول الله على ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ما على عثمان ما عمل بعد هذه وأخرج الترمذي عن أنس والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين وأخرج الترمذي عن أنس قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة فبايع الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لانفسهم وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان وأخرج الترمذي والحاكم وصححه وابن ماجه عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة يقربها فمر رجل مقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه فاذا هو عثمان بن عفان فأقبلت اليه بوجهه فقلت هذا قال نعم وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان انه لعل الله يقمصك قميصا فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني وأخرج الترمذي عن عثمان انه قال يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا فانا صابر عليه وأخرج الحاكم عن أبي هريرة قال اشترى عثمان الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين حيث حفر بئر رومة وحيث جهز جيش العسرة وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عثمان من أشبه أصحابي بي خلقا وأخرج الطبراني عن عصمة بن مالك قال لما ماتت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجوا عثمان لو كان لي ثالثة لزوجته وما زوجته الا بالوحي من الله وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعثمان لو أن لي أربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وأخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مر بي عثمان وعندي ملك من الملائكة فقال شهيد يقتله قومه انا نستحي منه وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله وأخرج ابن عساكر عن الحسن انه ذكر عنده حياء عثمان فقال ان كان ليكون جوف البيت والباب عليه مغلق فيضع ثوبه ليفيض عليه الماء فيمنعه الحياء أن يرفع صلبه

(فصل في خلافته) بويع بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث ليال فروى ان الناس كانوا يجتمعون في تلك الايام الى عبد الرحمن بن عوف يشاورونه ويناجونه فلا يخلو به رجل ذو رأي فيعدل بعثمان أحدا ولما جلس عبد الرحمن للمبايعة حمد الله وأثنى عليه وقال في كلامه اني رأيت الناس يأبون الا عثمان (أخرجه ابن عساكر عن المسور ابن مخرمة) وفي رواية أما بعد يا علي فاني قد نظرت في الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلا ثم أخذ بيد عثمان فقال نبايعك على سنة الله وسنة رسوله وسنة الخليفتين بعده فبايعه عبد الرحمن وبايعه المهاجرون والانصار وأخرج ابن سعد عن أنس قال ارسل عمر الى أبي طلحة الانصاري قبل أن يموت بساعة فقال كن في خمسين من الانصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى فانهم فيما أحسب سيجتمعون في بيت فقم على ذلك الباب باصحابك فلا تترك أحدا يدخل عليهم ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم وفي مسند أحمد عن أبي وائل قال قلت لعبد الرحمن بن عوف كيف بايعتم عثمان وتركتم عليا قال ما ذنبي قد بدأت بعلي فقلت أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر فقال فيما استطعت ثم عرضت ذلك على

خفاء وسلم عليه بالخلافة فقال له ما الذي سمعتك تقول في ظهور البغي والفساد وما يحول بين الحق وأدله من الطامع فوالله لقد حشوت مسامعي ما اقلقني وأمرضني فقال يا أمير المؤمنين ان امنتني على نفسي انبأتك بذلك والا فالمعذرة الى الله ثم اليك ولي في نفسي شغل شاغل قال أنت آمن وهذه يدي فقال ان الذي داخله الطمع حتى حال بينه وبين اصلاح ما ظهر من البغي والفساد لأنت يا أمير المؤمنين فقال ويحك فكر فيما تقول كيف يداخلني الطمع والدنيا عندي قال ان الله تعالى استرعاك أمر عباده أبشارهم وأموالهم فجعلت بينك وبينهم حجابا من الحصن بالجص والآجر والابواب الحديد وحراسا معهم السلاح ثم سجنت نفسك دونهم وجعلت عمالك لجباية الخراج والاموال وضيقت حجابك فلم يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان ولم يصل اليك المظلوم والملهوف ولا أحد الا وله في بيت المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا عنك تجبي الاموال اليك فتجمعها قالوا هذا قد خان ولم يقسم الاموال كما أمر الله ورسوله فما لنا لا نخونه واتفقوا على أن لا يصل اليك من الناس الا من أرادوه ولا يتقرب اليك أحد الا من اختاروه ثم لم يتقرب اليك أحد بامانة الا خونوه ولا بديانة الا فسقوه حتى سقطت منازل أهل الخير عندك وارتفعت منازلهم فعظمهم الناس وهابوهم وصانعوهم وكان

عثمان فقال نعم وروى ان عبد الرحمن قال لعثمان خلوة ان لم أبايعك فمن تشير علي قال علي وقال لعلي ان لم أبايعك فمن تشير علي قال عثمان ثم دعا الزبير فقال ان لم أبايعك فمن تشير علي قال علي أو عثمان ثم دعا سعدا فقال من تشير علي فأما أنا وأنت فلا نريدها فقال عثمان ثم استشار عبد الرحمن الاعيان فرأى هوى أكثرهم في عثمان وأخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لما بويع عثمان أمرنا خير من بقي ولم نأل وفي هذه السنة من خلافته فتحت الري وكانت فتحت وانتقضت وفيها أصاب الناس رعاف كثير فقيل لها سنة الرعاف وأصاب عثمان رعاف حتى تخلف عن الحج وأوصى وفيها فتح من الروم حصون كثيرة وفيها ولى عثمان الكوفة سعد بن أبي وقاص وعزل المغيرة وفي سنة خمس وعشرين عزل عثمان سعدا عن الكوفة وولى الوليد ابن عقبة بن أبي معيط وهو صحابي أخو عثمان لامه وذلك أول ما نقم عليه لانه آثر أقاربه بالولايات وحكى ان الوليد صلى بهم الصبح أربعا وهو سكران ثم التفت اليهم فقال أزيدكم وفي سنة ست وعشرين زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه واشترى أماكن للزيادة وفيها فتحت سابور وفي سنة سبع وعشرين غزا معاوية قبرس فركب البحر بالجيوش وكان معهم عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان الانصارية فسقطت عن دابتها فماتت شهيدة هنالك وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها بهذا الجيش ودعا لها أن تكون منهم فدفنت بقبرس وفيها فتحت أرجان ودار بجرد وفيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد ابن أبي سرح فغزا افريقية فافتتحها سهلا وجبلا فأصاب كل انسان من الجيش ألف دينار وقيل ثلاثة آلاف دينار ثم فتحت الاندلس في هذا العام (لطيفة) كان معاوية يلح على عمر بن الخطاب في غزوة قبرس وركوب البحر لها فكتب عمر الى عمرو بن العاص أن صف لي البحر وراكبه فكتب اليه اني رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ان ركد خرق القلوب وان تحرك أراع العقول تزداد فيه العقول قلة والسيئات كثرة وهم فيه كدود على عود ان مال غرق وان نجا برق فلما قرأ عمر الكتاب كتب الى معاوية والله لا أحمل فيه مسلما أبدا قال ابن جرير فغزا معاوية قبرس في أيام عثمان فصالحه أهلها على الجزية وفي سنة تسع وعشرين فتحت اصطخر عنوة وفسا وغير ذلك وفيها زاد عثمان في مسجد المدينة ووسعه وبناه بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة وسقفه بالساج وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع وفي سنة ثلاثين فتحت جور وبلاد كثيرة من أرض خراسان وفتحت نيسابور صلحا وقيل عنوة وطوس وسرخس كلاهما صلحا وكذا مرو وبيهق ولما فتحت هذه البلاد الواسعة كثر الخراج على عثمان وأتاه المال من كل وجه حتى اتخذ له الخزائن وأدر الارزاق وكان يأمر للرجل بمائة ألف بدرة في كل بدرة أربعة آلاف أوقية وفي سنة احدى وثلاثين البياض في الاصل وفي سنة خمس وثلاثين كان مقتل عثمان * قال الزهري ولي عثمان الخلافة اثنتي عشرة سنة يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيأ وانه لاحب الى قريش من عمر بن الخطاب لان عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم ثم توانى في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الاواخر وكتب لمروان بخمس افريقية وأعطى أقرباءه وأهل بيته المال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها وقال ان أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما واني أخذته فقسمته في أقربائي فأنكر الناس عليه ذلك (أخرجه ابن سعد) وأخرج ابن عساكر من وجه آخر عن الزهري قال قلت لسعيد بن المسيب هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان وما كان شأن الناس وشأنه ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال ابن المسيب قتل عثمان مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذورا فقلت كيف كان ذلك قال ان عثمان لما ولي كره ولايته نفر من الصحابة لان عثمان كان يحب قومه فولي الناس اثنتي عشرة سنة وكان كثيرا ما ولي بني أمية ممن لم يكن له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد وكان عثمان يستعتب فيهم فلا يعزلهم وذلك في سنة خمس وثلاثين فلما كان في الست الاواخر استأثر بني عمه فولاهم وما أشرك معهم وأمرهم بتقوى الله فولى عبد الله بن أبي سرح

أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليقووا بهم على ظلم الرعية ثم اقتدى بذلك ذوو الثروة من رعيتك لينالوا الظلم من هو دونهم فامتلأت بلاد الله بغيا وفسادا وصار هؤلاء شركاءك وأنت غافل فان جاء متظلم أحيل بينه وبينك وأما الشخص الذي وليته المظالم فانه لا يقدر أن يكشف شيأ يتعلق بهؤلاء المتقربين منك ولا يمكنه أن ينهى ظلمهم اليك فاذا ركبت وصرخ بين يديك المظلوم طرده الاعوان وأسكتوه فان رفقت به وسمعت ظلامته رددته الى القاضي أو الى الوالي أو الى نائبك وسقت دابتك فان زاد في قوله أو تبعك أو رام التقرب اليك ضربه الاعوان ضربا مؤلما وما شكواه الا من الذين رددته اليهم وقلة انصافهم وان بقاء الاسلام مع هذا الحال لقليل أليس الله بمطلع أليس عقوبته شديدة وقد كنت في حداثتي يا أمير المؤمنين أسافر الى بلاد الصين فاتفق ان ملكهم أصيب في سمعه ولم تنجع فيه الادوية فبكى فسئل عن ذلك فقال حزني على انقطاع سماع المظلوم واغاثة الملهوف ولكن ان فاتني السمع فقد بقي البصر ثم أمر مناديه ينادي في الناس من كان متظلما فليلبس ثوبا أحمر وكان يجلس في روشن عال مطل على العامة فهذا يا أمير المؤمنين كافر بلغت رأفته بالمشركين هذا المبلغ وأنت مؤمن بالله من أهل بيت النبوة فلا يغلبنك على رأفتك بالمسلمين شح نفسك ثم تلا ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون

مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه وقد كان قبل ذلك من عثمان هناة الى عبد الله ابن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر فكانت بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لحال ابن مسعود وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح فكتب اليه كتابا يتهدده فيه فأبى ابن أبي سرح يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر ممن كان أتى عثمان فقتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا الى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح بهم فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بكلام شديد وأرسلت عائشة رضي الله عنها اليه فقالت تقدم اليك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت فهذا قد قتل منهم رجلا فانصفهم من عاملك ودخل عليه علي بن أبي طالب فقال انما يسألونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم فان وجب عليه حق فانصفهم منه فقال لهم اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر فقالوا استعمل علينا محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معهم عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح فخرج محمد ومن معه فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة اذا هم بغلام أسود على بعير يخبط البعير خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب فقال له أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب فقال لهم أنا غلام أمير المؤمنين وجهني الى عامل مصر فقال له رجل هذا عامل مصر قال ليس هذا أريد وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر فبعث في طلبه رجلا فأخذه فجاء به اليه فقال غلام من أنت فأقبل مرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان حتى عرفه رجل انه لعثمان فقال له محمد الى من أرسلت قال الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا وكانت معه اداوة قد يبست فيها شئ يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الاداوة فاذا فيها كتاب من عثمان الى ابن أبي سرح فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والانصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فاذا فيه اذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء الي يتظلم منك ليأتيك رأيي في ذلك ان شاء الله تعالى فلما قرأوا الكتاب فزعوا وأزمعوا فرجعوا الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ودفع الكتاب الى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعليا وسعدا ومن كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام وأقرؤهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة الا حنق على عثمان وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر حنقا وغيظا وقام أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلحقوا بمنازلهم ما منهم أحد الا وهو مغتم لما قرأوا الكتاب وحاصر الناس عثمان سنة خمس وثلاثين وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم فلما رأى ذلك علي بعث الى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة كلهم بدري ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له علي هذا الغلام غلامك قال نعم قال والبعير بعيرك قال نعم قال فأنت كتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لي به قال له علي فالخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم به فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام الى مصر قط وأما الخط فعرفوا انه خط مروان وشكوا في أمر عثمان وسألوه ان يدفع اليهم مروان فأبى وكان مروان عنده في الدار فخرج أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من عنده غضابا وشكوا في أمره وعلموا ان عثمان لا يحلف بباطل الا أن قوما قالوا لن يبرأ عثمان من قلوبنا الا أن يدفع الينا مروان حتى نبحثه ونعرف حال الكتاب وكيف يأمر بقتل رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق فان يكن عثمان كتبه عزلناه وان يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان ولزموا بيوتهم وأبى عثمان أن يخرج اليهم مروان

فبكى المنصور وقال ويحك كيف احتيال لنفسي دلني فقال ان للناس أعلاما من أهل الدين والخير اجعلهم بطانتك واسمع نصائحهم فقال ويحك قد طلبتهم فهربوا مني قال خافوا ان تحملهم على طريقك أو يؤذيهم أصحابك ولكن افتح بابك وسهل حجابك وأنصف المظلوم واقمع الظالم وخذ الفيء والصدقات من حلها واصرفها في أهلها وأنا ضامن ان يأتوك ويساعدوك على صلاح الامة وجاء المؤذن للصلاة فقام اليها فصلى وعاد فطلب الرجل فلم يوجد (أجمع) الفرس على ان تلاف السياسة في ثلاث تأخير عمل اليوم الى غد وتفويض الامور الى غير الكفاة والعمل بالشهوات لا بالعقول فينبغي للملك ان ينظر في حال هذه الطائفة ويميز محققهم من مبطلهم ويفرق بين الزاهد والمتزهد وفيهم أصناف من أهل الغلط في طريق الزهد والمغالطة لاغراض أخر منهم صنف يغلب عليهم محبة الرياسة والامرة ويتفق اعراض الملك عنهم وانقباضه لمخالفة طبعه لطباعهم أو لاشتغاله بلهوه ولذته فيدعوهم ذلك الى احداث الطعن على أحوال الملك واهماله لضوابط الشريعة ويؤلفون لهم بذلك جماعات وربما كثر عددهم ويقصون عليهم من القصص ما يحركون به عزائمهم لتغيير المنكر ونصرة الحق فان أهمل الملك أمرهم عظم وتفاقم وكان منه خطر عظيم وأكثر ما يطرأ هذا في البلاد العظام أو في الاطراف (قال) كسرى ما تنازع قط رئيس دنيا

وخشي عليه القتل وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال أفيكم علي فقالوا لا قال أفيكم سعد قالوا لا فسكت ثم قال ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء فبلغ ذلك عليا فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء إليه فبلغ عليا أن عثمان يراد قتله فقال إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه وبعث الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه وبعث عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى علي فخشي محمد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فتنة فأخذ بيد الرجلين فقال لهما إن جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما نريد ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم به أحد فتسور محمد وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان ولا يعلم أحد ممن كان معه لأن كل من كان معه كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلا امرأته فقال لهما محمد مكانكما فإن معه امرأته حتى أبدأكما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجآه حتى تقتلاه فدخل محمد فأخذ بلحيته فقال له عثمان والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فتوجآه حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان في الدار من الجلبة وصعدت امرأته إلى الناس فقالت إن أمير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحا وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا وقال علي لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله وجاء الناس يهرعون إليه فقالوا له نبايعك فمد يدك فلابد من أمير فقال علي ليس ذلك إليكم إنما ذلك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليا فقالوا له ما نرى أحدا أحق بها منك مد يدك نبايعك فبايعوه وهرب مروان وولده وجاء علي إلى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد بن أبي بكر وأخبرت عليا والناس بما صنع محمد فدعا علي محمدا فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد لم تكذب قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكرني أبي فقمت عنه وأنا تائب إلى الله تعالى والله ما قتلته ولا أمسكته فقالت امرأته صدق ولكنه أدخلهما وأخرج ابن عساكر عن كنانة مولى صفية وغيره قالوا قتل عثمان رجل من أهل مصر أزرق أشقر يقال له حمار وأخرج أحمد عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى وإني أعرض عليك خصالا ثلاثا اختر إحداهن إما أن تخرج فتقاتلهم فإن معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل وإما أن تخرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة فإنهم لن يستحلوك وأنت بها وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية فقال عثمان إما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك الدماء وإما أن أخرج إلى مكة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا وإما أن ألحق بالشام فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن عساكر عن أبي ثور الفهمي قال دخلت على عثمان وهو محصور فقال لقد اختبأت عند ربي عشرا إني لرابع أربعة في الإسلام وأنكحني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى وما تغنيت وما تمنيت ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت بي جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة إلا أن لا يكون عندي شيء فأعتقها بعد ذلك

ورئيس دين وتجاذبا على أمر الانتزاع رئيس الدين ما في يد رئيس الدنيا ومضت التجارب على ذلك * وأقرب ما جرى في هذا المعنى لما ظهر المهدي بالمغرب وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعه طائفة يسيرة من الزهاد نحو العشرة وكان لديه فضل وعلوم جمة ويقال إنه اشتغل على إمام الحرمين ودخل إلى بلاد المغرب على زي الزهاد بالمرقعة والعكاز فلما اشتهر خبره بالأمر بالمعروف وإراقة الشراب المسكر والإنكار على النساء المتبرجات أمر الملك بإحضاره وهو علي بن يوسف بن تاشفين فاستنطقه فرآه مع الزهد عالما متبحرا فأحضر الفقهاء وعقد له مجلس مناظرة فجادلته فقهاء عصره في كثير من المسائل وفي كلها يستظهر عليهم ويرجح قوله ويأتي لهم بتقاسيم لا يمكنهم الخروج منها وهي مسطورة مدونة فلما عجزوا قالوا هذه عبارات ما نعرفها وما أنت إلا رجل مبتدع وقالوا للملك من المصلحة قطع هذا أو حبسه لئلا تكون منه فتنة فقال بعض أمراء الملك ما أهون مثل هذا وما عسى أن يكون منه وأي دولة يكون خللها من مثل هذا فبذل له من المال شيئا فلم يقبله فنفاه من البلد فخرج إلى مدينة أغمات ثم صعد إلى جبل البربر واشتغل بالدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يمض إلا مدة يسيرة حتى كثر جموعه واشتدت شوكته وقويت يده وظهر وبنى المهدية وكان من أمره ما كان من الاستيلاء على البلاد وقيادة الجيوش وكان عبد المؤمن بن علي أحد أصحابه العشرة ولا

ولا زنيت فى جاهلية ولا اسلام قط ولا سرقت فى جاهلية ولا اسلام قط ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قتل عثمان فى أوسط أيام التشريق من سنة خمس وثلاثين وقيل قتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء فى حش كوكب بالبقيع وهو أول من دفن به وقيل كان قتله يوم الاربعاء وقيل يوم الاثنين لست بقين من ذى الحجة وكان له يوم قتل اثنتان وثمانون سنة وقيل احدى وثمانون سنة وقيل أربع وثمانون وقيل ست وثمانون وقيل ثمان أو تسع وثمانون وقيل تسعون قال قتادة صلى عليه الزبير ودفنه وكان أوصى بذلك اليه وأخرج ابن عدى وابن عساكر من حديث أنس مرفوعا ان لله سيفا مغمودا فى غمده ما دام عثمان حيا فاذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد الى يوم القيامة تفرد به عمرو بن فائد وله مناكير وأخرج ابن عساكر عن يزيد بن أبى حبيب قال بلغنى ان عامة الركب الذين ساروا الى عثمان عامتهم جنوا وأخرج عن حذيفة قال أول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن خروج الدجال والذى نفسى بيده لا يموت رجل وفى قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به فى قبره وأخرج عن ابن عباس قال لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء وأخرج عن الحسن قال قتل عثمان وعلى غائب فى أرض له فلما بلغه قال اللهم انى لم أرض ولم أمالئ وأخرج الحاكم وصححه عن قيس بن عباد قال سمعت عليا يوم الجمل يقول اللهم انى أبرأ اليك من دم عثمان ولقد طاش عقلى يوم قتل عثمان وأنكرت نفسى وجاؤنى للبيعة فقلت والله انى لأستحى ان أبايع قوما قتلوا عثمان وانى لأستحى من الله ان أبايع وعثمان لم يدفن بعد فانصرفوا فلما رجع الناس فسألونى البيعة قلت اللهم انى مشفق مما أقدم عليه ثم جاءت عزيمة فبايعت فقالوا يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبى وقلت اللهم خذ منى لعثمان حتى ترضى وأخرج ابن عساكر عن أبى خلدة الحنفى قال سمعت عليا يقول ان بنى أمية يزعمون انى قتلت عثمان ولا والله الذى لا اله الا هو ما قتلت ولا مالأت ولقد نهيت فعصونى وأخرج عن سمرة قال ان الاسلام كان فى حصن حصين وانهم ثلموا فى الاسلام ثلمة بقتلهم عثمان لا تسد الى يوم القيامة وان أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعد فيهم وأخرج عن محمد بن سيرين قال لم تفقد الخيل البلق فى المغازى والجيوش حتى قتل عثمان ولم يختلف فى الاهلة حتى قتل عثمان ولم تر هذه الحمرة التى فى آفاق السماء حتى قتل الحسين وأخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن حميد بن هلال قال كان عبد الله بن سلام يدخل على محاصرى عثمان فيقول لا تقتلوه فوالله لا يقتله رجل منكم الا لقى الله أجذم لا يد له وان سيف الله لم يزل مغمودا وانكم والله ان قتلتموه ليسلنه الله ثم لا يغمده عنكم أبدا وما قتل نبى قط الا قتل به سبعون ألفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون ألفا قبل أن يجتمعوا وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن مهدى قال خصلتان لعثمان ليستا لابى بكر ولا لعمر رضى الله عنهم اصبره على نفسه حتى قتل وجمعه الناس على المصحف وأخرج الحاكم عن الشعبى قال ما سمعت من مراثى عثمان أحسن من قول كعب بن مالك حيث قال (شعرا)

فكف يديه ثم أغلق بابه * وأيقن ان الله ليس بغافل
وقال لاهل الدار لا تقتلوهم * عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم الـ * ـعداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده * عن الناس ادبار الرياح الجوافل

(فصل) أخرج ابن سعد عن موسى بن طلحة قال رأيت عثمان يخرج يوم الجمعة وعليه ثوبان أصفران فيجلس على المنبر فيؤذن المؤذن وهو يتحدث يسأل الناس عن أسعارهم وعن أخبارهم وعن مرضاهم وأخرج عن عبد الله الرومى قال كان عثمان يلى وضوء الليل بنفسه فقيل له لو أمرت بعض الخدم فكفوك قال لا الليل لهم يستريحون فيه وأخرج ابن عساكر عن عمرو بن عثمان بن عفان قال كان نقش خاتم عثمان

فلما مات استخلف على الامر من بعده وفتح البلاد وأباد دولة بنى تاشفين واستأصلهم واستقر الملك فى عقبه الى الآن وملوك المغرب فى هذا الامر على غاية من الاحتراز من هذه الطائفة واذا رأوا منهم من كان يصلح للركوب والجهاد اشتغلوا به * ومنهم صنف بالغوا فى التعفف والزهد والعبادة والبعد عن طعام الملوك وأبوابهم وصلاتهم ومقصودهم بذلك أن تتبعهم العامة وظهور القبول سيما ان كانوا من أهل الوعظ ويرون كل الاكرام دون حقهم فمن أعرض عنهم أو لم يحترمهم أو لم يزرهم ويقبل أيديهم سبوه وذكروا انه من عصاة أهل الدنيا وأرباب الظلم وطريق سياسة هؤلاء ان يلاطفوا بالدنيا بأى طريق أمكن فاذا فعلوا ذلك فسد أمرهم وانحل اعتقاد الناس فيهم (ومن الفقراء) صنف يتسترون و يتقنعون ويكرهون السؤال ولو هلكوا قال الله تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا فليكن بحث الملك عن هذا الصنف وسروره بالظفر بواحد منهم كسرور الجاهل بمشكلة انحلت وظلمة انجلت فليكن كثير الاحسان اليهم والتوسعة عليهم (وقد اشتهر) عن نور الدين محمود بن زنكى انه فى سنة تسع وستين وخمسمائة استحضر رؤساء دمشق ومشايخها ومقدمى حاراتها ودروبها وقال أريد منكم ان تكشفوا عن أحوال مجاوريكم فعرفونى باليتامى والارامل ومن انقطع عن التكسب ومن اختلت أحواله

لأثنار في حالهم فقعد لذلك فبعث اليهم بالغلات والكسوات ووظف لهم الوظائف فهذا من محاسن الملوك ومزاياهم

آمنت بالذي خلق فسوى وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عمر ان جهجاه الغفاري قام الى عثمان وهو يخطب فأخذ العصا من يده فكسرها على ركبته فما حال الحول حتى أرسل الله في رجله الاكلة فمات منها

(فصل في أوليات عثمان) قال العسكري في الاوائل هو أول من أقطع القطائع وأول من حمى الحمى وأول من خفض صوته بالتكبير وأول من خلق المسجد وأول من أمر بالاذان الاول في الجمعة وأول من رزق المؤذنين وأول من ارتج عليه في الخطبة فقال أيها الناس ان أول مركب صعب وان بعد اليوم أياما وان أعش تأتكم الخطبة على وجهها وما كنا خطباء وسيعلمنا الله (أخرجه ابن سعد) وأول من قدم الخطبة في العيد على الصلاة وأول من فوض الى الناس اخراج زكاتهم وأول من ولي الخلافة في حياة أمه وأول من اتخذ صاحب شرطة وأول من اتخذ المقصورة في المسجد خوفا أن يصيبه ما أصاب عمر هذا ما ذكره العسكري قال وأول ما وقع الاختلاف بين الامة فخطأ بعضهم بعضا في زمانه في أشياء نقموها عليه وكانوا قبل ذلك يختلفون في الفقه ولا يخطئ بعضهم بعضا قلت بقي من أوائله انه أول من هاجر الى الله بأهله من هذه الامة كما تقدم وأول من جمع الناس على حرف واحد في القراءة وأخرج ابن عساكر عن عن حكيم بن عباد بن حنيف قال أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا وانتهى سمن الناس طيران الحمام والرمي على الجلاهقات فاستعمل عليها عثمان رجلا من بني ليث سنة ثمان من خلافته فقصها وكسر الجلاهقات

(فصل) مات في أيام عثمان من الاعلام سراقة بن مالك بن جعشم وجبار بن صخر وحاطب بن أبي بلتعة وعياض بن زهير وأبو أسيد الساعدي وأوس بن الصامت والحرث بن نوفل وعبد الله بن حذافة وزيد ابن خارجة الذي تكلم بعد الموت ولبيد الشاعر والمسيب والد سعيد ومعاذ بن عمرو بن الجموح ومعبد بن العباس ومعيقب بن أبي فاطمة الدوسي وأبو لبابة بن عبد المنذر ونعيم بن مسعود الاشجعي وآخرون من الصحابة ومن غير الصحابة الحطيئة الشاعر وأبو ذؤيب الشاعر الهذلي

(علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

علي بن أبي طالب رضي الله عنه واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب واسمه شيبة بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة أبو الحسن وأبو تراب كناه بها النبي صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت هاشميا قد أسلمت وهاجرت وعلي رضي الله عنه احد العشرة المشهود لهم بالجنة وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين رضي الله عنها واحد السابقين الى الاسلام وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين والخطباء المعروفين وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليه أبو الاسود الدؤلي وأبو عبد الرحمن السلمي وعبد الرحمن بن أبي ليلى وهو أول خليفة من بني هاشم وأبو السبطين أسلم قديما بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة انه أول من أسلم ونقل بعضهم الاجماع عليه وأخرج أبو يعلى عن علي رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء وكان عمره حين أسلم عشر سنين وقيل تسع وقيل ثمان وقيل دون ذلك قال الحسن بن زيد بن الحسن ولم يعبد الاوثان قط لصغره (أخرجه ابن سعد) ولما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أياما حتى يؤدي عنه أمانة والودائع والوصايا التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم يلحقه بأهله ففعل ذلك وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا واحدا وسائر المشاهد الا تبوك فان النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة وله في جميع المشاهد آثار مشهورة وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم اللواء في مواطن كثيرة وقال سعيد بن المسيب أصابت عليا يوم أحد ست عشرة ضربة وثبت في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم أعطاه الراية في يوم خيبر وأخبر ان الفتح يكون على يديه وأحواله

التي تنقل عنهم وتحسن بها أيامهم وتؤرخ بها سيرتهم * وقد جبل الله تعالى طباع المولى السلطان المظفر ركن الدنيا والدين عز نصره على محبة الخير والتنوع فيه ومحبة الفقراء والاصغاء الى نصائحهم واتخاذ الايادي معهم فبشرى له بذلك ولقد قيل اتخذوا مع الفقراء أيادي فان لهم دولة وأي دولة ثم انه نهض الى تجديد الجامع الحاكمي وأصلحه بأدنى اشارة وعمره أسرع من البرق أحسن عمارة ورتب فيه الفقهاء للدرس والاشتغال بالعلوم الدينية ووظف عليهم الجاري وعلى المقرئين السبعية ثم تقدم الى عمارة القبة والخانقاه المختارة التي خرج أمره العالي بانشائها في دار الوزارة وأجرى فيها الادرارات على تلاوة الكتاب العزيز وتميز في فعل الخيرات أوفر تمييز وأدر فيها الارزاق على السادة المتصوفين والفقراء والاجناد البطالين والائمة والمؤذنين ورواة الحديث والمقرئين ماشاع ذكرها في الاقطار ولم يعمل مثلها في الامصار ثم لما أعطاه الله من الملك العزيزي أوفره قدم بين يديه من وجوه العدل والانصاف أسفره وسارع بمقابلة الشكر لله على ما أولاه من النعم الميسرة فخرجت أوامره المطاعة بابطال مظلمة نصف السمسرة التي أحدثها من تقلد وزرها وكان زوالها على يد الذي

في

غنم أجره الانها كانت تزاحم الصعلوك الدلال في رزقه وتضيق على البائع والمشتري في خلقه

في الشجاعة وآثاره في الحروب مشهورة وكان علي شيخا سمينا أصلع كثير الشعر ربعة الى القصر عظيم البطن عظيم اللحية جدا قد ملأت ما بين منكبيه بيضاء كأنها قطن آدم شديد الادمة قال جابر بن عبد الله حمل علي الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها وانهم جروه بعد ذلك فلم يحمله الا أربعون رجلا (أخرجه ابن عساكر) وأخرج ابن اسحق في المغازي وابن عساكر عن أبي رافع ان عليا تناول بابا عند الحصن حصن خيبر فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله علينا ثم ألقاه فلقد رأيتنا ثمانية نفر نجهد أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه وروى البخاري في الادب عن سهل بن سعد قال أن كان أحب أسماء علي رضي الله عنه اليه لأبا تراب وأن كان ليفرح أن يدعى بها وما سماه أبا تراب الا النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غاضب يوما فاطمة فخرج فاضطجع الى الجدار في المسجد فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم وقد امتلأ ظهره ترابا فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح التراب عن ظهره ويقول اجلس أبا تراب روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة حديث وستة وثمانون حديثا روى عنه بنوه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو موسى وأبو سعيد وزيد بن أرقم وجابر بن عبد الله وأبو امامة وأبو هريرة وخلائق من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين

(فصل) في الاحاديث الواردة في فضله قال الامام أحمد بن حنبل ما ورد لاحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضائل ما ورد لعلي رضي الله عنه (أخرجه الحاكم) وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير انه لا نبي بعدي (أخرجه أحمد والبزار من حديث أبي سعيد الخدري والطبراني من حديث أسماء بنت قيس وأم سلمة وحبشي بن جنادة وابن عمر وابن عباس وجابر بن سمرة والبراء بن عازب وزيد بن أرقم) وأخرجا عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقيل هو يشتكي عينيه قال فأرسلوا اليه فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية يدوكون أي يخوضون ويتحدثون (وقد أخرج هذا الحديث الطبراني من حديث ابن عمر وعلي وابن أبي ليلى وعمران بن حصين والبزار من حديث ابن عباس) وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال لما نزلت هذه الآية ندع أبناءنا وأبناءكم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي وأخرج الترمذي عن أبي سريحة أو زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كنت مولاه فعلي مولاه (وأخرجه أحمد عن علي وأبي أيوب الانصاري وزيد بن أرقم وعمرو ذي مر وأبو يعلى عن أبي هريرة والطبراني عن ابن عمر ومالك بن الحويرث وحبشي بن جنادة) وجرير وسعد بن أبي وقاص وأبي سعيد الخدري وأنس والبزار عن ابن عباس وعمارة وبريدة وفي أكثرها زيادة اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ولاحمد عن أبي الطفيل قال جمع علي الناس سنة خمس وثلاثين في الرحبة ثم قال لهم أنشد بالله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم ما قال لما قام فقام اليه ثلاثون من الناس فشهدوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أمرني بحب أربعة وأخبرني انه يحبهم قيل يا رسول الله سمهم لنا قال علي منهم يقول ذلك ثلاثا وأبو ذر والمقداد وسلمان وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشي بن جنادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي مني وأنا من علي وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فجاء

فهو أدام الله أيامه ينبوع في الخيرات يتأنق في اقتناء أصناف المكرمات

(الباب التاسع)

(في سيرته مع ذوي الشرف والبيوتات وإعانتهم)

الشرفاء في أصناف الناس يعمهم الانتساب الى ذوي الفضائل الدينية أو الرآسات الدنيوية فأشرف القسم الاول من ينتسب الى الانبياء عليهم السلام أو الى أحد من الصحابة رضي الله عنهم الامثل فالامثل ثم من ينتسب الى صاحب علم أو كرامات أو زهد والقسم الثاني أفضلهم من ينتسب الى ملك عادل أو عالم أو فاضل فحق على من كانت نسبته عليه أن تكون سيرته مرضية ونفسه أبية ولقد أجاد السموأل بن عاديا في قوله

اذا سيد منا خلا قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول
وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

فمن لم يكن تابعا لطريقة أسلافه أو مقتار بالهاه فقد بان من الشرف وفارق السودد ولذلك أجاب الله تعالى نوحا عليه السلام حين قال ان ابني من أهلي وان وعدك الحق بقوله انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فالعمل الصالح هو الشرف وبه يستقيم الانتماء والى هذا أشار بقوله عليه السلام العلماء ورثة الانبياء فمن اجتمع فيه العلم والعمل وكانت له نسبة الى النبي صلى

الله عليه وسلم استحق رتبة الشرف ويتعين اكرامه واحترامه وكذلك الانتساب الى ذوى الفضائل (فينبغي) للملك رعاية جانب الشرف

على تدمع عيناه فقال يارسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني و بين أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت أخي في الدنيا والآخرة وأخرج مسلم عن على قال والذي فلق الحبة و برأ النسمة انه لعهد النبي الامي الى انه لا يحبني الا المؤمن ولا يبغضني الا المنافق وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليا وأخرج البزار والطبراني في الاوسط عن جابر بن عبد الله وأخرج الترمذي والحاكم عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا مدينة العلم وعلى بابها هذا حديث حسن على الصواب لا صحيح كما قال الحاكم ولا موضوع كما قاله جماعة منهم ابن الجوزي والنووي وقد بينت حاله في التعقيبات على الموضوعات وأخرج الحاكم وصححه عن على قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يارسول الله بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء فضرب صدري بيده ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين وأخرج ابن سعد عن على انه قيل له مالك أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا قال اني كنت اذا سألته أنبأني واذا سكت ابتدأني وأخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال عمر بن الخطاب على أقضانا وأخرج الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال كنا نتحدث ان أقضى أهل المدينة علي وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال اذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لا نعدوها وأخرج عن سعيد بن المسيب قال كان عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو حسن وأخرج عنه قال لم يكن أحد من الصحابة يقول سلوني الا علي وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال أفرض أهل المدينة وأقضاها علي بن أبي طالب وأخرج عن عائشة رضي الله عنها ان عليا ذكر عندها فقالت أما انه أعلم من بقي بالسنة وقال مسروق انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمر وعلي وابن مسعود وعبد الله رضي الله عنهم وقال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة كان لعلي ما شئت من ضرس قاطع في العلم وكان له البسطة في العشيرة والقدم في الاسلام والعهد برسول الله صلى الله عليه وسلم والفقه في السنة والنجدة في الحرب والجود في المال وأخرج الطبراني في الاوسط بسند ضعيف عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس من شجر شتى وانا وعلي من شجرة واحدة وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال ما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا الا وعلي أميرها وشريفها ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر عليا الا بخير وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال نزلت في علي ثلثمائة آية وأخرج البزار عن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي لا يحل لاحد ان يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك وأخرج الطبراني والحاكم وصححه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه الا علي وأخرج الطبراني والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال النظر الى علي عبادة اسناده حسن وأخرجه الطبراني والحاكم أيضا من حديث عمران بن حصين وأخرجه ابن عساكر من حديث أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان ومعاذ بن جبل وأنس وثوبان وجابر بن عبد الله وعائشة رضي الله عنهم وأخرج الطبراني في الاوسط عن ابن عباس قال كانت لعلي ثمان عشرة منقبة ما كانت لاحد من هذه الامة وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة قال قال عمر بن الخطاب لقد أعطي علي ثلاث خصال لان يكون لي خصلة منها أحب الي من أن أعطى حمر النعم فسئل وما هي قال تزوجه ابنته فاطمة وسكناه المسجد لا يحل لي فيه ما يحل له والراية يوم خيبر وروى احمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه وأخرج أحمد وأبو يعلى بسند صحيح عن علي قال ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهي وتفل في عيني يوم خيبر حين أعطاني الراية وأخرج أبو يعلى والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آذى عليا فقد آذاني وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ام سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب عليا فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله

في النسب قال عليه السلام من أكرم قريشا أكرمه الله ومن أهانهم أهانه الله اشارة الى رعاية حق النسب وشرف البيت وكذلك من انتسب الى الملوك والكرماء والعلماء والزهاد والادباء والاعزة (وقال) عليه السلام اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقال ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وهذا باب متسع والاشارة فيه تكفي (وينبغي) للملك ان ينظر في حال من قعد به الزمان منهم ومن ضاقت به الاحوال فيعينه على أحواله ويؤهله لبلوغ درجة اسلافه ان كانت فما أكثر زين الدولة كثر فيها أهل الفضل والشرف وقل فيها أهل الجهل والسفه (وكانت) ملوك الفرس تضبط أهل البيوت على ضوابط اسلافهم وتمنعهم من الابتذال والدخول في الصنائع والحرف التي تزري بهم وتمنعهم من مناكحة من لا يليق بهم فان جمال هذه الاصناف وكثرة مفاخرها يزيد في رونق الدولة (وقال) شيخ الشيوخ ابن حمويه الجويني بلغني انه قيل لمعاوية بن أبي سفيان بعد مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ان الخلافة قد استقرت لك فلو قتلت الحسن والحسين وابن عباس وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير لاسترحت من الفكرة في أمر الملك وتزعزعه فقال اذا قتلت هؤلاء فعلى من أتأمر فما كان أسعد ومن

ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن أم سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سب عليا فقد سبني وأخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي انك تقاتل على القرآن كما قاتلت على تنزيله وأخرج البزار وأبو يعلى والحاكم عن علي قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان فيك مثلا من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به ألا وانه يهلك في اثنان محب مفرط يقرظني بما ليس في ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني وأخرج الطبراني في الاوسط والصغير عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا على الحوض وأخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي أشقى الناس رجلان أحيمر (أحمر) ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه يعني قرنه حتى تبتل منه هذه يعني لحيته وقد ورد ذلك من حديث علي وصهيب وجابر بن سمرة وغيرهم وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال اشتكى الناس عليا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فقال لا تشكوا عليا فوالله انه لاخيشن في ذات الله أو في سبيل الله

(فصل) قال ابن سعد بويع علي بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة فبايعه جميع من كان بها من الصحابة رضي الله عنهم ويقال ان طلحة والزبير بايعا كارهين غير طائعين ثم خرجا الى مكة وعائشة رضي الله عنها بها فأخذاها وخرجا بها الى البصرة يطلبون بدم عثمان وبلغ ذلك عليا فخرج الى العراق فلقي بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم وهي وقعة الجمل وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقتل بها طلحة والزبير وغيرهما وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا وأقام علي بالبصرة خمس عشرة ليلة ثم انصرف الى الكوفة ثم خرج عليه معاوية بن أبي سفيان ومن معه بالشام فبلغ عليا فسار اليه فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين ودام القتال بها أياما فرفع أهل الشام المصاحف يدعون الى ما فيها مكيدة من عمرو بن العاص فكره الناس الحرب وتداعوا الى الصلح وحكموا الحكمين فحكم علي أبا موسى الاشعري وحكم معاوية عمرو بن العاص وكتبوا بينهم كتابا على ان يوافوا رأس الحول باذرح فينظروا في أمر الامة فافترق الناس ورجع معاوية الى الشام وعلي الى الكوفة فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا لا حكم الا لله وعسكروا بحروراء فبعث اليهم ابن عباس فخاصمهم وحجهم فرجع منهم قوم كثير وثبت قوم وساروا الى النهروان فعرضوا للسبيل فسار اليهم علي فقتلهم بالنهروان وقتل منهم ذا الثدية وذلك سنة ثمان وثلاثين واجتمع الناس باذرح في شعبان من هذه السنة وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة فقدم عمرو أبا موسى الاشعري مكيدة منه فتكلم فخلع عليا وتكلم عمرو فأقر معاوية وبايع له فتفرق الناس على هذا وصار علي في خلاف من أصحابه حتى صار يعض على أصبعه ويقول أعصى ويطاع معاوية وانتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكير التميمي فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ويريحوا العباد منهم فقال ابن ملجم انا لكم بعلي وقال البرك انا لكم بمعاوية وقال عمرو بن بكير أنا أكفيكم عمرو بن العاص وتعاهدوا على ان ذلك يكون في ليلة واحدة ليلة حادي عشر أو ليلة سابع عشر رمضان ثم توجه كل منهم الى المصر الذي فيه صاحبه فقدم ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه من الخوارج فكان منهم ما يريدون الى ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين فاستيقظ علي سحرا فقال لابنه الحسن رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الاود واللدد فقال لي ادع الله عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم خيرا لي منهم وأبدلهم بي شرا لهم مني ودخل ابن الذباح المؤذن على علي فقال الصلاة فخرج علي من الباب ينادي أيها الناس

رأيه في هذا الكلام وأتعس رأي من أشار عليه بذلك (وقد) يكون من ذوي الشرف قوم من أولياء الدولة الماضية وأعداء الدولة الحاضرة فان لم يخف الملك من الانتصار لهم أو من التألف عليهم قربهم من غير تدب المهمات ولا تقديم في ولايات وان كان منه استشعار لذلك فمن الحزم الاحتياط (وكذلك) القول في أولاد الامراء والمقدمين ان صلحوا لرتبة آبائهم قدموا لها وان لم يصلحوا فلا يقطع عنهم البر والاكرام والتلطف والاحسان

(الباب العاشر)

(في سيرته مع التجار والقاصدين والصناع والمزارعين)

لا شك ان أصحاب الحرف مثل التجار والجلابين والمزارعين والصناع هم أسباب عمارة البلاد وتزيينها وتحسينها وتكميلها فان التجار يجلبون البضائع والرقيق وسائر الاصناف ويقربون ما بعد من المنافع قد سخرهم الله تعالى لذلك وسهل عليهم المهالك يركبون البحار ويقاسون الاخطار ويكابدون عذاب الاسفار وينفعون بيوت الاموال فيتعين على الملك ان يحنو عليهم ويحسن اليهم ويرفق بهم في أخذ ما أوجبت الشريعة في أموالهم ويسامح بعضهم مما له فانه بذلك يجلب الرفاق الى بلاده من سائر الآفاق ثم يعود عليه من الكثرة أضعاف ما فاته من المسامحة (ومثال ذلك) ان يسامح البائع بربح يسير في بيع سلعة فانه يبيع منها أضعاف ما يبيع غيره من المتشددين

الصلاة الصلاة فاعترضه ابن ملجم فضربه بالسيف فأصاب جبهته الى قرنه ووصل الى دماغه فشد عليه الناس من كل جانب فأمسك وأوثق وأقام علي الجمعة والسبت وتوفي ليلة الاحد وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن ودفن بدار الامارة بالكوفة ليلا ثم قطعت أطراف ابن ملجم وجعل في قوصرة وأحرقوه بالنار هذا كله كلام ابن سعد وقد أحسن في تلخيصه هذه الوقائع ولم يوسع فيها الكلام كما صنع غيره لان هذا هو اللائق بهذا المقام قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أصحابي فأمسكوا وقال بحسب أصحابي القتل وفي المستدرك عن السدي قال كان عبد الرحمن بن ملجم المرادي عشق امرأة من الخوارج يقال لها قطام فنكحها وأصدقها ثلاثة آلاف درهم وقتل علي وفي ذلك قال الفرزدق شعرا

فلم أر مهرا ساقه ذو سماحة * كمهر قطام بين غير معجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وان غلا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

قال أبو بكر بن عياش عمي قبر علي لئلا ينبشه الخوارج وقال شريك نقله ابنه الحسن الى المدينة وقال المبرد عن محمد بن حبيب أول من حول من قبر الى قبر علي رضي الله عنه وأخرج ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز قال لما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم في مسيرهم ليلا اذ ند الجمل الذي هو عليه فلم يدر أين ذهب ولم يقدر عليه قال فلذلك يقول أهل العراق هو في السحاب وقال غيره ان البعير وقع في بلاد طيئ فأخذوه فدفنوه وكان لعلي حين قتل ثلاث وستون سنة وقيل أربع وستون وقيل خمس وستون وقيل سبع وخمسون وقيل ثمان وخمسون وكان له تسع عشرة سرية

(فصل في نبذ من أخبار علي وقضاياه وكلماته رضي الله عنه) قال سعيد بن منصور في سننه حدثنا هشيم حدثنا حجاج حدثني شيخ من فزارة سمعت عليا يقول الحمد لله الذي جعل عدونا يسألنا عما نزل به من أمر دينه ان معاوية كتب الي يسألني عن الخنثى المشكل فكتبت اليه أن يورثه من قبل مباله وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن علي مثله وأخرج ابن عساكر عن الحسن قال لما قدم علي البصرة قام اليه ابن الكواء وقيس بن عباد فقالا له ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تتولى على الامة تضرب بعضهم ببعض أعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده اليك فحدثنا فأنت الموثوق المأمون على ما سمعت فقال اما أن يكون عندي عهد من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فلا والله لئن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه ولو كان عندي من النبي صلى الله عليه وسلم عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهما بيدي ولو لم أجد الا بردي هذا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة مكث في مرضه أياما وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني ثم يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني ولقد أرادت امرأة من نسائه ان تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال انتن صواحب يوسف مروا أبا بكر يصلي بالناس فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمورنا فاخترنا للدنيا من رضيه نبي الله صلى الله عليه وسلم لديننا وكانت الصلاة أصل الاسلام وهي أمير الدين وقوام الدين فبايعنا أبا بكر وكان لذلك أهلا لم يختلف عليه منا اثنان ولم يشهد بعضنا على بعض ولم يقطع منه البراءة فأديت الى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض تولاها عمر فأخذها بسنة صاحبه وما يعرف من أمره فبايعنا عمر ولم يختلف عليه منا اثنان ولم يشهد بعضنا على بعض ولم تقطع منه البراءة فأديت الى عمر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وسالفتي وفضلي وأنا أظن ان لا يعدل بي ولكن خشي ان لا يعمل الخليفة بعده ذنبا الا لحقه في قبره فأخرج

في بيعها واذا كان الملك مقتصدا وكان من مذهبه استيفاء الحق وترك المسامحة فليعاقب من تعدى ذلك من نوابه أو زاد عليه في الواجب وأجحف برب المال فان ظلم الرعية على سائر الوجوه مغضب للرب عز وجل مقبح للصيت والسمعة (وينبغي) للملك ان يترفع عن مزاحمة العامة في المتاجر والمكاسب لان علو الهمة ينافي ذلك وكذلك يمنع أمراءه وأجناده عن ذلك ويجب عليه اذا استعمل صانعا أو أجيرا في جميع الصنائع والحرف ان يعجل له باجرته على التمام والكمال فانه واضع الانصاف فاذا تركه فقد أزرى بمنصبه وأبطل معنى الانصاف وصورته (وينبغي) للملك ان يجلس للعامة جلوسا يشملهم في بعض الاحايين بحيث يصل اليه الضعيف وذو الحاجة ومن لا وسيلة له ولم تزل الملوك العادلة تفعل هذا وأما الاكرة والمزارعون فلهم حقوق أكيدة وبسببهم يكون مادة النسل وأقوات الحيوان فيجب ان يرفق بهم ويحسن اليهم ويعانوا على ما هم بسبيله وتزاح عللهم في جميع ما يحتاجون اليه ولا يمكنوا من البطالة فانها مفسدة عظيمة ويستعمل بعض الشدة مع أهل الجبال لان في طبعهم الخشونة ويستعمل الرفق واللين مع أهل القرى الصحراوية (وكان) كسرى يقول أحق الناس بالاحسان اليه الاكرة لانهم يتعبون لراحة غيرهم وما من صنف من الاصناف الا وتستغني أهل المدينة منها

منها نفسه وولده ولو كانت محاباة منه لآثر بها ولده فبرئ منها الى رهط من قريش ستة انا احدهم فلما اجتمع الرهط ظننت ان لا يعدلوا بي فأخذ عبد الرحمن بن عوف مواثيقنا على ان نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ثم أخذ بيد عثمان بن عفان وضرب بيده على يده فنظرت في أمري فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي واذا ميثاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان فأديت له حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما أصيب نظرت في أمري فاذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما بالصلاة قد مضيا وهذا الذي قد أخذ له الميثاق قد أصيب فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين فوثب فيها من ليس مثلي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي وكنت أحق بها منه وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن جعفر بن محمد عن أبيه قال عرض لعلي رجلان في خصومة فجلس في أصل جدار فقال له رجل الجدار يقع فقال علي امض كفى بالله حارسا فقضى بينهما فقام ثم سقط الجدار وفي الطيوريات بسنده الى جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رجل لعلي بن أبي طالب نسمعك تقول في الخطبة اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم فاغرورقت عيناه فقال هم حبيباي أبو بكر وعمر اماما الهدى وشيخا الاسلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدي الى صراط المستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وأخرج عبد الرزاق عن حجر المدري قال قال لي علي بن أبي طالب كيف بك اذا أمرت أن تلعنني قلت وكائن ذلك قال نعم قلت فكيف أصنع قال العني ولا تبرأ مني قال فأمرني محمد بن يوسف أخو الحجاج وكان أميرا على اليمن ان ألعن عليا فقلت ان الامير امرني ان العن عليا فالعنوه لعنه الله فما فطن لها الا رجل وأخرج الطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الدلائل عن زاذان أن عليا حدث بحديث فكذبه رجل فقال له علي أدعو عليك ان كنت كاذبا قال ادع فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره وأخرج عن زر بن حبيش قال جلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعا الغداء بين ايديهما مر بهما رجل فسلم فقالا اجلس وتغد فجلس وأكل معهما واستووا في أكلهم الارغفة الثمانية فقام الرجل وطرح اليهما ثمانية دراهم وقال خذاها عوضا مما أكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازعا فقال صاحب الخمسة الارغفة لي خمسة دراهم ولك ثلاثة وقال صاحب الارغفة الثلاثة لا أرضى الا أن تكون الدراهم بيننا نصفين فارتفعا الى أمير المؤمنين علي فقصا عليه قصتهما فقال لصاحب الثلاثة قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة فقال والله لا رضيت عنه الا بمر الحق فقال علي ليس لك في مر الحق الا درهم واحد وله سبعة دراهم فقال الرجل سبحان الله قال هو ذلك قال فعرفني الوجه في مر الحق حتى اقبله فقال علي أليس للثمانية الارغفة أربعة وعشرون ثلثا أكلتموها وانتم ثلاثة انفس ولا يعلم الاكثر منكم أكلا ولا الاقل فتحملون في أكلكم على السواء قال فأكلت أنت ثمانية أثلاث وانما لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثا أكل منها ثمانية وبقي له سبعة أكلها صاحب الدراهم وأكل لك واحدا من تسعة فلك واحد بواحدك وله سبعة فقال الرجل رضيت الآن وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عطاء قال أتي علي برجل وشهد عليه رجلان انه سرق فأخذ في شيء من أمور الناس وتهدد شهود الزور وقال لا أوتى بشاهد زور الا فعلت به كذا وكذا ثم طلب الشاهدين فلم يجدهما فخلى سبيله وقال عبد الرزاق في المصنف حدثنا الثوري عن سليمان الشيباني عن رجل عن علي انه أتي برجل فقيل له زعم هذا أنه احتلم بامي فقال اذهب فأقمه بالشمس فاضرب ظله وأخرج ابن عساكر من طريق جعفر بن محمد عن ابيه أن خاتم علي ابن أبي طالب كان من ورق نقشه نعم القادر الله وأخرج عن عمرو بن عثمان بن عفان قال كان نقش خاتم علي الملك لله وأخرج عن المدائني قال لما دخل علي الكوفة دخل عليه رجل من حكماء العرب فقال والله يا أمير المؤمنين لقد زنت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك وهي كانت احوج اليك منك اليها وأخرج عن مجمع

عنهم الا الاكرة فانه لا غنى لاحد عنهم (و يتقدم) الملك الى الرعية بخروج أمره بان ينعكفوا على شأنهم والاشتغال بصنائعهم وحرفهم وترك التعرض لاحوال الملك والخوض فيما يجري من ذلك ثم يضبطهم حتى لا يكون بينهم تعصبات ولا أهواء تؤدي الى القتال والفتن فيتولد من ذلك خراب البلاد ولاسيما الارياف بل يكون هو الذي ينصف بينهم بنفسه أو من يأمره و يندبه لذلك

(القسم الثاني)

(في أحوال الملك في ذاته وخواصه وخدمه وهو ثمانية أبواب)

(الباب الاول)

(في آداب الدخول عليه ومخاطبته ومجالسته)

السلطان ظل الله في الارض فطوبى لمن استظل بظله واستسقى بطله و يا خيبة من تقلص ذلك الظل عنه و يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما معناه من مات ليس في عنقه بيعة فكأنما مات ميتة جاهلية وصحبة السلطان تعظم القدر وتنوه الذكر وتسمي الحظ وتعلي المنزلة وترفع المناصب لكنها كثيرة المعاطب رديئة الشوائب وخيمة العواقب لان الملك كالبحر فيه الدرر والغرر (وقيل) الملك كالجبل الشامخ فيه الثمار والانهار والوحش والسباع والاخطار فالوصول اليه صعب لصعوبته والمقام فيه خطر لان الملوك يغضبون كغضب الاطفال و يأخذون كأخذ الاشبال (فيجب) لمن يصحبهم ان يتخلق بالاخلاق الملوكية و يتحلى بالشيم المرضية وأفضل ما يلتزم فيها

ان عليا كان يكنس بيت المال ثم يصلي فيه رجاء ان يشهد له انه لم يحبس فيه المال عن المسلمين وقال أبو القاسم الزجاجي في اماليه حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثني يعقوب بن اسحق الحضرمي حدثنا سعيد *(سليمان)* بن اسلم الباهلي حدثنا أبي عن جدي عن أبي الاسود الدؤلي أو قال عن جدي أبي الاسود عن أبيه قال دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرأيته مطرقا متفكرا فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين قال اني سمعت ببلدكم هذا لحنا فاردت ان أصنع كتابا في أصول العربية فقلت ان فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة ثم اتيته بعد ثلاث فالقى الي صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما انبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ثم قال تتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم يا أبا الاسود ان الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشئ ليس بظاهر ولا مضمر وانما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر قال ابو الاسود فجمعت منه اشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها ان وان وليت ولعل وكان ولم اذكر لكن فقال لي لم تركتها فقلت لم أحسبها منها فقال بل هي منها فزدها فيها وأخرج ابن عساكر عن ربيعة بن ناجد قال قال علي كونوا في الناس كالنحلة في الطير انه ليس في الطير شئ الا وهو يستضعفها ولو يعلم الطير ما في اجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها خالطوا الناس بالسنتكم واجسادكم وزايلوهم باعمالكم وقلوبكم فان للمرء ما اكتسب وهو يوم القيمة مع من احب وأخرج عن علي قال كونوا بقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فانه لن يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل وأخرج عن يحيى بن جعدة قال قال علي بن أبي طالب يا حملة القرآن اعملوا به فانما العالم من علم ثم عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم وتخالف سريرتهم علانيتهم وتخالف عملهم علمهم يجلسون حلقا فيباهي بعضهم بعضا حتى ان الرجل يغضب على جليسه ان يجلس الى غيره ويدعه اولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك الى الله وأخرج عن علي قال التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين والعقل خير صاحب والادب خير ميراث ولا وحشة أشد من العجب وأخرج عن الحارث قال جاء رجل الى علي فقال أخبرني عن القدر فقال طريق مظلم لا تسلكه قال أخبرني عن القدر قال بحر عميق لا تلجه قال أخبرني عن القدر قال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه قال اخبرني عن القدر قال يا أيها السائل ان الله خلقك لما شاء أو لما شئت قال بل لما شاء قال فيستعملك لما شاء وأخرج عن علي قال ان للنكبات نهايات لا بد لاحد اذا نكب من أن ينتهي اليها فينبغي للعاقل اذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضي مدتها فان في دفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهها وأخرج عن علي انه قيل له ما السخاء قال ما كان منه ابتداء فأما ما كان عن مسئلة فحياء وتكرم وأخرج عن علي انه أتاه رجل فأثنى عليه فأطراه وكان قد بلغه عنه قبل ذلك فقال له علي اني لست كما تقول وأنا فوق ما في نفسك وأخرج عن علي قال جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والنقص في اللذة قيل وما النقص في اللذة قال لا ينال شهوة حلال الا جاءه ما ينغصه اياها وأخرج عن علي بن ربيعة ان رجلا قال لعلي ثبتك الله وكان يبغضه قال على صدرك وأخرج عن الشعبي قال كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة وأخرج عن نبيط الاشجعي قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه

اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منك غوث * يجيء به القريب المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت * فموصول بها الفرج القريب

وأخرج عن الشعبي قال قال علي بن أبي طالب لرجل كره له صحبة رجل

حفظ اللسان وغض الطرف (وقال) علي بن عيسى لا تكن صحبتك للسلطان الا بعد رياضة نفسك على طاعته في المكروه عندك وموافقته فيما خالفك وتقدر الامر على هواه دون هواك وكن حافظا اذا ولاك أمينا اذا ائتمنك حذرا اذا قربك راضيا اذا سخط ذليلا اذا هجرك ذو يا اذا قدمك تعلمه وكأنك تتعلم منه وتدله وكأنك تستدل به وتشكره ولا تكلفه الشكر لك وتقنع بقليله ولا تبطر بكثيره والا فالبعد البعد والحذر الحذر (وقال) أبو زيد اذا قربك السلطان فوازن بين حاجتك اليه وحاجته اليك واجعل رغبتك اليك دونه ولا تجعل جميع خلواتك معه بأمر قضيتك بل باينا سه وذكر ما تدعو الحاجة اليه من أموره وتيقن انك لست أكثر شغله كما أنه أكثر شغلك ولا بك قوام أمره وترى في كل حال انه متفضل عليك واحذر ان يدخلك العجب والانفة فانهما مهلكان (وقال) بعض الفضلاء من أدب مصاحبة السلطان ان لا تضجره بكثرة الدخول عليه الا اذا كان شغله يقتضي ذلك في مواظبته وكذلك اذا دخلت عليه فلا تطيل المقام عنده وللملوك قواعد في الدخول والجلوس والقيام والسلام والخطاب منهم من يرى من الادب ترك السلام تخفيفا من تكليف رد الجواب كما تركوا التعزية والتهنئة والتشميت في العطاس مما يحتاج الى الجواب (وأما) الخدمة فهم فيها على أصناف منهم من يرى الخدمة تقبيل الارض اذا كان الملك راكبا كما

لا

لا تصحب أخا الجهل * واياك واياه * فكم من جاهل أردى * حليما حين واخاه
يقاس المرء بالمرء * اذا ما هو ماشاه * وللشئ من الشئ * مقاييس وأشباه
قياس النعل بالنعل * اذا ما هو حاذاه * وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

وأخرج عن المبرد قال كان مكتوبا على سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه شعر

للناس حرص على الدنيا وتدبير * وصفوها لك ممزوج بتكدير * لم يرزقوها بعقل بعد ما قسمت
لكنهم رزقوها بالمقادير * كم من أديب لبيب لا تساعده * وأحمق نال دنياه بتقصير
لو كان عن قوة أو عن مغالبة * طار البزاة بارزاق العصافير

وأخرج عن حمزة بن حبيب الزيات قال كان علي بن أبي طالب يقول

لا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا فاني رأيت غواة الرجا * ل لا يدعون أديما صحيحا

وأخرج عن عقبة بن أبي الصهباء قال لما ضرب ابن ملجم عليا دخل عليه الحسن وهو باك فقال له علي يا بني احفظ عني أربعا وأربعا قال وماهن يا أبت قال أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الكرم حسن الخلق قال فالاربع الاخر قال اياك ومصاحبة الاحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك واياك ومصادقة الكذاب فانه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب واياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك أحوج ما تكون اليه واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه وأخرج ابن عساكر عن علي انه أتاه يهودي فقال له متى كان ربنا فتمعر وجه علي وقال لم يكن فكان هو كان ولا كينونة كان بلا كيف كان ليس له قبل ولا غاية انقطعت الغايات دونه فهو غاية كل غاية فاسلم اليهودي وأخرج الدراج في جزئه المشهور بسند مجهول عن ميسرة عن شريح القاضي قال لما توجه علي الى صفين افتقد درعا له فلما انقضت الحرب ورجع الى الكوفة أصاب الدرع في يد يهودي فقال لليهودي الدرع درعي لم أبع ولم أهب فقال اليهودي درعي وفي يدي فقال نصير الى القاضي فتقدم علي فجلس الى جنب شريح وقال لولا ان خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أصغروهم من حيث أصغرهم الله فقال شريح قل يا أمير المؤمنين فقال نعم هذه الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي لم أبع ولم أهب فقال شريح ايش تقول يا يهودي قال درعي وفي يدي فقال شريح ألك بينة يا أمير المؤمنين قال نعم قنبر والحسن يشهدان ان الدرع درعي فقال شريح شهادة الابن لا تجوز للاب فقال علي رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة فقال اليهودي أمير المؤمنين قدمني الى قاضيه وقاضيه قضى عليه أشهد ان هذا هو الحق أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وان الدرع درعك

(فصل وأما كلامه في تفسير القرآن فكثير وهو مستوفى في كتابنا التفسير المسند باسانيده) وقد أخرج ابن سعد عن علي قال والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا صادقا ناطقا وأخرج ابن سعد وغيره عن أبي الطفيل قال قال علي سلوني عن كتاب الله فانه ليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل وأخرج ابن أبي داود عن محمد بن سيرين قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطأ علي عن بيعة أبي بكر فلقيه أبو بكر فقال أكرهت امارتي فقال لا ولكن آليت أن لا أرتدي بردائي الا الى الصلاة حتى أجمع القرآن فزعموا انه كتبه على تنزيله فقال محمد لو أصيب ذلك الكتاب كان فيه العلم

(فصل في نبذ من كلماته الوجيزة المختصرة البديعة) قال علي رضي الله عنه الحزم سوء الظن أخرجه أبو الشيخ بن حبان وقال القريب من قربته المودة وان بعد نسبه والبعيد من باعدته العداوة وان قرب نسبه ولا شئ أقرب من يد الى جسد وان اليد اذا فسدت قطعت واذا قطعت حسمت أخرجه أبو نعيم وقال خمس

والعتبة اذا كان جالسا ومنهم من يرى تقبيل البساط ومنهم من يرى الانحناء في الخدمة كالركوع ومنهم من لا يرى الا السلام والخطاب بالنعت الاتم الاكمل والجلوس فاما تقبيل اليد عند القدوم وعند البيعة وعند العفو وعند تجديد الاحسان فعادة سوية لم يمنعها شرع ولا سياسة *ومن أدب مجالسته ان لا يتحدث مع غيره في سر ولا جهر لانه في خدمة الملك ولا يفاوضه بالجهر ولا يلح بالنظر اليه ولا بحوائج الناس لئلا يكرهه ولا يطاول عليه فيضجره ولا يلاحظه فيمقته ولا ينقطع عن خدمته فينساه ولا يبعد عنه فتتمكن منه أعداه بل يتوسط ولا يتورط ويوافق ولا يشاقق ولا يخاطبه في حاجته ولا يتعرض بطلبها ولو كان أقرب الناس اليه بل يكتب اليه أو يتوسل بغيره ولا يدل عليه بسالف خدمة ولا يمن بحقوق قديمة وان اقتضى الحال ذلك فليكن بألطف اشارة (وقال) الحسن ابن سهل اذا خاطب الملك غيرك أو سأله عن شئ فلا تكن المجيب عنه ولو عرفت الجواب واذا تكلم فاصغ الى كلامه ولا تشتغل بغيره ولا تكثر الكلام بين يديه ولو أعجبه فان الصمت قليلة وسقطات اللسان كثيرة والملوك لا تعزى بل يقتصر على الدعاء لهم بدوام الظفر والسعادة حسب ما يليق بهم من غير تطويل ولا يقال للملك كيف أصبح ولا أمسى ولا يسئل عن حاله ولا يطنب في تحسين كلامه ولا أفعاله ففيه تخجيل ولا يستعاد منه الكلام ولا يستزاد ولا تحسن الاشارات في مجلسه ولا يغامز

خذوهن عني لايخافن أحد منكم الاذنبه ولايرجوا الاربه ولايستحي من لايعلم ان يتعلم ولايستحي من لايعلم اذا سئل عما لايعلم ان يقول الله أعلم وان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد اذا ذهب الصبر ذهب الايمان واذا ذهب الرأس ذهب الجسد أخرجه ابن سعيد منصور فى سننه وقال الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم فى معاصي الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى غيره لانه لاخير فى عبادة لاعلم فيها ولاعلم لافهم معه ولاقرأة لاتدبر فيها أخرجه ابن الضريس فى فضائل القرآن وقال وأبردها على كبدي اذا سئلت عما لا أعلم أن أقول الله أعلم أخرجه ابن عساكر وقال من أراد ان ينصف الناس من نفسه فليحب لهم مايحب لنفسه (أخرجه ابن عساكر وقال سبع من الشيطان شدة الغضب وشدة العطاس وشدة التثاؤب والقيء والرعاف والنجوى والنوم عند الذكر وقال كلوا الرمان بشحمه فانه دباغ المعدة أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند) وقال قراءتك على العالم وقراءة العالم عليك سواء أخرجه الحاكم فى التاريخ وقال يأتي على الناس زمان المؤمن فيه أذل من الامة أخرجه سعيد بن منصور ولابي الاسود الدؤلي يرثي عليا رضي الله عنه

ألا ياعين ويحك أسعدينا * ألاتبكي أمير المؤمنينا * وتبكي أم كلثوم عليه
بعبرتها وقد رأت اليقينا * الاقل للخوارج حيث كانوا * فلاقرت عيون الحاسدينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا * بخير الناس طرا أجمعينا * قتلتم خير من ركب المطايا
وذللها ومن ركب السفينا * ومن لبس النعال ومن حذاها * ومن قرأ المثاني والمبينا
وكل مناقب الخيرات فيه * وحب رسول رب العالمينا * لقد علمت قريش حيث كانت
بانك خيرهم حسبا ودينا * اذا استقبلت وجه أبي حسين * رأيت البدر فوق الناظرينا
وكنا قبل مقتله بخير * نرى مولى رسول الله فينا * يقيم الحق لايرتاب فيه
ويعدل فى العدى والاقربينا * وليس بكاتم علما لديه * ولم يخلق من المتكبرينا
كان الناس اذ فقدوا عليا * نعام حار فى بلد سنينا
فلاتشمت معاوية بن صخر * فان بقية الخلفاء فينا

*(فصل) مات فى أيام علي من الاعلام موتا وقتلا حذيفة بن اليمان * والزبير بن العوام وطلحة وزيد بن صوحان وسلمان الفارسي وهند بن أبي هالة وأويس القرني وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وسهل بن حنيف وصهيب الرومي ومحمد بن أبي بكر الصديق وتميم الداري وخوات بن جبير وشرحبيل بن السمط وأبو ميسرة البدري وصفوان بن عسال وعمرو بن عنبسة وهشام بن حكيم وأبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم وآخرون

(الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبو محمد سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته وآخر الخلفاء بنصه أخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان قال الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ماسمت العرب بهما فى الجاهلية ولد الحسن رضي الله عنه فى نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة وروى له عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث وروى عنه عائشة رضي الله عنها وخلائق من التابعين منهم ابنه الحسن وأبو الحوراء ربيعة ابن سنان والشعبي وأبو وائل وكان شبيها بالنبي صلى الله عليه وسلم سماه النبي صلى الله عليه وسلم الحسن وعق عنه يوم سابعه وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة وهو خامس أهل الكساء قال العسكري لم يكن هذا الاسم يعرف فى الجاهلية وقال المفضل ان الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمى بهما النبي صلى الله عليه وسلم

ابنيه

ولايشتغل فى حضرته بتوديع راحل ولابسلام وارد (ومما) قاله شيخ الشيوخ تاج الدين بن حمويه الجويني انه كان جالسا عند بعض ملوك المغرب وقد دخل عليه الشيخ أبو سعيد عثمان ابن عمرو وهو من أكابر شيوخ الدولة وكان والي بلاد افريقية نحو العشرة أعوام فقال له اجلس بعد ان قام له وأكرمه والجماعة معه فجلس الى جنب أخيه عبد الواحد وهو الاكبر فخاطبه الملك فيما اقتضى الحال الخطاب به ولم ينظر أحد من الاخوين الى صاحبه ولا كلمه حتى تقوض المجلس وخرجا فتعانقا وتكلما ثم لقيت الشيخ أبا سعيد بعد ذلك فقلت له لقد أعجبني مارأيت منكما تغيب عن أخيك عشرة أعوام ثم تجتمع به فلا تكلمه قال نعم من الادب ان لايشتغل فى مجلس الملك بغيره كما قيل وقال بعض الفضلاء ان بليت بصحبة ملك أو وال ردىء السيرة فان وافقته ضيعت الآخرة وان خالفته ضيعت الدنيا فلا ينبغي الا البعد منه ان أمكن او مسارقة نقل طباعه عما هي عليه وتسديد رأيه وتحسين الحسن وتقبيح القبيح

(الباب الثاني فى أحوال الوزراء واختيارهم وما يجب لهم وعليهم)

قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي اشدد به أزري فوضح ان الوزير من الازر واشتقاقه من الوزر كما قيل (وفى سنن أبي داود) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بالامير خيرا

ابنه وأخرج البخاري عن أنس قال لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي وأخرج الشيخان عن البراء قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه وهو يقول اللهم اني أحبه فأحبه وأخرج البخاري عن أبي بكرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه ينظر الى الناس مرة واليه مرة ويقول ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين وأخرج البخاري عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم هما ريحانتاي من الدنيا يعني الحسن والحسين وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأخرج الترمذي عن أسامة بن زيد قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين على وركيه فقال هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وأخرج عن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أهل بيتك أحب اليك قال الحسن والحسين وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال أقبل النبي صلى الله عليه وسلم وقد حمل الحسن على رقبته فلقيه رجل فقال نعم المركب ركبت يا غلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن الزبير قال أشبه أهل النبي صلى الله عليه وسلم به وأحبهم اليه الحسن بن علي رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ولقد رأيته وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر وأخرج ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن بن علي فاذا رأى الصبي حمرة اللسان بهش اليه وأخرج الحاكم عن زهير بن الارقم قال قام الحسن بن علي يخطب فقام رجل من ازدشنوأة فقال أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه في حبوته وهو يقول من أحبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب ولولا كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثت به أحدا كان الحسن رضي الله عنه له مناقب كثيرة سيدا حليما ذا سكينة ووقار وحشمة جوادا ممدوحا يكره الفتن والسيف تزوج كثيرا وكان يجيز الرجل الواحد بمائة ألف وأخرج الحاكم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال لقد حج الحسن خمسا وعشرين حجة ماشيا وان النجائب لتقاد معه وأخرج ابن سعد عن عمير بن اسحق قال ما تكلم عندي أحد كان أحب الي اذا تكلم ان لا يسكت من الحسن بن علي وما سمعت منه كلمة فحش قط الا مرة فانه كان بين الحسن وعمرو بن عثمان خصومة في أرض فعرض الحسن أمرا لم يرضه عمرو فقال الحسن فليس له عندنا الا ما رغم أنفه قال فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه وأخرج ابن سعد عن عمير بن اسحق قال كان مروان أميرا علينا فكان يسب عليا كل جمعة على المنبر وحسن يسمع فلا يرد شيأ ثم أرسل اليه رجلا يقول له بعلي وبعلي وبعلي وبك وبك وبك وما وجدت مثلك الا مثل البغلة يقال لها من أبوك فتقول أمي الفرس فقال له الحسن ارجع اليه فقل له اني والله اني لا أمحو عنك شيأ مما قلت بأن أسبك ولكن موعدي وموعدك الله فان كنت صادقا جزاك الله بصدقك وان كنت كاذبا فالله أشد نقمة وأخرج ابن سعد عن زريق بن سوار قال كان بين الحسن وبين مروان كلام فاقبل عليه مروان فجعل يغلظ له والحسن ساكت فامتخط مروان بيمينه فقال له الحسن ويحك أما علمت ان اليمين للوجه والشمال للفرج أف لك فسكت مروان وأخرج ابن سعد عن أشعث بن سوار عن رجل قال جلس رجل الى الحسن فقال انك جلست الينا على حين قيام منا أفتأذن وأخرج ابن سعد عن علي بن زيد بن جدعان قال أخرج الحسن من ماله لله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى انه كان يعطي نعلا ويمسك نعلا ويعطي خفا ويمسك خفا وأخرج ابن سعد عن علي بن الحسين قال كان الحسن مطلاقا للنساء وكان لا يفارق امرأة الا وهي تحبه وأحصن تسعين امرأة وأخرج ابن سعد عن جعفر بن محمد عن أبيه قال كان الحسن يتزوج ويطلق حتى خشيت أن يورثنا عداوة في القبائل وأخرج ابن سعد عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال علي يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فانه رجل مطلاق فقال رجل من همدان والله لنزوجنه فما رضي أمسك وما كره طلق وأخرج ابن سعد عن عبد

اجعل الله له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه (وينبغي) ان يكون الوزير جامعا لخصال الخير حسن الخلق والخلق يجمع بين البشاشة والوقار والحلم والهيبة والعفة والنزاهة وعزة النفس سديد الآراء حسن العبارة سريع الفهم عالما بالامور السياسية والناموسية والضوابط السلطانية والاحوال الديوانية والامور الحربية يجمع ويفرق ويبعد ويقرب ويشتت ويؤلف ويضاف الى ذلك ان يكون قد بلغ أشده وكثرت تجاربه وأمنت خيانته وتحققت أمانته كتوما للاسرار يسكته الحلم وينطقه العلم له حفظ وبلاغة وانجاز في العبارة حسن التأني في مخاطبة الملك لطيف التوصل الى نقل طباعه من الميل الى الاعتدال وليكن مشتملا برداء الصدق والوفاء معروفا بصفات الخير من نفسه منصفا متبحرا في أنواع العلوم مالكا زمام المنثور والمنظوم جامعا لشتيت المكرمات عارفا بكتابة الانشاء والترسلات كافيا في حسن النظر والمباشرات شافيا في العروض والمناقلات خبيرا بالحال والمحاسبات ماهرا في الاستيفاء والمقابلات قويا في صناعة الحساب والتصرفات بليغا في الفصاحة والكلام حاذقا في البراعة والاهتمام وفي الذمام شفوقا بالاسلام ذكي الفكرة زكي الفطرة سريع الجواب كثير الصواب حسنا خطابه مفتنا في الحكم والاستنباطات مطيقا في

الله بن حسن (حسين) قال كان احسن رجلا كثير نكاح النساء وكن قلما يحظين عنده وكان كل امرأة تزوجها الا أحبته وصبت به وأخرج ابن عساكر عن جويرية بن أسماء قال لما مات الحسن بكى مروان فى جنازته فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه ماتجرعه فقال انى كنت أفعل ذلك الى أحلم من هذا وأشار بيده الى الجبل وأخرج ابن عساكر عن المبرد قال قيل للحسن بن على ان أباذر يقول الفقر أحب الى من الغنى والسقم أحب الى من الصحة فقال رحم الله أباذر أما أنا فاقول من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن انه فى غير الحالة التى اختارها الله له وهذا حد الوقوف على الرضى بما تصرف به القضاء ولى الحسن رضى الله عنه الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعته أهل الكوفة فأقام فيها ستة أشهر وأياما ثم سار اليه معاوية والامر الى الله فأرسل اليه الحسن يبذل له تسليم الامر اليه على ان تكون له الخلافة من بعده وعلى ان لايطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشئ مما كان أيام أبيه وعلى ان يقضى عنه ديونه فاجابه معاوية الى ماطلب واصطلحا على ذلك فظهرت المعجزة النبوية فى قوله صلى الله عليه وسلم يصلح الله به بين فئتين من المسلمين ونزل له عن الخلافة وقد استدل البلقينى بنزوله عن الخلافة التى هى أعظم المناصب على جواز النزول عن الوظائف وكان نزوله عنها فى سنة احدى وأربعين فى شهر ربيع الاول وقيل الآخر وقيل فى جمادى الاولى فكان أصحابه يقولون له ياعار المؤمنين فيقول العار خير من النار وقال له رجل السلام عليك يامذل المؤمنين فقال لست بمذل المؤمنين ولكنى كرهت أن أقتلكم على الملك ثم ارتحل الحسن عن الكوفة الى المدينة فأقام بها وأخرج الحاكم عن جبير ابن نفير قال قلت للحسن ان الناس يقولون انك تريد الخلافة فقال قد كان جماجم العرب فى يدى يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم ابتزها بأتياس أهل الحجاز توفى الحسن رضى الله عنه بالمدينة مسموما سمته زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس دس اليها يزيد بن معاوية ان تسمه فيتزوجها ففعلت فلما مات الحسن بعثت الى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال انا لم نرضك للحسن أفنرضاك لانفسنا وكانت وفاته سنة تسع وأربعين وقيل فى خامس ربيع الاول سنة خمسين وقيل سنة احدى وخمسين وجهد به أخوه أن يخبره بمن سقاه فلم يخبره وقال الله أشد نقمة ان كان الذى أظن والافلا يقتل بى والله برئ وأخرج ابن سعد عن عمران بن عبد الله بن طلحة قال رأى الحسن كان بين عينيه مكتوب قل هو الله أحد فاستبشر به أهل بيته فقصوها على سعيد بن المسيب فقال ان صدقت رؤياه فقل مابقى من أجله فمابقى الا أياما حتى مات وأخرج البيهقى وابن عساكر من طريق أبى المنذر هشام بن محمد عن أبيه قال أضاق الحسن بن على وكان عطاؤه فى كل سنة مائة ألف فحبسها عنه معاوية فى احدى السنين فأضاق اضاقة شديدة قال فدعوت بدواة لاكتب الى معاوية لاذكره نفسى ثم أمسكت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال كيف أنت ياحسن فقلت بخير ياأبت وشكوت اليه تأخر المال عنى فقال أدعوت بدواة لتكتب الى مخلوق مثلك تذكره ذلك فقلت نعم يارسول الله فكيف أصنع فقال قل اللهم اقذف فى قلبى رجاءك واقطع رجائى عمن سواك حتى لاأرجو أحدا غيرك اللهم وماضعفت عنه قوتى وقصر عنه عملى ولم تنته اليه رغبتى ولم تبلغه مسألتى ولم يجر على لسانى مما أعطيت أحدا من الاولين والآخرين من اليقين فخصنى به يارب العالمين قال فوالله ماألححت به أسبوعا حتى بعث الى معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف فقلت الحمد لله الذى لاينسى من ذكره ولايخيب من دعاه فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال ياحسن كيف أنت فقلت بخير يارسول الله وحدثته بحديثى فقال يابنى هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق وفى الطيوريات عن سليم بن عيسى قارئ أهل الكوفة قال لما حضرت الحسن الوفاة جزع فقال له الحسين ياأخى ماهذا الجزع انك ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى على وهما أبواك وعلى خديجة وفاطمة وهما أماك وعلى القاسم والطاهر وهما خالاك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك فقال له الحسن اى أخى انى داخل فى أمر من أمر الله تعالى لم أدخل فى مثله وأرى خلقا

والاقيسة معمر اللجهات والاعمال مثمر الاصناف الاموال كتوما للاسرار هادما للاوزار مجتهدا فى تحصيل الغلال والاموال من جهاتها مقتصدا فى وجوه صرفها ونفقاتها قد تجلبب فى ذلك بجلباب التقوى وقدم الله بين يديه حتى يقوى فهذه صفات الوزير الكامل ذى الجلالتين والاثير الفاضل فى الحالتين * فان اتفق كون الملك على ماينبغى أيضا من الخصال المحمودة والوزير على هذه الصفة فقد أسعد الله تلك الرعية وعمر تلك البلاد وهى الدولة التى يتجمل بها الزمان ويرضى عليها الرحمن (وقال) حكيم الهند اذا كان الملك عادلا حسن السيرة ووزراؤه على مثل رأيه وأفعاله كان شبيها بالنهر العظيم الحلو وهم كالسواقى المستمدة منه يسيح على الارض فيغمرها وينبتها ويستخرج المنافع ويوصلها الى غاية كمالها واذا كان الملك عادلا ووزراؤه ظلمة كان كالنهر العذب فيه التماسيح فلا يقدر أحد على الانتفاع به ولا السباحة فيه واذا كان سيئ السيرة ووزراؤه كذلك كانوا جميعا شبه البحر المالح الذى لاراحة فيه واذا كان ظالما وهم بعكسه كان كالبحر الاعظم فيه الدرر والخطر (وقيل) أضر ما على الملك ان يكون وزيره يجيد القول ولايجيد العمل فيركن الملك الى أقواله ويختل ملكه باهماله وقبيح أفعاله (وقال) من

من خلق الله لم أر مثله قط قال ابن عبد البر وروينا من وجوه انه لما احتضر قال لاخيه يا أخي ان أباك استشرف لهذا الامر فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر ثم استشرف لها وصرفت عنه الى عمر ثم لم نشك وقت الشورى انها لا تعدوه فصرفت عنه الى عثمان فلما قتل عثمان بويع علي ثم نوزع حتى جرد السيف فما صفت له واني والله ما أرى ان يجمع الله فينا النبوة والخلافة فلا أعرفن ما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك وقد كنت طلبت من عائشة رضي الله عنها ان أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فاذا مت فاطلب ذلك اليها وما أظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فلما مات أتى الحسين الى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت نعم وكرامة فمنعهم مروان فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده أبو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جنب أمه رضي الله عنها

(معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه)

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الاموي أبو عبد الرحمن أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة وشهد احنينا وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه وكان أحد الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث وثلاثة وستون حديثا روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو الدرداء وجرير البجلي والنعمان بن بشير وغيرهم ومن التابعين ابن المسيب وحميد بن عبد الرحمن وغيرهما وكان من الموصوفين بالدهاء والحلم وقد ورد في فضله أحاديث قلما تثبت أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصحابي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا وأخرج أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمير قال قال معاوية مازلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاوية اذا ملكت فأحسن وكان معاوية رجلا طويلا أبيض جميلا مهيبا وكان عمر ينظر اليه فيقول هذا كسرى العرب وعن علي قال لا تكرهوا امرة معاوية فانكم لو فقدتموه لرأيتم الرؤس تندر عن كواهلها وقال المقبري تعجبون من دهاء هرقل وكسرى وتدعون معاوية وكان يضرب بحلمه المثل وقد أفرد ابن أبي الدنيا وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفا في حلم معاوية قال ابن عون كان الرجل يقول لمعاوية والله لتستقيمن بنا يا معاوية أو لنقومنك فيقول بماذا فيقول بالخشب فيقول اذن نستقيم وقال قبيصة بن جابر صحبت معاوية فما رأيت رجلا أثقل حلما ولا أبطأ جهلا ولا أبعد أناة منه ولما بعث أبو بكر الجيوش الى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان فلما مات يزيد استخلفه على دمشق فأقره عمر ثم أقره عثمان وجمع له الشام كله فأقام أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة قال كعب الاحبار لن يملك أحد هذه الامة ما ملك معاوية قال الذهبي توفي كعب قبل أن يستخلف معاوية قال وصدق كعب فيما نقله فان معاوية بقي خليفة عشرين سنة لا ينازعه أحد الامر في الارض بخلاف غيره ممن بعده فانه كان لهم مخالف وخرج عن أمرهم بعض الممالك خرج معاوية على علي كما تقدم وتسمى بالخلافة ثم خرج على الحسن فنزل له الحسن عن الخلافة فاستقر فيها من ربيع الآخر أو جمادى الاولى سنة احدى وأربعين فسمى هذا العام عام الجماعة لاجتماع الامة فيه على خليفة واحد وفيه ولى معاوية مروان بن الحكم المدينة وفي سنة ثلاث وأربعين فتحت الرخج وغيرها من بلاد سجستان وودان من برقة وكوزاى من بلاد السودان وفيها استلحق معاوية زياد بن أبيه وهي أول قضية غير فيها حكم النبي صلى الله عليه وسلم في الاسلام (ذكره الثعالبي وغيره) وفي سنة خمس وأربعين فتحت القيقان وفي سنة خمسين فتحت قوهستان عنوة وفيها دعا معاوية أهل الشام الى البيعة بولاية العهد من بعده لابنه يزيد فبايعوه وهو أول من عهد بالخلافة لابنه وأول من عهد بها في صحته ثم انه كتب الى مروان بالمدينة

(وقال) كانت الفرس تختار أن يكون الوزير حسن الهيئة والصورة سالم الاعضاء من النقص والعيب متوسطا في الحلم والعقوبة والوقار والبشاشة جيد الفهم أصيل الرأي متين الدين فصيح العبارة مليح الخط مطلعا على تواريخ الامم وتجارب الاول ثابت الجاش عند تزاحم الحوادث فانه الوزير المحمود الخصال ولا ينبغي ان يكون الوزير حسودا ولا حقودا ولا غادرا ولا شرها في أكل ولا شرب ولا نكاح (وقد) اختلف أهل السياسة في عدد الوزراء فذهبت الهند الى اتخاذ سبعة ويذهبون بذلك الى تدبير الفلك بالسبعة السيارة وبعضهم ذهب الى خمسة وهو رأي الروم والفرس اختاروا ثلاثة والاسلام اختصروا على واحد (فينبغي) للملك ان يوسع على الوزراء في العطاء ويفرغ بالهم عن مهماتهم بازاحة أعذارهم لئلا يشتغلوا بأحوالهم عما هم بصدده من الامور السلطانية ويساوي بينهم في العطاء اذا كانت أنسابهم وأقدارهم متماثلة فانهم يتحاسدون فيغشون ولا ينظر الى التفاوت بين الاسنان فرب شاب أصح رأيا من شيخ وبالعكس وقد قيل ان العقل يهرم بهرم الانسان

(فصل في المشورة)

قال الله تعالى وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله الآية فحث على المشورة وندب اليها وفيها من المصالح مالا يخفى وما ندم من استشار كما قيل

لاتحقرن الرأى وهو موافق * حكم (٧٦) الصواب اذا أتى من ناقص * فالدر وهو أجل شئ يقتنى ما حط قيمته هوان الغائص والمشورة صناعة شريفة

لانها نفسانية متعلقة بالفكر والقوى وذلك فى غاية الشرف كما ان حمل الاثقال من الاعمال البدنية البعيدة عن تعلقات النفس وهو فى غاية الخساسة وعلى مقدار نفاسته يكون الصواب فيؤثر مصالح كثيرة وكذلك الخطأ فيه يؤثر كثيرا من الفساد والشر وكم من دماء تباح به وتحقن وبلاد تعمر به وتخرب (فينبغى) للملك اذا عزم على المشورة فى الامور المهمة العظيمة ان يخلو مع كل واحد ويستشيره ثم يتفكر فى الرأى ويجمع بينهم بعد ذلك ويأخذ رأيهم جميعا وكل رأى اقتصر عليه الاكثر يميز الملك فيه ويزنه بميزان عقله ويقيسه على آثار المتقدمين فما وافق يعتمد عليه والقرائن تدل على صحة بعضها وان كانوا ممن يستشيرهم فردا فلا يجمع بينهم فان الانفراد فيه احتياط على الكتمان واندفاع محذور منافقة بعضهم لبعض أو مشاققته (ويجب) على المستشار ان يكتم ذلك عن الصبى الصغير ومن لا يثق به الى كمال عقله ولا يكتبه بما يقرأ لغيره ولا يستشهد بما يدل عليه فكم قد ظهر من الاسرار بهذه الطرق ما أفسد الاحوال (ومما جرى فى ذلك) ان بعض بنى الفرات كان له روشن مطل على الدجلة وكان اذا جلس فيه لقضاء الاشغال وقراءة القصص قطع ما يريد كتمانه ورمى به فى الدجلة وعنده

أن يأخذ البيعة فخطب مروان فقال ان أمير المؤمنين رأى أن يستخلف عليكم ولده يزيد سنة أبى بكر وعمر فقام عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق فقال بل سنة كسرى وقيصر ان أبا بكر وعمر لم يجعلاها فى أولادهما ولا فى أحد من أهل بيتهما ثم حج معاوية سنة احدى وخمسين وأخذ البيعة لابنه فبعث الى ابن عمر فتشهد وقال أما بعد يا ابن عمر انك كنت تحدثنى انك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء ليس عليك فيها أمير وانى أحذرك أن تشق عصا المسلمين أو تسعى فى فساد ذات بينهم فحمد ابن عمر الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه قد كان قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير من أبنائهم فلم يروا فى أبنائهم ما رأيت فى ابنك ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار وانك تحذرنى أن أشق عصا المسلمين ولم أكن لافعل وانما أنا رجل من المسلمين فاذا اجتمعوا على أمر فانما أنا رجل منهم فقال يرحمك الله فخرج ابن عمر ثم أرسل الى ابن أبى بكر فتشهد ثم أخذ فى الكلام فقطع عليه كلامه وقال انك لوددت انا وكلناك فى أمر ابنك الى الله وانا والله لا نفعل والله لتردن هذا الامر شورى فى المسلمين أو لنفرقنها عليك خدعة ثم وثب ومضى فقال معاوية اللهم اكفنيه بما شئت ثم قال على رسلك أيها الرجل لا تشرفن على أهل الشام فانى أخاف ان يسبقونى بنفسك حتى أخبر العشية انك قد بايعت ثم كن بعد على ما بدا لك من أمرك ثم أرسل الى ابن الزبير فقال يا ابن الزبير انما أنت ثعلب رواغ كلما خرج من جحر دخل فى آخر وانك عمدت الى هذين الرجلين فنفخت فى مناخرهما وحملتهما على غير رأيهما فقال ابن الزبير ان كنت قد مللت الامارة فاعتزلها وهلم ابنك فلنبايعه أرأيت اذا بايعت ابنك معك لايكما نسمع ونطيع لا تجتمع البيعة لكما أبدا ثم راح فصعد معاوية المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار زعموا ان ابن عمر وابن أبى بكر وابن الزبير لن يبايعوا يزيد وقد سمعوا وأطاعوا له وبايعوا له فقال أهل الشام والله لا نرضى حتى يبايعوا له على رؤس الاشهاد والا ضربنا أعناقهم فقال سبحان الله ما أسرع الناس الى قريش بالشر لا أسمع هذه المقالة من أحد منكم بعد اليوم ثم نزل فقال الناس بايع ابن عمر وابن أبى بكر وابن الزبير وهم يقولون لا والله فيقول الناس بلى وارتحل معاوية فلحق بالشام وعن ابن المنكدر قال قال ابن عمر حين بويع يزيد ان كان خيرا رضينا وان كان بلاء صبرنا وأخرج الخرائطى فى الهواتف عن حميد بن وهب قال كانت هند بنت عتبة بن ربيعة عند الفاكه بن المغيرة وكان من فتيان قريش وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم فقام الفاكه وهند فيه ثم خرج الفاكه لبعض حاجاته وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى المرأة ولى هاربا فأبصره الفاكه فانتهى اليها فضربها برجله وقال من هذا الذى كان عندك قالت ما رأيت أحدا ولا انتبهت حتى أنبهتنى فقال لها الحقى بأهلك وتكلم فيها الناس فخلا بها أبوها فقال لها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك فأنبئينى بذلك فان يكن الرجل صادقا دسست اليه من يقتله فتنقطع عنا المقالة وان يكن كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن قال فحلفت له بما كانوا يحلفون به فى الجاهلية انه كاذب عليها فقال عتبة للفاكه انك قد رميت ابنتى بأمر عظيم فحاكمنى الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وخرج عتبة فى جماعة من بنى عبد مناف ومعهم هند ونسوة معها تأنس بهن فلما شارفوا البلاد تنكرت حال هند وتغير وجهها فقال لها أبوها يا بنية انى قد أرى ما بك من تغير الحال وما ذاك الا لمكروه عندك قالت لا والله يا أبتاه وما ذاك لمكروه ولكنى أعرف انكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب فلا آمنه أن يسمنى بسيماء تكون على سبة فى العرب فقال لها انى سوف أختبره لك قبل ان ينظر فى أمرك فصفر بفرسه حتى أدلى ثم أدخل فى احليله حبة من الحنطة وأوكأ عليها بسير وصبحوا الكاهن فنحر لهم وأكرمهم فلما تغدوا قال له عتبة انا قد جئناك فى أمر وقد خبأت لك خبيئا أختبرك به فانظر ما هو قال برة فى كمرة قال أريد أبين من هذا قال حبة من بر فى احليل مهر فقال عتبة صدقت انظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل يدنو من احداهن ويضرب كتفها ويقول انهضى حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال انهضى غير رسحاء ولا زانية ولتلدين ملكا يقال له معاوية فنظر اليها الفاكه فأخذ

بيدها

بيدها فنثرت يدها من يده وقالت اليك فوالله لاحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فجاءت بمعاوية

مات معاوية في شهر رجب سنة ستين ودفن بين باب الجابية و باب الصغير وقيل انه عاش سبعا وسبعين سنة وكان عنده شيء من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلامة أظفاره فاوصى أن تجعل في فمه وعينيه وقال افعلوا ذلك وخلوا بيني و بين أرحم الراحمين

(فصل) في نبذ من أخباره أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن سعيد بن جمهان قال قلت لسفينة ان بني أمية يزعمون ان الخلافة فيهم قال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من أشد الملوك وأول الملوك معاوية وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابراهيم بن سويد الارمني قال قلت لاحمد بن حنبل من الخلفاء قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي قلت فمعاوية قال لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي وأخرج السلفي في الطيوريات عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي عن علي ومعاوية فقال اعلم ان عليا كان كثير الاعداء ففتش له أعداؤه عيبا فلم يجدوا فجاؤا الى رجل قد حاربه وقاتله فاطروه كيادا منهم له وأخرج ابن عساكر عن عبد الملك ابن عمير قال قدم جارية بن قدامة السعدي على معاوية فقال من أنت قال جارية بن قدامة قال وما عسيت أن تكون هل أنت الا نحلة قال لا تقل فقد شبهتني بها حامية اللسعة حلوة البصاق والله ما معاوية الا كلبة تعاوي الكلاب وما أمية الا تصغير أمة وأخرج عن الفضل بن سويد قال وفد جارية بن قدامة على معاوية فقال له معاوية أنت الساعي مع علي بن أبي طالب والموقد النار في شعلك تجوس قرى عربية تسفك دماءهم قال جارية يا معاوية دع عنك عليا فما أبغضنا عليا منذ أحببناه ولا غششناه منذ صحبناه قال ويحك يا جارية ما كان أهونك على أهلك اذ سموك جارية قال أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك اذ سموك معاوية قال لا أم لك قال أم ما ولدتني ان قوائم السيوف التي لقيناك بها بصفين في أيدينا قال انك لتهددني قال انك لم تملكنا قسرة ولم تفتحنا عنوة ولكن أعطيتنا عهودا ومواثيق فان وفيت لنا وفينا وان ترغب الى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالا مدادا وأدرعا شدادا وأسنة حدادا فان بسطت الينا فترا من غدر دلفنا اليك بباع من ختر قال معاوية لا أكثر الله في الناس أمثالك وأخرج عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الصحابي انه دخل على معاوية فقال له معاوية ألست من قتلة عثمان قال لا ولكني ممن حضره فلم ينصره قال وما منعك من نصره قال لم تنصره المهاجرون والانصار فقال معاوية أما لقد كان حقه واجبا عليهم ان ينصروه قال فما منعك يا أمير المؤمنين من نصره ومعك أهل الشام فقال معاوية أما طلبي بدمه نصرة له فضحك أبو الطفيل ثم قال أنت وعثمان كما قال الشاعر

لا ألفينك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادي

وقال الشعبي أول من خطب الناس قاعدا معاوية وذلك حين كثر شحمه وعظم بطنه أخرجه ابن أبي شيبة وقال الزهري أول من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيد معاوية أخرجه عبد الرزاق في مصنفه وقال سعيد بن المسيب أول من أحدث الاذان في العيد معاوية أخرجه ابن أبي شيبة وقال أول من نقص التكبير معاوية أخرجه (البياض في الاصل) وفي الاوائل للعسكري قال معاوية أول من وضع البريد في الاسلام وأول من اتخذ الخصيان لخاص خدمته وأول من عبثت به رعيته وأول من قيل له السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله وأول من اتخذ ديوان الخاتم وولاه عبيد الله بن أوس الغساني وسلم اليه الخاتم وعلى فصه مكتوب لكل عمل ثواب واستمر ذلك في الخلفاء العباسيين الى آخر وقت وسبب اتخاذه له انه امر لرجل بمائة ألف ففك الكتاب وجعلها مائتي الف فلما رفع الحساب الى معاوية انكر ذلك واتخذ ديوان الخاتم من يومئذ وهو أول من اتخذ المقصورة بالجامع وأول من أذن في تجريد الكعبة وكانت كسوتها قبل ذلك تطرح عليها شيأ فوق شيء وأخرج الزبير بن بكار في الموفقيات عن ابن أخي الزهري

انه قد احاط على الكتمان وكان رجل من أصحاب الاجناد يجلس على طريق مائه و يلتقط تلك الاوراق المقطعة ثم يمضي بها و يلفقها و يستخرج منها الاسرار التي ظن انه كتمها فاختلت عليه بذلك أحواله واما الحازم من الملوك فانه كان يجلس و بين يديه طشت فيه الماء وكلما قرأ رقعة يريد كتمانها غسلها بيده لوقتها فبلغ بذلك مقاصد كثيرة ونجحت له مطالب غزيرة وقال البلخي ينبغي للملك اذا دهمه امر عظيم أن لا يضطرب له و يتثبت و يتوقف في اشاعته ولا يبادر الى المشورة فانه لا يزيد نظره في ذلك الا بصيرة والامر الصعب الا سهولة ثم يستشير و يعمل فيه فقد تبدر من المشهورة نوادر ليس لها أصل وهذا أخذ من قول الحكيم أفلاطون حيث قال كل عظيم يبدو صغيرا ثم يعظم الا المصيبة فانها تبدو عظيمة وتصغر (وقد قيل) استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان وتستشار الوزراء في الحرب فانه كالزناد يصلاها ولا يصطليها ولا يستشار الجند فيها الا من كان كامل العقل غير متهور في شجاعته ولا جبان ولا بخيل فان المتهور يوقع في الاخطار والجبان والبخيل يفوتان الفرص (و ينبغي) للملك ان لا يجعل بينه و بين البريد وأصحاب الاخبار واسطة ولا يجعل بينهم و بين الوزراء تعلقا لان ذلك يوهن المملكة ويطوي الاخبار عن الملك لان الوزير لا يمكن أحدا من ايصال ما يكرهه الى الملك ويؤخر عنه ما يجب تقديمه (يحكى) أن المأمون لما عزم على نقل

قال قلت للزهرى من أول من استحلف فى البيعة قال معاوية استحلفهم بالله فلما كان عبد الملك بن مروان استحلفهم بالطلاق والعتاق وأخرج العسكرى فى كتاب الاوائل عن سليمان بن عبد الله بن معمر قال قدم معاوية مكة أو المدينة فأتى المسجد فقعد فى حلقة فيها ابن عمر وابن عباس وعبد الرحمن بن أبى بكر فأقبلوا عليه وأعرض عنه بن عباس فقال وانا أحق بهذا الامر من هذا المعرض وابن عمه فقال ابن عباس ولم ألتقدم فى الاسلام أم سابقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قرابة منه قال لا ولكنى ابن عم المقتول قال فهذا أحق به يريد ابن أبى بكر قال ان أباه مات موتا قال فهذا أحق به يريد ابن عمر قال ان أباه قتله كافر قال فذاك أدحض لحجتك ان كان المسلمون عتبوا على ابن عمك فقتلوه وقال عبد الله بن محمد بن عقيل قدم معاوية المدينة فلقيه أبو قتادة الانصارى فقال معاوية تلقانى الناس كلهم غيركم يامعشر الانصار قال لم يكن لنا دواب قال فاين النواضح قال عقرناها فى طلبك وطلب أبيك يوم بدر ثم قال أبو قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا انكم سترون بعدى أثرة قال معاوية فما أمركم قال أمرنا أن نصبر قال فاصبر وافبلغ ذلك عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقال

ألا ابلغ معاوية بن حرب * أمير المؤمنين بنا كلامى
فانا صابرون ومنظروكم * الى يوم التغابن والخصام

وأخرج ابن أبى الدنيا وابن عساكر عن جبلة بن سحيم قال دخلت على معاوية ابن أبى سفيان وهو فى خلافته وفى عنقه حبل وصبى يقوده فقلت له ياأمير المؤمنين أتفعل هذا قال يالكع أسكت فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان له صبى فليتصاب له قال ابن عساكر غريب جدا وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن الشعبى قال دخل شاب من قريش على معاوية فاغلظ عليه فقال له ياابن أخى أنهاك عن السلطان ان السلطان يغضب غضب الصبى و يأخذ أخذ الاسد وأخرج عن الشعبى قال قال زياد استعملت رجلا فكثر خراجه نخشى أن اعاقبه ففر الى معاوية فكتبت اليه ان هذا أدب سوء لمن قبلى فكتب الى انه ليس ينبغى لى ولا لك أن نسوس الناس بسياسة واحدة أن نلين جميعا فتمرح الناس فى المعصية ولا ان نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك ولكن تكون للشدة والفظاظة واكون للين والرأفة وأخرج عن الشعبى قال سمعت معاوية يقول ماتفرقت أمة قط الا ظهر أهل الباطل على أهل الحق الا هذه الامة وفى الطيوريات عن سليمان المخزومى قال أذن معاوية للناس اذنا عاما فلما احتفل المجلس قال أنشدونى ثلاثة أبيات لرجل من العرب كل بيت قائم بمعناه فسكتوا ثم طلع عبد الله بن الزبير فقال هذا مقوال العرب وعلامتها أبو خبيب قال مهيم قال أنشدنى ثلاثة أبيات لرجل من العرب كل بيت قائم بمعناه قال بثلثمائة ألف قال وتساوى قال أنت بالخيار وأنت واف كاف قال هات فانشده للافوه الاودى قال شعرا

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال

قال صدقت هيه قال

ولم أر فى الخطوب أشد وقعا * وأصعب من معاداة الرجال

قال صدق هيه قال

وذقت مرارة الاشياء طرا * فما طعم أمر من السؤال

قال صدق ثم أمر له بثلثمائة ألف وأخرج البخارى والنسائى وابن أبى حاتم فى تفسيره واللفظ له من طرق ان مروان خطب بالمدينة وهو على الحجاز من قبل معاوية فقال ان الله قد أرى أمير المؤمنين فى ولده يزيد رأيا حسنا وان يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر وفى لفظ سنة أبى بكر وعمر فقال عبد الرحمن بن أبى بكر سنة هرقل وقيصر ان أبا بكر والله ماجعلها فى أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته ولا جعلها معاوية الا رحمة وكرامة لولده فقال مروان الست الذى قال لوالديه أف لكما فقال عبد الرحمن ألست بن اللعين الذى لعن أباك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة رضى الله عنها كذب مروان مافيه نزلت ولكن نزلت فى فلان بن فلان ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان فى صلبه فمروان بعض من لعنه الله وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن عروة قال قال معاوية لا حلم الا التجارب وأخرج بن عساكر عن الشعبى قال دهاة العرب أربعة

الاز فذا الى الطالبيين وبايع وهو لعلى بن موسى الرضا بلغ ذلك بنى العباس فاضطربوا وشق عليهم ذلك ثم نصبوا ابراهيم المهدى وبايعوه وأدى الامر الى أن حاربوا الحسن بن سهل وكسروه والاخبار منطوية على المامون بسبب تمكن الفضل ابن سهل من الامور وكان وزير المأمون فحيلت زوجة المأمون فى ان بعثت له خلعا من خزوشى وكتبت ما أرادت على بطائنها وجعلت فوق البطائن بطائن ومخة خلقة فلما عرضت على الفضل بن سهل أمر بحملها الى المأمون ولم ينظر فى ذلك فلما أراد المأمون لبسها نظر فى رداءة بطائنها فنزعها فرأى الكتابة على البطائن الاصلية فعظم ذلك عليه وعلم انطواء الاخبار عنه فاخرج البريد عن تعلق الوزير وتنكر ذلك من الفضل بن سهل فقال له أردت أن أكفيك هذا الامر ثم أعلمك به فلم يقبل عذره ورحل الى العراق من وقته وكان من أمره ماهو مذكور مشهور

* (الباب الثالث من القسم الثانى فى كتاب الرسائل والدواوين ومالهم من الرسوم والقوانين)

قيل ان اخط أحد اللسانين وكاتب الملك أحد الترجمانين فيجب ان يختار الملك كاتب رسائله من يكون حسن الفهم والذكاء وافر العلم والعقل صحيح الرأى والعبارة جزلها مليح التأنى فى نظم المعانى ونثرها فان اتفق أن يكون حسن الخط فهو كماله والا فيكون دون المنشئ وغيره الكاتب ولقد عيب على معاوية

معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد فاما معاوية فللحلم والاناة وأما عمرو فللمعضلات واما المغيرة فللمبادهة وأما زياد فللكبير والصغير وأخرج أيضا عنه قال كان القضاة أربعة والدهاة أربعة فاما القضاة فعمر وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وأما الدهاة فمعاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد وأخرج عن قبيصة ابن جابر قال صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلا أقرأ لكتاب الله ولا أفقه في دين الله منه وصحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلا أعطى لجزيل مال من غير مسئلة منه وصحبت معاوية فما رأيت رجلا أثقل حلما ولا أبطأ جهلا ولا أبعد أناة منه وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا أنصع طرفا ولا أحلم جليسا منه وصحبت المغيرة ابن شعبة فلو ان مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها الا بمكر لخرج من أبوابها كلها وأخرج ابن عساكر عن حميد بن هلال ان عقيل بن أبي طالب سأل عليا فقال اني محتاج واني فقير فاعطني فقال اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين فاعطيك معهم فالح عليه فقال لرجل خذ بيده وانطلق به الى حوانيت أهل السوق فقل دق هذه الاقفال وخذ ما في هذه الحوانيت قال تريد ان تتخذني سارقا قال وأنت تريد ان تتخذني سارقا ان آخذ أموال المسلمين فاعطيكها دونهم قال لآتين معاوية قال أنت وذاك فأتى معاوية فسأله فاعطاه مائة ألف ثم قال اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به علي وما أوليتك فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اني أخبركم اني أردت عليا على دينه فاختار دينه واني أردت معاوية على دينه فاختارني على دينه وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه ان عقيلا دخل على معاوية فقال معاوية هذا عقيل وعمه أبو لهب فقال عقيل هذا معاوية وعمته حمالة الحطب وأخرج ابن عساكر عن الاوزاعي قال دخل خريم بن فاتك على معاوية ومئزره مشمر وكان حسن الساقين فقال معاوية لو كانت هاتان الساقان لامرأة فقال خريم في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين

مات في أيام معاوية من الاعلام صفوان بن أمية وحفصة وأم حبيبة وصفية وميمونة وسودة وجويرية وعائشة أمهات المؤمنين رضي الله عنهم ولبيد الشاعر وعثمان بن طلحة الحجبي وعمرو بن العاص وعبد الله بن سلام الحبر ومحمد بن مسلمة وأبو موسى الاشعري وزيد بن ثابت وأبو بكرة وكعب بن مالك والمغيرة ابن شعبة وجرير البجلي وأبو أيوب الانصاري وعمران بن حصين وسعيد بن زيد وأبو قتادة الانصاري وفضالة بن عبيد وعبد الرحمن بن أبي بكر وجبير بن مطعم واسامة بن زيد وثوبان وعمرو بن حزم وحسان بن ثابت وحكيم بن حزام وسعد بن أبي وقاص وأبو اليسر وقثم بن العباس وأخوه عبيد الله وعقبة بن عامر وأبو هريرة سنة تسع وخمسين وكان يدعو اللهم اني أعوذ بك من رأس الستين وامارة الصبيان فاستجيب له وخلائق آخرون رضي الله عنهم

(يزيد بن معاوية أبو خالد الاموي)

يزيد بن معاوية أبو خالد الاموي ولد سنة خمس أو ست وعشرين وكان ضخما كثير اللحم كثير الشعر وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية روى عن أبيه وعنه ابنه خالد وعبد الملك بن مروان جعله أبوه ولي عهده وأكره الناس على ذلك كما تقدم قال الحسن البصري أفسد أمر الناس اثنان عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحملت ونال من القراء فحكم الخوارج فلا يزال هذا التحكيم الى يوم القيامة والمغيرة بن شعبة فانه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب اليه معاوية اذا قرأت كتابي فأقبل معزولا فأبطأ عنه فلما ورد عليه قال ما أبطأ بك قال أمر كنت أوطئه وأهيئه قال وما هو قال البيعة ليزيد من بعدك قال أو قد فعلت قال نعم قال ارجع الى عملك فلما خرج قال له أصحابه ما وراءك قال وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه الى يوم القيامة قال الحسن فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لابنائهم ولولا ذلك لكانت شورى الى يوم القيامة وقال ابن سيرين وفد عمرو بن حزم على معاوية فقال له اذكرك الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بمن تستخلف عليها فقال نصحت

بعض الكتاب كونه لا يحسن البراية للاقلام فقال ذلك من صنعة النجارة وهو اليها أقرب ولكن فيه عي وعجز عن الكتابة (وقيل) الكلام جسد والمعنى روحه والخط هيئته وجماله أو قبحه ولا غنى لكاتب الانشاء ان يكون ذا فنون من العلم في فن البلاغة والبراعة وعلم الشريعة والتاريخ والكتاب العزيز والتفسير والاحاديث النبوية والآثار المروية واشعار العرب وأمثالهم السائرة والوقائع حسن الخط سريعه جيدا في النحو والعربية ويعرف الحجج النقلية والعقلية والبراهين فربما انه احتاج الى دعوة الى مذهب أو مجادلة في النزوع عن مذهب واعتقاد فيبطل المذهب الممنوع ويثبت المذهب المدعو اليه وبالعكس ويجب ان يكون عارفا بالامور السياسية والقواعد الملكية فاذا عهد الى نائب اقليم أو والي حرب أو نائب ثغر أو قاض أو خطيب أو حكيم أو كان من كان من أرباب المناصب وغيرها فيعرف مقادير الناس وطبقاتهم ومكانهم من الدولة والملك فيوفيهم حقوقهم في النعوت والالقاب والخطاب (ومن نظر) في كتب ابي أيوب المورياني وأبي سلمة الخلال وتأثيرهما في صدر الدولة العباسية علم شرف موقعهما وكذلك الحال في بني برمك ثم من بعدهم الصاحب بن عباد في الدولة الديلمية وتمهيدها وتثبيت قواعدها وتشييد مبانيها وكذلك الصابي وغيره من فضلاء الكتاب ثم في الدولة الايوبية محاسن درر ألفاظ

وقلت برأيك وانه لم يبق الا ابنى وأبناءهم وابنى أحق وقال عطية بن قيس خطب معاوية فقال اللهم ان كنت انما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله فبلغه ما أملت وأعنه وان كنت انما حملنى حب الوالد لولده وانه ليس لما صنعت به أهلا فاقبضه قبل ان يبلغ ذلك فلما مات معاوية بايعه أهل الشام ثم بعث الى أهل المدينة من يأخذ له البيعة فأبى الحسين وابن الزبير ان يبايعاه وخرجا من ليلتهما الى مكة فأما ابن الزبير فلم يبايع ولا دعا الى نفسه وأما الحسين فكان أهل الكوفة يكتبون اليه يدعونه الى الخروج اليهم زمن معاوية وهو يأبى فلما بويع يزيد أقام على ما هو مهموم مجمع الاقامة مرة ويريد المسير اليهم أخرى فأشار عليه ابن الزبير بالخروج وكان ابن عباس يقول له لا تفعل وقال له ابن عمر لا تخرج فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة وانك بضعة منه ولا تنالها يعنى الدنيا واعتنقه وبكى وودعه فكان ابن عمر يقول غلبنا حسين بالخروج ولعمرى لقد رأى فى أبيه وأخيه عبرة وكلمه فى ذلك أيضا جابر بن عبد الله وأبو سعيد وأبو واقد الليثى وغيرهم فلم يطع أحدا منهم وصمم على المسير الى العراق فقال له ابن عباس والله انى لأظنك ستقتل بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان فلم يقبل منه فبكى ابن عباس وقال أقررت عين ابن الزبير ولما رأى ابن عباس عبد الله ابن الزبير قال له قد أتى ما أحببت هذا الحسين يخرج ويتركك والحجاز ثم تمثل

يالك من قنبرة بمعمر * خلا لك البر فبيضى واصفرى * نقرى ما شئت ان تنقرى

وبعث أهل العراق الى الحسين الرسل والكتب يدعونه اليهم فخرج من مكة الى العراق فى عشر ذى الحجة ومعه طائفة من آل بيته رجالا ونساء وصبيانا فكتب يزيد الى واليه بالعراق عبيد الله بن زياد بقتاله فوجه اليه جيشا أربعة آلاف عليهم عمر بن سعد بن أبى وقاص فخذله أهل الكوفة كما هو شأنهم مع أبيه من قبله فلما رهقه السلاح عرض عليهم الاستسلام والرجوع والمضى الى يزيد فيضع يده فى يده فأبوا الا قتله فقتل وجىء برأسه فى طست حتى وضع بين يدى ابن زياد لعن الله قاتله وابن زياد معه ويزيد أيضا وكان قتله بكربلاء وفى قتله قصة فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها فانا لله وانا اليه راجعون وقتل معه ستة عشر رجلا من أهل بيته ولما قتل الحسين مكثت الدنيا سبعة أيام والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة والكواكب يضرب بعضها بعضا وكان قتله يوم عاشوراء وكسفت الشمس ذلك اليوم واحمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله ثم لا زالت الحمرة ترى فيها بعد ذلك ولم تكن ترى فيها قبله وقيل انه لم يقلب حجر بيت المقدس يومئذ الا وجد تحته دم عبيط وصار الورس الذى فى عسكرهم رمادا ونحروا ناقة فى عسكرهم فكانوا يرون فى لحمها مثل النيران وطبخوها فصارت مثل العلقم وتكلم رجل فى الحسين بكلمة فرماه الله بكوكبين من السماء فطمس بصره قال الثعالبى روت الرواة من غير وجه عن عبد الملك بن عمير الليثى قال رأيت فى هذا القصر وأشار الى قصر الامارة بالكوفة رأس الحسين بن على بين يدى عبيد الله بن زياد على ترس ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يدى المختار بن أبى عبيد ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب بن الزبير ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك فحدثت بهذا الحديث عبد الملك فتطير منه وفارق مكانه وأخرج الترمذى عن سلمى قالت دخلت على أم سلمة وهى تبكى فقلت ما يبكيك قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت مالك يا رسول الله قال شهدت قتل الحسين آنفا وأخرج البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف النهار أشعث أغبر وبيده قارورة فيها دم فقلت بأبى وأمى يا رسول الله ما هذا قال هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منه اليوم فأحصى ذلك اليوم فوجد وقتل يومئذ وأخرج أبو نعيم فى الدلائل عن أم سلمة قالت سمعت الجن تبكى على حسين وتنوح عليه وأخرج ثعلب فى أماليه عن أبى خباب الكلبى قال أتيت كربلا فقلت لرجل من أشراف العرب أخبرنى بما بلغنى انكم تسمعون نوح الجن فقال ما تلقى أحدا الا أخبرك انه سمع ذلك قلت فأخبرنى بما سمعت أنت قال سمعتهم يقولون شعرا

 الصلاحية تلك المعانى البديعة والالفاظ السهلة المنيعة (وأما الصابى) فانه كان على غير دين الاسلام ويجرى ألفاظ القرآن الحكيم والاحاديث النبوية فى ألفاظه وكتابته (ويستحب) من جميع ما ذكر ما قل ودل فى رشاقة الالفاظ وحلاوة المعانى وفصاحة الاعراب وطلاوة السجع وخفة الاشارة وجودة العبارة وقرب المعنى وبلاغة الكلام وحسن الخط وكفاية الجواب ومقنع التوقيع (وكانت) للفرس وملوكها الاكاسرة تواقيع صحيحة المعانى جزلة العبارة بالفارسية وقد ترجمت بالعربية فذهبت جزالتها وبقيت معانيها فمن ذلك توقيع فى رقعة شاك من بعض الولاة ما معناه لا تقهر من دونك فانك الضعيف يقهرك من فوقك فانه القوى ووقع لمحبوس طال سجنه لو سجنت نفسك عن نيل الهوى لم يطل سجن جسمك (وهذا) مثل توقيع بعض وزراء بنى العباس تجرع مرارة الادب كما أسغت حلاوة الارب ورفعت قصة الى الصاحب يسئل فيها ولاية عمل فوقع ان احتجنا اليك صرفناك والا أحسنا اليك وصرفناك ووقع بعض الملوك فى مؤامرة من طلب له الامان يؤمن ولا يؤمن ووقع المنصور الى عامل له شكا منه بعض الرعية اكفنى أمرهم والا كفيتهم أمرك ومثل هذا كثير (وحكى) عن السلطان محمود بن سبكتكين انه بعث الى الخليفة يطلب

منه

مسح الرسول جبينه * فله بريق فى الخدود أبواه من عليا قريش * وجده خير الجدود

ولما قتل الحسين وبنو أبيه بعث ابن زياد برؤسهم الى يزيد فسر بقتلهم أولا ثم ندم لما مقته المسلمون على ذلك وأبغضه الناس وحق لهم ان يبغضوه وأخرج أبو يعلى فى مسنده بسند ضعيف عن أبي عبيدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد وأخرج الرويانى فى مسنده عن أبي الدرداء سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أول من يبدل سنتي رجل من بنى أمية يقال له يزيد وقال نوفل بن أبي الفرات كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر رجل يزيد فقال قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية فقال تقول أمير المؤمنين وأمر به فضرب عشرين سوطا وفى سنة ثلاث وستين بلغه ان أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه فأرسل اليهم جيشا كثيفا وأمرهم بقتالهم ثم المسير الى مكة لقتال ابن الزبير فجاؤا وكانت وقعة الحرة على باب طيبة وما أدراك ماوقعة الحرة ذكرها الحسن مرة فقال والله ما كان ينجو منهم أحد قتل فيها خلق من الصحابة رضى الله عنهم ومن غيرهم ونهبت المدينة وافتض فيها ألف عذراء فانا لله وانا اليه راجعون قال صلى الله عليه وسلم من أخاف أهل المدينة أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (رواه مسلم) وكان سبب خلع أهل المدينة له أن يزيد أسرف فى المعاصى وأخرج الواقدى من طرق ان عبد الله بن حنظلة بن الغسيل قال والله ماخرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء انه رجل ينكح أمهات الاولاد والبنات والاخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة قال الذهبى ولما فعل يزيد باهل المدينة مافعل مع شربه الخمر واتيانه المنكرات اشتد عليه الناس وخرج عليه غير واحد ولم يبارك الله فى عمره وسار جيش الحرة الى مكة لقتال ابن الزبير فمات أمير الجيش بالطريق فاستخلف عليهم أميرا وأتوا مكة فحاصروا ابن الزبير وقاتلوه ورموه بالمنجنيق وذلك فى صفر سنة أربع وستين واحترقت من شرارة نيرانهم أستار الكعبة وسقفها وقرنا الكبش الذى فدى الله به اسمعيل وكانا فى السقف وأهلك الله يزيد فى نصف شهر ربيع الاول من هذا العام فجاء الخبر بوفاته والقتال مستمر فنادى ابن الزبير ياأهل الشام ان طاغيتكم قد هلك فانفلوا وذلوا وتخطفهم الناس ودعا ابن الزبير الى بيعة نفسه وتسمى بالخلافة وأما أهل الشام فبايعوا معاوية بن يزيد ولم تطل مدته كما سيأتى ومن شعر يزيد

آب هذا الهم فاكتنعا * وأمر النوم فامتنعا * راعيا للنجم أرقبه
فاذا ما كوكب طلعا * حام حتى اننى لأرى * انه بالغور قد وقعا
ولها بالماطرون اذا * أكل النمل الذى جمعا * نزهة حتى اذا بلغت
نزلت من جلق بيعا * فى قباب وسط دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن عمر قال أبو بكر الصديق أصبتم اسمه عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه ابن عفان ذو النورين قتل مظلوما يؤتى كفلين من الرحمة معاوية وابنه ملكا الارض المقدسة والسفاح وسلام والمنصور وجابر والمهدى والامين وأمير الغضب كلهم من بنى كعب بن لؤى كلهم صالح لايوجد مثله قال الذهبى له طرق عن ابن عمر ولم يرفعه أحد أخرج الواقدى عن أبي جعفر الباقر قال أول من كسا الكعبة الديباج يزيد بن معاوية

مات فى أيام يزيد من الاعلام سوى الذين قتلوا مع الحسين وفى وقعة الحرة أم سلمة أم المؤمنين وخالد بن عرفطة وجرهد الاسلمى وجابر بن عتيك وبريدة بن الحصيب ومسلمة بن مخلد وعلقمة بن قيس النخعى الفقيه ومسروق والمسور بن مخرمة وغيرهم رضى الله عنهم وعدة المقتولين بالحرة من قريش والانصار ثلثمائة وستة رجال

(معاوية بن يزيد)

ان يذكر اسمه فى الخطبة ببغداد وينقش اسمه فى سكة الذهب والفضة فامتنع الخليفة من ذلك فبعث كتابا فيه تهديد ووعيد حتى قال فى جملته لو أردت نقل حجارة بغداد على ظهور الفيلة الى غزنة لفعلت فبعث اليه الخليفة كتابا مختوما فلما فتحه لم يجد فيه بعد البسملة الا ألفا ممدودة وفى وسطه لام وفى آخره ميم والصلاة والحمد لله فتحير السلطان فى ذلك واهل مجلسه حتى دخل عليهم أبو بكر القهستانى فتفكر فى ذلك وقال عندى شرحه فقال اذكر ولك ماتريد فقال بعث اليهم السلطان يهددهم بالفيلة فبعثوا له هذا الكتاب وفيه ألف ولام وميم اشارة الى قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة فارتاع لذلك وأوقع الله فى قلبه الخوف والندم وعاد الى أحسن الاحوال من الرضا والادب ومثل هذا كثير وبلاغة الكلام لاتحصر ولكن اختصرت لئلا يفوت الغرض وخشية من الملل وهذا فن كثرت فيه التصانيف وانما ذكرت هذا القدر على سبيل الاشارة

(فصل فى ديوان الجيوش وعرضهم)

يجب ان يكون صاحب ديوان الجيش من أعلى الناس قدرا وأوسعهم صدرا واحسنهم خلقا وخلقا وأطيبهم أصلا وأجلهم فعلا وأشرفهم نفسا وأكثرهم انسا ويكون منهم كبيرا قدره نافذا أمره رطبا لسانه عظيما شأنه صالحة فكرته سليمة

معاوية بن يزيد بن معاوية أبو عبد الرحمن ويقال له أبو يزيد ويقال أبو ليلى استخلف بعهد من أبيه في ربيع الاول سنة أربع وستين وكان شابا صالحا ولما استخلف كان مريضا فاستمر مريضا الى أن مات ولم يخرج الى الناس ولا فعل شيأ من الامور ولا صلى بالناس وكانت مدة خلافته أربعين يوما وقيل شهرين وقيل ثلاثة أشهر ومات وله احدى وعشرون سنة وقيل عشرون سنة ولما احتضر قيل له ألا تستخلف قال ما أصبت من حلاوتها فلم أتحمل مرارتها

(عبد الله بن الزبير)

عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الاسدي كنيته أبو بكر وقيل أبو خبيب بضم الخاء المعجمة صحابي بن صحابي أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وأم أبيه صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد بالمدينة بعد عشرين شهرا من الهجرة وقيل في السنة الاولى وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحا شديدا لان اليهود كانوا يقولون سحرناهم فلا يولد لهم ولد فحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها وسماه عبد الله وكناه أبا بكر باسم جده الصديق وكنيته وكان صواما قواما طويل الصلاة وصولا للرحم عظيم الشجاعة قسم الدهر ثلاث ليال ليلة يصلي قائما حتى الصباح وليلة راكعا وليلة ساجدا حتى الصباح روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون حديثا روى عنه أخوه عروة وابن أبي مليكة وعباس بن سهل وثابت البناني وعطاء وعبيدة السلماني وخلائق آخرون وكان ممن أبى البيعة ليزيد بن معاوية وفر الى مكة ولم يدع الى نفسه لكن لم يبايع فوجد عليه يزيد وجدا شديدا فلما مات يزيد بويع له بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وجدد عمارة الكعبة فجعل لها بابين على قواعد ابراهيم وأدخل فيها ستة أذرع من الحجر لما حدثته خالته عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق خارجا عنه الا الشام ومصر فانه بويع بهما معاوية بن يزيد فلم تطل مدته فلما مات أطاع أهلهما ابن الزبير وبايعوه ثم خرج مروان بن الحكم فغلب على الشام ثم مصر واستمر الى ان مات سنة خمس وستين وقد عهد الى ابنه عبد الملك والاصح ما قال الذهبي ان مروان لا يعد في أمراء المؤمنين بل هو باغ خارج على ابن الزبير ولا عهده الى ابنه بصحيح وانما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير وأما ابن الزبير فانه استمر بمكة خليفة الى أن تغلب عبد الملك فجهز لقتاله الحجاج في أربعين ألفا فحصره بمكة أشهرا ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير أصحابه وتسللوا الى الحجاج فظفر به وقتله وصلبه وذلك يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الاولى وقيل الآخرة سنة ثلاث وسبعين وأخرج ابن عساكر عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قال اني لفوق أبي قبيس حين وضع المنجنيق على ابن الزبير فنزلت صاعقة كأني أنظر اليها تدور كأنها حمار أحمر فاحرقت أصحاب المنجنيق نحوا من خمسين رجلا وكان ابن الزبير فارس قريش في زمانه له المواقف المشهودة أخرج أبو يعلى في مسنده عن ابن الزبير أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم سنة خمسة وستين فلما فرغ قال له يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد فلما ذهب شربه فلما رجع قال ما صنعت بالدم قال عمدت الى أخفى موضع فجعلته فيه قال لعلك شربته قال نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس فكانوا يرون ان القوة التي به من ذلك الدم وأخرج عن نوف البكالي قال اني لاجد في كتاب الله المنزل ان ابن الزبير فارس الخلفاء وقال عمرو بن دينار ما رأيت مصليا أحسن صلاة من ابن الزبير وكان يصلي في الحجر والمنجنيق يصيب طرف ثوبه فما يلتفت اليه وقال مجاهد ما كان باب من العبادة يعجز الناس عنه الا تكلفه ابن الزبير ولقد جاء سيل طبق البيت فجعل يطوف سباحة وقال عثمان بن طلحة كان ابن الزبير لا ينازع في ثلاثة لا شجاعة ولا عبادة ولا بلاغة وكان صيتا اذا خطب تجاوبه الجبال أخرج ابن عساكر عن عروة ان النابغة الجعدي أنشد عبد الله بن الزبير

فطرته يرجعون اليه ويعتمدون في أمورهم عليه ناظرا عليهم مشيرا اليهم خبيرا بالجيوش والعروض ومعرفة الرجال ورتبهم واقدارهم وموقعهم من الدولة ويتقن أمر الحلية فلا يشتبه عليه شخص بشخص وشيات الدواب والسلاح ولتكن له هيبة وحرمة كبيرة حتى لا يجسر احد على التدليس عليه ولا غيره ويحترز عند العروض فهو الاصل في انتظام أمر الجيش (يحكى) ان الاسكندر كان له جيوش عظيمة وكان في عرضها يباشرها بنفسه ويتقن عرض الفارس وخيله وعدته وكان أكثر عرضه في المضايق في السفر فما كان أحد يجسر على التهاون فيما يحتاج اليه (وكسرى) أنوشروان يحكى عنه انه أمر بعرض جيوشه لما عزم على الحروب وكان من رسمهم ان يمر الفارس الذي هو في الطبقة الاولى على حصانه ومعه الغلام بجنبه والدرع والمغفر والكفوف الزرد والرانات والتجافيف للخيل ويسمى بركستوان والآن بركصطوان والترس والرمح والسيف والدبوس والسكين الكبيرة والحبل والمخالي والسكك الحديد والمقاود وكبة خيوط ومخصف ومقص ومطرقة وكاز ومسل وابر وخيوط وزناد وطرطور ولباد وقوسان موتوران وتران زائدان لخوف الانقطاع وجعبتان للنشاب احداهما معه والاخرى مع غلامه ومر على كسرى العارض بجندي عنده كراسة كما جرت عادتهم فافتقد آلته

حكيت

حكيت لنا الصديق لما وليتنا * وعثمان والفاروق فارتاح معدم
وسويت بين الناس في الحق فاستوى * فعاد صباحا حالك اللون أسحم

وأخرج عن هشام بن عروة وخبيب قال أول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير وكان كسوتها المسوح والأنطاع وأخرج عن عمر بن قيس قال كان لابن الزبير مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرى وكان ابن الزبير يكلم كل أحد منهم بلغته وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه قلت هذا رجل لم يرد الله طرفة عين وإذا نظرت إليه في أمر أخرته قلت هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين وأخرج عن هشام بن عروة قال كان أول ما أفصح به عمي عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف فكان لا يضعه من فيه فكان أبوه إذا سمع ذلك منه يقول أما والله ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام وأخرج عن أبي عبيدة قال جاء عبد الله بن الزبير الأسدي إلى عبد الله بن الزبير بن العوام فقال يا أمير المؤمنين إن بيني وبينك رحما من قبل فلانة فقال ابن الزبير نعم هذا كما ذكرت وإن فكرت في هذا أصبت الناس بأسرهم يرجعون إلى أب واحد وإلى أم واحدة فقال يا أمير المؤمنين إن نفقتي نفدت قال ما كنت ضمنت لأهلك أنها تكفيك إلى أن ترجع إليهم قال يا أمير المؤمنين ناقتي قد نقبت قال أنجد بها تبرد خفها وارقعها بسبت واخصفها بهلب وسر عليها البردين قال يا أمير المؤمنين إنما جئتك مستحملا ولم آتك مستوصفا فلعن الله ناقة حملتني إليك فقال ابن الزبير إن وراكبها فخرج الأسدي وأنشأ يقول

أرى الحاجات عند أبي خبيب * نكدن ولا أمية في البلاد
من الأعياص أو من آل حرب * أغر كغرة الفرس الجواد
وقلت لصحبتي أدنوا ركابي * أفارق بطن مكة في سواد
ومالي حين أقطع ذات عرق * إلى ابن الكاهلية من معاد

وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن الزهري قال لم يحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس إلى المدينة قط ولا يوم بدر وحمل إلى أبي بكر رأس فكره ذلك وأول من حملت إليه الرؤس عبد الله بن الزبير وفي أيام الزبير كان خروج المختار الكذاب الذي ادعى النبوة فجهز ابن الزبير لقتاله إلى أن ظفر به في سنة سبع وستين وقتله لعنه الله مات في أيام ابن الزبير من الأعلام أسيد بن حضير وعبد الله بن عمرو بن العاص والنعمان بن بشير وسليمان بن صرد وجابر بن سمرة وزيد بن أرقم وعدي بن حاتم وابن عباس وأبو واقد الليثي وزيد بن خالد الجهني وأبو الأسود الدؤلي وآخرون

(عبد الملك بن مروان)

عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن الوليد ولد سنة ست وعشرين بويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير فلم تصح خلافته وبقي متغلبا على مصر والشام ثم غلب على العراق وما والاها إلى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين فصحت خلافته من يومئذ واستوثق له الأمر ففي هذا العام هدم الحجاج الكعبة وأعادها على ما هي عليه الآن ودس على ابن عمر من طعنه بحربة مسمومة فمرض منها ومات وفي سنة أربع وسبعين سار الحجاج إلى المدينة وأخذ يتعنت على أهلها ويستخف ببقايا من فيها من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وختم في أعناقهم وأيديهم يذلهم بذلك كأنس وجابر بن عبد الله وسهل بن سعد الساعدي فإنا لله وإنا إليه راجعون وفي سنة خمس وسبعين حج بالناس عبد الملك الخليفة وسير الحجاج أميرا على العراق وفي سنة سبع وسبعين فتحت هرقلة وهدم عبد العزيز بن مروان جامع مصر وزيد فيه من جهاته الأربع وفي سنة اثنين وثمانين فتح حصن سنان من ناحية المصيصة وكانت غزوة أرمينية وصنهاجة بالمغرب وفي سنة ثلاث وثمانين بنيت مدينة واسط بناها الحجاج وفي سنة أربع وثمانين فتحت المصيصة وأودية من المغرب وفي سنة خمس وثمانين بنيت مدينة أردبيل ومدينة برزعة بناهما عبد العزيز بن أبي حاتم بن النعمان الباهلي وفي سنة

فوجدها ناقصة الوزن المعدين للانقطاع فلم يمض اسمه حتى بعث وأتى بها وعلقه ما وجاز (ولم تزل) بنو أمية تعرض الجيوش وتفصل الطبقات وفي وقت يشددون وفي وقت يتساهلون وكذلك ملوك المغرب وغيرهم

(فصل في ديوان الخراج)

رسم هذا الديوان أن يشتمل على خراج الضياع والجوالي والزكاة والرعية كالبستان للملك وصاحب الخراج أي واليه كالفلاح المقيم بوظائف البستان ومصالحه فكما يجب أن الفلاح يتعهد الأشجار بالسقي والحرث والعمارة والحفظ والرفق في الجني ثم بأداء الأجور والأمانة فكذا والي الخراج يتعهد الرعية بالتقوية والإعانة والمساعدة في العمارة والحراسة والرفق في الاستيفاء والصبر إلى حين اليسرة والإدرار ومن لوازم هذا الديوان معرفة الحساب والمساحة والضرب والقسمة والأمانة والعدالة ليأخذ الحق ولا يحيف ولا يضيع فإن الحيف سريع المضرة وخراب البلاد (قال) كسرى ما مثل الذي يرى ظلم رعيته ويستوفي منهم فوق ما ينبغي إلا مثل الذي يحفر التراب من أساس بيته ليطين به سطحه فمضرته أكثر من منفعته (وقال) بعض الملوك لوالي الخراج إذا أردت أن يطول لسانك فلا تطول يدك (وقال) بعض ملوك الفرس علينا ولا تنادوا وبيننا أن نوسع عليهم ونقوي أيديهم ونزيح عللهم وننفذ أمرهم ما عدلوا وكفوا ونصحوا وعفوا (وقيل) أغن من وليته عن السرقة

بن فتح حصن ولية أ ... مات الخليفة عبد الملك في ... وسنة ... وله ولد لستة أشهر ... ح ... مروان كثيرا ماعجاء فعل شيأ من ... ذلك اي والشيخ الهرومات وله احدى

وحصن الاخرم وفيها كان طاعون الفتيات وسمي بذلك لانه بدا في النساء وفيها
شوال وخلف سبعة عشر ولدا قال أحمد بن عبد الله العجلي كان عبد الملك أبخر الفم
ل بن سعد كان عابدا زاهدا ناسكا بالمدينة قبل الخلافة وقال يحيى الغساني كان عبد الملك بن
حلاوتها فلم أتحما س الى أم الدرداء فقالت له مرة بلغني يا أمير المؤمنين انك شربت الطلاء بعد النسك والعبادة
لدماء قد شربتها وقال نافع لقد رأيت المدينة وما بها شاب أشد تشميرا ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ
ـــى الله من عبد الملك بن مروان وقال أبو الزناد فقهاء المدينة سعيد بن المسيب وعبد الملك بن مروان وعروة
ابن الزبير وقبيصة بن ذؤيب وقال ابن عمر ولد الناس ابناء وولد مروان أبا وقال عبادة بن نسي قيل لابن عمر
انكم معشر أشياخ قريش يوشك أن تنقرضوا فمن نسأل بعدكم فقال ان لمروان ابنا فقيها فاسألوه وقال
سحيم مولى أبي هريرة رضي الله عنه دخل عبد الملك وهو شاب على أبي هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة هذا
ملك العرب وقال عبيدة بن رياح الغساني قالت أم الدرداء لعبد الملك ما زلت أتخيل هذا الامر فيك منذ
رأيتك قال وكيف ذاك قالت ما رأيت أحسن منك محدثا ولا أعلم منك مستمعا وقال الشعبي ما جالست أحدا
الا وجدت لي عليه الفضل الا عبد الملك بن مروان فاني ما ذاكرته حديثا الا زادني فيه ولا شعرا الا زادني فيه
وقال الذهبي سمع عبد الملك من عثمان وأبي هريرة وأبي سعيد وأم سلمة وبريرة وابن عمر ومعاوية روى عنه
عروة وخالد بن معدان ورجاء بن حيوة والزهري ويونس بن ميسرة وربيعة بن يزيد واسمعيل بن عبيد الله وحريز
ابن عثمان وطائفة وقال بكر بن عبد الله المزني أسلم يهودي اسمه يوسف وكان قرأ الكتب فمر بدار مروان فقال
ويل لامة محمد من أهل هذه الدار فقلت له الى متى قال حتى تجيء رايات سود من قبل خراسان وكان صديقا لعبد
الملك بن مروان فضرب يوما على منكبه وقال اتق الله في أمة محمد اذا ملكتهم فقال دعني ويحك ما شأني وشأن
ذلك فقال اتق الله في أمرهم قال وجهز يزيد جيشا الى أهل مكة فقال عبد الملك أعوذ بالله أيبعث الى حرم
الله فضرب يوسف منكبه وقال جيشك اليهم أعظم وقال يحيى الغساني لما نزل مسلم بن عقبة المدينة دخلت مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست الى جنب عبد الملك فقال لي عبد الملك أمن هذا الجيش أنت قلت نعم قال
ثكلتك أمك أتدري الى من تسير الى أول مولود ولد في الاسلام والى ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم والى
ابن ذات النطاقين والى من حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله ان جئته نهارا وجدته صائما ولئن جئته
ليلا لتجدنه قائما فلو أن أهل الارض أطبقوا على قتله لأكبهم الله جميعا في النار فلما صارت الخلافة الى عبد الملك
وجهنا مع الحجاج حتى قتلناه وقال ابن أبي عائشة أفضى الامر الى عبد الملك والمصحف في حجره فأطبقه وقال هذا
آخر العهد بك وقال مالك سمعت يحيى بن سعيد يقول من صلى في المسجد ما بين الظهر والعصر عبد الملك بن مروان
وفتيان معه كانوا اذا صلى الامام الظهر قاموا فصلوا الى العصر فقيل لسعيد بن المسيب لو قمنا فصلينا كما يصلي
هؤلاء فقال سعيد بن المسيب ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم وانما العبادة التفكر في أمر الله والورع عن
محارم الله وقال مصعب بن عبد الله أول من سمي في الاسلام عبد الملك عبد الملك بن مروان وقال يحيى بن بكير
سمعت مالكا يقول أول من ضرب الدنانير عبد الملك وكتب عليها القرآن وقال مصعب كتب عبد الملك على
الدنانير قل هو الله أحد وفي الوجه الآخر لا اله الا الله وطوقه بطوق فضة وكتب فيه ضرب بمدينة كذا وكتب
خارج الطوق محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق وفي الاوائل للعسكري بسنده كان عبد الملك أول من
كتب في صدور الطوامير قل هو الله أحد وذكر النبي صلى الله عليه وسلم مع التاريخ فكتب ملك الروم انكم قد
أحدثتم في طواميركم شيأ من ذكر نبيكم فاتركوه والا أتاكم من دنانيرنا ذكر ما تكرهون فعظم ذلك على عبد
الملك فأرسل الى خالد بن يزيد بن معاوية فشاوره فقال حرم دنانيرهم واضرب للناس سككا فيها ذكر الله وذكر
رسوله ولا تعفهم مما يكرهون في الطوامير فضرب الدنانير للناس سنة خمس وسبعين قال العسكري وأول خليفة

ردسير بابك اذا عزل عاملا له عن عمله لم يعاقبه بالعذاب بل يأمر بمحاسبته وأخذ ما ظهر

... رحمة ... ن رزق ما يعيش
قبس من كرهناه
لا بالحرمان
ى صاحب
سلاح ... له هيبة
مة كبيرة حتى لايجسر
ى التدليس عليه ولا
... يحترز عند العروض
انه اخراج بجبايته عند ادراك
الغلال وصلاح الثمار وكان
الرسم الاول افتتاح الخراج
من يوم النيروز وهو من
أول افروردين ماه من
شهور الفرس وهو الثالث
من كيهك من شهور القبط
وهو الآن آخر شهر كانون
الاول وكان أهل مصر
يستخرجون الخراج في أول
يوم من أمشير ثم صارت
المتأخرة تجعل النوروز
أول نزول الشمس برج الحمل
ولما رأى المعتضد ان هذه
الاوقات هي زمان العسرة
على الرعية نقل النوروز
في جميع البلاد الى الحادي
والعشرين من حزيران وهو
وقت اليسرة وادراك الغلات
والثمار وهو النوروز
المعتضدي وترتب الامر
عليه وليس الحال متدانيا في
كل المواضع بل يجب الرفق
على كل حال

(فصل في ديوان النفقات)

وهو ديوان الامانة والحاشية
صاحب هذا الديوان ينبغي
أن يكون جيد الحساب
والقسمة والضرب والكيل
والوزن والاسعار والضرائب عارفا بجميع الاصناف من الملابس والمطاعم والآلات والحيوان وقيمها ثم يعرف الرسوم السلطانية

بجل

بخل عبد الملك وكان يسمى رشح الحجارة لبخله ويكنى أبا الذبان لبخره قال وهو أول من غدر فى الاسلام وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء وأول من نهى عن الامر بالمعروف ثم أخرج بسنده عن ابن الكلبى قال كان مروان بن الحكم ولى العهد عمرو بن سعيد بن العاص بعد ابنه فقتله عبد الملك وكان قتله أول غدر فى الاسلام فقال بعضهم (شعرا)

يا قوم لا تغلبوا عن رأيكم فلقد * جربتم الغدر من أبناء مروانا
أمسوا وقد قتلوا عمرا وما رشدوا * يدعون غدرا بعهد الله كيسانا
ويقتلون الرجال البزل ضاحية * لكى يولوا أمور الناس ولدانا
تلاعبوا بكتاب الله فاتخذوا * هواهم فى معاصى الله قربانا

وأخرج باسناد فيه الكريمى وهو متهم بالكذب عن ابن جريج عن أبيه قال خطبنا عبد الملك بن مروان بالمدينة بعد قتل ابن الزبير عام حج سنة خمس وسبعين فقال بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد فلست بالخليفة المستضعف يعنى عثمان ولا الخليفة المداهن يعنى معاوية ولا الخليفة المأفون يعنى يزيد ألا وان من كان قبلى من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الاموال الا وانى لا أداوى أدواء هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم تكلفوننا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم فلن تزدادوا الا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم هذا عمرو بن سعيد قرابته وموضعه موضعه قال برأسه هكذا فقلنا باسيافنا هكذا الا وانا نحمل لكم كل شئ الا وثوبا على أمير ونصب راية الا وان الجامعة التى جعلتها فى عنق عمرو بن سعيد عندى والله لا يفعل أحد فعله الا جعلتها فى عنقه والله لا يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا الا ضربت عنقه ثم نزل ثم قال العسكرى وعبد الملك أول من نقل الديوان من الفارسية الى العربية وأول من رفع يديه على المنبر قلت فتمت له عشرة أوائل منها خمسة مذمومة وقد أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف بسنده عن محمد بن سيرين قال أول من أحدث الاذان فى الفطر والاضحى بنو مروان فاما ان يكون عبد الملك أو احدا من أولاده وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرنى غير واحد ان أول من كسا الكعبة الديباج عبد الملك بن مروان وان من أدرك ذلك من الفقهاء قالوا أصاب ما نعلم لها من كسوة أوفق منه وقال يوسف بن الماجشون كان عبد الملك اذا قعد للحكم قيم على رأسه بالسيوف وقال الاصمعى قيل لعبد الملك يا أمير المؤمنين عجل عليك الشيب فقال وكيف لا وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة وقال محمد بن حرب الزيادى قيل لعبد الملك بن مروان من أفضل الناس قال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وأنصف عن قوة وقال ابن عائشة كان عبد الملك اذا دخل عليه رجل من افق من الآفاق قال اعفنى من أربع وقل بعدها ما شئت لا تكذبنى فان الكذوب لا رأى له ولا تجبنى فيما لا أسألك فان فيما أسألك عنه شغلا ولا تطرنى فانى أعلم بنفسى منك ولا تحملنى على الرعية فانى الى الرفق بهم أحوج وقال المدائنى لما أيقن عبد الملك بالموت قال والله لوددت انى كنت منذ ولدت الى يومى هذا حمالا ثم أوصى بنيه بتقوى الله ونهاهم عن الفرقة والاختلاف وقال كونوا بنى أم بررة وكونوا فى الحرب احرارا وللمعروف منارا فان الحرب لم تدن منية قبل وقتها وان المعروف يبقى اجره وذكره واحلوا فى مرارة ولينوا فى شدة وكونوا كما قال ابن عبد الاعلى الشيبانى

ان القداح اذا اجتمعن فرامها * بالكسر ذو حنق وبطش باليد
عزت فلم تكسر وان هى بددت * فالكسر والتوهين للمتبدد

يا وليد اتق الله فيما اخلفك فيه الى ان قال وانظر الحجاج فاكرمه فانه هو الذى وطأ لكم المنابر وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناواك فلا تسمعن فيه قول أحد وأنت اليه أحوج منه اليك وادع الناس اذا مت الى البيعة فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا وقال غيره لما احتضر عبد الملك دخل عليه ابنه الوليد فتمثل بهذا

والوظائف والعطاء والوفد والاضياف والصلات والرسل والهدايا وصاحب هذا الديوان يسمى مستوفيا وهو فى الاسم الفارسى أرفع الدواوين بعد الوزير والنظار لانه اليه ترجع أمور الدواوين ومعالمها عنده واليه ترفع حساباتها ليستوفى عليها ويطالب بالاموال وما يتعين من المصالح وتحت يده عدة دواوين فيجب ان يوسع عليه فى رزقه ومعلومه ومراكبه وغلمانه بحيث انه تملأ عينه حتى لا تميله الرشا عن المصالح فتضيع بهذا السبب وهكذا رئيس ديوان الانشاء وهو صاحب ديوان الانشاء والاسرار فيجب ان يكون الجارى عليه فوق كفايته خارجا عن الانعام والاطلاق والافتقاد حسب الطاقة وطاقة الملوك عالية وأما المملكة فانها اذا كانت متسعة فيتفرع لها دواوين ورجوع الكل الى المستوفى وسمى الديوان لانه بالفارسية اسمه ديو فعربت بديوان

(فصل فى الصدقات ودواوينها)

قال الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها الآية فوالى الصدقات والساعى فى تحصيلها ينبغى أن يكون فقيها عارفا بما أوجب الله على عباده فى أموالهم من الزكاة وكيف أوجبها ومتى تؤخذ ومقدار النصاب من كل صنف وأخذ القيم فيما يجوز الاخذ والخرص فيما يجوز الخرص فيه وزكاة الخليطين والركاز والمعدن والتجارة والفطر ثم يأمر الملك بجمع ذلك وتفرقته وقسمته على أهله كما قال الله تعالى انما الصدقات للفقراء

كم عائذ رجلا وليس يعوده * الا ليعلم هل يراه يموت

فبكى الوليد فقال ماهذا اتحن حنين الامة اذا مت فشمر واتزر والبس جلد النمر وضع سيفك على عاتقك فمن ابدى ذات نفسه فاضرب عنقه ومن سكت مات بدائه قلت لو لم يكن من مساوى عبد الملك الا الحجاج وتوليته اياه على المسلمين وعلى الصحابة رضى الله عنهم يهينهم و يذلهم قتلا وضربا وشتما وحبسا وقد قتل من الصحابة واكابر التابعين مالا يحصى فضلا عن غيرهم وختم فى عنق انس وغيره من الصحابة ختما يريد بذلك ذلهم فلا رحمه الله ولا عفا عنه ومن شعر عبد الملك

لعمرى لقد عمرت فى الدهر برهة * ودانت لى الدنيا بوقع البواتر

فأضحى الذى قد كان مما يسرنى * كلمح مضى فى المزمنات الغوابر

فياليتنى لم أعن فى الملك ساعة * ولم أله فى اللذات عيش نواضر

وكنت كذى طمرين عاش ببلغة * من الدهر حتى زار ضنك المقابر

وفى تاريخ ابن عساكر عن ابراهيم بن عدى قال رأيت عبد الملك بن مروان وقد اتته أمور أربعة فى ليلة فما تنكر ولا تغير وجهه قتل عبيد الله بن زياد وقتل حبيش بن دلجة بالحجاز وانتقاض ماكان بينه و بين ملك الروم وخروج عمرو بن سعيد الى دمشق وفيه عن الاصمعى قال أربعة لم يلحنوا فى جد ولا هزل الشعبى وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وابن القرية وأسند النهلى فى الطيوريات ان عبد الملك بن مروان خرج يوما فلقيته امرأة فقالت يا أمير المؤمنين قال ماشأنك قالت توفى أخى وترك ستمائة دينار فدفع الى من ميراثه دينار واحد فقيل هذا حقك فعمى الامر فيها على عبد الملك فارسل الى الشعبى فسأله فقال نعم هذا توفى فترك ابنتين فلهما الثلثان أربعمائة وأما فلها السدس مائة وزوجة فلها الثمن خمسة وسبعون واثنى عشر أخا فلهم أربعة وعشرون وبقى لهذه دينار وقال ابن أبى شيبة فى المصنف حدثنا أبو سفيان الحميرى حدثنا خالد بن محمد القرشى قال قال عبد الملك بن مروان من أراد ان يتخذ جارية للتلذذ فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية وقال أبو عبيدة لما أنشد الاخطل كلمته لعبد الملك التى يقول فيها شمس العداوة حتى يستقاد لهم * واعظم الناس احلاما اذا قدروا

قال خذ بيده يا غلام فاخرجه ثم ألقى عليه من الخلع مايغمره ثم قال ان لكل قوم شاعرا وان شاعر بنى امية الاخطل وقال الاصمعى دخل الاخطل على عبد الملك فقال ويحك صف لى السكر قال أوله لذة وآخره صداع و بين ذلك حالة لا أصف لك مبلغها فقال ما مبلغها قال لملك يا أمير المؤمنين أهون على من شسع نعلى وأنشأ يقول اذا ما نديمى علنى ثم علنى * ثلاث زجاجات لهن هدير

خرجت أجر الذيل منى كأننى * عليك أمير المؤمنين أمير

قال الثعالبى كان عبد الملك يقول ولدت فى رمضان وفطمت فى رمضان وختمت القرآن فى رمضان و بلغت الحلم فى رمضان ووليت فى رمضان واتتنى الخلافة فى رمضان وأخشى ان أموت فى رمضان فلما دخل شوال وأمن مات ومن مات فى أيام عبد الملك من الاعلام ابن عمر واسماء بنت الصديق وأبو سعيد بن المعلى وأبو سعيد الخدرى ورافع بن خديج وسلمة بن الاكوع والعرباض بن سارية وجابر بن عبد الله وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب والسائب بن يزيد وأسلم مولى عمر وأبو ادريس الخولانى وشريح القاضى وابان بن عثمان ابن عفان والاعشى الشاعر وأيوب بن القرية الذى يضرب به المثل فى الفصاحة وخالد بن يزيد بن معوية وزر بن حبيش وسنان بن سلمة بن المحبق وسويد بن غفلة وأبو وائل وطارق بن شهاب ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن شداد بن الهاد وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود وعمرو بن حريث وعمرو بن سلمة الجرمى وآخرون

(الوليد بن عبد الملك)

والمساكين الآية فمن أخذها بحقها وقسمها على مستحقها كان منصفا لرعيته عادلا فى سياسته تابعا للسنة شريعته وفرضها وفى أخذ الزكاة من المصالح فى الدين والدنيا مالا يخفى اله فمن ذلك ان جامع المال ومانعه مقتر وذلك مذموم ومكثر العطاء والانفاق مبذر وهو مذموم وخير الامور أوسطها واخراج ذلك القدر على الوجه المشروع فيه أمر عظيم من سد حاجة الفقير واتمام [illegible] وابراء ذمة صاحب المال وتثميره وحفظه فانه قد جرب ان المال اذا جمع وبخل به حدث عليه مايتلفه أو يتلف صاحبه كما اذا اجتمع فى الحوض العظيم ماء حتى يمتلئ ويفيض فربما شق مكانه ويخرج منه (وقال حكيم اليونان) السياسة فى تكثير القليل وتقليل الكثير وهذا كلام جامع فيجب على الملك تقوية يد هذا الوالى المباشر لهذه الجهة وبسط يده وعقوبة مانع الزكاة ومن دافع عنها كما فعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بهوازن حين منعوا الزكاة ولا ينبغى له أن يتعدى ماحده الشرع فى ذلك فيأثم فى الآخرة وتقبح سمعته فى الدنيا

(فصل فى ديوان بيت المال)

هذا الديوان يعرف بالديوان السامى وهو أصل الدواوين ومرجعها اليه ووظيفته أن يثبت فى حواصله جميع أصول الاموال السلطانية على أصنافها من عين وغلال وفىء وغنائم وأعشار وأخماس و يثبت مايتحصل من ذلك ويتخذ بيوتا لاصناف الاموال و يجعل عليها

الوليد بن عبد الملك أبو العباس قال الشعبي (العيشى) كان ابواه يترفانه فشب بلا ادب قال روح بن زنباع دخلت يوما على عبد الملك وهو مهموم فقال فكرت فمن أوليه أمر العرب فلم أجده فقلت أين انت عن الوليد قال انه لا يحسن النحو فسمع ذلك الوليد فقام من ساعته وجمع اصحاب النحو وجلس معهم فى بيت ستة اشهر ثم خرج وهو اجهل مما كان فقال عبد الملك أما انه قد اعذر وقال أبو الزناد كان الوليد لحانا قال على منبر المسجد النبوى يا أهل المدينة وقال أبو عكرمة الضبي قرأ الوليد على المنبر يا ليتها كانت القاضية وتحت المنبر عمر بن عبد العزيز وسليمان بن عبد الملك فقال سليمان وددتها والله وكان الوليد جبارا ظالما وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن شوذب قال قال عمر بن عبد العزيز وكان الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن حيارة بالحجاز وقرة ابن شريك بمصر امتلأت الارض والله جورا وأخرج بن أبى حاتم فى تفسيره عن ابراهيم بن أبى زرعة ان الوليد قال له ايحاسب الخليفة قال يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أم داوود ان الله جمع له النبوة والخلافة ثم تواعده فى كتابه فقال يا داوود الآية لكنه أقام الجهاد فى ايامه وفتحت فى خلافته فتوحات عظيمة وكان مع ذلك يختن الايتام ويرتب لهم المؤدبين ويرتب للزمنى من يخدمهم وللاضراء من يقودهم وعمر المسجد النبوى ووسعه ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء وحرم عليهم سؤال الناس وفرض لهم ما يكفيهم وضبط الامور اتم ضبط وقال ابن أبى عبلة رحم الله الوليد واين مثل الوليد افتتح الهند والاندلس وبنى مسجد دمشق وكان يعطينى قصاع الفضة اقسمها على قراء (فقراء) مسجد بيت المقدس

ولى الوليد الخلافة بعهد من ابيه فى شوال سنة ست وثمانين ففى سنة سبع وثمانين شرع فى بناء جامع دمشق وكتب بتوسيع المسجد النبوى وبنائه وفيها فتحت بيكند وبخارى وسردانية ومطمورة وقيقم وبحيرة الفرسان عنوة وفيها حج بالناس عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فوقف يوم النحر غلطا وتألم لذلك وفى سنة ثمان وثمانين فتحت جرثومة وطوانه وفى سنة تسع وثمانين فتحت جزيرتا منورقة وميورقة وفى سنة احدى وتسعين فتحت نسف وكش وشومان ومدائن وحصون من بحر أذربيجان وفى سنة اثنتين وتسعين فتح اقليم الاندلس باسره ومدينة ارمابيل وقتربون وفى سنة ثلاث وتسعين فتحت الديبل وغيرها ثم الكرخ (الكيرخ) وبرهم وباجة والبيضاء وخوارزم وسمرقند والسغد وفى سنة أربع وتسعين فتحت كابل وفرغانة والشاش وسندره وغيرها وفى سنة خمس وتسعين فتحت الموقان ومدينة الباب وفى سنة ست وتسعين فتحت طوس (طويس) وغيرها وفيها مات الخليفة الوليد فى نصف جمادى الآخرة وله احدى وخمسون سنة قال الذهبي عاش الجهاد فى ايامه وفتحت فيها الفتوحات العظيمة كايام عمر بن الخطاب قال عمر بن عبد العزيز لما وضعت الوليد فى لحده اذا هو يركض فى أكفانه يعنى ضرب الارض برجله ومن كلام الوليد لولا أن الله ذكر آل لوط فى القرآن ما ظننت ان أحدا يفعل هذا

مات فى أيام الوليد من الاعلام عتبة بن عبد السلمى والمقدام بن معدى كرب وعبد الله بن بشر المازنى وعبد الله بن أبى أوفى وأبو العالية وجابر بن زيد وأنس بن مالك وسهل بن سعد والسائب بن يزيد والسائب ابن خلاد وحبيب بن عبد الله بن الزبير وبلال بن أبى الدرداء وسعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن جبير شهيدا قتله الحجاج لعنه الله وابراهيم النخعى ومطرف وابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف والعجاج الشاعر وآخرون

(سليمان بن عبد الملك)

سليمان بن عبد الملك أبو أيوب كان من خيار ملوك بنى أمية ولى الخلافة بعهد من أبيه بعد أخيه فى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين روى قليلا عن أبيه وعبد الرحمن بن هبيرة روى عنه ابنه عبد الواحد والزهرى وكان فصيحا مفوها مؤثرا للعدل محبا للغزو ومولده سنة ستين ومن محاسنه ان عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير فكان يمتثل

دواوين وحراسا فالاموال والقماش لها ديوان الخزانة ويجب أن يكون مباشروه قضاة المسلمين بأنفسهم بلا نواب عنهم ومعهم خزندارية أمناء أكفياء أقوى الناس ديانة والغلال لها ديوان الاهراء يجب أن يكون مباشروه من أكبر العدول الدينين الاعفاء والاسلحة والذخائر لها ديوان خزائن السلاح يجب أن يكون مباشر هذه الجهة محتسب البلد لانه يعرف أمور الاستعمالات وأجر الصناع وأسعار الآلات وان شرعنا فى فروع الدواوين طال الكتاب فيجب لصاحب ديوان النفقات أن يكون مباشر الديوان بيت المال ليدخر عنده التواقيع الثابتة الدالة على صحة مصروف النفقات ثم يرفع من أصناف الجواهر ما يختص بالسلطان ومن الاموال الخالصة من الذهب والفضة بغير غش الى خزانة الخاص وأما النحاس أو الحديد فاذا لم يتعهد صدئ وتلف واللؤلؤ يصفر والزمرد يتفطر اذا خزن ولم يتفقد والياقوت الاحمر ثابت لا يتغير فيجب ازاحة اعذار هؤلاء المباشرين والتوسعة عليهم بكل وجه من خيل وملابس ونفقات وغلمان وعبيد وملء أعينهم

(الباب الرابع)

(فى ولاية المظالم وانصاف المظلوم من الظالم)

هذه ولاية جليلة وهى متعينة على الامام أو السلطان فيباشرها بنفسه أو يستنيب فيها نائبا يقوم مقام نفسه ويكون عارفا عاقلا دينا آمينا كما قال الله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس

أوامره في الخير فعزل عمال الحجاج وأخرج من كان في سجن العراق وأحيا الصلاة لأول مواقيتها وكان بنو أمية أماتوها بالتأخير قال ابن سيرين رحمه الله سليمان افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لمواقيتها واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز وكان سليمان ينهى عن الغناء وكان من الأكلة المذكورين أكل في مجلس سبعين رمانة وخروفا وست دجاجات ومكوك زبيب طائفي قال يحيى الغساني نظر سليمان في المرآة فأعجبه شبابه وجماله فقال كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا وكان أبو بكر صديقا وكان عمر فاروقا وكان عثمان حييا وكان معاوية حليما وكان يزيد صبورا وكان عبد الملك سائسا وكان الوليد جبارا وأنا الملك الشاب فما دار عليه الشهر حتى مات وكانت وفاته يوم الجمعة عاشر صفر سنة تسع وتسعين وفتح في أيامه جرجان وحصن الحديد وسردا وشقا وطبرستان ومدينة الصقالبة مات في أيامه من الأعلام قيس بن أبي حازم ومحمود بن لبيد والحسن بن الحسين بن علي وكريب مولى ابن عباس وعبد الرحمن بن الأسود النخعي وآخرون قال عبد الرحمن بن حسان الكناني مات سليمان غازيا بدابق فلما مرض قال لرجاء بن حيوة من لهذا الأمر بعدي أستخلف ابني قال ابنك غائب قال فابني الآخر قال صغير قال فمن ترى قال أرى أن تستخلف عمر بن عبد العزيز قال أتخوف إخوتي لا يرضون قال تولي عمر ومن بعده يزيد بن عبد الملك وتكتب كتابا وتختم عليه وتدعوهم إلى بيعته مختوما قال لقد رأيت فدعا بقرطاس فكتب فيه العهد ودفعه إلى رجاء وقال اخرج إلى الناس فليبايعوا على ما فيه مختوما فخرج فقال إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب قالوا ومن فيه قال هو مختوم لا تخبرون بمن فيه حتى يموت قالوا لا نبايع فرجع إليه فأخبره فقال انطلق إلى صاحب الشرط والحرس فاجمع الناس ومرهم بالبيعة فمن أبى فاضرب عنقه فبايعوا قال رجاء فبينما أنا راجع إذا هشام فقال لي يا رجاء قد علمت موقعك منا وإن أمير المؤمنين قد صنع شيئا ما أدري ما هو وإني تخوفت أن يكون قد أزالها عني فإن يكن قد عدلها عني فأعلمني ما دام في الأمر نفس حتى أنظر فقلت سبحان الله يستكتمني أمير المؤمنين أمرا أطلعك عليه لا يكون ذلك أبدا ثم لقيت عمر بن عبد العزيز فقال لي يا رجاء إنه قد وقع في نفسي أمر كبير من هذا الرجل أتخوف أن يكون قد جعلها إلي ولست أقوم بهذا الشأن فأعلمني ما دام في الأمر نفس لعلي أتخلص منه ما دام حيا قلت سبحان الله يستكتمني أمير المؤمنين أمرا أطلعك عليه ثم مات سليمان وفتح الكتاب فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز فتغيرت وجوه بني عبد الملك فلما سمعوا وبعده يزيد بن عبد الملك تراجعوا فأتوا عمر فسلموا عليه بالخلافة فعقر به فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضبعيه فدنوا به إلى المنبر وأصعدوه فجلس طويلا لا يتكلم فقال لهم رجاء ألا تقومون إلى أمير المؤمنين فتبايعوه فبايعوه ومد يده إليهم ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إني لست بقاض ولكني منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن هم أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم وإن هم أبوا فلست لكم بوال ثم نزل فأتاه صاحب المراكب فقال ما هذا قال مركب الخليفة قال لا حاجة لي فيه ائتوني بدابتي فأتوه بدابته وانطلق إلى منزله ثم دعا بدواة وكتب بيده إلى عمال الأمصار قال رجاء كنت أظن أنه سيضعف فلما رأيت صنعه في الكتاب علمت أنه سيقوى يروى أن مروان بن عبد الملك وقع بينه وبين سليمان في خلافته كلام فقال له سليمان يا ابن اللخناء ففتح مروان فاه ليجيبه فأمسك عمر بن عبد العزيز بفيه وقال أنشدك الله إمامك وأخوك وله السن فسكت وقال قتلتني والله لقد رددت في جوفي أحر من النار فما أمسى حتى مات وأخرج ابن أبي الدنيا عن زياد بن عثمان أنه دخل على سليمان ابن عبد الملك لما مات ابنه أيوب فقال يا أمير المؤمنين إن عبد الرحمن بن أبي بكر كان يقول من أحب البقاء فليوطن نفسه على المصائب

(عمر بن عبد العزيز)

عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الصالح أبو حفص خامس الخلفاء الراشدين قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز *(أخرجه أبو داود في سننه)* وولد عمر بحلوان

أن تحكموا بالعدل وقد سبق القول في باب العدل من ذلك (فأول) ما يجب على من انتصب لذلك أن يبدأ بنفسه فينصف منها وينصف من ولده وأهله وخواصه كما يحكى عن أهل الفضل والعدل من الخلفاء والملوك أنهم جلسوا بين يدي القضاة وداروا الحق وقد نقل ذلك عن ابرويز وأنوشروان وبهرام جور ورستم وعن عمر بن عبد العزيز والمأمون وكثير من الملوك آخرهم الملك الظاهر بيبرس من ملوك الترك (فيجب) أن يكون هذا المتولي صاحب سيف وسطوة وتمكن من الدولة والفرس تسمي والي هذا المنصب ميرداد معناه أمير العدل وهو نائب الملك والآن في هذا العصر في الإسلام يسمى نائب السلطان ملك الأمراء وينبغي أن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يحابي ولا يتحامل ولا يجلس إلا وعنده قاض أو فقيه متشرع يذكره إذا نسي ويدله إذا أخطأ ولكن عنده شهود معدلون يشهدون على الإقرارات ويحضرون المحاكمات (ولا ينبغي) له أن يسفك الدماء ويفوت الأرواح إلا بالشرع وإذا اشتبهت عليه الأمور راجع فيها وآمر ويكون له كاتب وديوان يثبت فيه أرباب الجنايات وما يثبت في حقهم وكيفية عقوباتهم وينبغي أن لا يعجل في القتل ولا يهتك الأستار ويقيل ذوي المروآت والهيآت عثراتهم ما لم يكن فيه منع من جهة الشرع بل يقمع المفسدين ويردع العابثين فإن في الناس قوما في طباعهم الشر والظلم واختيار ذلك وهو يتولد من وجوه فإنهم

قرية

قرية بمصر وأبوه أمير عليها سنة احدى وقيل ثلاث وستين وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وكان بوجه عمر شجة ضربته دابة فى جبهته وهو غلام فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول ان كنت أشج بنى أمية انك لسعيد (أخرجه ابن عساكر) وكان عمر بن الخطاب يقول من ولدى رجل بوجهه شجة يملأ الارض عدلا (أخرجه الترمذى فى تاريخه) فصدق ظن أبيه فيه وأخرج ابن سعد أن عمر بن الخطاب قال ليت شعرى من ذو الشين من ولدى الذى يملؤها عدلا كما ملئت جورا وأخرج عن ابن عمر قال كنا نتحدث ان الدنيا لا تنقضى حتى يلى رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر فكان بلال بن عبد الله بن عمر بوجهه شامة وكانوا يرون انه هو حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز روى عمر بن عبد العزيز عن أبيه وأنس وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب وابن قارظ ويوسف بن عبد الله بن سلام وعامر بن سعد وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وأبى بكر بن عبد الرحمن والربيع بن سبرة وطائفة روى عنه الزهرى ومحمد بن المنكدر ويحيى بن سعيد الانصارى ومسلمة بن عبد الملك ورجاء بن حيوة وخلائق كثيرون جمع القرآن وهو صغير وبعثه أبوه الى المدينة يتأدب بها فكان يختلف الى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم فلما توفى أبوه طلبه عبد الملك الى دمشق وزوجه ابنته فاطمة وكان قبل الخلافة على قدم الصلاح أيضا الا انه كان يبالغ فى التنعم فكان الذين يعيبونه من حساده لا يعيبونه الا بالافراط فى التنعم والاختيال فى المشية فلما ولى الوليد الخلافة أمر عمر على المدينة فوليها من سنة ست وثمانين الى سنة ثلاث وتسعين وعزل فقدم الشام ثم ان الوليد عزم على أن يخلع أخاه سليمان من العهد وأن يعهد الى ولده فأطاعه كثير من الاشراف طوعا وكرها فامتنع عمر بن عبد العزيز وقال لسليمان فى أعناقنا بيعة وصمم فطين عليه الوليد ثم شفع فيه بعد ثلاث فادركوه وقد مالت عنقه فعرفها له سليمان فعهد اليه بالخلافة قال زيد بن أسلم عن أنس رضى الله عنه ما صليت وراء امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى يعنى عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة قال زيد بن أسلم فكان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود له طرق عن أنس (أخرجه البيهقى فى سننه وغيره) وسئل محمد بن على بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز فقال هو نجيب بنى أمية وانه يبعث يوم القيامة أمة وحده وقال ميمون بن مهران كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة وأخرج أبو نعيم بسند صحيح عن رياح بن عبيدة قال خرج عمر بن عبد العزيز الى الصلاة وشيخ متوكئ على يده فقلت فى نفسى ان هذا الشيخ جاف فلما صلى ودخل لحقته فقلت أصلح الله الامير من الشيخ الذى كان يتكئ على يدك قال يا رياح رأيته قلت نعم قال ما أحسبك الا رجلا صالحا ذاك أخى الخضر أتانى فأعلمنى انى سألى أمر هذه الامة وانى سأعدل فيها وأخرج أيضا عن أبى هاشم ان رجلا جاء الى عمر بن عبد العزيز فقال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله فاذا رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس فقال لك يا عمر اذا عملت فاعمل بعمل هذين لابى بكر وعمر فاستحلفه عمر بالله لرأيت هذا فحلف له فبكى عمر بويع بالخلافة بعهد من سليمان فى صفر سنة تسع وتسعين كما تقدم فمكث فيها سنتين وخمسة أشهر نحو خلافة الصديق رضى الله عنه ملأ فيها الارض عدلا ورد المظالم وسن السنن الحسنة ولما قرئ كتاب العهد باسمه عقر وقال والله ان هذا الامر ما سألته الله قط وقدم اليه صاحب المراكب مركب الخليفة فأبى وقال ائتونى ببغلتى قال الحكم بن عمر شهدت عمر بن عبد العزيز حين جاءه أصحاب المراكب يسألونه العلوفة ورزق خدمتها قال ابعث بها الى أمصار الشام يبيعونها فيمن يريد واجعل أثمانها فى مال الله تكفينى بغلتى هذه الشهباء وقال عمر بن ذر لما رجع عمر من جنازة سليمان قال له مولاه مالى أراك مغتما قال لمثل ما أنا فيه فليغتم ليس أحد من الامة الا وأنا أريد أن أوصل اليه حقه غير كاتب الى فيه ولا طالبه منى وعن عمرو بن مهاجر وغيره ان عمر لما استخلف قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم ألا وانى لست بقاض ولكنى منفذ ولست

ونجدة فان نقصت حظوظهم كانوا أعداء الدولة فينبغى ان ينظر فى حالهم ويوسع عليهم ويشغلوا بالجهاد دائما (وصنف) ذوو فقر وفاقة تولد الشر فى طباعهم من مرارة الحاجة فكذلك ينظر فى حالهم ويحسم مادتهم ويشغلهم فيما يليق بهم ويجرى عليهم ما يسد فاقتهم (وصنف) ذو وجاهة وجهل نالهم من بعض أصحاب السلطان ذل وظلم وشكوا من ذلك للملك أو لنائبه فلم ينصفوهم ولهوا عن اقامة الحق فى ذلك فحملهم جهلهم وعدم انصافهم الى التعرض لاسباب الشر على الدولة والمخامرة ان أمكنهم وقطع الطريق وسفك الدماء فاستوحشوا واستأنسوا بالعبث بالناس وبعدوا عن الوطن وتحرموا وربما تألف معهم طوائف عصبية على الفساد فيهلكون ويهلكون فينبغى للملك ان يتدارك هذا الداء ويحسم مادتهم بانصافهم ويتقدم أمره الى نوابه بذلك وايصالهم من العدل الى غايته فان انتهوا والا يستأصل شأفتهم (وصنف) آخر أهل نعمة وعافية أداهم البطر الى الفكر الرديئة فى استعمال ما لا يليق من الشر وايقاع الفتن فيجب ان لا يرفهوا ويشغلوا بما يناسب حالهم ولا يتركوا

والبطار (وصنف) آخر لهم أرزاق جارية على بيوت الاموال اما على تصرفات وأعمال أو على سبيل العطاء

بمبتدع ولكني متبع ولست بخير من أحدكم ولكني أثقلكم حملا وان الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وعن الزهري قال كتب عمر بن عبد العزيز الى سالم بن عبد الله يكتب اليه بسيرة عمر بن الخطاب في الصدقات فكتب اليه بالذي سأل وكتب اليه انك ان عملت بمثل عمل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك كنت عند الله خيرا من عمر وعن حماد ان عمر لما استخلف بكى فقال يا أبا فلان أتخشى علي قال كيف حبك للدرهم قال لا أحبه قال لا تخف فان الله سيعينك وعن مغيرة قال جمع عمر حين استخلف بني مروان فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له فدك ينفق منها ويعول منها على صغير بني هاشم ويزوج منها أيمهم وان فاطمة سألته أن يجعلها لها فأبى فكانت كذلك حياة أبي بكر ثم عمر ثم أقطعها مروان ثم صارت لعمر بن عبد العزيز فرأيت أمرا منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة ليس لي بحق واني أشهدكم اني قد رددتها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الليث قال لما ولي عمر بدأ بلحمته وأهل بيته فأخذ ما بأيديهم وسمى أموالهم مظالم وقال أسماء بن عبيد دخل عنبسة بن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز فقال يا أمير المؤمنين ان من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطونا عطايا فمنعتناها ولي عيال وضيعة أفتأذن لي أن أخرج الى ضيعتي لما يصلح عيالي فقال عمر أحبكم من كفانا مؤنته ثم قال له أكثر ذكر الموت فان كنت في ضيق من العيش وسعه عليك وان كنت في سعة من العيش ضيقه عليك وقال فرات بن السائب قال عمر بن عبد العزيز لامرأته فاطمة بنت عبد الملك وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها لم ير مثله اختاري اما أن تردي حليك الى بيت المال واما أن تأذني لي في فراقك فاني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد قالت لا بل أختارك عليه وعلى أضعافه فأمر به فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين فلما مات عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة ان شئت رددته اليك قالت لا والله لا أطيب به نفسا في حياته وارجع فيه بعد موته وقال عبد العزيز كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه ان مدينتنا قد خربت فان رأى أمير المؤمنين ان يقطع لنا مالا نرمها به فعل فكتب اليه عمر اذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمتها والسلام وقال ابراهيم السكوني قال عمر بن عبد العزيز ما كذبت منذ علمت ان الكذب شين على أهله وقال قيس بن جبير مثل عمر في بني أمية مثل مؤمن آل فرعون وقال ميمون بن مهران ان الله كان يتعاهد الناس بنبي بعد نبي وان الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز وقال وهب بن منبه ان كان في هذه الامة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز وقال محمد بن فضالة مر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز براهب في الجزيرة فنزل اليه الراهب ولم ينزل لاحد قبله وقال أتدري لم نزلت اليك قال لا قال لحق أبيك انا نجده في أئمة العدل بموضع رجب من أشهر الحرم ففسره أيوب بن سويد بثلاثة متوالية ذي القعدة وذي الحجة والمحرم أبي بكر وعمر وعثمان ورجب منفرد منها عمر بن عبد العزيز وقال حسن القصاب رأيت الذئاب ترعى مع الغنم بالبادية في خلافة عمر بن عبد العزيز فقلت سبحان الله ذئب في غنم لا يضرها فقال الراعي اذا صلح الراس فليس على الجسد باس وقال مالك بن دينار لما ولي عمر بن عبد العزيز قالت رعاء الشاء من هذا الصالح الذي قام على الناس خليفة عدله كف الذئاب عن شائنا وقال موسى بن أعين كنا نرعى الشاء بكرمان في خلافة عمر بن عبد العزيز فكانت الشاء والذئب ترعى في مكان واحد فبينما نحن ذات ليلة اذ عرض الذئب للشاة فقلنا ما نرى الرجل الصالح الا قد هلك فحسبوه فوجدوه مات تلك الليلة وقال الوليد بن مسلم بلغنا ان رجلا كان بخراسان قال أتاني آت في المنام فقال اذا قام أشج بني مروان فانطلق فبايعه فانه امام عدل فجعلت أسأل كلما قام خليفة حتى قام عمر بن عبد العزيز فأتاني ثلاث مرات في المنام فارتحلت اليه فبايعته وعن حبيب بن هند الاسلمي قال قال لي سعيد بن المسيب انما الخلفاء ثلاثة أبو بكر وعمر وعمر بن عبد العزيز قلت له أبو بكر وعمر قد عرفناهما فمن عمر قال ان عشت أدركته وان مت كان بعدك قال ومات ابن المسيب قبل خلافة عمر وقال ابن عون كان ابن سيرين اذا

والاطلاق نقطعت عنهم اما الضيق الاموال أو لقلة غنائهم في الدولة فاداهم ذلك الى بغض الدولة والتألف على ما يضرها فان كثروا وتجمعوا أفسدوا وان قلوا ظعنوا وتشتتوا ومتى ظهر معاند أو خارجي مالوا اليه وطريق حسم مادتهم ان تميز أصنافهم ويلحق كل صنف منهم بصنفه ويرزق معهم ويعال عليهم ويشغل بعضهم ببعض ومن كان من أصناف الفساد والشر خلد في السجن وأجرى عليه قوته (وصنف) من المتعلقين بخدمة السلطان أو يأتون الى خدمه يفعلون الجرائم ويركبون العظائم فتجب عليهم الحدود فيشفع فيهم فيتركون فيؤدي ذلك الى طمعهم وازديادهم في ذلك وطمع غيرهم ودواء ذلك ان يقرر الملك في نفوس خواصه أن لا يفعلوا ذلك ولا يشفعوا فمن يفعل ذلك فانه حسم للمادة وكفاية للضرر (وصنف) من أهل الجبال والقبائل الذين في طبعهم الظلم والقتل حتى انه لا يذلهم غيره ويحمي بعضهم بعضا وهو داء صعب قلما ينقشع فيهم الزجر والتأديب فليشغلوا بالجهاد والاسفار وأصناف أهل الفساد كثيرة فيكون الملك أو الوالي فيه يقظة ومبادرة الى حسم مادتهم وقطع عاديتهم (ومن أصنافهم) أهل الضعف من العامة الذين يختلسون ويستلبون ويتسللون وأهل الغش في الصنائع والتدليس وهذه الطوائف ضعيفة حقيرة والمحتسب يتولى زجرها وتأديبها (وينبغي) للوالي أن يحسن الى من أطلعه على أمر ونبهه على

سئل

سئل عن الطلاء قال نهى عنه امام الهدى يعنى عمر بن عبد العزيز وقال الحسن ان كان مهدى فعمر بن عبد العزيز والا فلا مهدى الا عيسى بن مريم وقال مالك بن دينار الناس يقولون مالك زاهد انما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذى أتته الدنيا فتركها وقال يونس بن أبى شبيب شهدت عمر بن عبد العزيز وان حجزة ازاره لغائبة فى عكنه ثم رأيته بعدما استخلف ولو شئت أن أعد أضلاعه من غير ان أمسها لفعلت وقال والده عبد العزيز سألنى أبو جعفر المنصور كم كانت غلة أبيك حين أفضت الخلافة اليه قلت أربعين ألف دينار قال فكم كانت حين توفى قلت أربعمائة دينار ولو بقى لنقصت وقال مسلمة بن عبد الملك دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده فى مرضه فاذا عليه قميص وسخ فقلت لفاطمة بنت عبد الملك الا تغسلون قميصه قالت والله ماله قميص غيره قال أبو أمية الخصى غلام عمر دخلت يوما على مولاتى فغدتنى عدسا فقلت كل يوم عدس قالت يابنى هذا طعام مولاك أمير المؤمنين - قال ودخل عمر الحمام يوما فاطلى فولى عانته بيده قال ولما احتضر بعثنى بدينار الى أهل الدير وقال ان بعتمونى موضع قبرى والا تحولت عنكم فأتيتهم فقالوا لولا انا نكره أن يتحول عنا ماقبلناه وقال عون بن المعمر دخل عمر على امرأته فقال يافاطمة عندك درهم اشترى به عنبا فقالت لا وقالت وأنت أمير المؤمنين لاتقدر على درهم تشترى به عنبا قال هذا أهون علينا من معالجة الاغلال غدا فى جهنم وقالت فاطمة امرأته ماأعلم انه اغتسل لامن جنابة ولامن احتلام منذ استخلفه الله حتى قبضه وقال سهل بن صدقة لما استخلف عمر سمع فى منزله بكاء فسألوا عن ذلك فقالوا ان عمر خير جواريه فقال قد نزل بى أمر قد شغلنى عنكم فمن أحب أن أعتقه أعتقته ومن أحب ان أمسكه أمسكته وان لم يكن منى اليها حاجة فبكين اياسا منه قالت فاطمة امرأته كان اذا دخل البيت ألقى نفسه فى مسجده فلا يزال يبكى ويدعو حتى تغلبه عيناه ثم يستيقظ فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع وقال الوليد بن أبى السائب مارأيت أحدا قط أخوف من عمر وقال سعيد بن سويد صلى عمر بالناس الجمعة وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل ياأمير المؤمنين ان الله قد أعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع رأسه فقال ان أفضل القصد عند الجدة وأفضل العفو عند القدرة وقال ميمون بن مهران سمعت عمر يقول لو أقمت فيكم خمسين عاما مااستكملت فيكم العدل انى لاريد الامر وأخاف أن لاتحمله قلوبكم فأخرج معه طمعا من الدنيا فان أنكرت قلوبكم هذا سكنت الى هذا وقال ابراهيم بن ميسرة قلت لطاوس هو المهدى يعنى عمر بن عبد العزيز قال هو مهدى وليس به انه لم يستكمل العدل كله وقال عمر بن أسيد والله مامات عمر حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون فما يبرح حتى يرجع بماله كله قد أغنى عمر الناس وقالت جويرية دخلنا على فاطمة ابنة على بن أبى طالب رضى الله عنها فأثنت على عمر بن عبد العزيز وقالت لو كان بقى لنا مااحتجنا بعده الى أحد وقال عطاء بن أبى رباح حدثتنى فاطمة امرأة عمر انها دخلت عليه وهو فى مصلاه تسيل دموعه على لحيته فقالت ياأمير المؤمنين ألشئ حدث قال يافاطمة انى تقلدت من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم أسودها وأحمرها فتفكرت فى الفقير الجائع والمريض الضائع والعارى المجهود والمظلوم المقهور والغريب الاسير والشيخ الكبير وذى العيال الكثير والمال القليل وأشباههم فى أقطار الارض وأطراف البلاد فعلمت ان ربى سائلى عنهم يوم القيامة فخشيت ان لاتثبت لى حجة فبكيت وقال الاوزاعى ان عمر بن عبد العزيز كان جالسا فى بيته وعنده أشراف بنى أمية فقال أتحبون ان أولى كل رجل منكم جندا فقال رجل منهم لم تعرض علينا مالاتفعله قال ترون بساطى هذا انى لاعلم انه يصير الى بلاء وفناء وانى أكره أن تدنسوه بأرجلكم فكيف أوليكم دينى أوليكم أعراض المسلمين وأبشارهم هيهات لكم هيهات فقالوا له لم أمالنا قرابة امالنا حق قال ماأنتم وأقصى رجل من المسلمين عندى فى هذا الامر الاسواء الا رجل من المسلمين حبسه عنى طول شقته وقال حميد أملى على الحسن رسالة الى عمر بن عبد العزيز فأبلغ ثم شكا الحاجة والعيال فأمر بعطائه وقال الاوزاعى كان عمر بن عبد العزيز اذا أراد أن يعاقب رجلا

سرق يعاقب من طوى عنه شيأ من القتل والفساد أو آوى أهل الطغيان والعناد ويشادى مناديه ان لايعتمد أحد مثل هذا الاعتماد و يعاقب من خالف أمره فى ذلك لئلا تنطوى أخبار المفسدين عنه ثم يكون شديد العقوبة لاهل الشر والشناعة مستيقظا مسرعا فى وعيده حتى تنقهر أهل الغاغة ويركب عليهم الحجة حتى يرتدعوا ويتعظ بهم من يحذو حذوهم ثم يجب أن يكون عند الوالى ذكاء وفطنة وفراسة وجودة قريحة فى استنباط القضايا واستخراج الحقوق كما يحكى عن طائفة من ملوك المتقدمين الجاهلية والاسلام (فمن ذلك مايحكى) ان رجلا من أصحاب المنصور شكا اليه انه قدم من سفره الى منزله بمال فادعت زوجته انه سرق ولم يجد فى المنزل نقبا ولا كوة ولا يتهم زوجته وقد فتح قماشها فلم يجد فى القماش شيأ ولا عدم منه شيأ فقال له المنصور وهى شابة قال نعم قال بكرا تزوجتها أم ثيبا قال ثيبا قال ألها ولد من غيرك قال لا ولا منى قال فهى جميلة قال نعم قال فعد الى بعد أيام لعلى أصلك بشئ تستعين به وخذ هذا الطيب فتطيب به فانه يذهب الهم ويخفف الحزن فأخذه وانصرف الى منزله وبعث المنصور الى بوابى المدينة وأمرهم أن يتفقدوا من يمر بهم وعليه رائحة هذا الطيب فيمسكوه وسوى فلان وأعطاهم منه وكان طيبا مركبا يتخذه الخلفاء وأمرهم بالكتمان فانصرفوا فاما الرجل فانه انصرف بالطيب الى منزله وقال لامرأته

جنسه ثلاثة أيام ثم عاقبه كراهة أن يعجل في أول غضبه وقال جويرية بن أسماء قال عمر بن عبد العزيز ان نفسي تواقة لم تعط من الدنيا شيأ الا تاقت الى ما هو أفضل منه فلما أعطيت مالا شئ فوقه من الدنيا تاقت نفسي الى ما هو أفضل منه يعني الجنة وقال عمرو بن مهاجر كانت نفقة عمر بن عبد العزيز كل يوم درهمين وقال يوسف بن يعقوب الكاهلي كان عمر يلبس الفروة الكبل وكان سراج بيته على ثلاث قصبات فوقهن طين وقال عطاء الخراساني أمر عمر غلامه ان يسخن له ماء فانطلق فسخن قمقما في مطبخ العامة فأمر عمر ان يأخذ بدرهم حطبا يضعه في المطبخ وقال عمر بن مهاجر كان عمر يسرج عليه الشمعة ما كان في حوائج المسلمين فاذا فرغ من حوائجهم أطفأها ثم أسرج عليه سراجه وقال الحكم بن عمر كان للخليفة ثلثمائة حرسي وثلثمائة شرطي فقال عمر للحرس ان لي عنكم بالقدر حاجزا وبالاجل حارسا من أقام منكم فله عشرة دنانير ومن شاء فليلحق بأهله وقال عمرو بن مهاجر اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحا فاهدى له رجل من أهل بيته تفاحا فقال ما أطيب ريحه وأحسنه ارفعه يا غلام للذي أتى به وأقرئ فلانا السلام وقل له ان هديتك وقعت عندنا بحيث تحب فقلت يا أمير المؤمنين ابن عمك ورجل من أهل بيتك وقد بلغك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية فقال ويحك ان الهدية كانت للنبي صلى الله عليه وسلم هدية وهي لنا اليوم رشوة وقال ابراهيم بن ميسرة ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب أحدا في خلافته غير رجل واحد تناول من معاوية فضربه ثلاثة أسواط وقال الاوزاعي لما قطع عمر بن عبد العزيز عن أهل بيته ما كان يجري عليهم من أرزاق الخاصة كلموه في ذلك فقال لن يتسع مالي لكم وأما هذا المال فانما حقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد وقال أبو عمر كتب عمر بن عبد العزيز برد أحكام من أحكام الحجاج مخالفة لاحكام الناس وقال يحيى الغساني لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقة ونقبا فكتبت اليه أعلمه حال البلاد وأسأله آخذ الناس بالظنة وأضربهم على التهمة أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فكتب الى ان آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله قال يحيى ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقة ونقبا وقال رجاء بن حيوة سمرت ليلة عند عمر فغشي السراج والى جانبه وصيف قلت الا أنبهه قال لا قلت أفلا أقوم قال ليس من مروءة الرجل استخدامه ضيفه فقام الى بطة الزيت وأصلح السراج ثم رجع وقال قمت وانا عمر بن عبد العزيز ورجعت وانا عمر بن عبد العزيز وقال نعيم كاتبه قال عمر انه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة وقال مكحول لو حلفت لصدقت ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز وقال سعيد بن أبي عروبة كان عمر بن عبد العزيز اذا ذكر الموت اضطربت أوصاله وقال عطاء كان عمر بن عبد العزيز يجمع في كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كان بين أيديهم جنازة وقال عبيد الله بن العيزار خطبنا عمر بن عبد العزيز بالشام على منبر من طين فقال أيها الناس أصلحوا أسراركم تصلح علانيتكم واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم واعلموا ان رجلا ليس بينه وبين آدم أب حي لعرق له في الموت والسلام عليكم وقال وهيب بن الورد اجتمع بنو مروان الى باب عمر بن عبد العزيز فقالوا لابنه عبد الملك قل لابيك ان من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا موضعنا وان أباك قد حرمنا ما في يديه فدخل على أبيه فأخبره فقال لهم ان أبي يقول لكم اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وقال الاوزاعي قال عمر بن عبد العزيز خذوا من الرأي ما يصدق من كان قبلكم ولا تأخذوا ما هو خلاف لهم فانهم خير منكم وأعلم وقال قدم جرير فطال مقامه بباب عمر بن عبد العزيز ولم يلتفت اليه فكتب الى عون بن عبد الله وكان خصيصا بعمر شعر

يا أيها القارئ المرخي عمامته * هذا زمانك اني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * اني لدى الباب كالمصفود في قرن

وقال جويرية بن أسماء لما استخلف عمر بن عبد العزيز جاءه بلال بن أبي بردة فهنأه وقال من كانت الخلافة

هذا الطيب يذهب اليهم فاحتفظي به وكان المنصور عند ما سأله عن أحواله حدث في نفسه ان المرأة صاحبها اعطته المال وانه استطيبه ما يحصل لها فكان كما حدث ان المرأة لها صاحب أعطته المال وانه لما أخذت الطيب لم يكن لها علم الا أن أخذت من الطيب فأرسلته الى صاحبها فتطيب به فلم يكن بعد أيام الا وقد قبض بباب البلد وأحضروه بين يدي المنصور فسأله من أين لك هذا الطيب ورآه شابا حسنا فتلكأ في كلامه فأمر بتقريره فأقر وأحضر المال فأمر المنصور بصاحبه فأحضر وقال له حكمني في زوجتك وأرد عليك المال فتعل فأمر بتطليقها وعقوبتها وحدثه قصتها وأخرج اليه المال فأخذه وانصرف متعجبا (ويحكى) ان صيادا طرح شبكته في دجلة في أيام المعتصم فأخرج جرابا فيه آخر ثان بينهما كف مخضب فيه خواتم ذهب بفصوص زمرد وياقوت فارتاع الصياد لذلك وارتفع الخبر الى الوالي ثم الى المعتصم فأحضره فعظم عليه وقال يتم مثل هذا ببلد أنا فيه حاضر ما هذا إلا ذلك فسأل عن الخواتم فقيل انها ليست من صنعة بغداد فأحضر رجلا لا يعرف بصحبة السلطان ودفع اليه الجراب وقال له اسأل عن صانع هذا الجراب وتتبع الاثر فيه فسأل عنه فوجده وقال كثيرا ما أبيعها للعطارين فسأل من العطار عنها فقال اشتريها وأبيع فيها ما يشتري من حانوتي فتلطف في السؤال حتى قال اشترى مني رجل هاشمي في هذه الايام عشرة من هذه الاجربة

شرفته

شرفته فقد شرفتها ومن كانت زانته فقد زانتها وأنت كما قال مالك بن أسماء شعر

وتزيدين طيب الطيب طيبا * ان تمسيه أين مثلك أينا

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

قال جعونة لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جعل عمر يثني عليه فقال يا أمير المؤمنين بقي كنت تعهد اليه قال لا قال ولم وأنت تثني عليه قال أخاف ان يكون زين في عيني منه ما زين في عين الوالد من ولده وقال غسان عن رجل من الازد قال رجل لعمر بن عبد العزيز أوصني قال أوصيك بتقوى الله وايثاره تخف عنك المؤنة وتحسن لك من الله المعونة وقال أبو عمر ودخلت ابنة أسامة بن زيد على عمر بن عبد العزيز فقام لها ومشى اليها ثم أجلسها في مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها وقال الحجاج بن عنبسة اجتمع بنو مروان فقالوا لو دخلنا على أمير المؤمنين فعطفناه علينا بالمزاح فدخلوا فتكلم رجل منهم فمزح فنظر اليه عمر فوصل له رجل كلامه بالمزاح فقال لهذا اجتمعتم لاخس الحديث ولما يورث الضغائن اذا اجتمعتم فأفيضوا في كتاب الله فان تعديتم ذلك ففي السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعديتم ذلك فعليكم بمعاني الحديث وقال اياس بن معاوية بن قرة ما شبهت عمر بن عبد العزيز الا برجل صناع حسن الصنعة ليس له أداة يعمل بها يعني لا يجد من يعينه وقال عمر بن حفص قال لي عمر بن عبد العزيز اذا سمعت كلمة من امرئ مسلم فلا تحملها على شئ من الشر ما وجدت لها محملا من الخير وقال يحيى الغساني كان عمر ينهى سليمان بن عبد الملك من قتل الحرورية ويقول ضمنهم الحبس حتى يحدثوا توبة فأتى سليمان بحروري فقال له سليمان هيه فقال الحروري وماذا أقول يا فاسق بن الفاسق فقال سليمان علي بعمر بن عبد العزيز فلما جاء قال اسمع مقالة هذا فأعادها الحروري فقال سليمان لعمر ماذا ترى عليه فسكت قال عزمت عليك لتخبرني بماذا ترى عليه قال أرى عليه ان تشتمه كما شتمك قال ليس الامر كذلك فأمر به سليمان فضربت عنقه وخرج عمر فأدركه خالد صاحب الحرس فقال يا عمر كيف تقول لامير المؤمنين ما أرى عليه الا أن تشتمه كما شتمك والله لقد كنت متوقعا ان يأمرني بضرب عنقك قال ولو أمرك لفعلت قال اى والله فلما أفضت الخلافة الى عمر جاء خالد فقام مقام صاحب الحرس فقال عمر يا خالد ضع هذا السيف عنك وقال اللهم اني قد وضعت لك خالدا فلا ترفعه أبدا ثم نظر في وجوه الحرس فدعا عمرو بن مهاجر الانصاري وقال يا عمرو والله لتعلمن انه ما بيني وبينك قرابة الا قرابة الاسلام ولكن سمعتك تكثر تلاوة القرآن ورأيتك تصلي في موضع تظن ان لا يراك أحد فرأيتك تحسن الصلاة وأنت رجل من الانصار خذ هذا السيف فقد وليتك حرسي وقال شعيب حدثت ان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على أبيه فقال يا أمير المؤمنين ما أنت قائل لربك غدا اذا سألك فقال رأيت بدعة فلم تمتها أو سنة فلم تحيها فقال أبوه رحمك الله وجزاك من ولد خيرا يا بني ان قومك قد شدوا هذا الامر عقدة عقدة وعروة عروة ومتى أردت مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن ان يفتقوا علي فتقا يكثر فيه الدماء والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يراق في سببي محجمة من دم أو ما ترضى ان لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا الا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة وقال معمر قال عمر بن عبد العزيز قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع وقال ارطاة بن المنذر قيل لعمر بن عبد العزيز لو اتخذت حرسا واحترزت في طعامك وشرابك فقال اللهم ان كنت تعلم اني أخاف شيأ دون يوم القيامة فلا تؤمن خوفي وقال عدي بن الفضل سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب فقال اتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب فانه ان كان لاحدكم رزق في رأس جبل أو حضيض أرض يأته وقال أزهر رأيت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وعليه قميص مرقوع وقال عبد الله بن العلاء سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب في الجمع بخطبة واحدة يرددها ويفتتحها بسبع كلمات الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا

ولم يأخذ فيها شيأ وكان قد تقصى من الجرابي والعطار فلم يجد في حاليهما ما ينكره فسأل عن الهاشمي فقيل انه رجل مشتغل في داره بالشرب والقصف واحضار القيان فلاصق جيرانه وتتبع أحواله حتى قيل عنه انه كان يهوى جارية لبعض المغنيات وانه أمسكها عنده ورام شراءها من سيدتها فاشتطت عليه في القيمة فحبسها عنده وأنكرها منها وجاءت وكررت تطلبها فدافعها وحلف لها انها خرجت من عنده اليها وأدخلها في منزله ففتشته وانصرفت خائبة فمضى صاحب الخبر بذلك للمعتصم فسري عنه ما كان قد أقلقه ثم أمر باحضار سيدة الجارية وسألها عن قصة جاريتها فشرحت له القصة فأمر باخراج الكف اليها فحين رأته بكت وقالت والله يا أمير المؤمنين هذا كف جاريتي وهذه خواتمها التي ابتعتها من فلان بالموضع الفلاني كل ذلك في الليل فبعث جماعة من الحرس يقبضون على الهاشمي ويحتاطون على داره وما فيها ويحضرونه على الحالة التي هو عليها فأحضر وهو سكران بين من حضر عنده من القيان فقال له يا فاسق يا عدو الله تفعل ما تفعل ثم ما تقنع بذلك حتى تقتل نفسا محرمة ثم لا يرضيك حتى تمثل ثم حبسه الى الغد وأمر بتقريره فأقر وأمر الصيادين بطرح الشباك في تلك الناحية حتى استخرجوا بقية الاعضاء فطاب قلبه بظهور القضية ثم سلم الاعضاء الى سيدتها فكفنتها ودفنتها وسلم الهاشمي من ماله

من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ثم يوصي بتقوى الله ويتكلم ثم يختم خطبته الاخيرة بهؤلاء الآيات ياعبادي الذين أسرفوا الى تمام وقال حاجب بن خليفة البرجمي شهدت عمر ابن عبد العزيز يخطب وهو خليفة فقال في خطبته الا ان ماسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه فهو دين نأخذ به وننتهي اليه وماسن سواهما فانا نرجئه (أسند جميع ماقدمته أبو نعيم في الحلية) وأخرج ابن عساكر عن ابراهيم بن أبي عبلة قال دخلنا على عمر بن عبد العزيز يوم العيد والناس يسلمون عليه ويقولون تقبل الله منا ومنك يا أمير المؤمنين فيرد عليهم ولا ينكر عليهم قلت هذا أصل حسن للتهنئة بالعيد والعام والشهر وأخرج عن جعونة قال ولى عمر بن عبد العزيز عمرو بن قيس السكوني الصائفة فقال اقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم ولا تكن في أولهم فتقتل ولا في آخرهم فتفشل ولكن كن وسطا حيث يرى مكانك ويسمع صوتك وأخرج عن السائب بن محمد قال كتب الجراح بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز ان أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم وانه لا يصلحهم الا السيف والسوط فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في ذلك فكتب اليه عمر امابعد فقد بلغني كتابك تذكر ان أهل خراسان قد ساءت رعيتهم وانه لا يصلحهم الا السيف والسوط فقد كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك فيهم والسلام وأخرج عن أمية بن زيد القرشي قال كان عمر بن عبد العزيز اذا أملى على كتابه قال اللهم اني أعوذ بك من شر لساني وأخرج عن صالح بن جبير قال ربما كلمت عمر بن عبد العزيز في الشيء فيغضب فاذكر ان في الكتاب مكتوبا اتق غضبة الملك الشاب فارفق به حتى يذهب غضبه فيقول لي بعد ذلك لا يمنعك ياصالح ماترى منا أن تراجعنا في الامر اذا رأيته وأخرج عن عبد الحليم بن محمد المخزومي قال قدم جرير بن الخطفي على عمر بن عبد العزيز فذهب ليقول فنهاه عمر فقال انما أذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذكره فقال

ان الذي ابتعث النبي محمدا * جعل الخلافة للامير العادل * رد المظالم حقها بيقينها
عن جورها وأقام ميل المائل * اني لارجو منك خيرا عاجلا * والنفس مغرمة بحب العاجل

فقال له عمر ما أجد لك في كتاب الله حقا قال بلى يا أمير المؤمنين اني ابن سبيل فأمر له من خاصة ماله بخمسين دينارا وفي الطيوريات ان جرير بن عثمان الرحبي دخل مع أبيه على عمر بن عبد العزيز فسأله عمر عن حال ابنه ثم قال له علمه الفقه الاكبر قال وما الفقه الاكبر قال القناعة وكف الاذى وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن محمد ابن كعب القرظي قال دعاني عمر بن عبد العزيز فقال صف لي العدل فقلت بخ سألت عن أمر جسيم كن لصغير الناس أبا ولكبيرهم ابنا وللمثل منهم أخا وللنساء كذلك وعاقب الناس على قدر ذنوبهم وعلى قدر اجسادهم ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتعد من العادين وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن الزهري ان عمر بن عبد العزيز كان يتوضأ مما مست النار حتى كان يتوضأ من السكر وأخرج عن وهيب ان عمر بن عبد العزيز قال من عد كلامه من عمله قل كلامه وقال الذهبي أظهر غيلان القدري في خلافة عمر بن عبد العزيز فاستتابه فقال لقد كنت ضالا فهديتني فقال عمر اللهم ان كان صادقا والا فاصلبه واقطع يديه ورجليه فنفذت فيه دعوته فأخذ في خلافة هشام بن عبد الملك وقطعت أربعته وصلب بدمشق في القدر وقال غيره كان بنو أمية يسبون علي بن أبي طالب في الخطبة فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبطله وكتب الى نوابه بابطاله وقرأ مكانه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فاستمرت قراءتها في الخطبة الى الآن وقال القالي في أماليه حدثنا أبو بكر بن الانباري حدثنا أحمد بن عبيد قال قال عمر بن عبد العزيز قبل خلافته شعر

انه الفؤاد عن الصبا * وعن انقياده للهوى * فلعمر ربك ان في
شيب المفارق والجلا * لك واعظا لو كنت تتـ * ـعظ اتعاظ ذوي النهى

اضعاف قيمتها وأمر بصلب الهاشمي على باب داره والجرب معلقة في نحره ومما يحكى عن عضد الدولة وكانت له فراسات عظيمة سيما في استخلاص الحقوق وذلك ان شابا من الجند مر ببعض أزقة بغداد فنظر الى امرأة في روزنة وكانت صبية مليحة فهويها وتعلق قلبه بها فجعل يأتي كل يوم ويقف بحذائها ويمنعها من غزلها وخافت من اطلاع الجيران عليها وان يبلغ ذلك زوجها فسدت الروزنة أياما وهي تنظر اليه من مكان لا يراها وهو مواظب ولا ينقطع فشكت ذلك الى زوجها ففتح الروزنة وجلس حتى تحقق الحال فقال لها اذا جاء فكلميه وقولي له وقوفك يفضح ولكن الليلة يغيب زوجي فتجيء الى بعد العشاء ولا يشعر بك أحد ثم عمد الى دهليز داره فحفر فيه حفرة وسقفها بقصب ضعيف وغطاه بتراب وفعلت المرأة ما قال لها زوجها فطمع الخائن وجاء لوعدها ففتحت له الباب فدخل وهو لا يعلم فوقع في الحفرة وبادر اليه زوجها بحجارة ثم قتله ثم طمه بالتراب وسوى الارض كما كانت وانتظر أهل الرجل عوده أياما فلم يعد فحزنوا وبكوا ثم اجتمعوا الى عضد الدولة فاستغاثوا اليه وقالوا عدم صاحبنا وما نعلم حاله فسألهم عنه فقالوا غاب عنا ولم يظهر فقال هل كان معه مال قالوا لا قال فهل كان بينه وبين أحد عداوة قالوا لا قال فزوجته كرهته قالوا لا قال فكيف أعلم خبره قالوا كان له مدة يغيب كل يوم من وسط النهار الى آخره ويجيء ولم نعلم فيماذا قال ففي

حتى متى لا ترعوي * والى متى والى متى * ما بعد أن سميت كهـ
لا واستلبت اسم الفتى * بلى الشباب وأنت ان * عمرت رهنا للبـلا
وكفى بذلك زاجرا * للمرئ عن غي كفى

(فائدة) قال الثعالبي في لطائف المعارف كان عمر بن الخطاب أصلع وعثمان وعلي ومروان بن الحكم وعمر ابن عبد العزيز ثم انقطع الصلع عن الخلفاء *(فائدة)* قال الزبير بن بكار قال الشاعر في فاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز

بنت الخليفة والخليفة جدها * أخت الخلائف والخليفة زوجها

قال فلم تكن امرأة تستحق هذا النسب الى يومنا هذا غيرها قلت ولا يقال في غيرها هذا الى يومنا هذا

(ذكر مرضه ووفاته)

قال أيوب قيل لعمر بن عبد العزيز لو أتيت المدينة فان مت دفنت في موضع القبر الرابع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لان يعذبني الله بكل عذاب الا النار أحب الي من ان يعلم الله مني اني أراني لذلك الموضع أهلا وقال وليد بن هشام قيل لعمر في مرضه ألا تتداوى فقال لقد علمت الساعة التي سقيت فيها ولو كان شفائي ان أمسح شحمة أذني أو أوتى بطيب فارفعه الى أنفي ما فعلت وقال عبيد بن حسان لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال أخرجوا عني فقعد مسلمة وفاطمة على الباب فسمعوه يقول مرحبا بهذه الوجوه ليست بوجوه انس ولا جان ثم قال تلك الدار الآخرة الآية ثم هدأ الصوت فدخلوا فوجدوه قد قبض رضي الله عنه وقال هشام لما جاء نعي عمر بن عبد العزيز قال الحسن البصري مات خير الناس وقال خالد الربعي انا نجد في التوراة ان السموات والارض تبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحا وقال يوسف بن ماهك بينا نحن نسوي التراب على قبر عمر ابن عبد العزيز اذ سقط علينا كتاب رق من السماء فيه بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار وقال قتادة كتب عمر بن عبد العزيز الى ولي العهد من بعده بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى يزيد بن عبد الملك سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فاني كتبت وانا دنف من وجعي وقد علمت اني مسئول عما وليت يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة ولست استطيع ان أخفي عليه من عملي شيأ فان رضي عني فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطويل وان سخط علي فيا ويح نفسي الى ما أصير أسأل الله الذي لا اله الا هو أن يجيرني من النار برحمته وان يمن علي برضوانه والجنة فعليك بتقوى الله والرعية الرعية فانك لن تبقى بعدي الا قليلا والسلام (أسند هذا كله أبو نعيم في الحلية) توفي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بدير سمعان بكسر السين من أعمال حمص لعشر بقين وقيل لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة وله حينئذ تسع وثلاثون سنة وستة أشهر وكانت وفاته بالسم كانت بنو أمية قد تبرموا به لكونه شدد عليهم وانتزع من أيديهم كثيرا مما غصبوه وكان قد أهمل التحرز فسقوه السم قال مجاهد قال لي عمر بن عبد العزيز ما يقول الناس في قلت يقولون مسحور قال ما انا بمسحور واني لاعلم الساعة التي سقيت فيها ثم دعا غلاما له فقال له ويحك ما حملك على أن تسقيني السم قال ألف دينار أعطيتها وعلى أن أعتق قال هاتها قال فجاء بها فالقاها في بيت المال وقال اذهب حيث لا يراك أحد مات في أيامه من الاعلام ابو أمامة بن سهل بن حنيف وخارجة بن زيد بن ثابت وسالم بن أبي الجعد وبشر بن سعيد وابو عثمان النهدي وابو الضحى

(يزيد بن عبد الملك بن مروان)

يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ابو خالد الاموي الدمشقي ولد سنة احدى وسبعين وولي الخلافة بعد عمر ابن عبد العزيز بعهد من أخيه سليمان كما تقدم قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لما ولي يزيد قال سيروا بسيرة عمر ابن عبد العزيز فاتي بأربعين شيخا فشهدوا له ما على الخلفاء حساب ولا عذاب وقال ابن الماجشون لما مات عمر

أي درب أو حارة كان يذهب فوصفوها له فقال اطلبوا صاحبكم فلعله مسافر والا فالغيب لا يعلمه الا الله تعالى فلما انصرفوا بعث نقيبة عند العشية ومعه جماعة من الاعوان وقال اكبس بيت المؤذن قيم الدرب الفلاني وأحضره على ازعج ما يكون واياك ان يفلت منك ففعل ذلك فلما مثل بين يديه أمر بأن يجلس حتى يفرغ من أشغاله ثم أدناه وقال له تعلم لم أحضرتك فقال له وهو يرعد ما أعلم ولكنني على آخر نفس من الحياة ولست أدري كيف حال أولادي فقال طب نفسا فلا بأس عليك فسر بذلك وصبر حتى سكن جاشه ثم قال له تلبث عندي حتى تعلم ان الناس قد ناموا ويشتهر انك محبوس وانصرف فان وجدت على باب مسجدك من ينتظرك لكشف حالك فاعرفه واعرف ما يقول ثم نم في بيتك وقم قبل وقت عادتك فأشعل قناديلك وافتح باب مسجدك واذكر وسبح ثم اجلس فأول من يدخل عليك عرفني به مع ما يجري لك معه وان ظهر ما جرى بيني وبينك لاحد ضربت عنقك فقال نعم ياسيدي وانصرف كما رسم له فوجد الناس قد يئسوا منه وناموا فلبث يسيرا وقام فسبح وذكر واشعل المسجد وجلس فأول من دخل عليه زوج المرأة وذلك ان الريبة منعته النوم كما قيل كاد المرتاب ان يقول خذوني فقال له أيها المؤذن قلبي عندك فما الذي طرأ عليك فقال له ما كان الا خيرا اتهموني بامر وخلصني الله منه فاخذ معه في ذم الدولة وذكر الظلم ثم خرج واشتغل

ابن عبد العزيز قال يزيد والله ما عمر باحوج الى الله منى فاقام أربعين يوما يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز ثم عدل عن ذلك وقال سليم بن بشير كتب عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك حين احتضر سلام عليك اما بعد فانى لا أرانى الا لمابى فالله الله فى أمة محمد فانك تدع الدنيا لمن لا يحمدك وتفضى الى من لا يعذرك والسلام وفى سنة اثنتين خرج يزيد بن المهلب على الخلافة فوجه اليه مسلمة بن عبد الملك بن مروان فهزم يزيد وقتل وذلك بالعقير موضع بقرب كربلا قال الكلبى نشأت وهم يقولون ضحى بنو أمية يوم كربلا بالدين ويوم العقير بالكرم مات يزيد فى أواخر شعبان سنة خمس ومائة وممن مات فى خلافته من الاعلام الضحاك بن مزاحم وعدى بن ارطاة وأبو المتوكل الناجى وعطاء بن يسار ومجاهد ويحيى بن وثاب مقرى الكوفة وخالد بن معدان والشعبى عالم العراق وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وأبو قلابة الجرمى وأبو بردة بن أبى موسى الاشعر وآخرون

(هشام بن عبد الملك)

هشام بن عبد الملك أبو الوليد ولد سنة نيف وسبعين واستخلف بعهد من أخيه يزيد قال مصعب الزبيرى رأى عبد الملك فى منامه انه بال فى المحراب أربع مرات فسأل سعيد بن المسيب فقال على من ولده لصلبه أربعة فكان آخرهم هشام وكان هشام حازما عاقلا كان لا يدخل بيت ماله مالا حتى يشهد أربعون قسامة لقد أخذ من حقه ولقد أعطى لكل ذى حق حقه وقال الاصمعى أسمع رجل مرة هشاما كلاما فقال له ياهذا ليس لك أن تسمع خليفتك قال وغضب مرة على رجل فقال والله لقد هممت أن أضربك سوطا وقال سحبل بن محمد ما رأيت أحدا من الخلفاء أكره اليه الدماء ولا أشد عليه من هشام وعن هشام أنه قال ما بقى شئ من لذات الدنيا الا وقد نلته الا شيأ واحدا أخا أرفع مؤنة التحفظ فيما بينى وبينه وقال الشافعى لما بنى هشام الرصافة بقنسرين أحب أن يخلو يوما لا يأتيه فيه غم فما انتصف النهار حتى أتته ريشة بدم من بعض الثغور فأوصلت اليه فقال ولا يوما واحدا وقيل ان هذا البيت له ولم يحفظ له سواه

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى بعض ما فيه عليك مقال

مات فى ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة وفى سنة سبع من أيامه فتحت قيصرية الروم بالسيف وفى سنة ثمان فتحت خنجرة على يد البطال الشجاع المشهور وفى سنة اثنتى عشرة فتحت خرسنة فى ناحية ملطية وممن مات فى أيامه من الاعلام سالم بن عبد الله بن عمر وطاوس وسليمان بن يسار وعكرمة مولى بن عباس والقاسم ابن محمد بن أبى بكر الصديق وكثير عزة الشاعر ومحمد بن كعب القرظى والحسن البصرى ومحمد بن سيرين وأبو الطفيل عامر بن واثلة الصحابى آخرهم موتا وجرير والفرزدق وعطية العوفى ومعاوية بن قرة ومكحول وعطاء بن أبى رباح وأبو جعفر الباقر ووهب بن منبه وسكينة بنت الحسين والاعرج وقتادة ونافع مولى بن عمر وابن عامر مقرى الشام وابن كثير مقرى مكة وثابت البنانى ومالك بن دينار وابن محيصن المقرى وابن شهاب الزهرى وخلائق آخرون ومن أخبار هشام أخرج ابن عساكر عن ابراهيم بن أبى عبلة قال أراد هشام بن عبد الملك ان يولينى خراج مصر فأبيت فغضب حتى اختلج وجهه وكان فى عينيه الحول فنظر الى نظر منكر وقال لتلين طائعا أو لتلين كارها فأمسكت عن الكلام حتى سكن غضبه فقلت يا أمير المؤمنين أتكلم قال نعم قلت ان الله قال فى كتابه العزيز انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها الآية فوالله يا أمير المؤمنين ما غضب عليهن اذ أبين ولا أكرههن اذ كرهن وما أنا بحقيق ان تغضب على ان أبيت وتكرهنى اذا كرهت فضحك وأعفانى وأخرج عن خالد بن صفوان قال وفدت على هشام بن عبد الملك فقال هات يا ابن صفوان قلت ان ملكا من الملوك خرج متنزها الى الخورنق وكان ذا علم مع الكثرة والغلبة فنظر وقال لجلسائه لمن هذا قالوا للملك قال فهل رأيتم أحدا أعطى مثل ما أعطيت وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة فقال انك قد سألت عن أمر فتأذن لى بالجواب قال نعم قال أرأيت ما أنت فيه أشئ لم تزل فيه أم شئ صار

الرجل بصلاته فلما أصبح جاء المؤذن الى عضد الدولة فأخبره بالقصة وقال لما انصرفت لم أجد على باب المسجد أحدا فلما اقتت وفتحت واسرجت أول ما جاءنى فلان الكتانى وبعده فلان وفلان وكلهم يسأل عن حالى ويتغمم لى فقال من فيهم له زوجة مليحة أو جارية فقال الكتانى وهو الذى ألح فى الاستقصاء فقال ما يقال عن زوجته فقال مستورة وهو غيور عليها وأما فلان فلا زوجة له وفلان زوجته عجوز فدس عضد الدولة ان الكتانى هو قاتل الشخص المطلوب فأمر باحضار الكتانى والشخصين ونظر فى وجوههم فتغيروا واضطربوا فقررهم فأقر الكتانى فبعث الى أولياء القتيل فحضروا وبعث معهم من يثق اليه حتى تبين عن القتيل واستخرجوه من حفرته وأمر بقتل الكتانى وعقوبة المرأة وقال لها عجزت عن طرده الا فى الحفرة وكانت هذه من غرائب استنباطات عضد الدولة (ويحكى عن المعتضد) انه كان يوما فى داره يشرف على عمالين وصناع يبنون فنظر الى رجل من الفعلة وألح بالنظر اليه ساعة واستخبر رفقاءه هل به جنة فقالوا لا فقال سكران هو قالوا لا فقال على بالمقارع فأقيم بين الرجال للضرب وقال أين المال الذى عندك فلم يضرب الا قليلا حتى أقر بألف دينار وانفق منها عشرة دنانير فقرر على وصولها اليه فقال كنت وقادا فى الحمام الفلانى اذ هجم على فى بعض الليالى رجل تاجر وقال

اليك ميراثا وهو زائل عنك الى غيرك كما صار اليك قال كذا هو قال فتعجب بشئ يسير لا تكون فيه الا قليلا وتنقل عنه طويلا فيكون عليك حسابا قال ويحك فأين المهرب وأين المطلب وأخذته قشعريرة قال اما أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة الله بما ساءك وسرك واما ان تنخلع من ملكك وتضع تاجك وتلقي عنك أطمارك وتعبد ربك قال اني مفكر الليلة وأوافيك السحر فلما كان السحر قرع عليه بابه فقال اني اخترت هذا الجبل وفلوات الارض وقد لبست علي أمساحي فان كنت لي رفيقا لا تخالف فلزما الجبل حتى ماتا وفيه يقول عدي بن زيد بن الحمار

شعرا

أيها الشامت المعير بالدهـ * ـر أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الايـ * ـام بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم * من ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أبو * ساسان أم أين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ * ـروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ * ـلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا * فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الـ * ـملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق اذ أشـ * ـرف يوما وللهدى تذكير
سره ماله وكثرة ما يمـ * ـلك والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبـ * ـطة حي الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والام * ـة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جـ * ـف فألوت به الصبا والدبور

قال فبكى هشام حتى اخضلت لحيته وأمر بابنيته وطي فرشه ولزم قصره فأقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان وقالوا ماذا أردت الى أمير المؤمنين أفسدت عليه لذته فقال اليكم عني فاني عاهدت الله أن لا أخلو بملك الا ذكرته الله تعالى

(الوليد بن يزيد بن عبد الملك)

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الخليفة الفاسق أبو العباس ولد سنة تسعين فلما احتضر أبوه لم يمكنه أن يستخلفه لانه صبي فعقد لاخيه هشام وجعل هذا ولي العهد من بعد هشام فتسلم الامر عند موت هشام في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة وكان فاسقا شريبا للخمر منتهكا حرمات الله أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة فمقته الناس لفسقه وخرجوا عليه فقتل في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وعنه أنه لما حوصر قال ألم أزد في أعطياتكم ألم أرفع عنكم المؤن ألم أعط فقراءكم فقالوا ما ننقم عليك في أنفسنا لكن ننقم عليك انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بامر الله ولما قتل وقطع رأسه وجيء به يزيد الناقص نصبه على رمح فنظر اليه أخوه سليمان بن يزيد فقال بعدا له أشهد أنه كان شروبا للخمر ماجنا فاسقا ولقد راودني على نفسي وقال المعافى الجريري جمعت شيئا من أخبار الوليد ومن شعره الذي ضمنه ما فجر به من خرقه وسخافته وما صرح به من الالحاد في القرآن والكفر بالله وقال الذهبي لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك وذكر الوليد مرة عند المهدي فقال رجل كان زنديقا فقال المهدي مه خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها في زنديق وقال مروان بن أبي حفصة كان الوليد من أجمل الناس وأشدهم وأشعرهم وقال أبو الزناد كان الزهري يقدح أبدا عند هشام في الوليد ويعيبه ويقول ما يحل لك الا خلعه فما يستطيع هشام ولو بقي الزهري الى ان ملك الوليد لقتله وقال الضحاك بن عثمان أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده فقال الوليد شعرا

كفرت يدا من منعم لو شكرتها * جزاك بها الرحمن بالفضل والمن
رأيتك تبني جاهدا في قطيعتي * ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

اصطنعني فان على طلبا وخافني من يقصد في نخبأته في زاوية وغطيته بالزبل ودخل الذين كانوا خلفه فلم يروه فسألوني عنه فخرجوا يعدون حتى لا يفوتهم وهم سكارى فلما أيست من عودهم قمت اليه فوجدته قد نام سكرا فحركته ولمسته فوجدت في وسطه كيسا فيه ألف دينار فأخذتها وقتلته ثم طرحته في الاتون حتى احترق فيه فغضب المعتضد ثم بعث معه من أحضر المال ثم سأل عن الشخص حتى عرف ثم سأل عن ورثته فقيل انه غريب وورثته ببلده فأمر بان يودع المال ويبعث الى ورثته فيحضروا وأمر أن يطاف بالوقاد ويشهر ثم يطرح في الاتون حتى يحترق ففعل به وتعجب الناس من فطنة المعتضد في ذلك وسأله خواصه عن ذلك فقال رأيته يحمل أكثر من فاعلين ويعدو ويحمز ويصعد السلم درجتين درجتين ولم يك في جسمه ولا قوته ما يقتضي ذلك فعلمت انه ما قوي الا بالمال ومثل هذا كثيرا

(الباب الخامس في أصحاب البريد والاخبار والعيون)

وأما الجواسيس فيذكرون في كتاب الحروب ولكن هنا ألزم وسنذكره ان شاء الله تعالى فاما البريد وما بعدهم من أصحاب الاخبار والعيون فهم للملوك بمنزلة العيون الباصرة والآذان السامعة فيجب ان يكونوا أمناء عقلاء نصحاء ويكون فيهم حسن تأن ولطف توصل وتحيل وفكرة صالحة (فيجب) أيضا ان تجرى عليهم النفقات ويوسع لهم في العطيات

أراك على الباقين تجنى ضغينة * فياويحهم ان مت من شرما تجنى
كانى بهم يوما وأكثر قيلهم * ألا ليت أنا حين ياليت لا تغنى

وقال حماد الراوية كنت يوما عند الوليد فدخل عليه منجمان فقالا نظرنا فيما أمرتنا فوجدناك تملك سبع سنين قال حماد فاردت أن أخدعه فقلت كذبا ونحن أعلم بالآثار وضروب العلم وقد نظرنا فى هذا فوجدناك تملك أربعين سنة فأطرق ثم قال لا ما قالا يكسرنى ولا ما قلت يغرنى والله لاجبين المال من حله جباية من يعيش الابد ولاصرفنه فى حقه صرف من يموت الغد وقد ورد فى مسند أحمد حديث ليكونن فى هذه الامة رجل يقال له الوليد لهو أشد على هذه الامة من فرعون لقومه وقال ابن فضل الله فى المسالك الوليد بن يزيد الجبار العنيد لقبا ما عداه ولقما سلكه فما هداه فرعون ذلك العصر الذاهب والدهر المملوء بالمعائب يأتى يوم القيامة يقدم قومه فيوردهم النار ويرديهم العار وبئس الورد المورود والمرد المردى فى ذلك الموقف المشهود رشق المصحف بالسهام وفسق ولم يخف الآثام وأخرج الصولى عن سعيد بن سلم قال أنشد ابن ميادة الوليد ابن يزيد شعره الذى يقول فيه

فضلتم قريشا غير آل محمد * وغير بنى مروان أهل الفضائل

فقال له الوليد أراك قد قدمت علينا آل محمد فقال ابن ميادة ما أراه يجوز غير ذلك وابن ميادة هذا هو القائل فى الوليد أيضا من قصيدة طويلة

هممت بقول صادق أن أقوله * وانى على رغم العداة لقائله
رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * شديدا باعباء الخلافة كاهله

يزيد الناقص أبو خالد بن الوليد

يزيد الناقص أبو خالد بن الوليد بن عبد الملك لقب بالناقص لكونه نقص الجند من أعطياتهم وثب على الخلافة وقتل ابن عمه الوليد وتملك وأمه شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد وأم فيروز بنت شيرويه بن كسرى وأم شيرويه بنت خاقان ملك الترك وأم أم فيروز بنت قيصر عظيم الروم فلهذا قال يزيد يفتخر

انا ابن كسرى وأبى مروان * وقيصر جدى وجدى خاقان

قال الثعالبى هو أعرق الناس فى الملك والخلافة من طرفيه ولما قتل يزيد الوليد قام خطيبا فقال اما بعد انى والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا طمعا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة فى الملك وانى لظلوم لنفسى ان لم يرحمنى ربى ولكن خرجت غضبا لله ولدينه وداعيا الى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حين درست معالم الهدى وطفئ نور اهل التقوى وظهر الجبار المستحل الحرمة والراكب البدعة فلما رأيت ذلك أشفقت اذ غشيكم ظلمة لا تقلع عنكم على كثرة من ذنوبكم وقسوة من قلوبكم وأشفقت أن يدعو كثيرا من الناس الى ما هو عليه فيجيبه فاستخرت الله فى أمرى ودعوت من أجابنى من أهلى وأهل ولايتى فأراح الله منه البلاد والعباد ولاية من الله ولا حول ولا قوة الا بالله أيها الناس ان لكم عندى ان وليت أموركم ان لا أضع لبنة على لبنة ولا حجرا على حجر ولا أنقل مالا من بلد حتى أسد ثغره وأقسم بين مصالحه ما تقوون به فان فضل فضل رددته الى البلد الذى يليه حتى تستقيم المعيشة وتكونوا فيه سواء فان أردتم بيعتى على الذى بذلت لكم فانا لكم وان مت فلا بيعة لى عليكم وان رأيتم أحدا أقوى منى عليها فأردتم بيعته فأنا أول من يبايعه ويدخل فى طاعته وأستغفر الله لى ولكم وقال عثمان ابن أبى العاتكة أول من خرج بالسلاح فى العيدين يزيد بن الوليد خرج يومئذ بين صفين من الخيل عليهم السلاح من باب الحصن الى المصلى وعن أبى عثمان الليثى قال يزيد الناقص يا بنى أمية اياكم والغناء فانه ينقص الحياء ويزيد فى الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا وقال ابن عبد الحكم سمعت الشافعى رحمه الله يقول لما ولى يزيد بن الوليد دعا الناس

وتراتـ علاهم فيما يحتاجون اليه من اتباع وأعوان ومراكب وطيور ورواتب وغير ذلك و يكونون فى نقلهم محققين صادقين فان الكذب فى هذا والعمل به يؤدى الى خلل عظيم لا يستدرك فارطه فلهذا يجب الاحتياط فى ذلك وشدة العقوبة لمن تجرأ على الكذب فى خبره فكم من التدابير والسياسات فسدت بالكذب وسوء النقل حتى ان بعض الملوك يتحيل بوضع الكذب واختلافها وتسليمها الى من يظن انه سيؤخذ فاذا ظهرت ونفت اعتقد صحتها فعمل بها فلم يكن صوابا وان اهمل الملك ذلك بالكلية ولم يكشف عن حال أوليائه واعدائه انطوت عنه الاخبار ولم تستقم له السياسة بل لا يحس بالشر حتى يقع فيه (كان) النبى صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره وتحقيق نظره يبعث العيون والجواسيس لكشف أخبار المشركين والاطلاع على تفاصيل أفعالهم وأحوالهم (وفى صحيح البخارى) وسنن أبى داود عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا الى الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجى الكتاب فقالت ما معى من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا النبى صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة الى

الى

الى القدر وحملهم عليه وقرب أصحاب غيلان ولم يتمتع يزيد بالخلافة بل مات من عامه في سابع ذي الحجة فكانت خلافته ستة أشهر ناقصة وكان عمره خمسا وثلاثين سنة وقيل ستا وأربعين سنة ويقال انه مات بالطاعون

(ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك)

ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك أبو اسحق بويع بالخلافة بعد موت أخيه يزيد الناقص فقيل انه عهد اليه وقيل لا قال بردين سنان حضرت يزيد بن الوليد وقد احتضر فاتاه قطن فقال أنا رسول من وراء بابك يسئلونك بحق الله لما وليت أمرهم أخاك ابراهيم فغضب فقال انا أولى ابراهيم ثم قال ياأبا العلا الى من ترى أعهد قلت أمر نهيتك عن الدخول فيه فلا أشير عليك في آخره قال وأغمى عليه حتى حسبته قدمات فقعد قطن فافتعل كتابا بالعهد على لسان يزيد ودعا ناسا فاستشهدهم عليه ولا والله ماعهد يزيد شيأ ومكث ابراهيم في الخلافة سبعين ليلة ثم خلع خرج عليه مروان بن محمد وبويع فهرب ابراهيم ثم جاء وخلع نفسه من الامر وسلمه الى مروان وبايع طائعا وعاش ابراهيم بعد ذلك الى سنة اثنتين وثلاثين فقتل فيمن قتل من بني أمية في وقعة السفاح وفي تاريخ ابن عساكر سمع ابراهيم من الزهري وحكى عن عمه هشام وحكى عنه ابنه يعقوب وأمه أم ولد وهو أخو مروان الحمار لامه وكان خلعه يوم الاثنين لاربع عشرة خلت من صفر سنة سبع وعشرين ومائة وقال المدائني لم يتم لابراهيم أمر كان قوم يسلمون عليه بالخلافة وقوم يسلمون عليه بالامرة وأبى قوم ان يبايعوه وقال بعض شعرائهم

نبايع ابراهيم في كل جمعة * الا ان أمرا أنت واليه ضائع

وقال غيره كان نقش خاتم ابراهيم ابراهيم يثق بالله

(مروان الحمار)

مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية أبو عبد الملك بن محمد بن مروان بن الحكم ويلقب بالجعدي نسبة الى مؤدبه الجعد بن درهم وبالحمار لانه كان لايجف له لبد في محاربة الخارجين عليه كان يصل السير بالسير ويصبر على مكاره الحرب ويقال في المثل فلان أصبر من حمار في الحروب فلذلك لقب به وقيل لان العرب تسمى كل مائة سنة حمارا فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك ولد مروان بالجزيرة وأبوه متوليها سنة اثنتين وسبعين وأمه أم ولد وولى قبل الخلافة ولايات جليلة وافتتح قونية سنة خمس ومائة وكان مشهورا بالفروسية والاقدام والرجلة والدهاء والعسف فلما قتل الوليد وبلغه ذلك وهو على أرمينية دعا الى بيعة من رضيه المسلمون فبايعوه فلما بلغه موت يزيد أنفق الخزائن وسار فحارب ابراهيم فهزمه وبويع مروان وذلك في نصف صفر سنة سبع وعشرين واستوثق له الامر فأول مافعل أمر بنبش يزيد الناقص فأخرجه من قبره وصلبه لكونه قتل الوليد ثم انه لم يتهن بالخلافة لكثرة من خرج عليه من كل جانب الى سنة اثنتين وثلاثين فخرج عليه بنو العباس وعليهم عبد الله بن علي عم السفاح فسار لحربهم فالتقى الجمعان بقرب الموصل فانكسر مروان فرجع الى الشام فتبعه عبد الله ففر مروان الى مصر فتبعه صالح أخو عبد الله فالتقيا بقرية بوصير فقتل مروان بها في ذي الحجة من السنة مات في أيامه من الاعلام السدي الكبير ومالك بن دينار الزاهد وعاصم بن أبي النجود المقرئ ويزيد بن أبي حبيب وشيبة بن نصاح المقرئ ومحمد بن المنكدر وأبو جعفر يزيد بن القعقاع مقرئ المدينة وأيوب السختياني وأبو الزناد وهمام بن منبه وواصل بن عطاء المعتزلي وأخرج الصولي عن محمد بن صالح قال لما قتل مروان الحمار قطع رأسه ووجه به الى عبد الله بن علي فنظر اليه وغفل فجاءت هرة فاقتلعت لسانه وجعلت تمضغه فقال عبد الله بن علي لو لم يرنا الدهر من عجائبه الا لسان مروان في فم هرة لكفانا ذلك

(السفاح أول خلفاء بني العباس)

السفاح أول خلفاء بني العباس أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن

أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر النبي عليه الصلاة والسلام وساق باقي الحديث وكذلك بعث العيون للاطلاع على حال أبي سفيان والاخبار في ذلك كثيرة ولم تزل ملوك اليونان والفرس والنبط وغيرهم والخلفاء من بني العباس يبالغون في ذلك حتى نسب الى بعضهم مباشرة ذلك بنفسه واطلع على احوال ولاته ونوابه ورعيته وربما تطلعوا على أحوال العوام وآحاد الناس وفي ذلك من المصالح مالا خفاء به لان الملك السائس للرعية كالطبيب فان لم يطلع على اسرار الادواء وخفايا العلل لم يوافق الدواء الالم الا نادرا ولا قياس عليه وقد رتب بعض الخلفاء ذلك ظاهرا فقرر مع الوزير صاحب خبر من الثقات ينهى مايجري في مجلسه فلا يحسن الوزير لاحد ولا يجتمع به أحد من الناس الا بحضور ذلك الشخص وكذلك رتب مع القاضي والنائب وجميع الولاة والعمال (فينبغي) ان يكون أصحاب الاخبار يحضرون مجالس الناس وولائمهم ومجالس الوعظ والاسواق فانه يجري في هذه الاماكن مايجب الاطلاع عليه وكذلك يكشفون عن أحوال العامة وأراجيفهم ومااشتهر في كل وقت من أقوالهم وأفعالهم (وقال) محمد بن عبد الملك الزيات الاراجيف مقدمة الكون (وينبغي) أن يكون صاحب الخبر وصاحب البريد لا واسطة بينه وبين الملك فان ذلك يوقف كثيرا من الاحوال ولا يسمعون لهم في اطلاع أحد على ما عندهم قبل انهائهم

المواد الغزيرة والتوسعة عليه فمن جملة أعماله حفظ الطريق وبزرقتها وصيانتها من القطاع والسراق وطرق الاعداء وانسلال الجواسيس فى البر والبحر واليه ترد كتب أصحاب الثغور وولاة الاطراف وهو يوصلها فى أسرع ما يمكن من اختصار الطرق واختيار المراكب والراكب والناس فى ذلك على تفاوت (وينبغى) له ان ينظر فى حال المراكز ومنازل البريد وافتقاد خيل الشهر وعرضهم واصلاحهم وازاحة اعذارهم واعذار رجالهم وينظر فى حال القبائل والعشائر ومن فيهم على الطاعة والمناصحة ومن قد تغيرت طاعته وفسدت مناصحته فان هذه الاحوال متى علمت فى أوائل الامر سهل تداركها ومتى انطوت الاخبار تفاقم الامر وصعب التدارك كما جرى فيما تقدم من ظهور الخوارج وقيام أهل الاهواء والحشوية والنفاق لغفلة النواب واهمالهم واشتغالهم باللهو (ولما كتب) نصر بن سيار الى مروان بن محمد وهو آخر خلفاء بنى أمية يخبره بقيام أبى مسلم الخراسانى وظهور الدعوة العباسية وهو يهمل ذلك والاقدار تجرى فانشد يقول

هاشم ولد سنة ثمان ومائة وقيل سنة أربع بالحميمة من ناحية البلقاء ونشأ بها وبويع بالكوفة وامه رائطة الحارثية حدث عن اخيه ابراهيم بن محمد الامام روى عنه عمه عيسى بن على وكان أصغر من أخيه المنصور أخرج أحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج رجل من أهل بيتى عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن يقال له السفاح فيكون اعطاؤه المال حثيا وقال عبيد الله العيشى قال ابى سمعت الاشياخ يقولون والله لقد افضت الخلافة الى بنى العباس ومافى الارض أحد أكثر قارئا للقرآن ولا افضل عابدا ولا ناسكا منهم قال ابن جرير الطبرى كان بدء امر بنى العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم العباس عمه ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك وعن رشدين بن كريب ان أباهاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية خرج الى الشام فلقى محمد بن على بن عبد الله بن عباس فقال ياابن عم ان عندى علما أريد ان انبذه اليك فلا تطلعن عليه أحدا ان هذا الامر الذى يرتجيه الناس فيكم قال قد علمته فلا يسمعنه منك أحد وروى المدائنى عن جماعة ان الامام محمد بن على بن عبد الله بن عباس قال لنا ثلاثة أوقات موت يزيد بن معوية ورأس المائة وفتق بافريقية فعند ذلك تدعو لنا دعاة ثم تقبل انصارنا من المشرق حتى ترد خيولهم المغرب فلما قتل يزيد بن أبى مسلم بافريقية ونقضت البربر بعث محمد الامام رجلا الى خراسان وأمره ان يدعو الى الرضى من آل محمد صلى الله عليه وسلم ولا يسمى أحدا ثم وجه ابامسلم الخراسانى وغيره وكتب الى النقباء فقبلوا كتبه ثم لم ينشب ان مات محمد فعهد الى ابنه ابراهيم فبلغ خبره مروان فسجنه ثم قتله فعهد الى أخيه عبد الله وهو السفاح فاجتمع اليه شيعتهم وبويع بالخلافة بالكوفة فى ثالث ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة وصلى بالناس الجمعة وقال فى الخطبة الحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا وايده بنا وجعلنا اهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه ثم ذكر قرابتهم فى آيات القرآن الى أن قال فلما قبض الله نبيه قام بالامر أصحابه الى أن وثب بنو حرب ومروان فجاروا واستأثروا فأملى الله لهم حينا حتى آسفوه فانتقم منهم بايدينا ورد علينا حقنا ليمن بنا على الذين استضعفوا فى الارض وختم بنا كما افتتح بنا وما توفيقنا أهل البيت الا بالله يا أهل الكوفة انتم محل محبتنا ومنزل مودتنا لم تفتروا عن ذلك ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور فانتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا وقد زدت فى اعطياتكم مائة مائة فاستعدوا فانا السفاح المبيح والثائر المبير وكان عيسى بن على اذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة يقول ان أربعة عشر رجلا خرجوا من دارهم يطلبون ما طلبنا لعظيمة هممهم شديدة قلوبهم ولما بلغ مروان مبايعة السفاح خرج لقتاله فانكسر كما تقدم ثم قتل وقتل فى مبايعة السفاح من بنى امية وجندهم مالا يحصى من الخلائق وتوطدت له الممالك الى أقصى المغرب قال الذهبى بدولته تفرقت الجماعة وخرج عن الطاعة مابين تاهرت وطبنة الى بلاد السودان وجميع مملكة الاندلس وخرج بهذه البلاد من تغلب عليها واستمر ذلك

مات السفاح بالجدرى فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وكان قد عهد الى اخيه أبى جعفر وكان فى سنة أربع وثلاثين قد انتقل الى الانبار وصيرها دار الخلافة ومن أخبار السفاح قال الصولى من كلامه اذا عظمت القدرة قلت الشهوة وقل تبرع الامعه حق مضاع وقال ان من ادنياء الناس ووضعائهم من عد البخل حزما والحلم ذلا وقال اذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة والصبر حسن الا على ما اوقع الدين واوهن السلطان والاناة محمودة الا عند امكان الفرصة قال الصولى وكان السفاح اسخى الناس ماوعد عدة فاخرها عن وقتها ولا قام من مجلسه حتى يقضيها وقال له عبد الله بن حسن مرة سمعت بالف ألف درهم وما رأيتها قط فأمر بها فاحضرت وأمر بحملها معه الى منزله قال وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وقل ما يروى له من الشعر وقال سعيد بن مسلم الباهلى دخل عبد الله بن حسن على السفاح مرة والمجلس غاص ببنى هاشم والشيعة ووجوه الناس ومعه مصحف

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالزندين تورى * وان الحرب أوله كلام

فقال

فقال يا أمير المؤمنين اعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف قال له ان علياجدك كان خيرا مني واعدل ولي هذا الامر أفأعطى جديك الحسن والحسين وكانا خيرا منك شيئا وكان الواجب ان اعطيك مثله فان كنت فعلت فقد انصفتك وان كنت زدتك فما هذا جزائي منك فانصرف ولم يحر جوابا وعجب الناس من جواب السفاح قال المؤرخون في دولة بني العباس افترقت كلمة الاسلام وسقط اسم العرب من الديوان وادخل الاتراك في الديوان واستولت الديلم ثم الاتراك وصارت لهم دولة عظيمة وانقسمت ممالك الارض عدة اقسام وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقهر قالوا وكان السفاح سريعا الى سفك الدماء فاتبعه في ذلك عماله بالمشرق والمغرب وكان مع ذلك جوادا بالمال

مات في أيامه من الاعلام زيد بن أسلم وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وربيعة الرأي فقيه أهل المدينة وعبد الملك بن عمير ويحيى بن أبي اسحق الحضرمي وعبد الحميد الكاتب المشهور وقتل ببوصير مع مروان ومنصور بن المعتمر وهمام بن منبه

(المنصور أبو جعفر عبد الله)

المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وامه سلامة البربرية أم ولد ولد سنة خمس وتسعين وادرك جده ولم يروعنه وروى عن ابيه وعن عطاء بن يسار وعنه ولده المهدي وبويع بالخلافة بعهد من اخيه وكان فحل بني العباس هيبة وشجاعة وحزما ورأيا وجبروتا جماعا للمال تاركا اللهو واللعب كامل العقل جيد المشاركة في العلم والادب فقيه النفس قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه وهو الذي ضرب اباحنيفة رحمه الله على القضاء ثم سجنه فمات بعد ايام وقيل انه قتله بالسم لكونه افتى بالخروج عليه وكان فصيحا بليغا مفوها خليقا للامارة وكان غاية في الحرص والبخل فلقب ابا الدوانيق لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات أخرج الخطيب عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال منا السفاح ومنا المنصور ومنا المهدي *(قال الذهبي منكر منقطع)* وأخرج الخطيب وابن عساكر وغيرهما من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال منا السفاح ومنا المنصور ومنا المهدي *(قال الذهبي اسناده صالح)* وأخرج ابن عساكر من طريق اسحق بن أبي اسرائيل عن محمد بن جابر عن الاعمش عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول منا القائم ومنا المنصور ومنا السفاح ومنا المهدي فاما القائم فتأتيه الخلافة ولم يهرق فيها محجمة من دم وأما المنصور فلا ترد له راية وأما السفاح فهو يسفح المال والدم وأما المهدي فيملؤها عدلا كما ملئت ظلما وعن المنصور قال رأيت كأني في الحرم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة وبابها مفتوح فنادى مناد أين عبد الله فقام أخي أبو العباس حتى صار على الدرجة فادخل فما لبث ان خرج ومعه قناة عليها لواء أسود قدر أربعة اذرع ثم نودي أين عبد الله فقمت على الدرجة فاصعدت واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وبلال فعقد لي واوصاني بامته وعممني بعمامة فكان كورها ثلاثة وعشرين وقال خذها اليك أبا الخلفاء الى يوم القيمة تولى المنصور الخلافة في أول سنة سبع وثلاثين ومائة فاول مافعل ان قتل أبا مسلم الخراساني صاحب دعوتهم وممهد مملكتهم وفي سنة ثمان وثلاثين دخل عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي الاندلس واستولى عليها وامتدت ايامه وبقيت الاندلس في يد اولاده الى بعد الاربعمائة وكان عبد الرحمن هذا من اهل العلم والعدل وامه بربرية قال أبو المظفر الابيوردي فكانوا يقولون ملك الدنيا ابنا بربريتين المنصور وعبد الرحمن بن معوية وفي سنة أربعين شرع في بناء مدينة بغداد وفي سنة احدى وأربعين كان ظهور الراوندية القائلين بالتناسخ فقتلهم المنصور وفيها افتتحت طبرستان قال الذهبي في سنة ثلاث وأربعين شرع علماء الاسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج بمكة ومالك الموطأ بالمدينة والاوزاعي بالشام وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة

وان يظفر بها اغفلاء قوم * يكون وقودها جثث وهام
أقول من التعجب ليت شعري * أأيقاظ أمية أم نيام

حتى كان من أمرهم ما كان وقد كان الرشيد والمعتصم والمتوكل والمعتضد يبحثون عن الاحوال غاية البحث ويتلطفون في الاطلاع على الامور وكذلك وزراؤهم وأمراؤهم والعامة ومنهم الافشين ومؤنس الخادم وابن رائق لكل واحد من هؤلاء غرائب في ذلك وتدقيق في الكشف ومنهم أحمد ابن طولون كان مستشعرا من الخليفة ومن أحمد الموفق وانحاز بمصر وصار ضابطا لها محتاطا عليها وهو حسن السيرة تام السياسة مطلعا على جميع أحوال جنده وكان من جملة أمرائه رجل من مقدمي الاتراك له تقدم ورئاسة وفيه نجدة وشجاعة الا أن أخباره انطوت عن أحمد بن طولون فلم يقدر على الاطلاع عليها وسببه قلة معاشرته وكانت له دار حرمية ليس فيها سوى جارية مغنية ومن يخدمها ولا يفتح بابه اذا غاب ولا يدخل عليها سوى خادم صغير يناول ويتناول مايحتاجون اليه من طعامهم وشرابهم في اليوم مرة واحدة ثم يغلق الباب الى الغد فيخرج فيركب مع أصحابه الى خدمة أحمد ويعود فلما عسر على أحمد معرفة أحواله ندب رجلا من الاذكياء لذلك وقال تلطف في تحصيل دار الى جانبه امابشراء أو كرا واسكن فيها واجتهد ان تطلع على أحواله وتعرفني بها ففعل ذلك فكان يتجسس

ومعمر باليمن وسفيان الثوري بالكوفة وصنف ابن اسحق المغازي وصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأي ثم بعد يسير صنف هشيم والليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب وكثر تدوين العلم وتبويبه ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس وقبل هذا العصر كان الائمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة وفي سنة خمس وأربعين كان خروج الاخوين محمد وابراهيم ابني عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فظفر بهما المنصور فقتلهما وجماعة كثيرة من آل البيت فانا لله وانا اليه راجعون وكان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وكانوا قبل شيأ واحدا وآذى المنصور خلقا من العلماء ممن خرج معهما وأمر بالخروج قتلا وضربا وغير ذلك منهم أبو حنيفة وعبد الحميد بن جعفر وابن عجلان وممن أفتى بجواز الخروج مع محمد على المنصور مالك بن أنس رحمه الله وقيل له ان في أعناقنا بيعة للمنصور فقال انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين وفي سنة ست وأربعين كانت غزوة قبرس وفي سنة سبع وأربعين خلع المنصور عمه عيسى بن موسى من ولاية العهد وكان السفاح عهد اليه من بعد المنصور وكان عيسى هو الذي حارب له الاخوين فظفر بهما فكافأه بأن خلعه مكرها وعهد الى ولده المهدي وفي سنة ثمان وأربعين توطدت الممالك كلها للمنصور وعظمت هيبته في النفوس ودانت له الامصار ولم يبق خارجا عنه سوى جزيرة الاندلس فقط فانها غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية الاموي المرواني لكنه لم يتلقب بامير المؤمنين بل بالامير فقط وكذلك بنوه وفي سنة تسع وأربعين فرغ من بناء بغداد وفي سنة خمسين خرجت الجيوش الخراسانية عن الطاعة مع الامير استاذسيس واستولى على أكثر خراسان وعظم الخطب واستفحل الشر واشتد على المنصور الامر وبلغ ضريبة الجيش الخراساني ثلثمائة ألف مقاتل ما بين فارس وراجل فعمل معهم أجثم المروزي مصافا فقتل أجثم واستبيح عسكره فتجهز لحربهم حازم بن خزيمة في جيش عرمرم يسد الفضاء فالتقى الجمعان وصبر الفريقان وكانت وقعة مشهورة يقال قتل فيها سبعون ألفا وانهزم استاذسيس فالتجأ الى جبل وأمر الامير حازم في العام الآتي بالاسرى فضربت أعناقهم وكانوا أربعة عشر ألفا ثم حاصروا استاذسيس مدة ثم سلم نفسه فقيدوه واطلقوا أجناده وكان عددهم ثلاثين ألفا انتهى وفي سنة احدى وخمسين بنى الرصافة وشيدها وفي سنة ثلاث وخمسين الزم المنصور رعيته بلبس القلانس الطوال فكانوا يعملونها بالقصب والورق ويلبسونها السواد فقال أبو دلامة شعرا

وكنا نرجي من امام زيادة * فزاد الامام المصطفى في القلانس
تراها على هام الرجال كأنها * دنان يهود جللت بالبرانس

وفي سنة ثمان وخمسين أمر المنصور نائب مكة بحبس سفيان الثوري وعباد بن كثير فحبس وتخوف الناس أن يقتلهما المنصور اذا ورد الحج فلم يوصله الله مكة سالما بل قدم مريضا ومات وكفاهما الله شره وكانت وفاته بالبطن في ذي الحجة ودفن بين الحجون وبئر ميمون وقال سلم الخاسر شعرا

قفل الحجيج وخلفوا ابن محمد * رهنا بمكة في الضريح الملحد
شهدوا المناسك كلها وامامهم * تحت الصفائح محرما لم يشهد

ومن أخبار المنصور أخرج ابن عساكر بسنده ان أبا جعفر المنصور كان يرحل في طلب العلم قبل الخلافة فبينا هو يدخل منزلا من المنازل قبض عليه صاحب الرصد فقال زن درهمين قبل أن تدخل قال خل عني فاني رجل من بني هاشم قال زن درهمين فقال خل عني فاني من بني عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال زن درهمين قال خل عني فاني رجل قارئ لكتاب الله قال زن درهمين قال خل عني فاني رجل عالم بالفقه والفرائض قال زن درهمين فلما أعياه أمره وزن الدرهمين فرجع ولزم جمع المال والتدنق فيه حتى لقب بأبي الدوانيق وأخرج عن الربيع بن يونس الحاجب قال سمعت المنصور يقول الخلفاء أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والملوك أربعة معاوية وعبد الملك وهشام وأنا وأخرج عن مالك بن أنس قال دخلت على أبي جعفر المنصور فقال من أفضل

الناس

عليهم من شق أو كوة صغيرة فيراه بعد الاكل مع جاريته فيشرب وتغنيه ساعة ثم ينام فسمعه ليلا وقد ارتفع صوته واخذ على الجارية وهو يقول من يكون هذا الفاعل الصانع يعني أحمد وأنا خير منه يستخدمني والله لا أدومن اليه الساعة بسيفي هذا فأضرب عنقه والجارية تقبل يديه ورجليه وتتلطف به وتقول ياسيدي نحن الساعة في عيش طيب وما علينا من ذلك الرجل وما نبالي به فدعنا نشتغل بلذتنا وسقته اقداحا موفرة حتى غلبه السكر ونام فاشتغلت بشغلها وقد بعدت عنه السيف فلما أصبح أنهى صاحب الخبر ذلك وجاء التركي على عادته الى الخدمة وأكل الناس وانصرفوا فأمره بالجلوس حتى لم يبق في المجلس أحد قال له ألم يك أقطاعك بالعراق كذا وكذا وقد زدتك ههنا اضعافه قال نعم قال ألم يك قد وفرتك عن التعب والتصرف في البعوث والتجارات وأقضي حوائجك وحوائج أصحابك قال نعم ثم شرع يعدد صنائعه عنده واحسانه اليه وهو يعترف وكان تركيا غشيما ساذجا فقال له ما الذي اقتضى هذا قال فما كان ذنبي اليك حتى تشتمني وتستنقصني وسللت السيف وقلت انك تقصدني به ولقد أحسنت الينا جاريتك في كفك عنا وتسكينك فما الذي أوجب منك هذا فتحير التركي وبهت وعلم انه لا يطلع أحد على حاله ثم رفع رأسه الى السماء على سلامة منه وقال يارب ملكته البلاد والعباد

الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أبو بكر وعمر قال أصبت وذلك رأى أمير المؤمنين وأخرج عن اسماعيل الفهري قال سمعت المنصور في يوم عرفة على منبر عرفة يقول في خطبته أيها الناس انما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه ورشده وخازنه على فيئه أقسمه بارادته وأعطيه باذنه وقد جعلني الله عليه قفلا اذا شاء ان يفتحني فتحني لاعطائكم واذا شاء أن يقفلني عليه اقفلني فارغبوا الى الله أيها الناس وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما اعلمكم في كتابه اذ يقول اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ان يوفقني للصواب ويسددني للرشاد ويلهمني الرأفة بكم والاحسان اليكم ويفتحني لاعطائكم وقسم أرزاقكم بالعدل فانه سميع مجيب وأخرجه الصولي وزاد في أوله ان سبب هذه الخطبة ان الناس بخلوه وزاد في آخره فقال بعض الناس أحال أمير المؤمنين بالمنع على ربه وأخرج عن الاصمعي وغيره ان المنصور صعد المنبر فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أذكر من أنت في ذكره فقال مرحبا مرحبا لقد ذكرت جليلا وخوفت عظيما وأعوذ بالله أن أكون ممن اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم والموعظة منا بدت ومن عندنا خرجت وأنت يا قائلها فاحلف بالله ما الله أردت بها وانما أردت ان يقال قام فقال فعوقب فصبر فاهون بها من قائلها واهتبلها من الله ويلك اني قد غفرتها واياكم معشر الناس وأمثالها وأشهد ان محمدا عبده ورسوله فعاد الى خطبته فكأنما يقرؤها من قرطاس وأخرج من طرق ان المنصور قال لابنه المهدي يا أبا عبد الله الخليفة لا يصلحه الا التقوى والسلطان لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه وقال لا تبرمن امرا حتى تفكر فيه فان فكرة العاقل مرآته تريه قبيحه وحسنه وقال أي بني استدم النعمة بالشكر والمقدرة بالعفو والطاعة بالتألف والنصر بالتواضع والرحمة للناس وأخرج عن مبارك بن فضالة قال كنا عند المنصور فدعا برجل ودعا بالسيف فقال المبارك يا أمير المؤمنين سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة قام مناد من عند الله ينادي ليقم الذين أجرهم على الله فلا يقوم الا من عفا فقال المنصور خلوا سبيله وأخرج عن الاصمعي قال أتى المنصور برجل يعاقبه فقال يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله ان يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون ان يبلغ أرفع الدرجتين فعفا عنه وأخرج عن الاصمعي قال لقي المنصور أعرابيا بالشام فقال احمد الله يا أعرابي الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت قال ان الله لم يجمع علينا حشفا وسوء كيل ولايتكم والطاعون وأخرج عن محمد بن منصور البغدادي قال قام بعض الزهاد بين يدي المنصور فقال ان الله أعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك ببعضها واذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده فأفحم المنصور وأمر له بمال فقال لو احتجت الى مالك ما وعظتك وأخرج عن عبد السلام بن حرب ان المنصور بعث الى عمرو بن عبيد فجاءه فأمر له بمال فأبى أن يقبله فقال المنصور والله لتقبلنه فقال والله لا أقبله فقال له المهدي قد حلف أمير المؤمنين فقال أمير المؤمنين أقوى على كفارة اليمين من عمك فقال له المنصور سل حاجتك قال أسألك ان لا تدعوني حتى آتيك ولا تعطيني حتى أسألك فقال علمت اني جعلت هذا ولي عهدي فقال يأتيه الامر يوم يأتيه وأنت مشغول وأخرج عن عبد الله بن صالح قال كتب المنصور الى سوار بن عبد الله قاضي البصرة انظر الارض التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر فادفعها الى القائد فكتب اليه سوار ان البينة قد قامت عندي انها للتاجر فلست أخرجها من يده الا ببينة فكتب اليه المنصور والله الذي لا اله الا هو لتدفعنها الى القائد فكتب اليه سوار والله الذي لا اله الا هو لا اخرجتها من يد التاجر الا بحق فلما جاءه الكتاب قال ملأتها والله عدلا وصار قضاتي تردني الى الحق وأخرج من وجه آخر ان المنصور وشي اليه بسوار فاستقدمه فعطس المنصور فلم يشمته سوار فقال ما يمنعك من التشميت قال لانك لم تحمد

ووبعث له الاموال وحكمته علينا وخولته كل ما أراد ونحن وأمثالنا عبيد له فما كان من هذه الكلمة حتى أوصلها اليه وأطاعته عليها سبحانك يارب تفعل ماتشاء فضحك أحمد وزال من قلبه وعلم سلامة صدره وعفا عنه وقال له كان الله أطلعني على ذلك فقال نعم لانه لم يطلع على هذا غيره وجاريتي وهذا خروجي من بيتي والمفتاح معي فمن أعلمك فأمر له بخلعة نفيسة ووصله بمال وأمر لجاريته بثياب وجوهر وطيب جزاء لها على حسن تأدبها وبعثه مع خادم أوصله اليها ولم يزل محسنا لها بقية أيامه (وينبغي) أن يكون صاحب الخبر مزاح العذر فيما يحتاج اليه من الخيل والنفقة والرجال وكانت الفرس تتخذ الخيل الجياد لذلك والعرب النجب من الجمال وهي أسرع من الخيل وأصبر على السير وأهل العراق يتغالون في السعاة وهم رجال خفاف تعودوا الجري والصبر على السير لقطع ثلاث مراحل في مرحلة وكذلك بمصر وأهل البراري انشط لذلك وأخف ويضرب المثل في ذلك بسليك بن السلكة وكذلك في الصحابة سلمة بن الاكوع وقصته مشهورة حين أدرك القوم الذين استاقوا الابل فسبقهم وجلس على طريقهم وجعل يرميهم ويقول انا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع وأهل الشام يتخذون الحمام لحمل البطائق وذلك أسرع وأبلغ لولا ما يخاف من العوارض عليها من سقوط البطاقة أو بللها أو اقتناص

الله فقال قد حمدت الله في نفسي قال شمتك في نفسي قال ارجع الى عملك فانك اذا لم تحابني لم تحاب غيري وأخرج عن نمير المدني قال قدم المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحي على قضائه وانا كاتبه فاستعدى الجمالون على المنصور في شئ فأمرني أن أكتب اليه بالحضور وانصافهم فاستعفيت فلم يعفني فكتبت الكتاب ثم ختمته وقال والله لا يمضي به غيرك فمضيت به الى الربيع فدخل عليه ثم خرج فقال للناس ان أمير المؤمنين يقول لكم اني قد دعيت الى مجلس الحكم فلا يقومن معي أحد ثم جاء هو والربيع فلم يقم له القاضي بل حل رداءه واحتبى به ثم دعا بالخصوم فادعوا فقضى لهم على الخليفة فلما فرغ قال له المنصور جزاك الله عن دينك أحسن الجزاء قد أمرت لك بعشرة آلاف دينار وأخرج عن محمد بن حفص العجلي قال ولد لابي دلامة ابنة فغدا على المنصور فأخبره وأنشد شعرا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم * الى السماء فأنتم أكرم الناس

ثم أخرج أبو دلامة خريطة فقال المنصور ما هذه قال اجعل فيها ما تأمر لي به فقال املؤها له دراهم فوسعت ألفي درهم وأخرج عن محمد بن سلام الجمحي قال قيل للمنصور هل بقي من لذات الدنيا شئ لم تنله قال بقيت خصلة أن أقعد في مصطبة وحولي أصحاب الحديث يقول المستملي من ذكرت رحمك الله قال فغدا عليه الندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر فقال لستم بهم انما هم الدنسة ثيابهم المشققة أرجلهم الطويلة شعورهم برد الآفاق ونقلة الحديث وأخرج عن عبد الصمد بن علي انه قال للمنصور لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو قال لان بني مروان لم تبل رممهم وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقة واليوم خلفاء فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم الا بنسيان العفو واستعمال العقوبة وأخرج عن يونس بن حبيب قال كتب زياد بن عبد الله الحارثي الى المنصور يسأله الزيادة في عطائه وأرزاقه وأبلغ في كتابه فوقع المنصور في القصة ان الغنى والبلاغة اذا اجتمعا في رجل أبطرتاه وأمير المؤمنين يشفق عليك من ذلك فاكتف بالبلاغة وأخرج عن محمد بن سلام قال رأت جارية المنصور قميصه مرقوعا فقالت خليفة وقميصه مرقوع فقال ويحك أما سمعت قول ابن هرمة شعرا

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

وقال العسكري في الاوائل كان المنصور في ولد العباس كعبد الملك في بني أمية في بخله رأى بعضهم عليه قميصا مرقوعا فقال سبحان من ابتلى أبا جعفر بالفقر في ملكه وحدا به سلم الحادي فطرب حتى كاد يسقط من الراحلة فأجازه بنصف درهم فقال لقد حدوت بهشام فأجازني بعشرة آلاف فقال ما كان له ان يعطيك ذلك من بيت المال يا ربيع وكل به من يقبضها منه فما زالوا به حتى تركه على أن يحدو به ذاهبا وآيبا بغير شئ وفي كتاب الاوائل للعسكري كان ابن هرمة شديد الرغبة في الخمر فدخل على المنصور فأنشده شعرا

له لحظات من حفافي سريره * اذا كرها فيها عقاب ونائل
فأم الذي أمنت آمنة الردى * وأم الذي حاولت بالثكل ثاكل

فأعجب به المنصور وقال ما حاجتك قال تكتب الى عاملك بالمدينة أن لا يحدني اذا وجدني سكران فقال لا أعطل حدا من حدود الله قال تحتال لي فكتب الى عامله من أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين فكان العون اذا مر به وهو سكران يقول من يشتري مائة بثمانين ويتركه ويمضي قال وأعطاه المنصور في هذه المرة عشرة آلاف درهم وقال له يا ابراهيم احتفظ بها فليس لك عندنا مثلها فقال اني ألقاك على الصراط بها بخاتمة الجهبذ ومن شعر المنصور وشعره قليل

اذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأي أن يترددا

الطائر أو الكاسر من الخارج له ولاهل العراق به عناية واهتمام (ورأينا كتابا) كتبه محمود بن زنكي الى ولاة بلاده يحث على حفظ المناسب من الحمام ورعايتها وحمايتها من الاذى والتنبيه على جليل منفعتها وكثرة فائدتها وسمعت عن طائفة من الهند تسكن في غياض وشعاري تجري فلا تلحق وتصعد الاشجار فتقفز من شجرة الى شجرة وقرأت في بعض الكتب ان طائفة من البربر من قبيلة كزولة فيها رجال نحاف خفاف دقاق السوق خمص البطون يجري أحدهم خلف الفارس فيلحقه ويركب خلفه من الارض وقيل انهم يعدون خلف الغزلان فيقتنصونها بأيديهم واذا كانت البلاد بحرية فليكن لصاحب الخبر مراكب خفيفة سريعة وأصحاب الجبال والحصون يتخذون المراقب والمشارف والاعلام عليها النيران بالليل والدخان بالنهار والطلائع تحفظها وتقرير الاشارة بينهم بها كل هذا من فعل حزمة الملوك وهذا كله من وظائف صاحب البريد واما الحزمة من الملوك فانهم كانوا اذا سيروا في أشغالهم أحدا سيروا معه آخر كل واحد عينا على رفيقه بحيث لا يشعران بحسن سياسة حتى يعتقد كل منهما انه العين على صاحبه فتتوافق الاخبار فتصح أو تتخالف فينظر في أمرها ويجب أن يكون صاحب الخبر له توصل وتلاطف ودسائس من النساء والصبيان والغلمان والحراس والحمامات وأصحاب الحرف والصنائع والمستحب أن يكون ولا

ولاتمهل الاعداء يوما بقدرة * وبادرهم أن تملكوا امثلها غدا

وقال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقى كنت أطلب العلم مع أبى جعفر المنصور قبل الخلافة فأدخلنى منزله فقدم الى طعاما لالحم فيه ثم قال ياجارية عندك حلواء قالت لا قال ولا التمر قالت لا فاستلقى وقرأ عسى ربكم أن يهلك عدوكم الآية فلما ولى الخلافة وفدت اليه فقال كيف سلطانى من سلطان بنى أمية قلت مارأيت فى سلطانهم من الجور شيأ الارأيته فى سلطانك فقال انا لانجد الاعوان قلت قال عمر بن عبد العزيز ان السلطان بمنزلة السوق يجلب اليها ماينفق فيها فان كان برا أتوه ببرهم وان كان فاجرا أتوه بفجورهم فأطرق ومن كلام المنصور الملوك تحتمل كل شئ الاثلاث خلال افشاء السر والتعرض للحرم والقدح فى الملك (أسنده الصولى) وقال اذامد عدوك اليك يده فاقطعها ان أمكنك والا فقبلها (أسنده أيضا) وأخرج الصولى عن يعقوب بن جعفر قال مما يؤثر من ذكاء المنصور انه دخل المدينة فقال للربيع اطلب لى رجلا يعرفنى دور الناس فجاءه رجل فجعل يعرفه الدور الا أنه لايبتدئ به حتى يسأله المنصور فلما فارقه أمر له بألف درهم فطالب الرجل الربيع بها فقال ماقال لى شيأ وسيركب فذكره فركب مرة أخرى فجعل يعرفه ولايرى موضعا للكلام فلما أراد ان يفارقه قال الرجل مبتدئا وهذه ياأمير المؤمنين دار عاتكة التى يقول فيها الاحوص شعرا

يابيت عاتكة الذى أتغزل * حذر العدى وبك الفؤاد موكل

فأنكر المنصور ابتداءه فأمر القصيدة على قلبه فاذا فيها شعر

وأراك تفعل ماتقول وبعضهم * مذق اللسان يقول مالايفعل

فضحك وقال ويلك يا ربيع أعطه ألف درهم وأسند الصولى عن اسحق الموصلى قال لم يكن المنصور يظهر لندمائه بشرب ولاغناء بل يجلس وبينه وبين الندماء ستارة وبينهم وبينها عشرون ذراعا وبينها وبينه كذلك وأول من ظهر للندماء من خلفاء بنى العباس المهدى وأخرج الصولى عن يعقوب بن جعفر قال قال المنصور لقثم ابن العباس بن عبد الله بن العباس وكان عامله على اليمامة والبحرين ما القثم ومن أى شئ أخذ فقال لاأدرى فقال اسمك اسم هاشمى لاتعرفه أنت والله جاهل قال فان رأى أمير المؤمنين ان يفيدنيه قال القثم الذى يبزل بعد الاكل ويقثم الاشياء يأخذها ويثلها روى ان المنصور ألح عليه ذباب فطلب مقاتل بن سليمان فسأله لم خلق الله الذباب قال ليذل به الجبارين وقال محمد بن على الخراسانى المنصور أول خليفة قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية بالعربية ككتاب كليلة ودمنة واقليدس وهو أول من استعمل مواليه على الاعمال وقدمهم على العرب وكثر ذلك بعده حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها وهو أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد على وكان قبل ذلك أمرهم واحدا

أحاديث من رواية المنصور قال الصولى كان المنصور أعلم الناس بالحديث والانساب مشهورا بطلبه قال ابن عساكر فى تاريخ دمشق حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى حدثنا أبو محمد الجوهرى حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن الشخير حدثنا أحمد بن اسحق أبو بكر الملحمى حدثنا أبو عقيل أنس بن سلم الانطرطوشى حدثنى محمد بن ابراهيم السلمى عن المأمون عن الرشيد عن المهدى عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه وقال الصولى حدثنا محمد بن زكريا اللؤلؤى حدثنا جهم بن السباق الرياحى حدثنى بشر بن المفضل سمعت الرشيد يقول سمعت المهدى يقول سمعت المنصور يقول حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تأخر عنها هلك وقال الصولى حدثنا أحمد بن موسى حدثنا سليمان بن أبى شيخ حدثنا أبو سفيان الحميرى سمعت المهدى يقول حدثنى أبى عن أبيه عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرنا أميرا وفرضنا له فرضا فما أصاب من شئ فهو غلول وقال الصولى حدثنا جبلة بن محمد حدثنا أبى عن يحيى بن حمزة

بين الملك وبين البريد وصاحب الخبر ترجمة لايطلع عليها غيره ولكل واحد ترجمة مع صاحبه واذا أراد الملك ان يحتاط فى ذلك فلا يقنع فى الامور العظام ان كتب أو كتب اليه بالترجمة ولا بخط الكاتب ولا بالختم فان هذه ربما يجبر عليها أو يشابه بها بل يكون بينهما علامة لايطلع عليها غيرهما مثاله ماقرره أبو مسلم الخراسانى مع كاتبه لما طلبه المنصور فلما قتله أمر كاتبه ان يكتب عنه كتابا الى نائبه على الجيش ويعلم علامته ويختم بختمه بان تأتى بالثقل والخزائن ونقد العراق فلما انتهى الكتاب اليه صاح وقال ماهذا كتاب سيدى أبى مسلم وارتحل من وقته الى خراسان وكان قد قرر معه ان يرد كتابه اليه وهو مختوم بنصف الختم واقتراحات الخواطر كثيرة فى ذلك وغيره

(الباب السادس فى الحجاب والنقباء والحرس والاعوان)

اعلم أيدك الله انه شبه الحاجب من الملك بالعين من الجسد فهو يرى مصالح المملكة فيدنيها ومضارها فيقصيها وكما أن العين السليمة تجلى وتقوى والسقيمة تداوى فكذلك الحاجب تقوى بصيرته وتهذب أخلاقه وتزاح اعذاره وتملأ عينه بالانعام والاقطاع والاموال وغير ذلك وينطلق اسم الحاجب على شخصين حاجبين أحدهما مع نائب المملكة وهو شاد ديوان الجيوش والآخر فى خدمته ملازما للملك ويسمى أمير جاندار والحاشية والزردخانات ورجالها والعدد والآلات

الحضرمى عن أبيه قال ولانى المهدى القضاء فقال اصلب فى الحكم فان أبى حدثنى عن أبيه عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله وعزتى وجلالى لانتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ولانتقمن ممن رأى مظلوما يقدر أن ينصره فلم يفعل وقال الصولى حدثنا محمد بن العباس بن الفرج حدثنى أبى عن الاصمعى حدثنى جعفر بن سليمان عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى وقال الصولى حدثنا أبو اسحق محمد بن هرون ابن عيسى حدثنا الحسن بن عبيد الله الحصيبى حدثنا ابراهيم بن سعيد حدثنى المأمون عن الرشيد عن المهدى عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس قال سمعت على بن أبى طالب يقول لا تسافر ولا فى محاق الشهر ولا اذا كان القمر فى العقرب

مات فى أيام المنصور من الاعلام ابن المقفع وسهيل بن أبى صالح والعلاء بن عبد الرحمن وخالد بن يزيد المصرى الفقيه وداود بن أبى هند وأبو حازم سلمة بن دينار الاعرج وعطاء بن أبى مسلم الخراسانى ويونس بن عبيد وسليمان الاحول وموسى بن عقبة صاحب المغازى وعمرو بن عبيد المعتزلى ويحيى بن سعيد الانصارى والكلبى وأبى اسحق وجعفر بن محمد الصادق والاعمش وشبل بن عباد مقرى مكة ومحمد بن عجلان المدنى الفقيه ومحمد ابن عبد الرحمن بن أبى ليلى وابن جريج وأبو حنيفة وحجاج بن ارطاة وحماد الراوية ورؤبة الشاعر والحريرى وسليمان التيمى وعاصم الاحول وابن شبرمة الضبى ومقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان وهشام بن عروة وأبو عمرو بن العلاء وأشعب الطماع وحمزة بن حبيب الزيات والاوزاعى وخلائق آخرون

(المهدى أبو عبد الله محمد بن المنصور)

المهدى أبو عبد الله محمد بن المنصور ولد بايدج سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة ست وعشرين وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية وكان جوادا ممدحا مليح الشكل محببا الى الرعية حسن الاعتقاد تتبع الزنادقة وأفنى منهم خلقا كثيرا وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل فى الرد على الزنادقة والملحدين روى الحديث عن أبيه وعن مبارك بن فضالة حدث عنه يحيى بن حمزة وجعفر بن سليمان الضبعى ومحمد بن عبد الله الرقاشى وأبو سفيان سعيد بن يحيى الحميرى قال الذهبى وما علمت قيل فيه جرحا ولا تعديلا وأخرج ابن عدى من حديث عثمان مرفوعا المهدى من ولد العباس عمى تفرد به محمد بن الوليد مولى بنى هاشم وكان يضع الحديث وأورد الذهبى هنا حديث ابن مسعود مرفوعا المهدى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى (أخرجه أبو داود والترمذى وصححه) ولما شب المهدى أمره أبوه على طبرستان وما والاها وتأدب وجالس العلماء وتميز ثم ان أباه عهد اليه فلما مات بويع بالخلافة ووصل الخبر اليه ببغداد فخطب الناس فقال ان أمير المؤمنين عبد دعى فاجاب وأمر فأطاع واغرورقت عيناه فقال قد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فراق الاحبة ولقد فارقت عظيما وقلدت جسيما فعند الله احتسب أمير المؤمنين وبه استعين على خلافة المسلمين أيها الناس أسروا مثل ما تعلنون من طاعتنا نهبكم العافية وتحمدوا العاقبة واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدلته فيكم وطوى الاصر عنكم وأهال عليكم السلامة من حيث رآه الله مقدما ذلك والله لافنين عمرى بين عقوبتكم والاحسان اليكم قال نفطويه لما حصلت الخزائن فى يد المهدى أخذ فى رد المظالم فاخرج أكثر الذخائر ففرقها وبر أهله ومواليه وقال غيره أول من هنأ المهدى بالخلافة وعزاه بابيه أبو دلامة فقال شعرا

عيناى واحدة ترى مسرورة * بأميرها جذلى وأخرى تذرف
تبكى وتضحك تارة ويسوؤها * ما أنكرت ويسرها ما تعرف
فيسوؤها موت الخليفة محرما * ويسرها أن قام هذا الارأف
ما ان رأيت كما رأيت ولا أرى * شعرا أسرحه وآخر ينتف

وطباعه فلا يدخل عليه الناس عند ضجره وملاله ولاذو الهيبة عند خلوته وانبساطه ولا الملهون عند أمره ونهيه ووقاره بل توضع الامور فى مواضعها ويرتب الناس فى مراتبهم ويقرب من يجب تقريبه ويبعد من يجب ابعاده ويكونان حسنى الاعتذار لمن يحجبانه والتلطف لمن يوحشانه والرفق بمن ابعد والوعد لمن يطل والمساعدة له فى صلة رزقه الله تعالى وان يبذلا جاههما لمن لاجاه له فهى أفضل الصدقة لقول النبى صلى الله عليه وسلم ان أفضل الصدقة ان تعين بجاهك من لاجاه له (وقال) عليه السلام ان لكل شئ زكاة وزكاة الجاه بذله للضعفاء فيجب على هذين الشخصين المساعدة فى الله وان يقبل الملك منهما ويسمع شفاعتهما ويقبلها ويضاعف فى الاحسان اليهما او يطيب خواطرهما فان نكايات الحجاب أليمة وجناياتهم شديدة وليس فى خدم الملوك أصعب منهما فان الاحسان والتودد يتولد بحسن سياستهما ورقة طباعهما والشرور تنسب اليهما والاحقاد تتركب بسببهما فكم من محسن وحقود كان منشؤها قسوة الحجاب وغلظتهم ونفرتهم وفى ذلك يقول الشاعر
كم ملك تحمد اخلاقه
وترغب الاحرار فى خدمته

هلك الخليفة يالدين محمد * وأتاكم من بعده من يخلف
أهدى لهذا الله فضل خلافة * ولذاك جنات النعيم تزخرف

وفي سنة تسع وخمسين بايع المهدي بولاية العهد لموسى الهادي ثم من بعده لهرون الرشيد ولديه وفي سنة ستين فتحت اربد من الهند عنوة وفيها حج المهدي فانتهى اليه حجبة الكعبة انهم يخافون هدمها لكثرة ماعليها من الاستار فامر بها فجردت واقتصر على كسوة المهدي وحمل الى المهدي الثلج الى مكة قال الذهبي ولم يتهيأ ذلك لملك قط وفي سنة احدى وستين أمر المهدي بعمارة طريق مكة وبنى بها قصورا وعمل البرك وأمر بترك المقاصير التي في جوامع الاسلام وقصر المنابر وصيرها على مقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سنة ثلاث وستين وما بعدها كثرت الفتوح بالروم وفي سنة ست وستين تحول المهدي الى قصر الاسلام وأمر فاقيم له البريد من المدينة النبوية ومن اليمن ومكة الى الحضرة بغالا وابلا قال الذهبي وهو أول من عمل البريد من الحجاز الى العراق وفيها وفيما بعدها جد المهدي في تتبع الزنادقة وابادتهم والبحث عنهم في الآفاق والقتل على التهمة وفي سنة سبع وستين أمر بالزيادة الكبرى في المسجد الحرام وأدخل في ذلك دورا كثيرة وفي سنة تسع وستين مات المهدي ساق خلف صيد فاقتحم الصيد خربة وتبعه الفرس فدق ظهره في بابها فمات لوقته وذلك لثمان بقين من المحرم وقيل انه مات مسموما وقال سلم الخاسر يرثيه

وباكية على المهدي عبرى * كأن بها وما جنت جنونا * وقد خمشت محاسنها وأبدت
غدائرها وأظهرت القرونا * لئن بلي الخليفة بعد عز * لقد أبقى مساعي مابلينا
سلام الله عدة كل يوم * على المهدي حين ثوى رهينا
تركنا الدين والدنيا جميعا * بحيث ثوى أمير المؤمنينا

ومن أخبار المهدي قال الصولي لما عقد المهدي العهد لولده موسى قال مروان بن أبي حفصة شعرا

عقدت لموسى بالرصافة بيعة * شد الاله بها عرى الاسلام * موسى الذي عرفت قريش فضله
ولها فضيلتها على الاقوام * بمحمد بعد النبي محمد * حيي الحلال ومات كل حرام
مهدي أمته الذي أمست به * للذل آمنة وللاعدام
موسى ولي عهد الخلافة بعده * جفت بذاك مواقع الاقلام

وقال آخر

يابن الخليفة ان أمة أحمد * تاقت اليك بطاعة أهواؤها
ولتملأن الارض عدلا كالذي * كانت تحدث أمة علماؤها
حتى تمنى لو ترى أمواتها * من عدل حكمك ماترى أحياؤها
فعلى أبيك اليوم بهجة ملكها * وغدا عليك ازارها ورداؤها

وأسند الصولي ان امرأة اعترضت المهدي فقالت ياعصبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظر في حاجتي فقال المهدي ماسمعتها من أحد قط اقضوا حاجتها وأعطوها عشرة آلاف درهم وقال قريش الختلي رفع صالح بن عبد القدوس البصري الى المهدي في الزندقة فاراد قتله فقال أتوب الى الله وأنشده لنفسه

مايبلغ الاعداء من جاهل * مايبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لايترك أخلاقه * حتى يوارى في ثرى رمسه

فصرفه فلما قرب من الخروج رده فقال ألم تقل والشيخ لايترك أخلاقه قال بلى قال فكذلك أنت لاتدع أخلاقك حتى تموت ثم أمر بقتله وقال زهير قدم على المهدي بعشرة محدثين منهم فرج بن فضالة وغياث بن ابراهيم وكان المهدي يحب الحمام فلما ادخل غياث قيل له حدث أمير المؤمنين فحدثه عن فلان عن أبي هريرة مرفوعا لاسبق الا في حافر أو نصل وزاد فيه أو جناح فامر له المهدي بعشرة آلاف درهم فلما قام قال أشهد ان قفاك قفا كذاب

واختبارهم ولكن فيهم النزاهة والامانة ولا يقبلون الرشا والهدايا فيقربون بها من يجب ابعاده وبالعكس فيفسد نظام مجلس الملك وتتوغر عليه الصدور ويكون فيهم حسن تأن فيحسنون الخطاب والاعتذار ويتلطفون في رد الجواب (وقال) كسرى لحاجبه لاتحجب عني ثلاثة مظلوما ملهوفا أو رسولا أتى من سفر أو صاحب نصيحة ففي منع هؤلاء وتأخيرهم فوات مصالح الدنيا والآخرة ومع هذا لاينبغي للملك أن يحتجب عن الناس ولا يغلق بابه دونهم فانه منصوب لذلك متصد لقضاء حوائجهم وان عرض له مهم أومانع ضروري فلينتدب رجالا من ثقاته نقباء قريبين من الناس يرفعون اليه حوائجهم وشكاويهم وظلاماتهم (روى) أبوداود في سننه عن أبي مريم قال دخلت على معاوية فقال ماأنعمنا بك يا أبا فلان وهي كلمة تقولها العرب فقال حديث سمعته أخبرك به سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولاه الله شيأ من امور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره قال فجعل رجلا على حوائج الناس ولم تزل خلفاء بني أمية تفعل ذلك مع المباشرة بأنفسها في بعض الاوقات وكذلك الخلفاء من بني العباس ثم استبد الوزراء بأمورهم والحجاب حسب اختلاف الاحوال وكان الرسم في دخول الناس الى الخلفاء والملوك اذا جلسوا للملك أن يفتح بعض الباب ويستدعى الامثل فالامثل حتى يستقر بهم المجلس

وانما استجلبت ذلك ثم أمر بالحمام فذبحت وروى ان شريكا دخل على المهدى فقال له لابد من ثلاث اما أن تلى القضاء أو تؤدب ولدى وتحدثهم أو تأكل عندى أكلة ففكر ساعة ثم قال الاكلة أخف على فامر المهدى بعمل ألوان من المخ المعقود بالسكر وغير ذلك فأكل فقال الطباخ لا يفلح بعدها قال فحدثهم بعد ذلك وعلمهم العلم وولى القضاء وأخرج البغوى فى الجعديات عن حمدان الاصبهانى قال كنت عند شريك فأتاه ابن المهدى فاستند وسأل عن حديث فلم يلتفت شريك ثم أعاد فعاد فقال كانك تستخف باولاد الخلفاء قال لا ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه فجثا على ركبتيه ثم سأله فقال شريك هكذا يطلب العلم ومن شعر المهدى ما أنشده الصولى

ما يكف الناس عنا * ما مل الناس منا * انما همتهم أن
ينبشوا ما قد دفنا * لو سكنا بطن ارض * فلكانوا حيث كنا
وهم ان كاشفونا * فى الهوى يوما مجنا

وأسند الصولى عن محمد بن عمارة قال كان للمهدى جارية شغف بها وهى كذلك الا انها تتحاماه كثيرا فدس اليها من عرف ما فى نفسها فقالت أخاف أن يملنى ويدعنى فأموت فقال المهدى فى ذلك شعرا

ظفرت بالقلب منى * غادة مثل الهلال * كلما صح لها ود * ى جاءت باعتلال
لا لحب الهجر منى * والتنائى عن وصال * بل لا بقاء على * حبى لها خوف الملال

وله فى نديمه عمر بن بزيع شعرا

رب تمم لى نعيمى * بابى حفص نديمى * انما لذة عيشى
فى غناء وكروم * وجوار عطرات * وسماع ونعيم

قلت شعر المهدى أرق وألطف من شعر أبيه وأولاده بكثير وأسند الصولى عن ابن أبى كريمة قال دخل المهدى الى حجرة جارية على غفلة فوجدها وقد نزعت ثيابها وأرادت لبس غيرها فلما رأته غطت بيدها فقصرت كفها عنه فضحك وقال شعرا أبصرت عينى لحينى * منظرا أعجب شيئى

ثم خرج فرأى بشارا فأخبره وقال أجز فقال بشار شعرا

سترته اذ رأتنى * بين طى العكنتين * فبدا لى منه فضل * لم يسع فى الراحتين

وأسند عن اسحق الموصلى قال كان المهدى فى أول أمره يحتجب عن الندماء تشبها بالمنصور نحوا من سنة ثم ظهر لهم فاشير عليه ان يحتجب فقال انما اللذة مع مشاهدتهم وأسند عن مهدى بن سابق قال صاح رجل بالمهدى وهو فى موكبه شعرا قل للخليفة حاتم لك خائن * خف الاله واعفنا من حاتم

ان العفيف اذا استعان بخائن * كان العفيف شريكه فى المأثم

فقال المهدى يعزل كل عامل لنا يدعى حاتما وأسند عن أبى عبيدة قال كان المهدى يصلى بنا الصلوات الخمس فى المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها فأقيمت الصلاة يوما فقال أعرابى لست على طهر وقد رغبت فى الصلاة خلفك فأمر هؤلاء بانتظاره فقال انتظروه ودخل المحراب فوقف الى ان قيل قد جاء الرجل فكبر فعجب الناس من سماحة أخلاقه وأسند عن ابراهيم بن نافع ان قوما من أهل البصرة تنازعوا اليه فى نهر من أنهار البصرة فقال ان الارض لله فى أيدينا للمسلمين فما لم يقع له ابتياع منها يعود ثمنه على كافتهم وفى مصلحتهم فلا سبيل لاحد عليه فقال القوم هذا النهر لنا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه قال من أحيا أرضا ميتة فهى له وهذه موات فوثب المهدى عند ذكر النبى صلى الله عليه وسلم حتى ألصق خده بالتراب وقال سمعت لما قال وأطعت ثم عاد وقال بقى أن تكون هذه الارض مواتا حتى لا أعرض فيها وكيف تكون مواتا والماء يحيط بها من جوانبها فان أقاموا البينة على هذا سلمت وأسند عن الاصمعى قال سمعت المهدى على منبر البصرة يقول ان الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية آثره بها من بين الرسل اذ خصكم

عن انظارهم وجنة أستتر بها فانظر الى الناس بعينى وأنزلهم على مقدار منازلهم عندى وأحسن ابلاغك عنهم وابلاغهم عنى وقرب الى الفقير والمظلوم وذا الحاجة ولا تقدمن متعنتا ولا تضعن شريفا ولا تسهلن حجابى على سفلة أو خسيس الا أن يكون مظلوما ولا ترفعن الى طلبه من ان منعته بخلى وان أعطيته ازدرانى الاعوام فى ذلك سرا (وقال زياد) لحاجبه لا تحجب عنى خمسة المؤذن فالصلاة لا تؤخر وطارق الليل فانه فى مهم ورسول الثغر فتأخيره خلل والمتظلم فمنعه عن حقه ردىء العاقبة وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد فسد (وكان معاوية) وغيره من أمراء العرب المتمكنين اذا احضر طعامهم شرعت أبوابهم ودخله كل من حضر وقد فعله ملوك العجم وقال خالد بن عبد الله القسرى اذا أخذت مجلسى فلا تحجب عنى أحدا فان الوالى لا يحجب الا عن عى أو ريبة أو بخل

(الباب السابع فى ذكر رسل الملوك وصفاتها وهداياها وتحافها)

فى مسند البزار عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أبردتم الى بريدا فأبردوه حسن الاسم حسن الوجه وكتاب الملك لسانه

ورسوله ترجمانه وقد شبه المتكلم عن القوم باللسان المترجم عما فى النفس يقال فلان لسان القوم فيجب اختياره واختباره وقد قيل بها

بها من بين الامم قالت ودو أول من قال ذلك في الخطابة وقد استسنها الخطباء الى اليوم ولما مات قال أبو العتاهية وقد علقت المسوح على قباب حرمه شعرا

رحن في الوشي وأصبحـــن عليهن المسوح * كل نطاح من الدهـ ـر له يوم نطوح
لست بالباقي ولو عمـــرت ما عمر نوح * نح على نفسك يا مسكين ان كنت تنوح

ذكر أحاديث من رواية المهدي قال الصولي حدثني أحمد بن محمد بن صالح التمار حدثنا يحيى بن محمد القرشي حدثنا أحمد بن هشام حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن مسلم المدائني وهو ثقة صدوق قال سمعت المهدي يخطب فقال حدثنا شعبة عن علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة من العصر الى مغيربان الشمس حفظها من حفظها ونسيها من نسيها فقال ألا ان الدنيا حلوة خضرة الحديث بطوله وقال الصولي حدثنا اسحق بن ابراهيم القزاز حدثنا اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد حدثني أبو يعقوب بن حفص الخطابي سمعت المهدي يقول حدثني أبي عن أبيه عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه أن وفدا من العجم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أحفوا لحاهم وأعفوا شواربهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خالفوهم اعفوا لحاكم واحفوا شواربكم واحفاء الشارب أخذ ما سقط على الشفة منه ووضع المهدي يده على أعلى شفته وقال منصور بن مزاحم ومحمد بن يحيى بن حمزة عن يحيى بن حمزة قال صلى بنا المهدي المغرب فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقلت يا أمير المؤمنين ما هذا قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم جهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقلت للمهدي نأثره عنك قال نعم قال الذهبي هذا اسناد متصل لكن ما علمت أحدا احتج بالمهدي ولا بأبيه في الاحكام تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم وقال ابن عدي كان يضع الحديث قلت لم يتفرد به بل وجدت له متابعا

مات في أيام المهدي من الاعلام شعبة وابن أبي ذئب وسفيان الثوري وابراهيم بن أدهم الزاهد وداود الطائي الزاهد وبشار بن برد أول شعراء المحدثين وحماد بن سلمة وابراهيم بن طهمان والخليل بن أحمد صاحب العروض

(الهادي أبو محمد موسى بن المهدي)

الهادي أبو محمد موسى بن المهدي بن المنصور وأمه أم ولد بربرية اسمها الخيزران ولد بالري سنة سبع وأربعين ومائة وبويع بالخلافة بعد أبيه بعهد منه قال الخطيب ولم يل الخلافة قبله أحد في سنه فأقام فيها سنة وأشهرا وكان أبوه أوصاه بقتل الزنادقة فجد في أمرهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكان يسمى موسى أطبق لان شفته العليا كانت تتقلص فكان أبوه وكل به في صغره خادما كلما رآه مفتوح الفم قال موسى أطبق فيفيق على نفسه ويضم شفتيه فشهر بذلك قال الذهبي وكان يتناول المسكر ويلعب ويركب حمارا فارها ولا يقيم أبهة الخلافة وكان مع ذلك فصيحا قادرا على الكلام أديبا تعلوه هيبة وله سطوة وشهامة وقال غيره كان جبارا وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والاعمدة والقسي الموترة فاتبعه عماله في ذلك وكثر السلاح في عصره

مات في ربيع الآخر سنة سبعين ومائة واختلف في سبب موته فقيل انه دفع نديما له من جرف على أصول قصب قد قطع فتعلق النديم به فوقع فدخلت قصبة في منخره فماتا جميعا وقيل أصابته قرحة في جوفه وقيل سمته أمه الخيزران لما عزم على قتل الرشيد ليعهد الى ولده وقيل كانت أمه حاكمة مستبدة بالامور الكبار وكانت المواكب تغدو الى بابها فزجرهم عن ذلك وكلمها بكلام وقح وقال لئن وقف ببابك أمير لاضربن عنقه أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو سبحة فقامت ما تعقل من الغضب فقيل انه بعث اليها بطعام مسموم فأطعمت منه كلبا فانتثر فعملت على قتله لما وعك بأن غموا وجهه ببساط جلسوا على جوانبه وخلف سبعة بنين

ومن شعر الهادي في أخيه هرون لما امتنع من خلع نفسه

رسول المرء دليل عقله فليكن فيه مع ما تقدم من حسن صورته واسمه وشكله من الدين ما لا يميل به مع الهوى ولا يفعل من الناكر ما يزري بصاحبه ومن الامانة والنزاهة بحيث لا يقبل الرشا ولا يستفزه العطاء فيقصر فيما يجب لصاحبه ويبالغ فيما لا ينبغي لمن أرسل اليه وفي ذلك من الوهن ما لا خفاء به ويكون فيه من العقل والرزانة ما لا يرتاع لتهديدات مرهبة ولا يتغير باطماع مرغبة بل يضع الامور مواضعها ويقابل كل فعل من ذلك بما يليق به (وكانت ملوك) الاول أبدا تبعث رسولين أحدهما صاحب سيف والآخر من أهل الشريعة وقد تعزز بثالث من الكتاب فصاحب الشريعة يقرر ما يسوغ فيها ويدفع ما لا يسوغ وصاحب السيف يرتب ما لا مضرة فيه على الملك ولا جنده ولا حيف ولا مخاطرة والكاتب يحفظ قوانين السياسة ورسوم المكاتبات وأدب المخاطبات وفي هذا الوقت اقتصر على رسولين صاحب سيف وصاحب قلم وفي انفاذ رسول واحد أمين كفاية سيما اذا كان كافيا في أموره موثوقا بمحبته للدولة ومناصحته فليستخر الله تعالى الملك ليرسله ويكتب معه الكتاب ويكتب له تذكرة بما لا يكون في الكتاب أو بما يحتاج للبيان ويشافهه بذلك ليصح بلاغه عنه وان كانت فيه أهلية للتفويض سيما ما يرد عليه ورد الاجوبة حسبما تقتضيه المصلحة فعل فان الناس تتفاوت أقدارهم وأخطارهم ويحذر أن يكون

نصحت لعمرون فرد نصيحتى * وكل امرئ لايقبل النصح نادم
وأدعوه للأمر المؤلف بيننا * فيبعد عنه وهو فى ذاك ظالم
ولولا انتظارى منه يوما الى غد * لعاد الى ماقلته وهو راغم

ومن أخبار الهادى أخرج الخطيب عن الفضل قال غضب الهادى على رجل فكلم فيه فرضى عنه فذهب يعتذر فقال له الهادى ان الرضا قد كفاك مؤنة الاعتذار وأخرج عن عبد الله بن مصعب قال دخل مروان بن أبى حفصة على الهادى فأنشده مديحاله حتى اذا بلغ قوله شعرا

تشابه يوما بأسه ونواله * فما أحد يدرى لأيهما الفضل

فقال له الهادى أيما أحب اليك ثلاثون ألفا معجلة أومائة ألف تدور فى الدوان قال تعجل الثلاثون ألفا وتدور المائة ألف قال بل تعجلان لك جميعا فحمل له ذلك وقال الصولى لاتعرف امرأة ولدت خليفتين الا الخيزران أم الهادى والرشيد وولادة بنت العباس العبسية زوج عبد الملك بن مروان ولدت الوليد وسليمان وشاهين بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى ولدت الوليد بن عبد الملك يزيد الناقص وابراهيم ووليا الخلافة قلت يزاد على ذلك باى خاتون سرية المتوكل الاخير ولدت العباس وحمزة ووليا الخلافة وكزل سريته أيضا ولدت داود وسليمان ووليا ثم قال الصولى لايعرف خليفة ركب البريد الا الهادى من جرجان الى بغداد قال وكان نقش خاتمه الله ثقة موسى وبه يؤمن قال الصولى واسلم الخاسر فى الهادى يمدحه شعرا

موسى المطر * غيث بكر * ثم انهمر * ألوى المرر * كم اعتسر * وكم قدر
ثم غفر * عدل السير * باقى الاثر * خير وشر * نفع وضر * خير البشر
فرع مضر * بدر بدر * لمن نظر * هو الوزر * لمن حضر * والمفتخر * لمن غبر

قال وهذا على جزء جزء مستفعلن مستفعلن وهو أول من عمله ولم نسمع لمن قبله شعرا على جزء جزء وأسند الصولى عن سعيد بن سلم قال انى لأرجو أن يغفر الله للهادى بشئ رأيته منه حضرته يوما وأبو الخطاب السعدى ينشده قصيدة فى مدحه الى ان قال شعرا

ياخير من عقدت كفاه حجزته * وخير من قلدته أمرها مضر

فقال له الهادى ألا من ويلك قال سعيد ولم يكن استثنى فى شعره فقلت ياأمير المؤمنين انما يعنى من أهل هذا الزمان ففكر الشاعر فقال شعرا

الا النبى رسول الله ان له * فضلا وأنت بذاك الفضل تفتخر

فقال الآن أصبت وأحسنت وأمر له بخمسين ألف درهم وقال المدائنى عزى الهادى رجلا فى ابن له فقال سرك وهو فتنة وبلية ويحزنك وهو ثواب ورحمة وقال الصولى قال سلم الخاسر فى الهادى جامعا بين العزاء والهناء شعرا

لقد قام موسى بالخلافة والهدى * ومات أمير المؤمنين محمد
فمات الذى غم البرية فقده * وقام الذى يكفيك من يتفقد

وقال مروان بن أبى حفصة كذلك شعرا

لقد أصبحت تختال فى كل بلدة * بقبر أمير المؤمنين المقابر
ولولم تسكن بابنه بعد موته * لما برحت تبكى عليه المنابر
ولولم يقم موسى عليها لرجعت * حنينا كما حن الصفايا العشائر

(حديث من رواية الهادى) قال الصولى حدثنى محمد بن زكرياء الغلابى حدثنى محمد بن عبد الرحمن المكى حدثنا قسورة بن السكن الفهرى حدثنا المطلب بن عكاشة المرى قال قدمنا على الهادى شهودا على رجل شتم قريشا وتخطأ الى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فجلس لنا مجلسا أحضر فيه فقهاء زمانه وأحضر الرجل فشهدنا

كانت الحزمة من ملوك الفرس تحرم على الرسل شربها وتضرب عليه الاعناق عند المخالفة وكانوا اذا ورد عليهم رسول من الهند أو الترك أو الروم أقاموا له الضيافات والرواتب وبعثوا له بالخمر والمغانى والملاهى فان أجاب الى ذلك طمعوا فيه واطلعوا على جميع أسراره وهان عليهم وان امتنع نبل قدره عندهم وعلم سداده وان كان الرسول من عند بعض الاعداء فينبغى أن يشدد حجابه ولايؤذن لاحد أن يجتمع به فربما أفسد قلوب أحد من أركان الدولة ورعاياها

(فصل) وينبغى للملك أن يتقدم أمره الى جميع عماله بالبلاد التى تحت حكمه ان يعتنوا بأمر الرسل والقصاد من أطراف البلاد فينزلوا فى مساكن تليق بهم ويجرى عليهم من النفقات والاطعمة مايرغد به عيشهم وكذلك يقام لهم بوظيفة المراكب حسبما تدعو الحاجة اليه وان نفق لهم دابة عوضوا عنها ويكون ذلك معدا لهم فى جميع البلاد التى على أطراف الطرق ومايلزم الطرقات لمثل هذا وان كانت الطرق والمسالك تحتاج الى خفراء كان أجود أن يسير معهم الخفراء والدلاء وأما الحزمة من الملوك فانهم كانوا كما يسمعون بأخبار الرسول انه وصل الى أطراف بلاده فيجهز له جماعة من الجيش مع أكبر الامراء يحتفظون به

عليه فتغير وجه الهادي ثم نكس رأسه ثم رفعه فقال سمعت أبي المهدي يحدث عن أبيه المنصور عن أبيه محمد عن أبيه علي عن أبيه عبد الله بن عباس قال من أراد هوان قريش أهانه الله وأنت يا عدو الله لم ترض بان أردت ذلك من قريش حتى تخطيت الى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اضربوا عنقه (أخرجه الخطيب من طريق الصولي) والحديث هكذا في هذه الرواية موقوف وقد ورد مرفوعا من وجه آخر

مات في أيام الهادي من الاعلام نافع قارئ أهل المدينة وغيره

(الرشيد هرون أبو جعفر)

الرشيد هرون أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة قال الصولي هذه الليلة ولد له عبد الله المأمون ولم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة وقام خليفة وولد خليفة الا هذه الليلة وكان يكنى أبا موسى فتكنى بابي جعفر حدث عن أبيه وجده ومبارك بن فضالة روى عنه ابنه المأمون وغيره وكان من أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا وكان كثير الغزو والحج كما قال فيه أبو العلاء الكلابي شعرا

فمن يطلب لقاءك أو يرده * فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففي أرض العدو على طمر * وفي أرض البرية فوق كور

مولده بالري حين كان أبوه أميرا عليها وعلى خراسان في سنة ثمان وأربعين ومائة وأمه أم ولد تسمى الخيزران وهي أم الهادي وفيها يقول مروان بن أبي حفصة شعرا

يا خيزران هناك ثم هناك * أمسى يسوس العالمين ابناك

وكان أبيض طويلا جميلا مليحا فصيحا له نظر في العلم والادب وكان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة الى ان مات لا يتركها الا لعلة ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم وكان يحب العلم وأهله ويعظم حرمات الاسلام ويبغض المراء في الدين والكلام في معارضة النص وبلغه عن بشر المريسي القول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان يبكي على نفسه وعلى اسرافه وذنوبه سيما اذا وعظ وكان يحب المديح ويجيز عليه الاموال الجزيلة وله شعر دخل عليه مرة ابن السماك الواعظ فبالغ في احترامه فقال له ابن السماك تواضعك في شرفك أشرف من شرفك ثم وعظه فأبكاه وكان يأتي بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض قال عبد الرزاق كنت مع الفضيل بمكة فمر هرون فقال فضيل الناس يكرهون هذا وما في الارض أعز علي منه لو مات لرأيت أمورا عظاما قال أبو معاوية الضرير ما ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي الرشيد الا قال صلى الله على سيدي وحدثته بحديثه صلى الله عليه وسلم وددت اني أقاتل في سبيل الله فاقتل ثم أحيي فاقتل فبكى حتى انتحب وحدثته يوما حديث احتج آدم وموسى وعنده رجل من وجوه قريش فقال القرشي فأين لقيه فغضب الرشيد وقال النطع والسيف زنديق يطعن في حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو معاوية فما زلت أسكنه وأقول يا أمير المؤمنين كانت منه نادرة حتى سكن وعن أبي معاوية أيضا قال أكلت مع الرشيد يوما ثم صب على يدي رجل لا أعرفه ثم قال الرشيد تدري من يصب عليك قلت لا قال أنا اجلالا للعلم وقال منصور بن عمار ما رأيت أغزر دمعا عند الذكر من ثلاثة الفضيل بن عياض والرشيد وآخر وقال عبيد الله القواريري لما لقي الرشيد الفضيل قال له يا حسن الوجه أنت المسؤول عن هذه الامة حدثنا ليث عن مجاهد وتقطعت بهم الاسباب قال الوصلة التي كانت بينهم في الدنيا فجعل هرون يبكي ويشهق ومن محاسنه انه لما بلغه موت ابن المبارك جلس للعزاء وأمر الاعيان ان يعزوه في ابن المبارك قال نفطويه كان الرشيد يقتفي آثار جده أبي جعفر الا في الحرص فانه لم ير خليفة قبله أعطى منه أعطى مرة سفيان بن عيينة مائة ألف وأجاز اسحق الموصلي مرة بمائتي ألف وأجاز مروان بن أبي حفصة مرة على قصيدة خمسة آلاف دينار وخلعة وفرسا من مراكبه وعشرة من رقيق الروم وقال الاصمعي

وبين معموره ترتب له الاقامات والمراكب وجميع ما يحتاج اليه ويوعر به في الطرقات ويدار به الطرق البعيدة المعطشة المشقة ولا يمكن أحدا من الاجتماع بهم حتى ينتهوا الى الملك فان كان ممن ينبغي للملك الاجتماع به وأن يستقبله بنفسه فعل ذلك وهو على مقدار المرسل وكل رسول على مقداره ومقدار مرسله ومن الرسل من يعتبر حاله فان لم يمكن الملك ان يلقاه بنفسه بعث اليه أحدا من أركان دولته على مقدار الرسول ومرسله حسبما يليق بحاله فان كان الرسول من صاحب ثغر او والي حرب جلس واجتمع به لوقته وسمع رسالته فربما كان فيه مصلحة وفي تأخيره مضرة وان لم يكن كذلك فليترك في دار الضيافة ثلاثة أيام ولا يمكن أحدا من الاجتماع به ثم يستدعى وقد زينت دار الملك في ذلك اليوم ويجتمع العساكر والجند ويجلس الملك على سرير الملك في أحسن أبهة وزي وتصطف السلحدارية حوله بالسيوف والطبردارية وغيرهم من أرباب السلاح ثم يمد السماط ويأكل الناس أكل خدمة لا أكل نهمة وتخمة وأركان الدولة جلوس على قدر مراتبهم وقيام في الخدمة ويدخل الرسول والحاجب معه والمهمندارية تتقدمه فاذا وصل بحيث يلمحه الملك يخدم الرسول ثم يتقدم الى وسط الدار ثم يتقدم الى المكان الذي يليق به لمخاطبة الملك فيخدم ويقف والحجاب والتراجم حوله فيبلغ سلام مرسله ويخدم عنه الخدمة اللائقة بهما فيقابل الملك تلك التحية

قال لى الرشيد يا أصمعى ما أغفلك عما وأحفالك لنا قلت والله يا أمير المؤمنين ما ألاقتنى بلاد بعدك حتى أتيتك فسكت فلما تفرق الناس قال ما ألاقتنى قلت شعرا

كفاك كف ما تليق بدرهم * جودا وأخرى تعطى بالسيف الدما

فقال أحسنت وهكذا فكن وقرنا فى الملا وعلمنا فى الخلا وأمر لى بخمسة آلاف دينار وفى مروج المسعودى قال رام الرشيد أن يوصل ما بين بحر الروم وبحر القلزم مما يلى الفرما فقال له يحيى بن خالد البرمكى كان يختطف الروم الناس من المسجد الحرام وتدخل مراكبهم الى الحجاز فتركه وقال الجاحظ اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره وزراؤه البرامكة وقاضيه أبو يوسف رحمه الله وشاعره مروان بن أبى حفصة ونديمه العباس بن محمد عم أبيه وحاجبه الفضل بن الربيع أنبه الناس وأعظمهم ومغنيه ابراهيم الموصلى وزوجته زبيدة وقال غيره كانت أيام الرشيد كلها خير كأنها من حسنها أعراس وقال الذهبى أخبار الرشيد يطول شرحها ومحاسنه جمة وله أخبار فى اللهو واللذات المحظورة والغناء سامحه الله

مات فى أيامه من الاعلام مالك بن أنس والليث بن سعد وأبو يوسف صاحب أبى حنيفة والقاسم بن معن ومسلم بن خالد الزنجى ونوح الجامع والحافظ أبو عوانة اليشكرى وابراهيم بن سعد الزهرى وأبو اسحق الفزارى وابراهيم بن أبى يحيى شيخ الشافعى وأسد الكوفى من كبار أصحاب أبى حنيفة واسمعيل بن عياش وبشر بن المفضل وجرير بن عبد الحميد وزياد البكائى وسليم المقرئ صاحب حمزة وسيبويه امام العربية وضيغم الزاهد وعبد الله العمرى الزاهد وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن ادريس الكوفى وعبد العزيز بن أبى حازم والدراوردى والكسائى شيخ القراء والنحاة ومحمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة كلاهما فى يوم وعلى بن مسهر وغنجار وعيسى بن يونس السبيعى والفضيل بن عياض وابن السماك الواعظ ومروان بن أبى حفصة الشاعر والمعافى بن عمران الموصلى ومعتمر بن سليمان والمفضل بن فضالة قاضى مصر وموسى الكاظم وموسى بن ربيعة أبو الحكم المصرى أحد الاولياء والنعمان بن عبد السلام الاصبهانى وهشيم ويحيى بن أبى زائدة ويزيد بن زريع ويونس بن حبيب النحوى ويعقوب بن عبد الرحمن قارئ المدينة وصعصعة ابن سلام عالم الاندلس أحد أصحاب مالك وعبد الرحمن بن القاسم أكبر أصحاب مالك والعباس بن الاحنف الشاعر المشهور وأبو بكر بن عياش المقرئ ويوسف بن الماجشون وخلائق آخرون كثيرون ومن الحوادث فى أيامه فى سنة خمس وسبعين افترى عبد الله بن مصعب الزبيرى على يحيى بن عبد الله بن حسن العلوى انه طلب اليه ان يخرج معه على الرشيد فباهله يحيى بحضرة الرشيد وشبك يده فى يده وقال قل اللهم ان كنت تعلم ان يحيى لم يدعنى الى الخلاف والخروج على أمير المؤمنين هذا فكلنى الى حولى وقوتى واسحتنى بعذاب من عندك آمين رب العالمين فتلجلج الزبيرى وقالها ثم قال يحيى مثل ذلك وقاما فمات الزبيرى ليومه وفى سنة ست وسبعين فتحت مدينة دبسة على يد الامير عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح العباسى وفى سنة تسع وسبعين اعتمر الرشيد فى رمضان ودام على احرامه الى أن حج ومشى من مكة الى عرفات وفى سنة ثمانين كانت الزلزلة العظمى سقط منها رأس منارة الاسكندرية وفى سنة احدى وثمانين فتح حصن الصفصاف عنوة وهو الفاتح له وفى سنة ثلاث وثمانين خرج الخزرج (الخزر) على ارمينية فأوقعوا باهل الاسلام وسفكوا وسبوا أزيد من مائة ألف نسمة وجرى على الاسلام أمر عظيم لم يسمع قبله مثله وفى سنة سبع وثمانين أتاه كتاب من ملك الروم نقفور بنقض الهدنة التى كانت عقدت بين المسلمين وبين الملكة ريني ملكة الروم وصورة الكتاب من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب أما بعد فان الملكة التى كانت قبلى كانت أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من اموالها أحمالا وذلك لضعف النساء وحمقهن فاذا قرأت كتابى فاردد ما حصل قبلك من أموالها والا فالسيف بيننا وبينك فلما قرأ الرشيد الكتاب استشاط غضبا حتى لم يتمكن أحد أن ينظر الى وجهه دون أن

بما يليق بهما من الجواب بالقيام والخدمة والقيام حسبما يقتضيه حال المرسل والمرسل اليه ثم يخرج الكتب التى معه فيضعها على وجهه وعينيه ثم اطرحها بين يدى الملك فان أراد الملك اكرام صاحبها فليقم لتناولها وليشر بالخدمة عند فضها وقراءة اسم مرسلها ثم يلبث قليلا حتى يشير اليه الملك بالجلوس فيتأخر ويجلس حيث يجلسه الحاجب أو أمير المجلس وهو أحد الحجاب فان سأله الملك عن شئ من أحوال مرسله أجاب عنه بما ليس فيه سر ولا كتمان ويترك ما عنده من المشافهة والاسرار الى مجلس الخلوة ثم يشير الى حاجبه بانصرافه الى دار الضيافة للاستراحة وان كان معه هدية فيخاطب الحاجب عنه الملك ان الملك الفلانى قد بعث هدية يلتمس قبولها فيشير الملك بحضورها وهى محصلة عند أقرب الابواب فتعرض عليه بما فيها من دواب وجوارح وثياب مع ثبت يتضمن ذلك الا الجوارى فلا تعرض بل تمضى بهن الى دار الحريم بعد استئذانه مع الخدام والقهرمانة تعرض ذلك ولو أوردنا ذكر الهدايا والتحف لطال الكتاب ومن أعظمها وأكبرها هدية ملك الهند للمأمون وهدية ملك الروم للمقتدر وتأهب للقائها وزينت البلد والقصور لدخولها وهدية المعز بن باديس للمعز الذى بنى القاهرة وسميت به وتفاصيل ذلك مشروح فى كتب التواريخ وقد تتهادى بهدايا يراد بها المعانى وهى الغاز مثل نوع من السلاح وهو تهديد وما أشبه ذلك يخاطبه

يخاطبه وتفرق جلساؤه من الخوف واستعجم الرأي على الوزير فدعا الرشيد بدواة وكتب على ظهر كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه لا ما تسمعه ثم سار ليومه فلم يزل حتى نازل مدينة هرقل وكانت غزوة مشهورة وفتحا مبينا فطلب النقفور الموادعة والتزم بخراج يحمله كل سنة فأجيب فلما رجع الرشيد الى الرقة نقض الكلب العهد لاياسه من كرة الرشيد في البرد فلم يجترئ أحد ان يبلغ الرشيد نقضه بل قال عبد الله بن يوسف التيمي شعرا

نقض الذي أعطيته نقفور * فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فانه * غنم أتاك به الاله كبير

وقال أبو العتاهية أبياتا وعرضت على الرشيد فقال أوقد فعلها فكر راجعا في مشقة شديدة حتى أناخ بفنائه فلم يبرح حتى بلغ مراده وحاز جهاده وفي ذلك يقول أبو العتاهية شعرا

ألا بادت هرقلة بالخراب * من الملك الموفق للصواب * غدا هارون يرعد بالمنايا
ويبرق بالمذكرة القضاب * ورايات يحل النصر فيها * تمر كأنها قطع السحاب

وفي سنة تسع وثمانين فادى الروم حتى لم يبق بممالكهم في الاسر مسلم وفي سنة تسعين فتح هرقلة وبث جيوشه بأرض الروم فافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة وافتتح يزيد بن مخلد فلقونية وسار حميد بن معيوف الى قبرس فهدم وحرق وسبى من أهلها ستة عشر ألفا وفي سنة اثنتين وتسعين توجه الرشيد نحو خراسان فذكر محمد بن الصباح الطبري ان أباه شيع الرشيد الى النهروان فجعل يحادثه في الطريق الى أن قال ياصباح لا أحسبك تراني بعدها فقلت بل يردك الله سالما ثم قال ولا أحسبك تدري ما أجد فقلت لا والله فقال تعال حتى أريك وانحرف عن الطريق وأومأ الى الخواص فتنحوا ثم قال امانة الله ياصباح أن تكتم علي وكشف عن بطنه فاذا عصابة حرير حوالي بطنه فقال هذه علة اكتمها الناس كلهم ولكل واحد من ولدي علي رقيب فمسرور رقيب المأمون وجبريل بن بختيشوع رقيب الامين ونسيت الثالث ما منهم أحد الا ويحصي أنفاسي ويعد أيامي ويستطيل دهري فان أردت أن تعرف ذلك فالساعة أدعو ببرذون فيجيئون به أعجف ابرذ يدفي علتي ثم دعا ببرذون فجاؤا به كما وصف فنظر الي ثم ركبه وودعني وسار الى جرجان ثم رحل منها في صفر سنة ثلاث وتسعين وهو عليل الى طوس فلم يزل بها الى أن مات وكان الرشيد بايع بولاية العهد لابنه محمد في سنة خمس وسبعين ولقبه الامين وله يومئذ خمس سنين لحرص أمه زبيدة على ذلك قال الذهبي فكان هذا أول وهن جرى في دولة الاسلام من حيث الامامة ثم بايع لابنه عبد الله من بعد الامين في سنة اثنتين وثمانين ولقبه المأمون وولاه ممالك خراسان بأسرها ثم بايع لابنه القاسم من بعد الاخوين في سنة ست وثمانين ولقبه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور وهو صبي فلما قسم الدنيا بين هؤلاء الثلاثة قال بعض العقلاء لقد ألقى بأسهم بينهم وغائلة ذلك تضر بالرعية وقالت الشعراء في البيعة المدائح ثم انه علق نسخة البيعة في البيت العتيق وفي ذلك يقول ابراهيم الموصلي شعرا

خير الامور مغبة * واحق أمر بالتمام * أمر قضى أحكامه الـ * ـرحمن في البيت الحرام

وقال عبد الملك بن صالح في ذلك

حب الخليفة حب لا يدين له * عاصي الاله وشار يلقح الفتنا
الله قلد هارونا سياسته * لما اصطفاه فأحيى الدين والسننا
وقلد الارض هارون لرأفته * بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

قال بعضهم وقد زوى الرشيد الخلافة عن ولده المعتصم لكونه أميا فساقها الله اليه وجعل الخلفاء بعده كلهم من ذريته ولم يجعل من نسل غيره من أولاد الرشيد خليفة وقال سلم الخاسر في العهد للامين شعرا

قل للمنازل بالكثيب الاعفر * أسقيت غادية السحاب الممطر

فأما الملك فانه كالجبل الشامخ الوعر وفيه الثمار والمياه والوحوش والسباع فالوصول اليه صعب لصعوبة المرتقى والمقام فيه صعب لما يعرض فيه من الاخطار والسباع وغيرها وقيل زائر السلطان كزائر الليث الكاسر وصحبة السلطان ترفع القدر وتنوه بالذكر وتبلغ الغايات وتجمل الاحوال اذا كانت على السيرة المرضية والا فهي رديئة الشوائب مردية العواقب (قال بعض الفضلاء) اذا قربك السلطان فوازن بين حاجتك اليه وحاجته اليك واجعل رغبتك دونه أولا تشغل جميع خلواتك معه بأمر نفسك بل بأمر نفسه وانفاسه وذكر ما تدعو الحاجة اليه واعلم بأنك لست بأكثر شغله ولا بك قوام أمره ولا انتظام دولته وملكه فانه يرى في كل حال انه يتفضل عليك فليكن اعتقادك هكذا واحذر من طريق العجب والانفة واياك في أوامره ونواهيه من الغفلة (وقال) الحسن بن سهل اذا اتخذك الملك أخا فاتخذه سيدا وان زادك فزده (وقال) علي بن عيسى لا تكن صحبتك للملك الا بعد رياضة نفسك على طاعته على المكروه عندك وموافقته فيما خالفك وقدر الامور على هواه دون هواك وكن فطنا اذا ولاك حذرا اذا قربك أمينا اذا ائتمنك تعلمه وكأنك تتعلم منه وتدله وكأنك

قد بايع الثقلان مهدي الهدى * محمد بن زبيدة ابنة جعفر

قد وفق الله الخليفة اذ بنى * بيت الخلافة للهجان الازهر

فهو الخليفة عن أبيه وجده * شهدا عليه بمنظر وبمخبر

فحشت زبيدة فاه جوهرا باعه بعشرين ألف دينار

فصل في نبذ من أخبار الرشيد عفا الله عنه أخرج السلفي في الطيوريات بسنده عن ابن المبارك قال لما أفضت الخلافة الى الرشيد وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي فراودها عن نفسها فقالت لا أصلح لك ان أباك قد طاف بي فشغف بها فارسل الى أبي يوسف فسأله أعندك في هذا شئ فقال يا أمير المؤمنين أو كلما ادعت أمة شيأ ينبغي أن تصدق لا تصدقها فانها ليست بمأمونة قال ابن المبارك فلم أدر ممن أعجب من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرج عن حرمة أبيه أو من هذه الامة التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين أو من هذا فقيه الارض وقاضيها قال اهتك حرمة أبيك واقض شهوتك وصيره في رقبتي وأخرج أيضا عن عبد الله بن يوسف قال قال الرشيد لابي يوسف اني اشتريت جارية وأريد أن أطأها الآن قبل الاستبراء فهل عندك حيلة قال نعم تهبها لبعض ولدك ثم تتزوجها وأخرج عن اسحق بن راهويه قال دعا الرشيد أبا يوسف ليلا فافتاه فامر له بمائة ألف درهم فقال أبو يوسف ان رأى أمير المؤمنين أمر بتعجيلها قبل الصبح فقال عجلوها فقال بعض من عنده ان الخازن في بيته والابواب مغلقة فقال أبو يوسف فقد كانت الابواب مغلقة حين دعاني ففتحت وأسند الصولي عن يعقوب ابن جعفر قال خرج الرشيد في السنة التي ولي الخلافة فيها حتى غزا أطراف الروم وانصرف في شعبان فحج بالناس آخر السنة وفرق بالحرمين مالا كثيرا وكان رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له ان هذا الامر صائر اليك في هذا الشهر فاغز وحج ووسع على أهل الحرمين ففعل هذا كله وأسند عن معاوية بن صالح عن أبيه قال أول شعر قاله الرشيد انه حج سنة ولي الخلافة فدخل دارا فاذا في صدر بيت منها بيت شعر قد كتب على حائط

ألا يا أمير المؤمنين أما ترى * فديتك هجران الحبيب كبيرا

فدعا بدواة وكتب تحته بخطه

بلى والهدايا المشعرات وما مشى * بمكة مرفوع الاظل حسيرا

وأخرج عن سعيد بن مسلم قال كان فهم الرشيد فهم العلماء أنشده النعماني في صفة فرس

كأن اذنيه اذا تشوفا * قادمة أو قلما محرفا

فقال الرشيد دع كأن وقل تخال اذنيه حتى يستوي الشعر وأخرج عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال حلف الرشيد أن لا يدخل الى جارية له اياما وكان يحبها فمضت الايام ولم تسترضه فقال

صد عني اذ رآني مفتتن * وأطال الصبر لما أن فطن

كان مملوكي فأضحى مالكي * ان هذا من أعاجيب الزمن

ثم احضر أبا العتاهية فقال أجزهما فقال

عزة الحب أرته ذلتي * في هواه وله وجه حسن

فلهذا صرت مملوكا له * ولهذا شاع ما بي وعلن

وأخرج ابن عساكر عن ابن علية قال أخذ هارون الرشيد زنديقا فأمر بضرب عنقه فقال له الزنديق لم تضرب عنقي قال له أريح العباد منك قال فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ما فيها حرف نطق به قال فأين أنت يا عدو الله من أبي اسحق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا وأخرج الصولي عن اسحق الهاشمي قال كنا عند الرشيد فقال بلغني ان العامة يظنون في بغض علي بن أبي

طالب

تستدل به وتشكره ولا تكلفه الشكر لك تتضاءل ان هجرك وترضى وتعتذر ان أبعدك فان وثقت من نفسك بهذه الاخلاق والا فالبعد منه البعد والحذر الحذر (وينبغي) لمن صحب الملك ان لا يضجره بكثرة الدخول عليه الا اذا كان له شغل يقتضي المواظبة واذا دخل اليه لا يكثر المقام عنده ولا يتحدث مع أحد في مجلسه كلاما خفيفا ولا يمزح ولا يوشوش ولا يومئ وان اضطر الى الحديث فليبعد أو فليخرج ولا يلح بالنظر اليه ولا الى غيره بحضرته ولا يجلس بين يديه على كرسي ولا على مطرح الا اذا وضع له بأمر تشريفا له واذا أنعم عليه بشئ يقوم قائما ويخدم كما يليق به وكذلك ان وصفه بجميل أو اثنى عليه أو شكره (وينبغي) لجالس الملك ان يكون فيه من التواضع وحسن التأني والادب ما يفوق غيره كما ان الملك يفوق غيره ولا ينبغي للجالس والواقف في الخدمة ان يجلس أو يقف الا في الموضع الذي يعلم انه يستدنيه منه ولا يقصيه وان رأى غيره قد سبق اليه فلا يزاحمه الا أن يتأدب الجالس فيؤثره به ويوصله الى حقه فمن أخل بشئ من واجبات الادب عمله أمير المجلس حتى يخرج ثم يعلمه فلا يعود الى ذلك وهذا شغل الحاجب فانه يعرف طبقات الناس ويصلح ما اختل من آدابهم (وقيل) من أراد صحبة الملوك فليدخل كالاعمى وليخرج كالاخرس فهو طريق السلامة وأما أهل الاقاليم فانها تختلف أحوالها في

طالب والله ما أحب أحدا حبي له ولكن هؤلاء أشد الناس بغضا لنا وطعنا علينا وسعيا في فساد ملكنا بعد أخذنا بثارهم ومساهمتنا اياهم ما حويناه حتى انهم لا يميلون الى بني أمية منهم الينا فاما ولده لصلبه فهم سادة الاهل والسابقون الى الفضل ولقد حدثني أبي المهدي عن أبيه المنصور عن محمد بن علي عن أبيه عن ابن عباس انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحسن والحسين من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني وسمعه يقول فاطمة سيدة نساء العالمين غير مريم ابنة عمران وآسية ابنت مزاحم روى ان ابن السماك دخل على الرشيد يوما فاستسقى فاتى بكوز فلما أخذه قال على رسلك يا أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها قال بنصف ملكي قال اشرب هنأك الله تعالى فلما شربها قال أسألك لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتري خروجها قال بجميع ملكي قال ان ملكا قيمته شربة ماء وبولة لجدير أن لا ينافس فيه فبكى هارون بكاء شديدا وقال ابن الجوزي قال الرشيد لشيبان عظني قال لأن تصحب من يخوفك حتى يدركك الامن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف فقال الرشيد فسر لي هذا قال من يقول لك أنت مسؤول عن الرعية فاتق الله أنصح لك ممن يقول أنتم أهل بيت مغفور لكم وأنتم قرابة نبيكم صلى الله عليه وسلم فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله وفي كتاب الاوراق للصولي بسنده لما ولي الرشيد الخلافة واستوزر يحيى بن خالد قال ابراهيم الموصلي

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هارون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهارون واليها ويحيى وزيرها

فاعطاه مائة ألف درهم وأعطاه يحيى خمسين ألفا ولداود بن رزين الواسطي فيه

بهارون لاح النور في كل بلدة * وقام به في عدل سيرته النهج
امام بذات الله أصبح شغله * فأكثر ما يعنى به الغزو والحج
تضيق عيون الخلق عن نور وجهه * اذا ما بدا للناس منظره البلج
تفسحت الآمال في جود كفه * فأعطاني الذي يرجوه فوق الذي يرجو

وقال القاضي الفاضل في بعض رسائله ما علم ان لملك رحلة قط في طلب العلم الا للرشيد فانه رحل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطأ على مالك رحمه الله قال وكان أصل الموطأ بسماع الرشيد في خزانة المصريين قال ثم رحل لسماعه السلطان صلاح الدين بن أيوب الى الاسكندرية فسمعه على بن طاهر بن عوف ولا أعلم لهما ثالثا وللمنصور النمري فيه شعر

جعل القران امامه ودليله * لما تخيره القران ذماما

وله فيه من قصيدة شعر

ان المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع

ويقال انه أجازه عليها بمائة ألف وقال الحسين بن فهم كان الرشيد يقول من أحب ما مدحت به الى

أبو أمين ومأمون ومؤتمن * أكرم به والدا برا وما ولدا

وقال اسحق الموصلي دخلت على الرشيد فانشدته شعرا

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري * فذلك شئ ما اليه سبيل * أرى الناس خلان الجواد ولا أرى
بخيلا له في العالمين خليل * واني رأيت البخل يزري باهله * فأكرم نفسي أن يقال بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمته * اذا نال شيئا أن يكون ينيل * عطائي عطاء المكثرين تكرما
ومالي كما قد تعلمين قليل * وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى * ورأى أمير المؤمنين جميل

فقال لا كيف ان شاء الله يا فضل أعطه مائة ألف درهم لله در ابيات يأتينا بها ما أجود أصولها وأحسن فصولها فقلت يا أمير المؤمنين كلامك أحسن من شعري فقال يا فضل أعطه مائة ألف أخرى وفي الطيوريات بسنده الى اسحق الموصلي قال قال أبو العتاهية لابي نواس البيت الذي مدحت به الرشيد لوددت اني كنت سبقتك به

الآداب والسلام والخطاب فليكن للملوك أرفعها العلو أقدارهم وقد اصطلح أهل المشرق في هذه المدد القريبة على ان تكون تحية الملك الخدمة والدعاء دون السلام الذي فيه تكافؤ الرد والجواب ثم ان الخدمة تختلف منها ماهو بالاشارة بالرأس والتطامن والبلوغ الى حد الركوع ومازاد عليه فهو السجود ولا يجوز السجود لغير الله تعالى وبعضهم يرى النزول عن الدابة وتعفير الوجه على التراب ولم يكن عند العرب شئ من هذا وانما هي رسوم الاعاجم (وأما ملوك الغرب) فانهم على الرسم الاول في صدر الاسلام من التحية والسلام وكراهة الخضوع والقيام وهذا أمر يختص بالاجناد والرعية وأما أهل العلم والدين والنسك فلا يليق بهم ذلك بل يدخلون وعليهم السكينة والوقار ويسلمون على السنة فيرد عليهم الملك أحسن الرد وكذلك كانت تفعل ونجده في وصاياهم (يحكى) ان المنصور عطس بحضرة مالك ابن أنس فاومأت الجند والاعاجم اليه بالخدمة فقال مالك أحيب بسنة الله ورسوله أم بسنة الملوك فقال بل بسنة الله ورسوله فقال يرحمكم الله يا أمير المؤمنين ومما حكي عن الفتح بن خاقان أنه قال للمتوكل لما عطس يرحمنا الله بك يا أمير المؤمنين فصار ذلك من آداب الخلفاء وأما الملوك اذا مرت أو ظهرت من مكان بعيد فليقم الناس لهم أدبا واكراما وقد ورد في السنة ما يناسب ذلك روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن

اليه   قد كنت خفتك ثم آمنني * من أن أخافك خوفك الله

وقال محمد بن على الخراساني الرشيد أول خليفة لعب بالصوالجة والكرة ورمى النشاب في البرجاس وأول خليفة لعب بالشطرنج من بني العباس وقال الصولي هو أول من جعل للمغنين مراتب وطبقات ومن شعر الرشيد يرثي جاريته هيلانة أورده الصولي

قاسيت أوجاعا وأحزانا * لما استخص الموت هيلانا   فارقت عيشي حين فرقتها * فما أبالي كيف ما كانا
كانت هي الدنيا فلما ثوت * في قبرها فارقت دنيانا   قد كثر الناس ولكنني * لست أرى بعدك انسانا
والله لا أنساك ما حركت * ريح بأعلى نجد أغصانا

وله أيضا أنشده الصولي

يا ربة المنزل بالفرك * وربة السلطان والملك   ترفقي بالله في قتلنا * لسنا من الديلم والترك

مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان ودفن بها في ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وله خمس وأربعون سنة وصلى عليه ابنه صالح قال الصولي خلف الرشيد مائة ألف ألف دينار ومن الاثاث والجوهر والورق والدواب ما قيمته مائة ألف ألف دينار وخمسة وعشرون ألف دينار وقال غيره غلط جبريل بن بختيشوع على الرشيد في علته في علاج عالجه به كان سبب منيته فهم ان يفصل أعضاءه فقال انظرني الى غد فانك تصبح في عافية فمات ذلك اليوم وقيل ان الرشيد رأى مناما انه يموت بطوس فبكى وقال احفروا الى قبرا فحفر له ثم حمل في قبة على جمل وسيق به حتى نظر الى القبر فقال يا ابن آدم تصير الى هذا وأمر قوما فنزلوا فختموا فيه ختمة وهو في محفة على شفير القبر ولما مات بويع لولده الامين في العسكر وهو حينئذ ببغداد فأتاه الخبر فصلى بالناس الجمعة وخطب ونعى الرشيد الى الناس وبايعوه وأخذ رجاء الخادم البرد والقضيب والخاتم وسار على البريد في اثني عشر يوما من مرو حتى قدم بغداد في نصف جمادى الآخرة فدفع ذلك الى الامين ولابي الشيص يرثي الرشيد شعر

غربت في الشرق شمس * فلها عيني تدمع   ما رأينا قط شمسا * غربت من حيث تطلع

وقال أبو نواس جامعا بين العزاء والهناء

جرت جوار بالسعد والنحس * فنحن في مأتم وفي عرس   القلب يبكي والعين ضاحكة * فنحن في وحشة وفي أنس
يضحكنا القائم الامين ويبـ * ـكينا وفاة الامام بالامس
بدران بدر أضحى ببغداد في الـ * ـخلد وبدر بطوس في الرمس

ومما رواه الرشيد من الحديث قال الصولي حدثنا عبد الرحمن بن خلف حدثني جدي الحصين بن سليمان الضبي سمعت الرشيد يخطب فقال في خطبته حدثني مبارك بن فضالة عن الحسن عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة حدثني محمد بن على عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن على بن ابي طالب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم نظفوا أفواهكم فانها طرق القرآن

(الامين محمد أبو عبد الله)

الامين محمد أبو عبد الله بن الرشيد كان ولي عهد ابيه فولي الخلافة بعده وكان من أحسن الشباب صورة ابيض طويلا جميلا ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة معروفة يقال انه قتل مرة أسدا بيديه وله فصاحة وبلاغة وأدب وفضيلة لكن كان سيئ التدبير كثير التبذير ضعيف الرأي أرعن لا يصلح للامارة فأول ما بويع بالخلافة أمر ثاني يوم ببناء ميدان جوار قصر المنصور للعب بالكرة ثم في سنة أربع وتسعين عزل اخاه القاسم عما كان الرشيد ولاه ووقعت الوحشة بينه وبين اخيه المأمون وقيل ان الفضل بن الربيع علم ان الخلافة اذا أفضت الى المأمون لم يبق عليه فاغرى الامين به وحثه على خلعه وان يولي العهد لابنه موسى ولما بلغ المأمون عزل

النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى سعد بن معاذ فجاء على حمار فلما دنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم وكذلك يقبل الناس يد الملك عند البيعة وعند تجديد العطايا وعند العفو وعند الوداع وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم تفعل ذلك مع النبي عليه الصلاة والسلام وكذلك استمر هذا الرسم مع أكثر الخلفاء فصار التقبيل للاكمام والعتبات على حسب الاقدار * التمس مسلم بن قتيبة تقبيل يد المهدي فقال نصونك عنها ولا نصونها عن غيرك أراد تشريفه بذلك (وسمعت) عن ملوك الترك والخطا أن الداخل عليهم يقبل التراب بين أيديهم ولا يقنع منه بتقبيل البساط بل يترك منه موضع خال لذلك وملوك الهند يتقرب اليهم بتقبيل أسفل أقدامهم وهي عندهم من الرتب والا فبتقبيل النعل وملوك الافرنج يجثو على الركب الداخل عليهم ويكشف رأسه ثم يخدم واضعا يديه على صدره مرارا ثم يقف حتى يؤمر بالجلوس وبلغني عن ملوك ودان صاحب غانة وغيره أن الداخل عليهم اذا عاينهم يقع على الارض ويتمرغ على رمل هنالك حتى ينتهي الى الملك ولا غرض في تعديد ذلك وانما اتفق سياقة الكلام وانما أكمل الاخلاق وأتم الآداب اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وأدب الشرع بعد المطهرة ذاته صلى الله عليه وسلم قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ومحاسن العادات

(القسم الثالث)(في الامور المختصة بالملك)

أخيه

اخيه القاسم فقطع البريد عن الامين واسقط اسمه من الطرز والضرب ثم ان الامين ارسل اليه يطلب منه ان يقدم موسى على نفسه ويذكر انه قد سماه الناطق بالحق فرد المأمون ذلك وأباه وخامر الرسول معه وبايعه بالخلافة سرا ثم كان يكتب اليه بالاخبار ويناصحه من العراق ولما رجع واخبر الامير بامتناع المأمون اسقط اسمه من ولاية العهد وطلب الكتاب الذى كتبه الرشيد وجعله بالكعبة فاحضره ومزقه وقويت الوحشة ونصح الامين أولو الرأى وقال له حازم بن خزيمة يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا بيعتك وعهدك فان الغادر مغلول والناكث مخذول فلم ينتصح واخذ يستميل القواد بالعطاء وبايع بولاية العهد لابنه موسى ولقبه الناطق بالحق وهو اذ ذاك طفل رضيع فقال بعض الشعراء فى ذلك

أضاع الخلافة غش الوزير * وفسق الامير وجهل المشير * ففضل وزير وبكر مشير
يريدان مافيه حتف الامير * لواط الخليفة اعجوبة * واعجب منه حلاق الوزير
فهذا يدوس وهذا يداس * كذاك لعمرى خلاف الامور * فلو يستعفان هذا بذاك
لكانا بعرضة أمر ستير * وأعجب من ذا وذا أننا * نبايع للطفل فينا الصغير
ومن ليس يحسن غسل استه * ولم يخل من بوله حجر ظير * وما ذاك الا بفضل وبكر
يريدان طمس الكتاب المنير * وما ذان لولا انقلاب الزما * ن فى العير هذان أم فى النفير

ولما تيقن المأمون خلعه تسمى بامام المؤمنين وكوتب بذلك وولى الامين على بن عيسى بن ماهان بلاد الجبال همدان ونهاوند وقم وأصبهان فى سنة خمس وتسعين فخرج على بن عيسى من بغداد فى نصف جمادى الآخرة ومعه الجيش لقتال المأمون أربعين ألفا فى هيئة لم ير مثلها وأخذ معه قيد فضة ليقيد به المأمون بزعمه فارسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين فى أقل من أربعة آلاف فكانت الغلبة له وذبح على وهزم جيشه وحمل رأسه الى المأمون فطيف بها فى خراسان وسلم على المأمون بالخلافة وجاء الخبر الامين وهو يتصيد السمك فقال للذى اخبره ويلك دعنى فان كوثرا صاد سمكتين وانا ما صدت شيئا بعد وقال عبد الله بن صالح الجرمى لما قتل على ارجف الناس ببغداد ارجافا شديدا وندم الامين على خلعه اخاه وطمع الامراء فيه وشغبوا جندهم لطلب الارزاق من الامين واستمر القتال بينه وبين اخيه وبقى أمر الامين كل يوم فى الادبار لانهماكه فى اللعب والجهل وأمر المأمون فى ازدياد الى ان بايعه أهل الحرمين وأكثر البلاد بالعراق وفسد الحال على الامين جدا وتلف أمر العسكر ونفدت خزائنه وساءت حال الناس بسبب ذلك وعظم الشر وكثر الخراب والهدم من القتال ورمى المجانيق والنفط حتى درست محاسن بغداد وعملت فيها المراثى ومن جملة ما قيل فى بغداد شعرا

بكيت دما على بغداد لما * فقدت غضارة العيش الانيق
اصابتها من الحساد عين * فافنت أهلها بالمنجنيق

ودام حصار بغداد خمسة عشر شهرا ولحق غالب العباسيين واركان الدولة بجند المأمون ولم يبق مع الامين يقاتل عنه الا الغوغاء ببغداد والحرافشة الى ان استهلت سنة ثمان وتسعين فدخل طاهر بن الحسين بغداد بالسيف قسرا فخرج الامين بامه واهله من القصر الى مدينة المنصور وتفرق عامة جنده وغلمانه وقل عليهم القوت والماء قال محمد بن راشد اخبرنى ابراهيم بن المهدى انه كان مع الامين بمدينة المنصور قال فطلبنى ليلة فأتيت فقال ماترى طيب هذه الليلة وحسن القمر وضوأه فى الماء فهل لك فى الشراب قلت شأنك فشربنا ثم دعا بجارية اسمها ضعف فتطيرت من اسمها فامرها ان تغنى فغنت بشعر النابغة الجعدى

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم

تميزهما من كمال خصائص الملك وحاله أن يكون فى بيت تقدم ورئاسة أو ملك وسياسة ففى النسب بعض الفخر كما قال بعض شعراء العجم فى المعنى

ان أسيافنا العضاب الدوامى
صيرت ملكنا كثير الدوام
واقتسام الاموال من وقت سام
واقتحام الاهوال من وقت حام

وبعضهم أسقط النظر عن ذلك كما قال المتنبى

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى
وبجدى فخرت لا بجدودى
وبهم فخر كل من نطق الضا
د وعوذ الجانى وغوث الطريد

وفاخر بعض أولاد الحكماء ارسطاطاليس وكان عريق النسب فى الملك ولم يكن ارسطاطاليس ذا نسب فهم فقال الحمد لله الذى ابتدأ نسبى بى وأنهى نسبك اليك * ومن ذلك حسن الصورة وتمام جمال الخلقة فانه من النعم السنية والعطايا الالهية وهو من دلائل جودة الاخلاق وحسن السجايا واليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ولم ينقل شئ من صفات الانبياء عليهم السلام والملوك العظماء المعتدلى الطباع السليمى الاخلاق الا ويذكر أن صورهم جميلة وأعضاءهم سليمة تامة * ومن ذلك القوة والبطش والشجاعة فانها من مكملات هيآت الملك قال الله تعالى وزاده بسطة فى العلم والجسم وقد كانت ملوك العجم

فتطير بذلك وقال غنى غيرهذا فغنت شعرا

أبكى فراقهم وعينى فأرقها * ان التفرق للاحباب بكاء
مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء
فاليوم أبكيهم وجهدى وأندبهم * حتى أؤوب ومالى مقلتى ماء

فقال لها العنك الله متعرفين غيرهذا فقالت ظننت انك تحب هذا ثم غنت شعرا

أما ورب السكون والحرك * ان المنايا كثيرة الشرك
ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء فى الفلك
الالنقل السلطان عن ملك * قد زال سلطانه الى ملك
وملك ذى العرش دائم أبدا * ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومى لعنك الله فقامت فعثرت فى قدح بلور له قيمة فكسرته فقال ويحك يا ابراهيم أماترى والله ما أظن امرى الا قرب فقلت بل يطيل الله عمرك ويعز ملكك فسمعت صوتا من دجلة قضى الامر الذى فيه تستفتيان فوثب محمد مغتما وقتل بعد ليلة أو ليلتين أخذ وحبس فى موضع ثم ادخل عليه قوم من العجم ليلا فضربوه بالسيف ثم ذبحوه من قفاه وذهبوا برأسه الى طاهر فنصبها على حائط بستان ونودى هذا رأس المخلوع محمد وجرت جثته بحبل ثم بعث طاهر بالرأس والبردوالقضيب والمصلى وهو من سعف مبطن الى المأمون واشتد على المأمون قتل اخيه وكان يحب ان يرسل اليه حيا ليرى فيه رأيه فحقد بذلك على طاهر بن الحسين واهمله نسيا نسيا الى ان مات طريدا بعيدا وصدق قول الامين فانه كان كتب بخطه رقعة الى طاهر بن الحسين لما انتدب لحربه فيها يا طاهر ما قام لنا منذ قمنا قائم بحقنا فكان جزاؤه عندنا الا السيف فانتظر لنفسك أودع يلوح بابى مسلم وأمثاله الذين بذلوا نفوسهم فى النصح لهم فكان مآلهم بالقتل منهم ولابراهيم بن المهدى فى قتل الامين شعر

عوجا بمغنى طلل داثر * بالخلد ذات الصخر والآجر
والمرمر المسنون يطلى به * والباب باب الذهب الناضر
وابلغا عنى مقالا الى المو * لى عن المأمور والآمر
قولا له يا ابن ولى الهدى * طهر بلاد الله من طاهر
لم يكفه ان حز أوداجه * ذبح الهداى بمدى الجازر
حتى اتى يسحب أوصاله * فى شطن هذا مدى السائر
قد بردالموت على جفنه * فطرفه منكسر الناظر

ومما قيل فيه

لم نبكيك لماذا للطرب * يا اباموسى وترويج اللعب * ولترك الخمس فى أوقاتها
حرصا منك على ماء العنب * وشنيف أنا لا أبكى له * وعلى كوثر لا أخشى العطب
لم تكن تصلح للملك ولا * تعطك الطاعة بالملك العرب
لم نبكيك لما عرضتنا * للمجانيق وطورا للسلب

ولخزيمة بن الحسن على لسان زبيدة قصيدة يقول فيها شعرا

أتى طاهر لا طهر الله طاهرا * فما طاهر فيما أتى بمطهر * فاخرجنى مكشوفة الوجه حاسرا
وأنهب أموالى وأخرب آدرى * يعز على هارون ماقد لقيته * ومامر بى من ناقص الخلق أعور
تذكر أمير المؤمنين قرابتى * فديتك من ذى حرمة متذكر

قال ابن جرير لما ملك الامين ابتاع الخصيان وغالى بهم وصيرهم لخلوته ورفض النساء والجوارى وقال غيره لما ملك وجه الى البلدان فى طلب الملهين وأجرى لهم الارزاق واقتنى الوحوش والسباع والطيور واحتجب عن أهل بيته وأمرائه واستخف بهم ومحق مافى بيوت الاموال وضيع الجواهر والنفائس وبنى عدة قصور للهو فى أماكن وأجاز مرة من غنى له شعرا

يفتخرون بما فى هياكلهم وجدران منازلهم تخليدا لذكرهم * ومن ذلك قصة بهرام جور فى أخذه حلة الملك والتاج من بين يدى الاسدين وسيأتى سياقة ذلك فى باب الحروب وماجرى له مع خاقان الاكبر ملك الترك (وقد اعتبر) أهل العلم فى باب الامامة ان يكون تام الاعضاء سليم الحاسة ومن ذلك ان يكون جهير الصوت فخم الكلام فهو أوقع فى النفوس وأهيب ومن ذلك حسن العبارة والفصاحة فى لغته فالعى والحصر عيب وخجل فان كان ذلك فليترجم عنه من يقوم مقامه (وينبغى) ان يكون فيه من الفطنة والذكاء مايسرع الى فهمه الاشارات والحركات والتعريضات حتى يفهم كلام المتصنع ويعرف اشارة المتكلف ولا بأس ان يغضى فى بعض الاوقات ويظهر كأنه ما رأى ماجرى ولا سمع ماطر المصلحة الوقت وهو التغابى المحمود العاقبة (قال معاوية)

ليس الغبى بسيد فى قومه
لكن سيد قومه المتغابى

* (فصل) * وأما لباس الملك فليكن من أفخر اللباس مما تبيحه الشريعة وينسب لابسه الى الشهامة وليس له حد فيرجع اليه ولا نوع يقع الاختيار عليه الا بالنسبة والاضافة الى العادات فان تميز الملك بنوع من اللباس أو بلون من الالوان فمن الادب أن لا يلبس أحد ذلك بحضرته

*نقل عن معاوية كان اذا ركب فى موكبه وعليه رداء أزرق أو أخضر لم يبق أحد عليه ذلك اللون الاغير رداء سوى البياض فانه عامة لباسهم وكان الحجاج اذا لبس قلنسوة لم يدخل عليه بقلنسوة أحد ولم تزل الخلفاء والملوك تختص بنوع من الزى لا يشاركون فيه فملوك ترك بالجتر على رأسها وهى التى يسمونها بمصر المظلة و يجلسون تحتها على التخت وكذلك الخلفاء وملوك تجلس على الكراسى وملوك تجلس على نطع أو مصلى لميلهم الى التواضع وأما المواكب فمنهم من يركب بالسنجق وراءه وملوك المغرب يركبون بمصحف عثمان رضى الله عنه فى قبة على ناقة أمامهم وعلم أبيض ويلبسون برنسا بنفسجيا لا يلبسه غيرهم را كبا فى جميع بلادهم وما ثم زى ولا موكب ولا جيش أحسن ولا أظرف ولا أحول من جيش الاسلام بمصر والشام من أول دولة الاتراك والى هلم * ومن خصائص الملوك ادامة الدعاء لهم فى الخطب بالجوامع والاعياد والمواسم بعد حمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والترضى عن الصحابة والدعاء لامام العصر ثم بعده لملك ذلك العصر وربما ذكر من ينوب عنه على حسب مايراه * ومن ذلك اتخاذ عصائب واعلام خواص فى لونها وصفتها ولا ينشر مثلها على رأس غيره والغرض من ذلك التمييز لا غير ولم تزل الملوك على هذا الرسم * وكانت للنبى صلى الله عليه وسلم راية من صوف أسود وكانت له راية سوداء تسمى العقاب وهذه روى

هجرتك حتى قلت لا يعرف القلى * وزرتك حتى قلت ليس له صبر

بعمل زورقة ذهبا وعمل خمس حراقات على خلقة الاسد والفيل والعقاب والحية والفرس وأنفق فى عملها أموالا فقال أبو نواس شعرا

سخر الله للامين مطايا * لم تسخر لصاحب المحراب * فاذا ماركابه سرن برا
سار فى الماء راكبا ليث غاب * أسدا باسطا ذراعيه يهوى * أهرت الشدق كالح الانياب

قال الصولى حدثنا أبو العيناء حدثنا محمد بن عمرو الرومى قال خرج كوثر خادم الامين ليرى الحرب فأصابته رجة فى وجهه فجعل الامين يمسح الدم عن وجهه ثم قال شعرا

ضربوا قرة عينى * ومن أجلى ضربوه أخذ الله لقلبى * من أناس أحرقوه

ولم يقدر على زيادة فأحضر عبد الله بن التيمى الشاعر فقال له قل عليهما فقال شعرا

مالمن أهوى شبيه * فبه الدنيا تتيه * وصله حلو ولكن
هجره مر كريه * من رأى الناس له الفضل عليهم حسدوه
مثل ماقد حسد القائم بالملك أخوه

فأوقر له ثلاث بغال دراهم فلما قتل الامين جاء التيمى الى المأمون وامتدحه فلم يأذن له فالتجأ الى الفضل بن سهل فاوصله الى المأمون فلما سلم عليه قال هيه يا تيمى

مثل ماقد حسد القا * ثم بالملك أخوه

فقال التيمى شعر نصر المأمون عبد الله لما ظلموه * نقض العهد الذى قد
كان قدما أكدوه * لم يعامله أخوه * بالذى أوصى أبوه

فعفا عنه وأمر له بعشرة آلاف درهم وقيل ان سليمان بن منصور رفع الى الامين أن أبا نواس هجاه فقال يا عم اقتله بعد قوله

أهدى الثناء الى الامين محمد * مابعده بتجارة متربص
صدق الثناء على الامين محمد * ومن الثناء تكذب وتخرص
قد ينقص البدر المنير اذا استوى * وبهاء نور محمد ماينقص
واذا بنو المنصور عد خصالهم * فمحمد ياقوتها المتخاص

قال أحمد بن حنبل انى لا رجو أن يرحم الله الامين بانكاره على اسمعيل بن علية فانه أدخل عليه فقال له يا ابن الفاعلة أنت الذى تقول كلام الله مخلوق قال المسعودى ماولى الخلافة الى وقتنا هذا هاشمى ابن هاشمية سوى على بن أبى طالب وابنه الحسن والامين فان أمه زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور واسمها أمة العزيز وزبيدة لقب لها وقال اسحق الموصلى اجتمعت فى الامين خصال لم تكن فى غيره كان أحسن الناس وجها وأسخاهم وأشرف الخلفاء أبا وأما حسن الادب عالما بالشعر لكن غلب عليه الهوى واللعب وكان مع سخائه بالمال بخيلا بالطعام جدا وقال أبو الحسن الاحمر كنت ربما أنسيت البيت الذى يستشهد به فى النحو فينشدنيه الامين ومارأيت فى أولاد الملوك أذكى منه ومن المأمون وكان قتله فى المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وله سبع وعشرون سنة

مات فى أيامه من الاعلام اسمعيل بن علية وغندر وشقيق البلخى الزاهد وأبو معاوية الضرير ومؤرخ السدوسى وعبد الله بن كثير المقرئ وأبو نواس الشاعر وعبد الله بن وهب صاحب مالك وورش المقرئ ووكيع وآخرون وقال على بن محمد النوفلى وغيره لم يدع للسفاح ولا للمنصور ولا للمهدى ولا للهادى ولا للرشيد على المنابر بأوصافهم ولا كتبت فى كتبهم حتى ولى الامين فدعى له بالامين على المنابر وكتب عنه من

وكل من دعا الى الدولة العلوية فعلمه أبيض ومن دعا الى بني العباس فعلمه أسود وكذلك الخلفاء والملوك وملوك السلجوقية والمتقدمون يركبون بالجتر على رؤسهم وهو كالقبة الصغيرة مرتفع في الهواء على رمح يحمله من يسير قريب الملك بحيث يظله من الشمس ويكون من الديباج والحرير المذهب * ومن الرسوم السلطانية نقش اسم الملك والخليفة على الدينار والدرهم ويكره ان ينقش عليه كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله خشية من ان يقع في المراحيض وتحت الدوس والاوحال الوسخة وكانت ملوك الفرس والروم تنقش صورة الملك في الوجه الواحد والوجه الآخر فيه كلام بخطهم وهو اسمه وتاريخه والفرس أيضا تصور صورة زرادشت وبعضهم صورة غيره والنصارى والفرنج بصور من الصور وينقشون الصليب وأول من ضرب السكة العربية عبد الملك ابن مروان في سنة ثلاث وسبعين وكتب على الدرهم سورة الاخلاص وكانت المعاملة بالدراهم الكسروية والرومية والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي الذهب والفضة للوفود وغيرهم وزنا بالاوقية وكذلك التبايع ومهور النساء

عبد الله محمد الامين أمير المؤمنين وكذا قال العسكري في الاوائل أول من دعي له بلقبه على المنابر الامين ومن شعر الامين يخاطب أخاه المأمون ويعيره بأمه لما بلغه عنه انه يعدد مثالبه ويفضل نفسه عليه أنشده الصولي شعرا

لا تفخرن عليك بعد بقية * والفخر يكمل للفتى المتكامل
واذا تطاولت الرجال بفضلها * فاربع فانك ليس بالمتطاول
أعطاك ربك ماهويت وانما * تلقى خلاف هواك عند مراجل
تعلو المنابر كل يوم آملا * ما لست من بعدي اليه بواصل
فتعيب من يعلو عليك بفضله * وتعيد في حقي مقال الباطل

قلت هذا النظم عال فان كان له فهو أحسن من نظم أخيه وأبيه قال الصولي ومما رواه جماعة له في خادمه كوثر وقد سقاه وهو على بساط نرجس والبدر قد طلع وقد رواه بعضهم للحسين بن الضحاك الخليع وكان نديمه لا يفارقه

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت اني أراك وما أراكا
واذا ما تنفس النرجس الغض * توهمته نسيم سناكا
خدع للمنى تعللني فيك * باشراق ذا ونكهة ذاكا
لاقيمن ما حييت على الشكر * لهذا وذاك اذ حكيا كا

وله في خادمه كوثر أيضا شعر

ما يريد الناس من صب * بمن يهوى كئيب * كوثر ديني ودنيا
ي وسقمي وطبيبي * أعجز الناس الذي يلـ * حى محبا في حبيب

وله لما يئس من الملك وعلا عليه طاهر شعر

يا نفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر * كل امرئ مما يخا
ف ويرتجيه على خطر * من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

وأسند الصولي ان الامين قال لكاتبه اكتب من عبد الله محمد أمير المؤمنين الى طاهر بن الحسين سلام عليك أما بعد فان الامر قد خرج بيني وبين أخي الى هتك الستور وكشف الحرم ولست آمن أن يطمع في هذا الامر السحيق البعيد لشتات ألفتنا واختلاف كلمتنا وقد رضيت ان تكتب لي أمانا لاخرج الى أخي فان تفضل علي فأهل لذلك وان قتلني فمروأة كسرت مروأة وصمصامة قطعت صمصامة ولان يفترسني السبع أحب الي من ان ينبحني الكلب فأبى طاهر عليه وأسند عن اسمعيل بن أبي محمد اليزيدي قال كان أبي يكلم الامين والمأمون بكلام يتفصحان به ويقول كان أولاد الخلفاء من بني أمية يخرج بهم الى البدو حتى يتفصحوا وأنتم أولى بالفصاحة منهم قال الصولي ولا نعرف للامين رواية في الحديث الا هذا الحديث الواحد حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي قال رأيت عند الحسين بن الضحاك جماعة من بني هاشم فيهم بعض أولاد المتوكل فسألوه عن الامين وأدبه فوصف الحسين أدبا كثيرا قيل فالفقه قال كان المأمون أفقه منه قيل فالحديث قال ما سمعت منه حديثا الا مرة فانه نعي اليه غلام له مات بمكة فقال حدثني أبي عن أبيه عن المنصور عن أبيه عن علي بن عبد الله عن ابن عباس عن أبيه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من مات محرما حشر ملبيا قال الثعالبي في لطائف المعارف كان ابو العيناء يقول لو نشرت زبيدة ضفائرها ما تعلقت الا بخليفة أو ولي عهد فان المنصور جدها والسفاح أخو جدها والمهدي عمها والرشيد زوجها والامين ابنها والمأمون والمعتصم ابنا زوجها والواثق والمتوكل ابنا ابن زوجها وأما ولاة العهود فكثيرة ونظيرتها من بني أمية عاتكة بنت يزيد بن معاوية يزيد أبوها ومعاوية جدها ومعاوية بن يزيد أخوها ومروان بن الحكم حموها وعبد الملك زوجها ويزيد ابنها والوليد ابن ابنها والوليد وهشام وسليمان بنو زوجها ويزيد وابراهيم ابنا الوليد ابنا ابن زوجها

(فصل) ولما كان وجود الملك من المصالح الكلية وانتظام الامور وصلاح الجمهور كذلك في فقده من المضار *(المأمون

(المأمون عبد الله أبو العباس)

المأمون عبد الله أبو العباس بن الرشيد ولد سنة سبعين ومائة في ليلة الجمعة منتصف ربيع الاول وهي الليلة التي مات فيها الهادي واستخلف أبوه وأمه أم ولد اسمها مراجل ماتت في نفاسها به وقرأ العلم في صغره سمع الحديث من أبيه وهشيم وعباد بن العوام ويوسف بن عطية وأبي معاوية الضرير واسماعيل بن علية وحجاج الاعور وطبقتهم وأدبه اليزيدي وجمع الفقهاء من الآفاق وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الاوائل ومهر فيها فجره ذلك الى القول بخلق القرآن روى عنه ولده الفضل ويحيى ابن أكثم وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي والامير عبد الله بن طاهر وأحمد بن الحرث الشيعي ودعبل الخزاعي وآخرون وكان أفضل من رجال بني العباس حزما وعزما وحلما وعلما ورأيا ودهاء وهيبة وشجاعة وسوددا وسماحة وله محاسن وسيرة طويلة لولا ما أتاه من محنة الناس في القول بخلق القرآن ولم يل الخلافة من بني العباس أعلم منه وكان فصيحا مفوها وكان يقول معاوية بعمره وعبد الملك بحجاجه وأنا بنفسي وكان يقال لبني العباس فاتحة وواسطة وخاتمة فالفاتحة السفاح والواسطة المأمون والخاتمة المعتضد وقيل انه ختم في بعض الرمضانات ثلاثا وثلاثين ختمة وكان معروفا بالتشيع وقد حمله ذلك على خلع أخيه المؤتمن والعهد بالخلافة الى علي الرضي كما سنذكره قال أبو معشر المنجم كان المأمون أمارا بالعدل فقيه النفس يعد من كبار العلماء وعن الرشيد قال اني لاعرف في عبد الله حزم المنصور ونسك المهدي وعزة الهادي ولو أشاء ان أنسبه الى الرابع يعني نفسه لنسبته وقد قدمت محمدا عليه واني لاعلم انه منقاد الى هواه مبذر لما حوته يده يشاركه في رأيه الاماء والنساء ولولا أم جعفر وميل بني هاشم اليه لقدمت عبد الله عليه استقل المأمون بالامر بعد قتل أخيه سنة ثمان وتسعين وهو بخراسان واكتنى بأبي جعفر قال الصولي وكانوا يحبون هذه الكنية لانها كنية المنصور وكان لها في نفوسهم جلالة وتفاؤل بطول عمر من كني بها كالمنصور والرشيد وفي سنة احدى ومائتين خلع أخاه المؤتمن من العهد وجعل ولي العهد من بعده علي الرضي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق حمله على ذلك افراطه في التشيع حتى قيل انه هم أن يخلع نفسه ويفوض الامر اليه وهو الذي لقبه الرضي وضرب الدراهم باسمه وزوجه ابنته وكتب الى الآفاق بذلك وأمر بترك السواد ولبس الخضرة فاشتد ذلك على بني العباس جدا وخرجوا عليه وبايعوا ابراهيم بن المهدي ولقب المبارك فجهز المأمون لقتاله وجرت أمور وحروب وسار المأمون الى نحو العراق فلم ينشب علي الرضي ان مات في سنة ثلاث فكتب المأمون الى أهل بغداد يعلمهم انهم انما نقموا عليه الا بيعته لعلي وقد مات فردوا جوابه أغلظ جواب فسار المأمون وبلغ ابراهيم بن المهدي تسلل الناس من عهده فاختفى في ذي الحجة فكانت أيامه سنتين الا أياما وبقي في اختفائه مدة ثمان سنين ووصل المأمون بغداد في صفر سنة أربع فكلمه العباسيون وغيرهم في العود الى لبس السواد وترك الخضرة فتوقف ثم أجاب الى ذلك وأسند الصولي ان بعض آل بيته قال له انك على برأولاد علي بن أبي طالب والامر فيك أقدر منك على برهم والامر فيهم فقال انما فعلت ما فعلت لان أبا بكر لما ولي لم يول أحدا من بني هاشم شيئا ثم عمر ثم عثمان كذلك ثم ولي علي فولى عبد الله بن عباس البصرة وعبيد الله اليمن ومعبدا مكة وقثم البحرين وما ترك أحدا منهم حتى ولاه شيئا فكانت هذه في أعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت وفي سنة عشر تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل وبلغ جهازها ألوفا كثيرة وقام أبوها بخلع القواد وكلفهم مدة سبعة عشر يوما وكتب رقاعا فيها أسماء ضياع له ونثرها على القواد والعباسيين فمن وقعت في يده رقعة باسم ضيعة تسلمها ونثر صينية ملئت جوهرا بين يدي المأمون عندما زفت اليه وفي سنة احدى عشرة أمر المأمون بأن ينادي برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير وان أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

مثل ذلك ولهذا كانت الملوك تعهد في حال صحتها الى من يقوم بالامر بعدها حرصا على دوام الانتظام وقطع أمل الاعداء من الطمع فيجب ان يكون الملك كثير الاحتراز على نفسه في يقظته ونومه وحركته وسكونه ويستوثق من الحرس والاعوان فان النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره حرس عليه يوم بدر حين نام في العريش سعد بن معاذ وحرسه ذكوان بن عبد قيس وحرسه باحد محمد بن مسلمة الانصاري وحرسه يوم الخندق الزبير بن العوام وحرسه سعد بن أبي وقاص وحرسه بخيبر أبو أيوب الانصاري وحرسه بلال بوادي القرى فلما نزل عليه يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ترك الحرس (ولا ينبغي) للملك ان يتنكر ويمشي في المواضع المجهولة فربما اغتاله من عرفه وآذاه من جهله كما جرى في قصة سابور ذي الاكتاف حين خرج متنكرا الى بلاد الروم في زي الفقراء فعرفت صورته وقبض عليه والقصة طويلة مشهورة (وينبغي) ان يحترز من الدخول الى بلاد العدو اما بانفراده أو بجماعة يسيرة على ظن أنه يطلع على الاحوال ولا يشعر به فكم قد أعقب ذلك من الندم ما لا يستدرك فارطه ومن نظر في تواريخ المتقدمين رأى عجبا * ويجب أن يحترز في طعامه وشرابه بان لا يباشره الا امين يوثق به ويتناول منه قبله وكذلك في الطب واللباس والغسول

على بن أبى طالب وفى سنة اثنتى عشرة أظهر المأمون القول بخلق القرآن مضافا الى تفضيل على على أبى بكر وعمر فاشمأزت النفوس منه وكاد البلد يفتتن ولم يلتئم له من ذلك ما أراد فكف عنه الى سنة ثمان عشرة وفى سنة خمس عشرة سار المأمون الى غزو الروم ففتح حصن قرة عنوة وحصن ماجد ثم سار الى دمشق ثم عاد فى سنة ست عشرة الى الروم وافتتح عدة حصون ثم عاد الى دمشق ثم توجه الى مصر ودخلها فهو أول من دخلها من الخلفاء العباسيين ثم عاد فى سنة سبع عشرة الى دمشق والروم وفى سنة ثمان عشرة امتحن الناس بالقول بخلق القرآن فكتب الى نائبه على بغداد اسحق بن ابراهيم الخزاعى ابن عم طاهر بن الحسين فى امتحان العلماء كتابا يقول فيه وقد عرف أمير المؤمنين ان الجمهور الاعظم والسواد الاكبر من حشوة الرعية وسفلة العامة ممن لا نظر له ولا روية ولا استضاءة بنور العلم وبرهانه أهل جهالة بالله وعمى عنه وضلالة عن حقيقة دينه وقصور أن يقدروا الله حق قدره ويعرفوه كنه معرفته ويفرقوا بينه وبين خلقه وذلك انهم ساووا بين الله وبين خلقه وبين ما أنزل من القرآن فأطبقوا على انه قديم لم يخلقه الله ويخترعه وقد قال تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا فكلما جعله الله فقد خلقه كما قال الله تعالى وجعل الظلمات والنور وقال نقص عليك من أنباء ما قد سبق فأخبر انه قص لامور أحدثه بعدها وقال أحكمت آياته ثم فصلت والله محكم كتابه ومفصله فهو خالقه ومبتدعه ثم انتسبوا الى السنة وانهم أهل الحق والجماعة وان من سواهم أهل الباطل والكفر فاستطالوا بذلك وغروا به الجهال حتى مال قوم من أهل السمت الكاذب والتخشع لغير الله الى موافقتهم فنزعوا الحق الى باطلهم واتخذوا دون الله وليجة الى ضلالهم الى أن قال فرأى أمير المؤمنين ان أولئك شر الامة المنقوصون من التوحيد حظا وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ولسان ابليس الناطق فى أوليائه والهائل على أعدائه من أهل دين الله وأحق أن يتهم فى صدقه وتطرح شهادته ولا يوثق به من عمى عن رشده وحظه من الايمان بالتوحيد وكان عما سوى ذلك أعمى وأضل سبيلا ولعمر أمير المؤمنين ان أكذب الناس من كذب على الله ووحيه وتخرص الباطل ولم يعرف الله حق معرفته فاجمع من بحضرتك من القضاة فاقرأ عليهم كتابنا وامتحنهم فيما يقولون واكشفهم عما يعتقدون فى خلقه واحداثه وأعلمهم انى غير مستعين فى عملى ولا أوثق بمن لا يوثق بدينه فاذا أقروا بذلك ووافقوا فمرهم بنص من بحضرتهم من الشهود ومسئلتهم من علمهم فى القرآن وترك شهادة من لم يقر انه مخلوق واكتب الينا بما يأتيك عن قضاة أهل عمالك فى مسئلتهم والامر لهم بمثل ذلك وكتب المأمون اليه أيضا فى أشخاص سبعة أنفس وهم محمد بن سعد كاتب الواقدى ويحيى بن معين وأبو خيثمة وأبو مسلم مستملى يزيد بن هرون واسمعيل بن داود واسمعيل بن أبى مسعود أحمد بن ابراهيم الدورقى فأشخصوا اليه فامتحنهم بخلق القرآن فأجابوه فردهم من الرقة الى بغداد وسبب طلبهم انهم توقفوا أولا ثم أجابوه تقية وكتب الى اسحق بن ابراهيم بان يحضر الفقهاء ومشايخ الحديث ويخبرهم بما أجاب به هؤلاء السبعة ففعل ذلك فأجابه طائفة وامتنع آخرون فكان يحيى بن معين وغيره يقولون أجبنا خوفا من السيف ثم كتب المأمون كتابا آخر من جنس الاول الى اسحق وأمره باحضار من امتنع فأحضر جماعة منهم أحمد بن حنبل وبشر بن الوليد الكندى وأبو حسان الزيادى وعلى بن أبى مقاتل والفضل بن غانم وعبيد الله بن عمر القواريرى وعلى بن الجعد وسجادة والذيال بن الهيثم وقتيبة بن سعيد وسعدويه الواسطى واسحق بن أبى اسرائيل وابن الهرش وابن علية الاكبر ومحمد بن نوح العجلى ويحيى بن عبد الرحمن العمرى وأبو نصر التمار وأبو معمر القطيعى ومحمد بن حاتم بن ميمون وغيرهم وعرض عليهم كتاب المأمون فعرضوا وورّوا ولم يجيبوا ولم ينكروا فقال لبشر بن الوليد ما تقول قال قد عرفت أمير المؤمنين غير مرة قال والآن فقد تجدد من أمير المؤمنين كتاب قال أقول كلام الله قال لم أسئلك عن هذا أمخلوق هو قال ما أحسن غير ما قلت لك وقد استعهدت أمير المؤمنين ان لا أتكلم فيه ثم قال لعلى بن مقاتل ما تقول قال القرآن كلام الله وان أمرنا أمير المؤمنين بشئ سمعنا وأطعنا

والادوية والفصد والحجامة والمراكب والمشموم وغير ذلك وكل ذلك اذا كان مسموما فله علامات فيه وأنواع من المضرات فان الملوك قد تكاد تحصل هذا (ويحكى) ان بعض ملوك الهند بعث الى الاسكندر بهدية جليلة فى جملتها جارية فائقة الجمال رائعة الحسن فعرض الاسكندر ذلك على ارسطاطاليس لسعادته فتفرس فى الجارية انها مسمومة وكانت قد غذيت بالسم من الصغر على التدريج وربيت على ما يلائمه حتى صارت فى طبع الافاعى فكره الاسكندر منها ودفعها لمن استحق القتل فلما جامعها واختلط عرقها بجسمه أورثه حكة وبثراوتهرا جسمه فمات فينبغى للملك ان يتخذ عنده ما يدل على السموم ان حضرت فى الاطعمة وغيرها وما يبطلها أو ينقص قواها قبل تأثيرها وما يدفع مضرتها بعد تناولها * قال بعض الحكماء ان الطاوس اذا نظر الى طعام مسموم أو شم رائحته صاح فان قرب اليه زاد فى الصياح وقال ان الببغا اذا مر بها من معه سم صاحت واضطربت كالحذرة منه والقرد اذا شم رائحة السم احمرت عيناه وهرب من ذلك الموضع وربما قرب اليه كثيرا تقيأ واليشم اذا علا على الطعام المسموم عرق فيجب ان يتخذ بعض هذه الحيوانات فى مجالس الملوك ومنازلها وكذلك استعمال أوانى اليشم والختم به وبالزمرذ واتخاذ نصب السكاكين من اليشم والملاعق وحجر الحية الذى يجلب من بلاد الصين فانه

واجلب

وأجاب أبو حسان الزيادى بنحو من ذلك ثم قال لاحمد بن حنبل ما تقول قال كلام الله قال أمخلوق هو قال هو كلام الله لا أزيد على هذا ثم امتحن الباقين وكتب بجواباتهم وقال ابن البكاء الاكبر أقول القرآن مجعول ومحدث لورود النص بذلك فقال له اسحق بن ابراهيم والمجعول مخلوق قال نعم قال فالقرآن مخلوق قال لا أقول مخلوق ثم وجه بجواباتهم الى المأمون فورد عليه كتاب المأمون بلغنا ما أجاب به متصنعة أهل القبلة وملتمسو الرئاسة فيما ليسوا له باهل فمن لم يجب انه مخلوق فامنعه من الفتوى والرواية ويقول فى الكتاب فاما ما قال بشر فقد كذب لم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه عهد أكثر من اخبار أمير المؤمنين من اعتقاده وكلمة الاخلاص والقول بان القرآن مخلوق فادع به اليك فان تاب فاشهر أمره وان أصر على شركه ودفع ان يكون القرآن مخلوقا بكفره والحاده فاضرب عنقه وابعث الينا برأسه وكذلك ابراهيم بن المهدى فامتحنه فان أجاب والا فاضرب عنقه وأما على بن أبى مقاتل فقل له ألست القائل لامير المؤمنين انك تحلل وتحرم وأما الذيال فاعلمه انه كان فى الطعام الذى سرقه من الانبار ما يشغله وأما أحمد بن يزيد أبو العوام وقوله انه لا يحسن الجواب فى القرآن فاعلمه انه صبى فى عقله لا فى سنه جاهل يستحسن الجواب اذا أدب ثم ان لم يفعل كان السيف من وراء ذلك وأما أحمد بن حنبل فاعلمه ان أمير المؤمنين قد عرف فحوى مقالته واستدل على جهله وآفته بها وأما الفضل بن غانم فاعلمه انه لم يخف على أمير المؤمنين ما كان فيه بمصر وما اكتسب من الاموال فى أقل من سنة يعنى فى ولاية القضاء وأما الزيادى فاعلمه انه كان منتحلا ولاء دعى فانكر أبو حسان ان يكون مولى لزياد بن أبيه وانما قيل له الزيادى لامر من الامور قال وأما أبو نصر التمار فان أمير المؤمنين شبه خساسة عقله بخساسة متجره وأما ابن نوح وابن حاتم فاعلمهم انهم مشاغيل بأكل الربا عن الوقوف على التوحيد وان أمير المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم فى الله الا لاربائهم وما نزل به كتاب الله فى أمثالهم لاستحل ذلك فكيف بهم وقد جمعوا مع الارباء شركا وصاروا للنصارى شبها وأما ابن شجاع فاعلمه انه صاحبه بالامس والمستخرج منه ما استخرجه من المال الذى كان استحله من مال الامير على بن هشام وأما سعدويه الواسطى فقل له قبح الله رجلا بلغ به التصنع للحديث والحرص على الرئاسة فيه ان يتمنى وقت المحنة وأما المعروف بسجادة وانكاره ان يكون سمع ممن كان يجالس العلماء القول بان القرآن مخلوق فاعلمه ان فى شغله واعداده النوى وحكمه لاصلاح سجادته وبالودائع التى دفعها اليه على بن يحيى وغيره ما أذهله عن التوحيد وأما القواريرى ففيما يكشف عن أحواله وقبوله الرشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته وسخافة عقله ودينه وأما يحيى العمرى فان كان من ولد عمر بن الخطاب فجوابه معروف وأما محمد بن الحسن بن على بن عاصم فانه لو كان مقتديا بمن مضى من سلفه لم ينتحل النحلة التى حكيت عنه وانه بعد صبى محتاج الى أن يعلم وقد كان أمير المؤمنين وجه اليك المعروف بأبى مسهر بعد ان نصه أمير المؤمنين عن محنته فى القرآن فجمجم عنها ولجلج فيها حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف فاقر ذميما فانصصه عن اقراره فان كان مستقيما عليه فاشهر ذلك وأظهره ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت بعد بشر وابن المهدى فاحملهم موثقين الى عسكر أمير المؤمنين ليسألهم فان لم يرجعوا احملهم على السيف قال فاجابوا كلهم عند ذلك الا أحمد بن حنبل وسجادة ومحمد ابن نوح والقواريرى فأمر بهم اسحق فقيدوا ثم سألهم من الغد وهم فى القيود فاجاب سجادة ثم عاودهم ثالثا فاجاب القواريرى ووجه بأحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الى الروم ثم بلغ المأمون ان الذين أجابوا انما أجابوا مكرهين فغضب وأمر باحضارهم اليه فحملوا اليه فبلغتهم وفاة المأمون قبل وصولهم اليه ولطف الله بهم وفرج عنهم وأما المأمون فمرض بالروم فلما اشتد مرضه طلب ابنه العباس ليقدم عليه وهو يظن انه لا يدركه فأتاه وهو مجهود وقد نفذت الكتب الى البلدان فيها من عبد الله المأمون وأخيه أبى اسحق الخليفة من بعده بهذا النص فقيل ان ذلك وقع بأمر المأمون وقيل بل كتبوا ذلك وقت غشى أصابه   ومات المأمون يوم الخميس

يظهر عليه عرق اذا قرب من الشئ المسموم * ويجب أن لا يفارق الدرياق والحجر البادزهر فان طرأ امر لم يطل الامر فى احضارهما وأما من سقى بشئ من السموم المعدنية أو النباتية أو الحيوانية فعلاجاتها مشروحة فى كتب الطب فلا يليق اطالة الكتاب به ههنا

(فصل) وان مرض الملك أو شرب دواء مسهلا أو افتصد وأذن للعواد فى عيادته فلا ينبغى ان يستوصف حاله ولا يقال كيف أصبح ولا كيف أمسى وانما يقتصر على الدعاء وانما يباشر ذلك ويبحث عنه خواصه والاطباء ولا يفارقه الطبيب ليلا ولا نهارا ليعرف أوقات تنقلات الامراض وحركات البحران فيستدل على التحقيق للامراض وصحة العلاج بتحقيق المرض

(الباب الثانى فى آداب خواص الملك معه فى جميع أحواله وبطانته)

لما كانت هذه الطائفة أقرب الناس الى الملك وجب ان يكونوا أكثر الناس ملائمة لطباعه ومن المائلين الى اغراضه ليكونوا معه فى محل تقريب وهو معهم فى سرور وأنس ويحسن ان يكونوا ذوى صور جميلة وألفاظ عذبة واشارات لطيفة وفهم حاضر وذكاء وافر وليكن بزتهم فاخرة ويستعملون الطيب ما أمكن ويلتزم كل واحد بخدمته ويواظب عليها فى نوبته وليكن عليهم مقدمون تجمع أمرهم وتصلح حالهم ويزيحون عللهم ويكون الخدام متناوبين على الخدمة لان لا يقع التقصير فى وقت من الاوقات ولا بأس

لاثنتي عشرة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة بالبذندون من أرض الروم ونقل الى طرسوس فدفن بها قال المسعودي كان نزل على عين البذندون فأعجبه بردها وصفاؤها وطيب الموضع وكثرة الخضرة فرأى فيها سمكة كأنها الفضة فأعجبته فلم يقدر أحد يسبح في العين لشدة بردها فجعل لمن يخرجها سيفا فنزل فراش فاصطادها وطلع فاضطربت وفرت الى الماء فتنضح صدر المأمون ونحره وابتل ثوبه ثم نزل الفراش ثانية فأخذها فقال المأمون تقلى الساعة ثم أخذته رعدة فغطي باللحف وهو يرتعد ويصيح فأوقدت حوله نار فأتي بالسمكة فما ذاقها لشغله بحاله ثم أفاق المأمون من غمرته فسأل عن تفسير المكان بالعربي فقيل مد رجليك فتطير به ثم سأل عن اسم البقعة فقيل الرقة وكان فيما عمل من مولده انه يموت بالرقة فكان يتجنب نزول الرقة فلما سمع هذا من الروم عرف وأيس وقال يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ولما وردت وفاته بغداد قال أبو سعيد المخزومي

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ * مون أو عن ملكه المأسوس

خلفوه بعرصتي طرسوس * مثل ما خلفوا أباه بطوس

قال الثعالبي لا يعرف أب وابن من الخلفاء أبعد قبرا من الرشيد والمأمون قال وكذلك خمسة من أولاد العباس تباعدت قبورهم أشد تباعد ولم ير الناس مثلهم فقبر عبد الله بالطائف وعبيد الله بالمدينة والفضل بالشام وقثم بسمرقند ومعبد بافريقية

(فصل) في نبذ من أخبار المأمون قال نفطويه حدثنا حامد بن العباس بن الوزير قال كنا بين يدي المأمون فعطس فلم نشمته فقال لم لا تشمتونني قلنا أجللناك يا أمير المؤمنين قال لست من الملوك التي تتجال عن الدعاء وأخرج ابن عساكر عن أبي محمد اليزيدي قال كنت أؤدب المأمون فأتيته يوما وهو داخل فوجهت اليه بعض الخدم يعلمه بمكاني فأبطأ ثم وجهت اليه آخر فأبطأ فقلت ان هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة فقيل أجل ومع هذا انه اذا فارقك تعرم على خدمه ولقوا منه أذى شديدا فقومه بالادب فلما خرج أمرت بحمله فضربته سبع درر قال فانه ليدلك عينيه بالبكاء اذ قيل هذا جعفر بن يحيى قد أقبل فأخذ منديلا فمسح عينيه من البكاء وجمع ثيابه وقام الى فرشه فقعد متربعا ثم قال ليدخل فدخل فقمت عن المجلس وخفت أن يشكوني اليه فأقبل عليه بوجهه وحدثه حتى أضحكه ثم خرج فجئت فقلت لقد خفت أن تشكوني الى جعفر فقال لي يا أبا محمد ما كنت أطلع الرشيد على هذه فكيف بجعفر اني أحتاج الى أدب وأخرج عن عبد الله بن محمد التيمي قال أراد الرشيد سفرا فأمر الناس أن يتأهبوا لذلك وأعلمهم انه خارج بعد الاسبوع فمضى الاسبوع ولم يخرج فاجتمعوا الى المأمون فسألوه ان يستعلم ذلك ولم يكن الرشيد يعلم ان المأمون يقول الشعر فكتب اليه المأمون شعرا

ياخير من دبت المطي به * ومن تقدى بسرجه فرس

هل غاية في المسير نعرفها * أم أمرنا في المسير ملتبس

ما علم هذا الا الى ملك * من نوره في الظلام نقتبس

ان سرت سار الرشاد متبعا * وان تقف فالرشاد محتبس

فقرأها الرشيد فسر بها ووقع فيها يابني ما أنت والشعر أرفع حالات الدنى وأقل حالات السري تغدى أي اسمر وأخرج عن الاصمعي قال كان نقش خاتم المأمون عبد الله بن عبد الله وأخرج عن محمد بن عباد قال لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء الا عثمان بن عفان والمأمون قلت وقد رددت هذا الحصر فيما تقدم وأخرج عن ابن عيينة قال جمع المأمون العلماء وجلس للناس فجاءت امرأة فقالت يا أمير المؤمنين مات أخي وخلف ستمائة دينار أعطوني دينارا وقالوا هذا نصيبك قال فحسب المأمون ثم كسر الفريضة ثم قال لها هذا نصيبك فقال له العلماء كيف علمت يا أمير المؤمنين فقال هذا الرجل خلف ابنتين قالت نعم قال فلهن الثلثان أربعمائة وخلف والدة فلها السدس مائة وخلف زوجة فلها الثمن خمسة وسبعون وبالله ألك اثنا عشر أخا قالت نعم قال

بانبساط الملك مع خواصه ليقع الانس وتاليفهم على محبته ومناصحته (قال) المامون نحن أمناء على رعيتنا وخدمنا آمناء علينا فلا ينبغي ان يكون في قلوبهم غش ولا حقد ولا ضغن فانهم يقدرون على النكايات العظام من النكبات وكذلك أصحاب الملك والمتعلقين به يجب ان يحترزوا من ضغائن البطانة فانهم يتوصلون في الخير والشر ما لا يتوصل غيرهم (يحكى) ان بعض الملوك كان له وزير متمكن منه متصرف في الدولة والمملكة وأن بعض المماليك الخواص رأى بيد الوزير منطقة من ذهب مجوهرة حسنة الصنعة فأعجبته فطلبها منه فقال ما تصلح لك فالح عليه فلم يدفعها اليه وانتهره فخرج وهو مغضب وقال لرفيق له لا كيدن هذا الوزير ولأجهدن في أمره فقال له رفيقه ما عسى ان تصنع فقال له اذا كان وقت نوبتنا عند الملك وغمض عينيه قبل ان ينام فقل لي ما الذي كنت تقول عن الوزير وأمرتني بكتمانه من غير ان أفهمه فاقول رأيت منه ما أذهلني وذلك اني رأيته منذ ليال وقد خرج من عند الملك وتبعته فزاغ من الطريق وحده الى ناحية باب الحرم وخرجت اليه جارية فتحدثت معه طويلا ولست أعلم ما وراء ذلك ثم انصرفا ففعلا ذلك والملك يسمع وهو كأنه نائم فلما أصبح تغير على الوزير وانقبض عنه وزاد تغيره حتى طلب غيره واستكفى الملك به وعزله ولا يعلم هو ولا غيره سبب ذلك فلما كان

أصابهم

أصابهم دينار ان دينار او أصابك دينار وأخرج عن محمد بن حفص الانماطي قال تغدينا مع المأمون في يوم عيد فوضع على مائدته أكثر من ثلثمائة لون قال فكلما وضع لون نظر المأمون اليه فقال هذا نافع لكذا ضار لكذا فمن كان منكم صاحب بلغم فليجتنب هذا ومن كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا ومن غلبت عليه السوداء فلا يعرض لهذا ومن قصد قلة الغذاء فليقتصر على هذا فقال له يحيى بن أكثم يا أمير المؤمنين ان خضنا في الطب كنت جالينوس في معرفته أو في النجوم كنت هرمس في حسابه أو في الفقه كنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في علمه أو ذكر السخاء كنت حاتم طي في صفته أو صدق الحديث كنت أباذر في لهجته أو الكرم فانت كعب بن امامة في فعاله أو الوفاء فانت السموءل بن عاديا في وفائه فسر بهذا الكلام وقال ان الانسان انما فضل بعقله ولولا ذلك لم يكن لحم أطيب من لحم ولا دم أطيب من دم وأخرج عن يحيى بن أكثم قال ما رأيت أكمل من المأمون بت عنده ليلة فانتبه فقال يا يحيى انظر ايش عند رجلي فنظرت فلم أر شيأ فقال شمعة فتبادر الفراشون فقال انظروا فنظروا فاذا تحت فراشه حية بطوله فقتلوها فقلت قد انضاف الى كمال أمير المؤمنين علم الغيب فقال معاذ الله ولكن هتف بي هاتف الساعة وانا نائم فقال شعرا

يا راقد الليل انتبه * ان الخطوب لها سرى ثقة الفتى بزمانه * ثقة محللة العرى

فانتبهت فعلمت ان قد حدث أمر اما قريب واما بعيد فتأملت ما قرب فكان ما رأيت وأخرج عن عمارة بن عقيل قال قال لي ابن أبي حفصة الشاعر أعلمت ان المأمون لا يبصر الشعر فقلت من ذا يكون أفرس منه والله انا لننشد أول البيت فيسبق الى آخره من غير ان يكون سمعه قال اني أنشدته بيتا أجدت فيه فلم أره تحرك له وهو هذا

أضحى امام الهدى المأمون مشتغلا * بالدين والناس في الدنيا مشاغيل

فقلت له ما زدت على ان جعلته عجوزا في محرابها في يدها سبحة فمن يقوم بامر الدنيا اذا كان مشغولا عنها وهو المطوق لها ألا قلت كما قال عمك في الوليد

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

قال ابن عساكر أخبرنا أبو العز بن كادش حدثنا محمد بن الحسين حدثنا المعافى بن زكريا حدثنا محمد بن محمود ابن أبي الازهر الخزاعي حدثنا الزبير بن بكار حدثني النضر بن شميل قال دخلت على المأمون بمرو وعلي أطمار فقال لي يا نضر أتدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب فقلت يا أمير المؤمنين ان حر مرو لا يدفع الا بمثل هذه الاخلاق قال لا ولكنك تتقشف فتجارينا الحديث فقال المأمون حدثني هشيم بن بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز قلت صدق قول أمير المؤمنين عن هشيم حدثني عوف الاعرابي عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال السداد لحن يا نضر قلت نعم ههنا وانما لحن هشيم وكان لحانا فقال ما الفرق بينهما قلت السداد القصد في السبيل والسداد البلغة وكلما سددت به شيأ فهو سداد قال أفتعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجي من ولد عثمان بن عفان يقول شعرا

اضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فأطرق المأمون مليا ثم قال قبح الله من لا ادب له ثم قال أنشدني يا نضر أخلب بيت للعرب قلت قول ابن بيض في الحكم بن مروان شعرا

تقول لي والعيون هاجعة * أقم علينا يوما فلم أقم

أي الوجوه انتجعت قلت لها * لاي وجه الا الى الحكم

بعد أيام مر به ذلك الغلام و رفيقه معه فقال له أيها الوزير لمن تصلح المنطقة لمن فعل بك هذا أو لمن يردك الى ما كنت عليه فعلم انه قد دهي من جهته فتضرع اليه وبعث بالمنطقة وبهدايا معها وتحف فقال له رفيقه ويحك كيف تصنع فقال اذا كان وقت نوبتنا في خدمة الملك وتغميز أقدامه فقل لي يا أخي ما خدمة الملوك الاعظمة الخطر قبل ان يستغرق الملك في النوم فقال له الغلام مثل ما قال له فقال يا أخي هو كما ذكرت وكلها كثيرة المعاطب واذا كان الانسان على خطر كان عيشه نكدا فلو كان أحدنا لبعض السوقة أو العوام وغضب عليه ترضاه فرضي أو طلب منه البيع فباعه انتقل الى غيره واستراح الا ترى الى وزير سيدي الملك مع جودته ومناصحته وشفقته كيف غضب عليه وأبعده وصار طريدا مهانا ولعل هذا يا أخي تأويل المنام الذي حكيته لك من ليال فلما سمع الملك جلس وقال ويلك أعد ما تقول ألست القائل كذا وكذا قال نعم يا سيدي رأيت ذلك في النوم فحكيته لاخي فعلم الملك أن ذلك كان منه على غير تثبيت ولا تحقيق فشرع في ازالة الوحشة بينه وبين الوزير ثم لم يمض أيام قلائل حتى أعاده الى ما كان عليه وهذه الحكاية وان تعلقت بالمماليك الا انها تتعلق بالخاصة كانوا مماليك أو غير مماليك ونظير هذا ما يحكى ان الافشين لما ظفر ببابك الخرمي وحمله أسيرا الى المعتصم بعد الحروب الشديدة والمصافات المديدة عظم شأنه عند المعتصم وكبر محله ولم

متى يقل حاجباسرادقه * هذا ابن بيض بالباب يبتسم
قد كنت أسلمت فيك مقتبلا * فهات ادخل أعطني سلمي

أسلمت أسلفت مقتبلا آخذا قبيلا أي كفيلا قال أنشدني أنصف بيت قالته العرب قلت قول ابن أبي عروبة المديني شعرا

اني وان كان ابن عمي عاتبا * لمزاحم من خلفه وورائه
ومفيده نصري وان كان امرأ * متزحزحا في أرضه وسمائه
وأكون والي سره وأصونه * حتى يحن الي وقت ادائه
واذا الحوادث أجحفت بسوامه * قرنت صحيحتنا الى جربائه
واذا دعي باسمي ليركب مركبا * صعبا قعدت له على سيسائه
واذا أتى من وجهه بطريفة * لم أطلع فيما وراء خبائه
واذا ارتدى ثوبا جميلا لم أقل * ياليت ان علي حسن ردائه

قال أنشدني أقنع بيت للعرب فأنشدته قول ابن عبدل

اني امرؤ لم أزل وذاك من الله أديبا أعلم الادبا
أقيم بالدار ما اطمأن بي الدا * ر وان كنت نازحا طربا
لا احتوى خلة الصديق ولا * أتبع نفسي شيأ اذا ذهبا
أطلب ما يطلب الكريم من الرز * ق بنفسي وأجمل الطلبا
اني رأيت الفتى الكريم اذا * رغبته في صنيعة رغبا
والعبد لا يطلب العلاء ولا * يعطيك شيأ الا اذا رهبا
مثل الحمار الموقع السو * ء لا يحسن شيأ الا اذا ضربا
ولم أجد عروة الخلائق الا الـ * ـدين لما اختبرت والحسبا
قد يرزق الخافض المقيم وما * شد بعيس رحلا ولا قتبا
ويحرم الرزق ذو المطية والرحل ومن لا يزال مغتربا

قال أحسنت يا نضر وأخذ القرطاس فكتب شيأ لا أدري ماهو ثم قال كيف تقول افعل من التراب قلت اترب قال ومن الطين قلت طن قال فالكتاب ماذا قلت مترب مطين قال هذه أحسن من الاولى فكتب لي بخمسين ألف درهم ثم أمر الخادم ان يوصلني الى الفضل بن سهل فمضيت معه فلما قرأ الكتاب قال يا نضر لحنت أمير المؤمنين قلت كلا ولكن هشيم لحانة فتتبع أمير المؤمنين لفظه فامر لي من عنده بثلاثين ألفا فخرجت الى منزلي بثمانين ألفا وأخرج الخطيب عن محمد بن زياد الاعرابي قال بعث الى المأمون فصرت اليه وهو في بستان يمشي مع يحيى بن أكثم فرأيتهما موليين فجلست فلما أقبلا قمت فسلمت عليه بالخلافة فسمعته يقول ليحيى يا أبا محمد ما أحسن أدبه رآنا موليين فجلس ثم رآنا مقبلين فقام ثم رد علي السلام فقال أخبرني عن قول هند بنت عتبة شعرا

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق * مشي قطا البهارق

من طارق هذا فنظرت في نسبها فلم أجده فقلت يا أمير المؤمنين ما أعرفه في نسبها فقال انما أرادت النجم وانتسبت اليه لحسنها من قول الله تعالى والسماء والطارق فقلت فأيده يا أمير المؤمنين فقال أنا بؤبؤ هذا الامر وابن بؤبؤه ثم رمى الي بعنبرة كان يقلبها في يده بعتها بخمسة آلاف درهم وأخرج عن أبي عبادة قال كان المأمون أحد ملوك الارض وكان يحب له هذا الاسم على الحقيقة وأخرج عن ابن أبي دؤاد قال دخل رجل من الخوارج على المأمون فقال له المأمون ما حملك على خلافنا قال آية في كتاب الله قال وماهي قال قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل

يبوء له نظير في الدولة وكان يتهاون (١٢٦) بالقاضي أحمد بن داود وبمحمد بن عبد الملك الزيات وكانا خصيصين بالمعتصم فاعملا الفكر في أمره وكان له صديق يعرف بمحمد بن ابراهيم الظاهري وكان بينه وبين الزيات مؤانسة فانتمى له ووعده ان يوليه فارس والاهواز ويرفع عند المعتصم قدره على ان يتلطف في ايحاش الافشين من المعتصم فدخل محمد الظاهري يوما على الافشين وأظهر له الاغتمام والكآبة فسأله عن شأنه فكتمه فألح عليه فتلجلج فاستحلفه ان يكتم ذلك وقال ان المعتصم قد تغير عليك وأخذ في التدبير على قبضك فقال الافشين هذا باطل لانني عليه عظيم البركة وقد فتحت له الفتوح وأرحته من بابك ولم يظهر مني سوء قط فكيف يكون هذا فقال له قد نصحت لك بما في نفسي وسيظهر لك عن قليل فكثر فكر الافشين واغتم لذلك واتفق أن دخل على المعتصم يوما فرآه ضجرا معبسا لبعض أحواله فظن أن ذلك بسببه فحذر على نفسه وتحرز في منزله واستظهر بحرسه واحتفظ بابوابه فبلغ المعتصم ذلك فانكره ثم قال له ابن أبي دواد يا أمير المؤمنين أنت منا بمنزلة الروح من الجسد وهذه الاعاجم تدخل عليك وأنت في ثوبك وتقرب منك وبأيديها السيوف ومعها الخناجر ولا مضرة في الاحتراز فقال له مه الخلافة أهيب مما تظن الا أنه أثر الكلام في قلب المعتصم وتوحش من الافشين ولم يزل كل واحد منهما يدبر على الآخر حتى ظفر المعتصم بكتب للافشين الى بكمور

الله

الله فأولئك هم الكافرون قال ألك علم بأنها نزلة قال نعم قال وما دليلك قال اجماع الامة قال فكما رضيت باجماعهم في التنزيل فارض باجماعهم في التأويل قال صدقت السلام عليك يا أمير المؤمنين وأخرج ابن عساكر عن محمد بن منصور قال قال المأمون من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من هو دونه وأخرج عن سعيد بن مسلم قال قال المأمون لوددت ان أهل الجرائم عرفوا رأيي في العفو ليذهب عنهم الخوف ويخلص السرور الى قلوبهم وأخرج عن ابراهيم بن سعيد الجوهري قال وقف رجل بين يدي المأمون قد جنى جناية فقال له والله لاقتلنك فقال يا أمير المؤمنين تأن على فان الرفق نصف العفو قال وكيف وقد حلفت لاقتلنك فقال لان تلقى الله حانثا خير من أن تلقاه قاتلا فخلى سبيله وأخرج الخطيب عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح قال بت عند المأمون ليلة فنام القيم الذي كان يصلح السراج فقام المأمون وأصلحه وسمعته يقول ربما أكون في المتوضأ فيشتمني الخدام ويفترون علي ولا يدرون أني أسمع فاعفو عنهم وأخرج الصولي عن عبد الله ابن البواب قال كان المأمون يحلم حتى يغيظنا وجلس مرة يستاك على دجلة من وراء ستر ونحن قيام بين يديه فمر ملاح وهو يقول أتظنون ان هذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه قال فوالله مازاد على ان تبسم وقال لنا ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل وأخرج الخطيب عن يحيى بن أكثم قال ما رأيت أكرم من المأمون بت عنده ليلة فأخذه سعال فرأيته يسد فاه بكم قميصه حتى لا أنتبه وكان يقول أول العدل أن يعدل الرجل في بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ الى الطبقة السفلى وأخرج ابن عساكر عن يحيى بن خالد البرمكي قال قال لي المأمون يا يحيى اغتنم قضاء حوائج الناس فان الفلك أدور والدهر أجور من أن يترك لاحد حالا أو يبقي لاحد نعمة وأخرج عن عبد الله بن محمد الزهري قال قال المأمون غلبة الحجة أحب الي من غلبة القدرة لان غلبة القدرة تزول بزوالها وغلبة الحجة لا يزيلها شيء وأخرج عن العتبي قال سمعت المأمون يقول من لم يحمدك على حسن النية لم يشكرك على جميل الفعل وأخرج عن أبي العالية قال سمعت المأمون يقول ما أقبح اللجاجة بالسلطان وأقبح من ذلك الضجر من القضاة قبل التفهيم وأقبح منه سخافة الفقهاء بالدين وأقبح منه البخل بالاغنياء والمزاح بالشيوخ والكسل بالشباب والجبن بالمقاتل وأخرج عن علي بن عبد الرحيم المروزي قال قال المأمون أظلم الناس لنفسه من يتقرب الى من يبعده ويتواضع لمن لا يكرمه ويقبل مدح من لا يعرفه وأخرج عن مخارق قال أنشدت المأمون قول أبي العتاهية شعرا

واني لمحتاج الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

فقال لي أعده فأعدت سبع مرات فقال لي يا مخارق خذ مني الخلافة وأعطني هذا الصاحب وأخرج عن هدبة ابن خالد قال حضرت غداء المأمون فلما رفعت المائدة جعلت ألتقط ما في الارض فنظر الي المأمون فقال اما شبعت قلت بلى ولكن حدثني حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أكل ما تحت مائدة أمن من الفقر فأمر لي بألف دينار وأخرج عن الحسن بن عبدوس الصفار قال لما تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل أهدى الناس الى الحسن فاهدى له رجل فقير مزودين في أحدهما ملح وفي الآخر أشنان وكتب اليه جعلت فداك خفة البضاعة قصرت ببعد الهمة وكرهت ان تطوى صحيفة أهل البر ولا ذكر لي فيها فوجهت اليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته وبالمختوم به لطيبه ونظافته فأخذ الحسن المزودين ودخل بهما على المأمون فاستحسن ذلك وأمر بهما ففرغا وملئا دنانير وأخرج الصولي عن محمد بن القاسم قال سمعت المأمون يقول انا والله ألذ العفو حتى أخاف ان لا أوجر عليه ولو علم الناس مقدار محبتي للعفو لتقربوا الى بالذنوب وأخرج الخطيب عن منصور البرمكي قال كان للرشيد جارية وكان المأمون يهواها فبينما هي تصب على الرشيد من ابريق معها والمأمون خلفه اذ اشار اليها بقبلة فزجرته بحاجبها وأبطأت عن الصب فنظر اليها

والى أذربيجان في التدبير عليه فبادر الى الافشين وقبض عليه وقتله وكان سبب ذلك السعي الخفي والنميم فينبغي للملك أن يتثبت فيما ينقل اليه ويحقق صدق النقل ولا يعجل وما أشبه هذا بحديث كليلة ودمنة

(الباب الثالث في آداب الاولاد والاقارب وحسن السيرة معهم)

يتعين على الملك ان يجتهد في ان يكون له ولد صالح يخلفه في ملكه ويبقي ذكره من بعده قال النبي عليه الصلاة والسلام اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ثم لا ينبغي للملك أن تكون رغبته في تكثيرهم بل في تجويدهم فاول ما ينبغي له أن ينتخب الامهات ذوات الاصالة والصباحة والملاحة والسلامة في الاعضاء والحواس وجودة الاخلاق وكرائم الطباع وليختر لذلك زمن الربيع وفي الاسحار وعند السرور والنشاط والانبساط فاذا جاءه الولد أحسن تسميته واختار له المراضع لتعتدل طباعه وتتكامل هيئته ثم اذا ترعرع يعلمه الخط والقراءة ويهذب لسانه على الفصاحة ويوكل بتربيته من يثق بأمانته وشفقته ثم يعلمه الركوب والفروسية والرمي والطعان وجميع ما يحتاج اليه أهل الحرب *وكان بعض الملوك يرى ان يربي ولده في التعب والشقاء وربما يسفره لتتهذب أخلاقه وطباعه ويمرن على التعب والنصب فاذا وجد الراحة عرف قدرها وأشفق على أهل

الشفاء وفيه فائدة أخرى وذلك انه ان طرأ عليه طارئ من التعب وما أشبهه وجد الولد عنده من الصبر والاستعداد له ما لا يؤثر ذلك عنده

هرون فقال ماهذا افتاتا على فقال ان لم تخبرني لأقتلنك فقالت أشارت الى عبد الله بقبلة فالتفت اليه واذا هو قد نزل به من الحياء والرعب ما رحمه منه فاعتنقه وقال أتحبها قال نعم قال قم فادخل بها في تلك القبة فقام فلما خرج قال له قل في هذا شعرا فقال

ظبي كنيت بطرفي * عن الضمير اليه   قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه
ورد أحسن رد * بالكسر من حاجبيه   فما برحت مكاني * حتى قدرت عليه

وأخرج ابن عساكر عن أبي خليفة الفضل بن الحباب قال سمعت بعض النخاسين يقول عرضت على المأمون جارية شاعرة فصيحة متأدبة شطرنجية فساومته في ثمنها بألفي دينار فقال المأمون ان هي أجازت بيتا أقوله ببيت من عندها اشتريتها بما تقول وزدتك فأنشد المأمون شعرا

ماذا تقولين فيمن شفه أرق * من جهد حبك حتى صار حيرانا
فأجازته شعرا   اذا وجدنا محبا قد أضر به * داء الصبابة أوليناه احسانا

وأخرج الصولي عن الحسن الخليع قال لما غضب على المأمون ومنعني رزقي عملت قصيدة أمتدحه بها ودفعتها الى من أوصلها اليه وأولها

أجرني فاني قد ظمئت الى الوعد * متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد
أعيذك من خلف الملوك وقد ترى * تقطع أنفاسي عليك من الوجد
أيبخل فرد الحسن عني بنائل * قليل وقد أفردته بهوى فرد
الى ان قال شعرا   رأى الله عبد الله خير عباده * فملكه والله أعلم بالعبد
ألا انما المأمون للناس عصمة * مفرقة بين الضلالة والرشد

فقال المأمون قد أحسن الا انه القائل

أعيناي جودا وابكيا لي محمدا * ولا تذخرا دمعا عليه وأسعدا
فلا تمت الاشياء بعد محمد * ولا زال شمل الملك فيه مبددا
ولا فرح المأمون بالملك بعده * ولا زال في الدنيا طريدا مشردا

فهذا بذاك ولا شيء له عندنا فقال له الحاجب فأين عادة أمير المؤمنين في العفو فقال اما هذا فنعم فأمر له بجائزة ورد رزقه عليه وأخرج عن علية حماد بن اسحق قال لما قدم المأمون بغداد جلس للمظالم كل يوم أحد الى الظهر وأخرج عن محمد بن العباس قال كان المأمون يحب لعب الشطرنج شديدا ويقول هذا يشحذ الذهن واقترح فيها أشياء وكان يقول لا أسمع أحدا يقول تعال حتى نلعب ولكن يقول نتزاول أو نتناقل ولم يكن حاذقا بها وكان يقول انا أدبر الدنيا فاتسع لذلك وأضيق عن تدبير شبرين في شبرين وأخرج عن ابن أبي سعيد قال هجا دعبل المأمون فقال شعرا

اني من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فلما سمعها المأمون لم يزد على ان قال ما أقل حياء دعبل متى كنت خاملا وقد نشأت في حجر الخلفاء ولم يعاقبه وأخرج من طرق عدة ان المأمون كان يشرب النبيذ وأخرج عن الجاحظ قال كان أصحاب المأمون يزعمون ان لون وجهه وجسده لون واحد سوى ساقيه فانهما صفراوان كأنما طليتا بالزعفران وأخرج عن اسحاق الموصلي قال قال المأمون ألذ الغناء ما طرب له السامع خطأ كان أو صوابا وأخرج عن علي بن الحسين قال كان محمد بن حامد واقفا على رأس المأمون وهو يشرب فاندفعت عريب تغنت بشعر النابغة الجعدي * ع * كحاشية البرد

* ولما ولد للملك يزدجرد ولده بهرام جور دفعه للنعمان بن المنذر ملك العرب ليكون في حضانته فاختار له المراضع والدايات وعلمه الفروسية والمطاردات ولما بلغ وحذق وبرع في جميع آداب الملوك مات والده وولي بعض أقاربه لكراهة الناس في والده فجمع النعمان جموع العرب وسار الى بلاد الفرس حتى خاص له الملك وأجلسه على سريره والقصة مشهورة (وينبغي) للولد ان يكون مع الوالد كالعبد مع السيد يسابق الى خدمته ويبادر الى اجابة دعوته ولا يهجم عليه في وقت خلوته ولا يخاطب أحدا في مجلسه ولا يحدق النظر اليه ولا يرفع صوته عليه ويتبع أغراضه ويقتفي آثاره ويأتمر بأمره وينتهي بزجره ولا يتصرف في الامور الا باذنه ويتلطف في بره ولا يلح عليه في الحاجات ولا يزاحمه في باب العطاء والاطلاق الا أن يكون قد ندبه لذلك ولا يشفع في عدو ولا مسخوط الا بعد الاذن في ذلك أو بعد ان تلوح له اشارات الرضا واذا رأى الملك فيه النجابة والكفاية فليقلده ويكل الاشغال اليه ليتدرب ويتمرن حتى اذا صار الامر اليه يكون قد خبر وجرب وان كان فيه تقصير فيعزله ولا يوليه فيختل أمره بسببه (وقال) أهل السياسة لا شيء أضر على الملوك من تمكين الاولاد والاقارب من بلوغ الاغراض

الهماني المسهم * فأنكر المأمون ان لا تكون ابتدأت بشئ فأمسك القوم فقال نفيت من الرشيد لئن لم أصدق عن هذا الاقرن بالضرب الوجيع عليه ثم لاعاقبن عليه أشد العقوبة ولئن صدقت لابلغن الصادق أمله فقال محمد بن حامد أنا ياسيدي أومأت اليها بقبلة فقال الآن جاء الحق صدقت أتحب أن أزوجك بها قال نعم فقال المأمون الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين لقد زوجت محمد بن حامد غريب مولاتي ومهرتها عنه أربعمائة درهم على بركة الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم خذ بيدها فقامت معه فصار المعتصم الى الدهليز فقال له الدلالة قال لك ذاك قال دلالتي ان تغنيني الليلة فلم تزل تغنيه الى السحر وابن حامد على الباب ثم خرجت فأخذت بيده ومضت معه وأخرج عن ابن أبي داود قال أهدى ملك الروم الى المأمون هدية فيها مائتا رطل مسك ومائتا جلد سمور فقال أضعفوها له ليعلم عز الاسلام وأخرج عن ابراهيم بن الحسن قال قال المدائني للمأمون ان معاوية قال بنو هاشم أسود واحداء ونحن أكثر سيدا فقال المأمون انه قد أقر وادعى فهو في ادعائه خصم وفي اقراره مخصوم وأخرج عن أبي امامة قال حدثني بعض أصحابنا أن أحمد بن أبي خالد قرأ القصص يوما على المأمون فقال فلان الثريدي وهو اليزيدي فضحك المأمون وقال ياغلام هات طعاما لابي العباس فانه أصبح جائعا فاستحيى وقال ما أنا بجائع ولكن صاحب القصة أحمق نقط الياء بنقط الثاء فقال على ذلك فجاءه بطعام فأكل حتى انتهى ثم عاد فقرأ في قصة فلان الحمصي فقال الخبيصي فضحك المأمون وقال ياغلام جامة فيها خبيص فقال ان صاحب القصة كان أحمق فتح الميم فصارت كأنها سنتان فضحك وقال لولا حمقهما لبقيت جائعا وأخرج عن أبي عباد قال ما أظن الله خلق نفسا هي أنبل من نفس المأمون ولا أكرم وكان قد عرف شره أحمد بن أبي خالد فكان اذا وجهه في حاجة غداه قبل ان يرسله ورفع اليه في قصة ان رأى أمير المؤمنين ان يجري على ابن أبي خالد نزلا فانه يعين الظالم بأكله فأجرى عليه المأمون ألف درهم كل يوم لمائدته وكان مع هذا يشره الى طعام الناس فقال دعبل الشاعر

شكرنا الخليفة اجراءه * على ابن أبي خالد نزله
فكف أذاه عن المسلمين وصير في بيته شغله

وأخرج عن ابن أبي دؤاد قال سمعت المأمون يقول لرجل انما هو غدر أو عن قدو هيبة الملك ولا تزال تسيء وأحسن وتذنب وأغفر حتى يكون العفو هو الذي يصلحك وأخرج عن الجاحظ قال قال ثمامة بن أشرس ما رأيت رجلا أبلغ من جعفر بن يحيى البرمكي والمأمون وأخرج السلفي في الطيوريات عن حفص المدايني قال أتى المأمون باسود قد ادعى النبوة وقال أنا موسى بن عمران فقال له المأمون ان موسى بن عمران أخرج يده من جيبه بيضاء فأخرج يدك بيضاء حتى أومن بك فقال الاسود انما جعل ذلك لموسى لما قال له فرعون أنا ربكم الاعلى فقل أنت كما قال فرعون حتى أخرج يدي بيضاء والا لم تبيض وأخرج أيضا ان المأمون قال ما انفتق على فتق الا وجدت سببه جور العمال وأخرج ابن عساكر عن يحيى بن أكثم قال كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء فجاء رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله في يده فوقف على طرف البساط وقال السلام عليكم فرد عليه المأمون فقال أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت فيه جلسته باجتماع الامة أم بالمغالبة والقهر قال لا بهذا ولا بهذا بل كان يتولى أمر المسلمين من عقد لي ولأخي فلما صار الامر الي علمت اني محتاج الى اجتماع كلمة المسلمين في المشرق والمغرب على الرضى بي فرأيت اني متى خليت الامر اضطرب حبل الاسلام ومرج أمرهم وتنازعوا وبطل الجهاد والحج وانقطعت السبل فقمت حياطة للمسلمين الى ان يجمعوا على رجل يرضون به فأسلم اليه الامر فمتى اتفقوا على رجل خرجت له من الامر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وذهب وأخرج عن محمد بن المنذر الكندي قال حج الرشيد فدخل الكوفة فطلب المحدثين فلم يتخلف الا عبد

ونيل المطالب مع نقصان التدبير وضعف التمييز فانه يؤدي الى خال عظيم فأما من كان من الاولاد والاقارب ممن فيه نجابة ورأى الملك ان يفوض الى أحدهم ولاية العهد فلا يكن بعد فكرة تامة واختبار ومشورة ثم اذا عزم على ذلك فليكتب كتاب العهد ويشهد فيه أهل المشورة ثم ان شاء كتمه وأوصاهم بكتمانه وأودع الكتاب حيث يثق وان شاء أظهر ذلك ومكن ولي العهد من التصرف والعطاء والاقطاع ولم يستصوب رأي العقلاء غير أحد هذين القسمين والاندم فانه ان أظهر له الولاية وحجر عليه التصرف وضيق عليه استطال حياة أبيه وتمنى فقده فيجب الحزم في مبادي الامور وقد كان بعض أهل السياسات يرى ترك ذلك (ويجب) على الملك ان يضبط أقاربه وأهله ولا يمكنهم من الامر فان لهم ادلالا على الممالك تورط في المهالك فيفوض الامور الى الكفاة منهم ويكف من خاف منه نوعا من أنواع التعدي مع ارغاد عيشهم والتوسعة عليهم

(الباب الرابع في أمر الحرم وسياستهن)

قيل ان الملوك تعفو عن كل شئ الا عن ثلاثة القدح في الملك وافشاء الاسرار والتعرض الى الحرم والملك على الحقيقة هو راعي الحرم والدافع عنها بأمرها فلتكن حمايته لحرمه أشد وأبلغ ولتكن حميته وغيرته أتم وأكمل وكانت الحزمة من الملوك لا يكثرون من عدد النساء بل يخترن ويستجودن واتخاذ العدد الكثير منهن بعيد عن الانصاف

الله بن ادريس وعيسى بن يونس فبعث اليهما الامين والمأمون فحدثهما ابن ادريس بمائة حديث فقال المأمون يا عم أتأذن لى أن أعيدها من حفظى قال افعل فأعادها فعجب من حفظه وقال بعضهم استخرج المأمون كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرس هكذا ذكره الذهبى مختصرا وقال الفاكهى أول من كسا الكعبة الديباج الابيض المأمون واستمر ذلك بعده الى أيام الخليفة الناصر الا أن محمود بن سبكتكين كساها فى خلال هذه المدة ديباجا أصفر ومن كلام المأمون لا نزهة ألذ من النظر فى عقول الرجال وقال أعيت الحيلة فى الامر اذا أقبل ان يدبر واذا أدبر ان يقبل وقال أحسن المجالس ما نظر فيه الى الناس وقال الناس ثلاثة فمنهم مثل الغذاء لا بد منه على كل حال ومنهم كالدواء يحتاج اليه فى حال المرض ومنهم كالداء مكروه على كل حال وقال ما أعيانى جواب أحد مثل ما أعيانى جواب رجل من أهل الكوفة قدمه أهلها فشكا عاملهم فقلت كذبت بل هو رجل عادل فقال صدق أمير المؤمنين وكذبت أنا قد خصصتنا به فى هذه البلدة دون باقى البلاد واستعمله على بلد آخر يشملهم من عدله وانصافه مثل الذى شملنا فقلت قم فى غير حفظ الله قد عزلته عنكم ومن شعر المأمون

لسانى كتوم لاسراركم * ودمعى نموم لسرى مذيع
فلولا دموعى كتمت الهوى * ولولا الهوى لم يكن لى دموع

وله فى الشطرنج شعر

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين الفين معروفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها حيلا * من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى فطن جالت بمعرفة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

وأخرج الصولى عن محمد بن عمرو قال دخل أصرم بن حميد على المأمون وعنده المعتصم فقال يا أصرم صفنى وأخى ولا تفضل واحدا منا على صاحبه فأنشد بعد قليل

رأيت سفينة تجرى ببحر * الى بحرين دونهما البحور
الى ملكين ضوؤهما جميعا * سواء حار دونهما البصير
كلا الملكين يشبه ذاك هذا * وذا هذا وذاك وذا أمير
فان يك ذاك ذا وذاك هذا * فلى فى ذا وذاك معا سرور
رواق المجد ممدود على ذا * وهذا وجهه بدر منير

ذكر أحاديث من رواية المأمون قال البيهقى سمعت الامام أبا عبد الله الحاكم قال سمعت أبا أحمد الصيرفى سمعت جعفر بن أبى عثمان الطيالسى يقول صليت العصر فى الرصافة خلف المأمون فى المقصورة يوم عرفة فلما سلم كبر الناس فرأيت المأمون خلف الدرابزين وهو يقول لا يا غوغاء لا يا غوغاء غدا سنة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم فلما كان يوم الاضحى حضرت الى الصلاة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا حدثنا هشيم بن بشير حدثنا ابن شبرمة عن الشعبى عن البراء بن عازب عن أبى بردة بن دينار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذبح قبل أن يصلى فانما هو لحم قدمه ومن ذبح بعد أن يصلى فقد أصاب السنة الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا اللهم أصلحنى واستصلحنى وأصلح على يدى قال الحاكم هذا حديث لم نكتبه الا عن أبى أحمد وهو عندنا ثقة مأمون ولم يزل فى القلب منه شئ حتى ذاكرت به أبا الحسن الدارقطنى فقال هذه الرواية عندنا صحيحة عن جعفر فقلت هل من متابع فيه لشيخنا أبى أحمد

خلاف هذا الرأى فيكثر فى العدد حتى بلغت عدتهن عند بعض الاكاسرة ستة آلاف واحدة وكانت لجماعة من خلفاء بنى العباس الالاف وما جاوزها وكذلك لجماعة من ملوك بنى سامان وللامير تميم صاحب افريقية عدد كثير قيل انه عمر حتى رأى من نسله ألف ولد ذكور اواناثا أكثرهم لصلبه ومنهم أولاد اولاده وهذه افراطات تنافى الاعتدال وتخرج عن المصلحة وينبغى ان لا يكثر الجلوس مع النساء ولا يطيل الحديث معهن فان فيه من التحليل للقوة التمييزية والغضبية كثيرا لظهر أثره وانما ينبغى ان يكون عند كلال الجسد وملال الخاطر فى وسط النهار وبعض الليل والمختار منهن ما شرف جنسه وحسن منظره وكمل أدبه (وقد) صنف الناس فى أصناف النساء واختيار الجوارى من الكتب ما ان شرح زيادة عن قدر الحاجة طال الكتاب وانما أذكر شيأ على سبيل الاجمال قيل من أراد النجابة فبنات فارس ومن اراد الخدمة فبنات قيصر ومن أراد اللذة فبنات بربر والمولدات (وقيل) الوجوه فى الترك والاجسام فى الروم والشعور بالخطا وفارس والعيون بالحجاز والخصور باليمن (وقيل) تختار الترك للاولاد والروم للخدمة والمولدات للذة والاستمتاع والغناء لان طباعهن أعدل وأصواتهن أندى والزنج للزمر والبراع لان فى طبعهن

فقال نعم ثم قال حدثنى الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات حدثنى أبو الحسين محمد بن عبد الرحمن الروزبادى حدثنا محمد بن عبد الملك التاريخى قال الدارقطنى وما فيهم الا ثقة مأمون حدثنا جعفر الطيالسى حدثنا يحيى ابن معين قال سمعت المأمون فذكر الخطبة والحديث وقال الصولى حدثنا جعفر الطيالسى حدثنا يحيى بن معين قال خطبنا المأمون ببغداد يوم الجمعة ووافق يوم عرفة فلما سلم كبر الناس فانكر التكبير ثم وثب حتى أخذ بخشب المقصورة وقال يا غوغاء ما هذا التكبير فى غير أيامه حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال يلبى حتى رمى جمرة العقبة والتكبير فى غد ظهرا عند انقضاء التلبية ان شاء الله تعالى وقال الصولى حدثنا أبو القاسم البغوى حدثنا أحمد بن ابراهيم الموصلى قال كنا عند المأمون فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلق عيال الله فأحب عباد الله الى الله عز وجل أنفعهم لعياله فصاح المأمون وقال اسكت أنا أعلم بالحديث منك حدثنيه يوسف بن عطية الصفار عن ثابت عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الخلق عيال الله فأحب عباد الله الى الله أنفعهم لعياله أخرجه من هذا الطريق ابن عساكر وأخرجه أبو يعلى الموصلى فى مسنده وغيره من طرق عن يوسف بن عطية وقال الصولى حدثنا المسيح بن حاتم العكلى حدثنا عبد الجبار بن عبد الله قال سمعت المأمون يخطب فذكر فى خطبته الحياء فوصفه ومدحه ثم قال حدثنا هشيم عن منصور عن الحسن عن أبى بكرة وعمران ابن حصين قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان والايمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار (أخرجه ابن عساكر من طريق يحيى بن أكثم عن المأمون) وقال الحاكم حدثنا محمد بن أحمد بن تميم حدثنا الحسين بن فهم حدثنا يحيى بن أكثم القاضى قال قال لى المأمون يوما يا يحيى انى أريد ان أحدث فقلت ومن أولى بهذا من أمير المؤمنين فقال ضعوا لى منبرا فصعد وحدث فاول حديث حدثنا به عن هشيم عن أبى الجهم عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء الى النار ثم حدث بنحو من ثلاثين حديثا ثم نزل فقال لى يا يحيى كيف رأيت مجلسنا قلت أجل مجلس يا أمير المؤمنين تفقه الخاصة والعامة فقال لا وحياتك ما رأيت لكم حلاوة وانما المجلس لاصحاب الخلقان والمحابر وقال الخطيب حدثنا أبو الحسن على بن القاسم الشاهد حدثنا أبو على الحسن بن محمد بن عثمان حدثنا الحسين بن عبيد الله الابزارى حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال لما فتح المأمون مصر قال له قائل الحمد لله يا أمير المؤمنين الذى كفاك أمر عدوك وأدان لك العراقين والشامات ومصر وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ويحك الا انه بقيت لى خلة وهو ان أجلس فى مجلس ويستملى يحيى فيقول لى من ذكرت رضى الله عنك فأقول حدثنا الحمادان حماد بن سلمة وحماد بن زيد قالا حدثنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من عال ابنتين أو ثلاثا أو اختين أو ثلاثا حتى يبن أو يموت عنهن كان معى كهاتين فى الجنة وأشار بالمسبحة والوسطى قال الخطيب فى هذا الخبر غلط فاحش ويشبه ان يكون المأمون رواه عن رجل عن الحمادين وذلك ان مولد المأمون سنة سبعين ومائة ومات حماد بن سلمة فى سنة سبع وستين قبل مولده بثلاث سنين واما حماد بن زيد فمات فى سنة تسع وسبعين وقال الحاكم حدثنا محمد بن يعقوب بن اسمعيل الحافظ حدثنا محمد بن اسحق الثقفى حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال وقف المأمون يوما للاذان ونحن وقوف بين يديه اذ تقدم اليه رجل غريب بيده محبرة فقال يا أمير المؤمنين صاحب حديث منقطع به فقال له المأمون ايش تحفظ فى باب كذا فلم يذكر فيه شيأ فمازال المأمون يقول حدثنا هشيم وحدثنا حجاج وحدثنا فلان حتى ذكر الباب ثم سأله عن باب ثان فلم يذكر فيه شيأ فذكره المأمون ثم نظر الى أصحابه فقال يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ثم يقول انا من أصحاب الحديث اعطوه ثلاثة دراهم وقال ابن عساكر حدثنا محمد بن ابراهيم الغزى حدثنا أبو بكر محمد بن

محبة الايقاع وأكثر السودان كذلك والحبش للحفظ وخزن المال والنوبة للطبخ والارمن للتربية والرضاع وقد كان فى الرسم الاول ظهور الجوارى غير السرارى وتصرفهن فى الخدمة بارزات غير متسترات مثل الاستئذان عليهم والوقوف بين ايديهم للترويح ومناولة ما تدعو الحاجة اليه من طعام وشراب ثم اتخذ لذلك الخصيان ليتناولوا ذلك من النساء ويحضروه عند الرجال ثم اتخذ بعد ذلك الصغار من المماليك (وأما) السماع فكانت الملوك المتقدمون والخلفاء الذين يسمعون الغناء يحضرون الندماء فى مجالسهم والجوارى يغنين من وراء الستائر وكانت هذه منهم خلة غير مرضية لكن يستحب ممن يحضر مجالس الملوك لذلك أو لغيره ان يكون فيه من العفة والنزاهة والثبات ما تحمد عاقبته والا فهو على خطر (يحكى) ان بعض الملوك جاءته هدية سنية فيها ثياب فاخرة وحلى وجوهر نفيس وعنده جارية له حظية فخيرها الملك بين الثياب أو الحلى فتحيرت ونظرت الى الوزير وهو بين يديه كالمستشير له فغمزها على أخذ الحلى وحانت من الملك التفاتة اليهما فرآهما فأخذت الثياب حتى لا يفطن لها وأقام الوزير مدة عشرة أعوام يكسر على عينه كلما دخل على الملك حتى اعتقد الملك ان تلك عادة والوقائع فى هذا المعنى كثيرة والكتب بذلك مشحونة * ولما اجتمع محمد الباقر رضى الله عنه بالحجاج وجادله وقهره أحضر له جارية جميلة وفرسا راتعا سابقا وألف دينار

وقال له اختر من هذه الثلاثة واحدا فتفكر في نفسه وقال اخترت الفرس فغمزته الجارية تريد أن ينقذها من الحجاج فأنشد محمد الباقر يقول

اسمعيل بن السرى التفليسى حدثنا أبو عبد الرحمن السلمى أخبرنى عبيد الله بن محمد الزاهد العكبرى حدثنا عبد الله بن محمد بن مسيح حدثنا محمد بن المغلس حدثنا محمد بن السرى القنطرى حدثنا على بن عبد الله قال قال يحيى ابن أكثم بت ليلة عند المأمون فانتبهت فى جوف الليل وانا عطشان فتقلبت فقال يحيى ماشأنك قلت عطشان فوثب من مرقده فجاءنى بكوز من ماء فقلت يا أمير المؤمنين ألا دعوت بخادم ألا دعوت بغلام قال لاحدثنى أبى عن أبيه عن جده عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد القوم خادمهم وقال الخطيب حدثنا الحسن بن عثمان الواعظ حدثنا جعفر بن محمد بن أحمد بن الحاكم الواسطى حدثنى أحمد بن الحسن الكسائى حدثنا سليمان بن الفضل النهروانى حدثنى يحيى بن أكثم فذكر نحوه الا أنه قال حدثنى الرشيد حدثنى المهدى حدثنى المنصور عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس حدثنى جرير بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيد القوم خادمهم وقال ابن عساكر حدثنا أبو الحسن على بن أحمد حدثنا القاضى أبو المظفر هناد بن ابراهيم النسفى حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الغنجار حدثنا أبو أحمد على بن محمد بن عبد الله المروزى حدثنا أبو العباس عيسى بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن الكاتب حدثنى محمد بن قدامة بن اسمعيل صاحب النضر بن شميل حدثنا أبو حذيفة البخارى قال سمعت المأمون أمير المؤمنين يحدث عن أبيه عن جده عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مولى القوم منهم قال محمد بن قدامة فبلغ المأمون ان أبا حذيفة يحدث بهذا عنه فأمر له بعشرة آلاف درهم وفى أيام المأمون أحصيت أولاد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفا ما بين ذكر وأنثى وذلك فى سنة مائتين وفى أيامه مات من الاعلام سفيان بن عيينة والامام الشافعى وعبد الرحمن بن مهدى ويحيى بن سعيد القطان ويونس بن بكير راوى المغازى وأبو مطيع البلخى صاحب أبى حنيفة رحمه الله ومعروف الكرخى الزاهد واسحق بن بشر صاحب كتاب المبتدا واسحق بن الفرات قاضى مصر من أجلة أصحاب مالك وأبو عمرو الشيبانى اللغوى واشهب صاحب مالك والحسن بن زياد اللؤلؤى صاحب أبى حنيفة وحماد بن اسامة الحافظ وروح بن عبادة وزيد بن الحباب وأبو داود الطيالسى والغازى بن قيس من أصحاب مالك وأبو سليمان الدارانى الزاهد المشهور وعلى الرضى بن موسى الكاظم والفراء امام العربية وقتيبة ابن مهران صاحب الامالة وقطرب النحوى والواقدى وأبو عبيدة معمر بن المثنى والنضر بن شميل والسيدة نفيسة وهشام أحد النحاة الكوفيين واليزيدى ويزيد بن هرون ويعقوب بن اسحق الحضرمى قارئ البصرة وعبد الرزاق وأبو العتاهية الشاعر وأسد السنة وأبو عاصم النبيل والفريابى وعبد الملك بن الماجشون وعبد الله بن الحكم وأبو زيد الانصارى صاحب العربية والاصمعى وخلائق آخرون

(المعتصم بالله أبو اسحق محمد بن الرشيد)

المعتصم بالله أبو اسحق محمد بن الرشيد ولد سنة ثمانين ومائة كذا قال الذهبى وقال الصولى فى شعبان سنة ثمان وسبعين وأمه أم ولد من مولدات الكوفة اسمها ماردة وكانت أحظى الناس عند الرشيد روى عن أبيه وأخيه المأمون روى عنه اسحق الموصلى وحمدون بن اسمعيل وآخرون وكان ذا شجاعة وقوة وهمة وكان عريا من العلم فروى الصولى عن محمد بن سعيد عن ابراهيم بن محمد الهاشمى قال كان مع المعتصم غلام فى الكتاب يتعلم معه فمات الغلام فقال له الرشيد أبوه يا محمد مات غلامك قال نعم ياسيدى واستراح من الكتاب فقال وان الكتاب ليبلغ منك هذا دعوه لا تعلموه قال فكان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة وقال الذهبى كان المعتصم من أعظم الخلفاء وأهيبهم لولا ماشان سودده بامتحان العلماء بخلق القرآن وقال نفطويه والصولى للمعتصم مناقب وكان يقال له المثمن لانه ثامن الخلفاء من بنى العباس والثامن من ولد العباس وثامن أولاد الرشيد وملك سنة ثمان عشرة وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ومولده سنة ثمان وسبعين وعاش ثمانيا وأربعين سنة وطالعه العقرب

لصادلة اللجام برأس طرف أحب الى مما تغمزينى أخاف لأن يمر بنا مضيق فيمنعك الردى أن تلحقينى فقال الحجاج كأنك غمزتيه ياخبيثة خذها فلاخير فيها فركب الفرس وأردف الجارية فكأنه طار فى الهواء أو غاص فى الارض لان الحجاج طلبه عقيب ذلك فلم يوجد * فينبغى للملك ان يفرد لكل جارية مكانا ويجعل أقربهن اليه أقلهن غيرة عليه فان الافراط فى الغيرة يحمل على المكاره فيحترز من اطلاع بعضهن على مكانة بعض بل يظهر لكل واحدة أنها أحظى الجميع (ويروى) فى الصحاح عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه ويعدل ويقول اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك يعنى القلب * ويروى من غير الصحاح انه عليه السلام أعطى لكل واحدة تفاحة سرا وأمرها أن تكتم ذلك عن صواحبها ثم قالت له عائشة بمجمع منهن أى نسائك أحب اليك يارسول الله فقال صاحبة التفاحة فسر ذلك جميعهن ولم يشعرن وحق على الملك ان لا يتعرض الى حرم جيشه ورعيته فانه اذا اشتغل بذلك مع القدرة لم يتمنع عليه شئ فيكون قد أساء المملكة وضيع حق السياسة فتوغر عليه الصدور وينفر عنه الجمهور * ويجب أن يكون غيورا على حرم

وهو

وهو ثامن برج وفتح ثمانية فتوح وقتل ثمانية أعداء وخلف ثمانية أولاد ذكور ومن الاناث كذلك ومات لثمان بقين من ربيع الاول وله محاسن وكلمات فصيحة وشعر لا بأس به غير انه اذا غضب لا يبالى من قتل وقال ابن أبى دؤاد كان المعتصم يخرج ساعده الى ويقول يا أبا عبد الله عض ساعدى باكثر قوتك فأمتنع فيقول انه لا يضرنى فأروم ذلك فاذا هو لا تعمل فيه الاسنة فضلا عن الاسنان وقال نفطويه وكان من أشد الناس بطشا كان يجعل زند الرجل بين أصبعيه فيكسره وقال غيره هو أول خليفة ادخل الاتراك الديوان وكان يتشبه بملوك الاعاجم ويمشى مشيهم وبلغت غلمانه الاتراك بضعة عشر ألفا وقال ابن يونس هجا دعبل المعتصم ثم نذر به فخاف وهرب حتى قدم مصر ثم خرج الى المغرب والابيات التى هجاه بها هذه

ملوك بنى العباس فى الكتب سبعة * ولم يأتنا فى ثامن منهم الكتب
كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة * غداة ثووا فيه وثامنهم كلب
وانى لازهى كلبهم عنك رغبة * لانك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم * وصيف وأشناس وقد عظم الخطب
وانى لارجو ان ترى من مغيبها * مطالع شمس قد يغص بها الشرب
وهمك تركى عليه مهانة * فأنت له أم وأنت له أب

بويع له بالخلافة بعد المأمون فى شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين فسلك ما كان المأمون عليه وختم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن فكتب الى البلاد بذلك وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك وقاسى الناس منه مشقة فى ذلك وقتل عليه خلقا من العلماء وضرب الامام أحمد بن حنبل وكان ضربه فى سنة عشرين وفيها تحول المعتصم من بغداد وبنى سر من رأى وذلك أنه اعتنى باقتناء الترك فبعث الى سمرقند وفرغانة والنواحى فى شرائهم وبذل فيهم الاموال وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب فكانوا يطاردون خيلهم فى بغداد ويؤذون الناس وضاقت بهم البلد فاجتمع اليه أهل بغداد وقالوا ان لم تخرج عنا بجندك حاربناك قال وكيف تحاربوننى قالوا بسهام الاسحار قال لا طاقة لى بذلك فكان ذلك سبب بنائه سر من رأى وتحوله اليها وفى سنة ثلاث وعشرين غزا المعتصم الروم فانكاهم نكاية عظيمة لم يسمع بمثلها الخليفة وشتت جموعهم وخرب ديارهم وفتح عمورية بالسيف وقتل منها ثلاثين ألفا وسبى مثلهم وكان لما تجهز لغزوها حكم المنجمون ان ذلك طالع نحس وانه يكسر فكان من نصره وظفره ما لم يخف فقال فى ذلك أبو تمام قصيدته المشهورة وهى هذه

السيف أصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب
والعلم فى شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
أين الرواية أم أين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة * ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

مات المعتصم يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين وكان قد ذلل العدو بالنواحى ويقال انه قال فى مرض موته حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ولما احتضر جعل يقول ذهبت الحيلة فليس حيلة وقيل جعل يقول أوخذ من بين هذا الخلق وقيل انه قال اللهم انك تعلم انى أخافك من قبلى ولا أخافك من قبلك وأرجوك من قبلك ولا أرجوك من قبلى ومن شعره

قرب النحام واعجل يا غلام * واطرح السرج عليه واللجام
أعلم الاتراك انى خائض * لجة الموت فمن شاء أقام

وكان قد عزم على المسير الى أقصى الغرب ليملك البلاد التى لم تدخل فى سلك بنى العباس لاستيلاء الاموى عليها

رعيته زائدا الحد ولا سيما خواصه واذا اطلع على خلل من ذلك أزاله (يحكى) ان عضد الدولة بن بويه كان ينام فى منظرة له ببغداد مشرفة على البلاد فسمع فى بعض الليالى صوت البرادة نصف الليل ليلة بعد اخرى فبعث خادما له لكشف الحال وقال فى نفسه ليس هذا وقت الماء المبرد وربما أن يكون هذا علامة بين أحد وصاحبه ورصد ذلك فأحضر الخادم وأخبره ان شابا من الغلمان الخاصة يتسور كل وقت الى منزل شيخ من التجار وله زوجة حسنة جعلت الامارة بينهما حس البرادة فأحضره واستقره فأقر وضربه وسجنه حتى شفعوا فيه فأخرجه وزوجه بجارية له وأنفذ الى الشيخ التاجر ان لك على حق الجيرة ولست أهتك لك حرمة ولكن استبدل زوجتك بمن تقنع بك فدعا له وشكره وفعل ما أمره به فهذه من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم (ونظير) هذه ما جرى فى زماننا انه بلغنى عن أقجبا النائب بغزة كان ذات ليلة فى سطح دار السلطنة بالقلعة فى الدولة المصرية فى سنة خمس وسبعمائة وهو سهران اذ سمع نصف الليل حس امرأة تصيح فعلم الموضع الذى سمع منه الحس الى ثانى يوم فلما أصبح أحضر المقدمين وأصحاب الارباع وطلع الى السطح وأراهم المكان فعرفوه فقال أريد المرأة التى كانت تصيح نصف الليل وجزم فتلطفوا فى السؤال فوجدوا أن صبيانا من البلد هجموا على امرأة جميلة حرة يغتصبونها على نفسها فادركها الخفراء فانهزموا ولم ينالوا قصدا

فروى الصولى عن أحمد بن الخصيب قال قال لى المعتصم ان بنى أمية ملكوا وما لاحد منا ملك وملكنا نحن ولهم بالاندلس هذا الاموى فقدر ما يحتاج اليه لحاربته وشرع فى ذلك فاشتدت علته ومات وقال الصولى سمعت المغيرة ابن محمد يقول يقال انه لم يجتمع الملوك بباب أحد قط اجتماعها بباب المعتصم ولا ظفر ملك قط كظفره أسر ملك أذربيجان وملك طبرستان وملك استيسان وملك اشباصح وملك فرغانة وملك طخارستان وملك الصفد وملك كابل وقال الصولى وكان نقش خاتمه الحمد لله الذى ليس كمثله شئ ومن أخبار المعتصم أخرج الصولى عن أحمد اليزيدى قال لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان وجلس فيه دخل عليه الناس فعمل اسحق الموصلى قصيدة فيه ما سمع أحد بمثلها فى حسنها الا أنه افتتحها بقوله

يا دار غيرك البلى ومحاك * ياليت شعرى ما الذى أبلاك

فتطير المعتصم وتطير الناس وتغامزوا وتعجبوا كيف ذهب هذا على اسحق مع فهمه وعلمه وطول خدمته الملوك وخرب المعتصم القصر بعد ذلك وأخرج عن ابراهيم بن العباس قال كان المعتصم اذا تكلم بلغ ما أراد وزاد عليه وكان أول من ثرد الطعام وكثره حتى بلغ ألف دينار فى اليوم وأخرج عن أبى العيناء قال سمعت المعتصم يقول اذا نصر الهوى بطل الرأى وأخرج عن اسحق قال كان المعتصم يقول من طلب الحق بماله وعليه أدركه وأخرج عن محمد بن عمر الرومى قال كان للمعتصم غلام يقال له عجيب لم ير الناس مثله قط وكان مشغوفا به فعمل فيه أبياتا ثم دعانى وقال قد علمت انى دون اخوتى فى الادب لحب أمير المؤمنين بى وميلى الى اللعب وانا حدث فلم أنل ما نالوا وقد عملت فى عجيب أبياتا فان كانت حسنة والا فاصدقنى حتى أكتمها ثم أنشد شعرا

لقد رأيت عجيبا * يحكى الغزال الربيبا الوجه منه كبدر * والقد يحكى القضيبا
وان تناول سيفا * رأيت ليثا حريبا وان رمى بسهام * كان المجيد المصيبا
طبيب ما بى من الحب * فلا عدمت الطبيبا انى هويت عجيبا * هوى أراه عجيبا

فحلفت له بأيمان البيعة انه شعر مليح من أشعار الخلفاء الذين ليسوا بشعراء فطابت نفسه وأمر لى بخمسين ألف درهم وقال الصولى حدثنا عبد الواحد بن العباس الرياشى قال كتب ملك الروم الى المعتصم كتابا يهدده فيه فلما قرئ عليه قال للكاتب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار وأخرج الصولى عن الفضل اليزيدى قال وجه المعتصم الى الشعراء ببابه من كان منكم يحسن ان يقول فينا كما قال منصور النمرى فى الرشيد

ان المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع
ان أخلف القطر لم تخلف فواضله * أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

فقال ابو وهيب فينا من يقول خيرا منه فيك وقال

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر
تحكى أفاعيله فى كل نائبة * الليث والغيث والصمصامة الذكر

ولما مات رثاه وزيره محمد بن عبد الملك جامعا بين العزاء والهناء فقال

قد قلت اذ غيبوك واصطفقت * عليك أيد بالترب والطين
اذهب فنعم الحفيظ كنت على الـدنيا ونعم الظهير للدين
ما يجبر الله أمة فقدت * مثلك الا بمثل هرون

(حديث رواه) المعتصم قال الصولى حدثنا العلائى حدثنا عبد الملك بن الضحاك حدثنى هشام بن محمد حدثنى

والوقائع فى مثل هذا كثيرة

* (الباب الخامس فى سيرة الملك مع مماليكه والخدم وتفضيلهم) *

المماليك جمال وحرس فى الحضر وخدم وأعوان فى السفر يخرج منهم ما لا يخرج من الاولاد والاقارب ويحصل منهم من الشفقة والاعانة ما لا يحصل من رفيق ولا صاحب سيما من اعتدلت أخلاقه وكملت آدابه وأرى من حسن التعهد وجميل الرفق ما زرع فى قلبه المحبة حتى انه يؤثر سيده بالحياة على نفسه (بلغنى) أن أحمد بن طولون نزل عن فرسه فى بعض متصيداته لاراقة الماء فنهشه ثعبان فى ابهام رجله فسقط الى الارض فبادر اليه مملوك له فقطع الخف بالسكين عن اصبعه وأدخلها فى فمه وجعل يمص موضع النهشة ويتفل مرارا الى أن أحضروا له الدرياق فشربا جميعا وقدر الله سلامتهما فانظر عسى أن تكون قيمة هذا المملوك وبم يجازى ونظير هذه ما تواتر عن نجاح الشرابى عند الامام الناصر انهما كانا على سطح عال وهما صغيران فسقط الناصر من أعلاه فرمى نجاح نفسه على اثره وقال لا حاجة لى فى الحياة من بعده فقدر الله سلامتهما وتداويا فأفاقا وافضت الخلافة اليه وملكه ففوض أموره اليه وأجلسه فى أعلى المراتب ولقبه بالملك الرحيم * وقال نصر بن نوح السامانى اتخذوا

المعتصم قال حدثني أبي الرشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى قوم من بني فلان يتبخترون في مشيهم فعرف الغضب في وجهه ثم قرأ والشجرة الملعونة في القرآن فقيل أي شجرة هي يارسول الله حتى نجتنبها فقال ليست بشجر نبات انما هم بنو أمية اذا ملكوا جاروا واذا أوتمنوا خانوا وضرب بيده على ظهر عمه العباس فقال يخرج الله من ظهرك ياعم رجلا يكون هلاكهم على يده قلت الحديث موضوع وأدمه العلائي وقال ابن عسكر انبأنا أبو القاسم علي بن ابراهيم حدثنا عبد العزيز ابن أحمد حدثني علي بن الحسين الحافظ حدثنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن طالب البغدادي حدثنا ابن خلاد حدثنا أحمد بن محمد بن نصر الضبيعي حدثنا اسحق بن يحيى بن معاذ قال كنت عند المعتصم أعوده فقلت أنت في عافية فقال كيف وقد سمعت الرشيد يحدث عن أبيه المهدي عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس مرفوعا من احتجم في يوم الخميس فمرض فيه مات فيه قال ابن عساكر سقط منه رجلان بين ابن الضبيعي واسحق ثم أخرجه من طريق أخرى عن الضبيعي عن أحمد بن محمد بن الليث عن منصور بن النضر عن اسحق (وممن مات) في أيام المعتصم من الاعلام الجيدي شيخ البخاري وأبو نعيم الفضل بن دكين وأبو غسان النهدي وقالون المقرئ وخلاد المقرئ وآدم بن أبي اياس وعفان والقعنبي وعبدان المروزي وعبد الله بن صالح كاتب الليث وابراهيم بن المهدي وسليمان بن حرب وعلي بن محمد المدائني وأبو عبيد القاسم بن سلام وقرة بن حبيب وعارم ومحمد بن عيسى الطباع الحافظ وأصبغ بن الفرج الفقيه المالكي وسعدويه الواسطي وأبو عمر الجرمي النحوي ومحمد بن سلام البيكندي وسنيد وسعيد بن كثير بن عفير ويحيى بن يحيى التميمي وآخرون

(الواثق بالله هرون)

الواثق بالله هرون أبو جعفر وقيل أبو القاسم بن المعتصم بن الرشيد أمه أم ولد رومية اسمها قراطيس ولد لعشر بقين من شعبان سنة ست وتسعين ومائة وولي الخلافة بعهد من أبيه بويع له في تاسع عشر ربيع الاول سنة سبع وعشرين وفي سنة ثمان وعشرين استخلف على السلطنة اشناس التركي وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجا مجوهرا وأظن انه أول خليفة استخلف سلطانا فان الترك انما كثروا في أيام أبيه وفي سنة احدى وثلاثين ورد كتابه الى أمير البصرة يأمره أن يمتحن الائمة والمؤذنين بخلق القرآن وكان قد تبع أباه في ذلك ثم رجع في آخر أمره وفي هذه السنة قتل أحمد بن نصر الخزاعي وكان من أهل الحديث قائما بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر أحضره من بغداد الى سامرا مقيدا وسأله عن القرآن فقال ليس بمخلوق وعن الرؤية في القيامة فقال كذا جاءت الرواية وروى له الحديث فقال الواثق له تكذب فقال للواثق بل تكذب أنت فقال ويحك يرى كما يرى المحدود المتجسم ويحويه مكان ويحصره الناظر انما كفرت برب هذه صفته ماتقولون فيه فقال جماعة من فقهاء المعتزلة الذين حوله هو حلال الضرب فدعا بالسيف وقال اذا قمت اليه فلا يقومن أحد معي فاني أحتسب خطاي الى هذا الكافر الذي يعبد ربا لانعبده ولانعرفه بالصفة التي وصفه بها ثم أمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيد فمشى اليه فضرب عنقه وأمر بحمل رأسه الى بغداد فصلب بها وصلبت جثته في سر من رأى واستمر ذلك ست سنين الى ان ولي المتوكل فأنزله ودفنه ولما صلب كتب ورقة وعلقت في أذنه فيها هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك دعاه عبد الله الامام هرون الى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى الا المعاندة فعجله الله الى ناره ووكل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن القبلة برمح فذكر الموكل به انه رآه بالليل يستدير الى القبلة بوجهه فيقرأ سورة يس بلسان طلق رويت هذه الحكاية من غير وجه وفي هذه السنة استفك من الروم ألفا وستمائة أسير مسلم فقال ابن أبي دؤاد قبحه الله من قال من الاسارى القرآن مخلوق خلصوه وأعطوه دينارين ومن امتنع دعوه في

المماليك وأحسنوا تربيتهم فهم أولادير يدون حياة والدهم (وقال) النساط على المماليك من عجز المقدرة والكلام القبيح من لؤم النفس وانما يجب الرفق بهم والاحسان اليهم والتوسعة في نفقتهم واطعامهم مما تأكلون والنهي عن ضرب الوجه وعن المثلة في العقوبة كل ذلك وردت به الشريعة المطهرة واقتضته المكارم الجميلة والاخلاق الرضية *وأما اختيار الاجناس وانتخاب الاصناف فذلك شرح يطول به الكتاب وبالجملة فان الشجاعة في الترك والثقة في الروم والخدمة أيضا والوفاء والحنو في الجركس والالفة أيضا والخيانة في الارمن والامانة في الحبش والغدر في الكرج *ويجب على الملك ان لايعجل على المماليك الصغار باشراكهم في الملك وندبهم للامور الجسام بل على التدريج فان الغالب على هممهم القصور وربما بهرتهم الولايات الجسيمة فدهشوا وربما غرتهم فبطروا فيجب الاحتياط والتأني في ذلك ولايمكنوا من الشفاعات والعنايات فكثيرا ماطرأ الخلل على الدول بهذه الاسباب لان الناس اذا علموا قربهم من الملك وقضاء الحوائج على أيديهم مع صغر سنهم وقلة تجربتهم يحسنون لهم القبيح ويقبحون لهم الحسن فيوقرون سمع الملك بما لا ينبغي ويبلغونه مالا يصلح وتجري الامور على ذلك فتختل الاحوال وتفسد واذا ظهر في بعض المماليك نجابة وفضل رأي وحسن تدبير وصحة عقل فليقربه الملك ويرتبه فيما يليق به كما شرطنا في التدريج

الاسر قال الخطيب كان أحمد بن أبي دؤاد قد استولى على الواثق وحمله على التشدد في المحنة ودعا الناس الى القول بخلق القرآن ويقال انه رجع عنه قبل موته وقال غيره حمل اليه رجل فيمن حمل مكبل بالحديد من بلاده فلما دخل وابن أبي دؤاد حاضر قال المقيد أخبرني عن هذا الرأي الذي دعوتم الناس اليه أعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدع الناس اليه أم شيء لم يعلمه قال ابن أبي دؤاد بل علمه قال فكان يسعه أن لا يدعو الناس اليه وأنتم لا يسعكم قال فبهتوا وضحك الواثق وقام قابضا على فيه ودخل بيتا ومد رجليه وهو يقول وسع النبي صلى الله عليه وسلم ان يسكت عنه ولا يسعنا فأمر له أن يعطى ثلثمائة دينار وان يرد الى بلده ولم يمتحن أحدا بعدها ومقت ابن أبي دؤاد من يومئذ والرجل المذكور هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الازدي شيخ أبي دؤاد والنسائي قال ابن أبي الدنيا كان الواثق أبيض تعلوه صفرة حسن اللحية في عينيه نكتة قال يحيى بن أكثم ما أحسن أحد الى آل أبي طالب ما أحسن اليهم الواثق ما مات وفيهم فقير وقال غيره كان الواثق وافر الادب مليح الشعر وكان يحب خادما أهدى له من مصر فأغضبه الواثق يوما ثم انه سمعه يقول لبعض الخدم والله انه ليروم ان أكلمه من أمس فما أفعل فقال الواثق شعرا

يا ذا الذي بعذابي ظل مفتخرا * ما أنت الا مليك جار اذ قدرا
لولا الهوى لتجارينا على قدر * وان أفق منه يوما ما فسوف ترى

(ومن شعر) الواثق في خادمه

مهج يملك المهج * بسجي اللحظ والدعج * حسن القد مختطف
ذو دلال وذو غنج * ليس للعين ان بدا * عنه باللحظ منعرج

وقال الصولي كان الواثق يسمى المأمون الاصغر لادبه وفضله وكان المأمون يعظمه ويقدمه على ولده وكان الواثق أعلم الناس بكل شيء وكان شاعرا وكان أعلم الخلفاء بالغناء وله أصوات وألحان عملها نحو مائة صوت وكان حاذقا بضرب العود راوية للاشعار والاخبار وقال الفضل اليزيدي لم يكن في خلفاء بني العباس أكثر رواية للشعر من الواثق فقيل له كان أروى من المأمون فقال نعم كان المأمون قد مزج بعلم العرب علم الاوائل من النجوم والطب والمنطق وكان الواثق لا يخلط بعلم العرب شيأ وقال يزيد المهلبي كان الواثق كثير الاكل جدا وقال ابن فهم كان للواثق خوان من ذهب مؤلف من أربع قطع يحمل كل قطعة عشرون رجلا وكل ما على الخوان من غضارة وصحفة وسكرجة من ذهب فسأله ابن أبي دؤاد ان لا يأكل عليه للنهي عنه فأمر ان يكسر ذلك ويضرب ويحمل الى بيت المال وقال الحسين بن يحيى رأى الواثق في النوم كأنه يسأل الله الجنة وان قائلا يقول له يهلك على الله الا من قلبه مرت فأصبح فسأل الجلساء عن ذلك فلم يعرفوا معناه فوجه الى أبي محلم وأحضره فسأله عن الرؤيا والمرت فقال أبو محلم المرت القفر الذي لا ينبت شيأ فالمعنى على هذا لا يهلك على الله الا من قلبه خال من الايمان خلو المرت من النبات فقال له الواثق أريد شاهدا من الشعر في المرت فبادر بعض من حضر فأنشد بيتا لبني أسد

ومرت مرورات يحار بها القطا * ويصبح ذو علم بها وهو جاهل

فضحك أبو محلم وقال والله لا أبرح حتى أنشدك فأنشده للعرب مائة قافية معروفة لمائة شاعر معروف في كل بيت ذكر المرت فأمر له الواثق بمائة ألف دينار وقال حمدون بن اسمعيل ما كان في الخلفاء أحد أحلم من الواثق ولا أصبر على أذى ولا خلاف منه وقال أحمد بن حمدون دخل هرون بن زياد مؤدب الواثق اليه فأكرمه الى الغاية فقيل له من هذا يا أمير المؤمنين الذي فعلت به هذا الفعل فقال هذا أول من فتق لساني بذكر الله وأدناني من رحمة الله ومن مديح علي بن الجهم فيه

وليظهر لمن حسده من المماليك أن تقديمه بالشهامة والنجابة التي فيه ليقع التنافس في أسباب التقدم لا في نفس التقدم (كما يحكى) عن بهرام جوبين وكان من آحاد الغلمان فتقلبت به أحوال النجابة والتقدمات الى ان صار من كبار الملوك وكذلك في الدولة العباسية عظم شان جماعة من المماليك مثل الافشين ومؤنس الخادم وابن طغج وتنامش وتودون وأياز المسعودي وكافور واولو صاحب الموصل ومن قبله قراقوش الناصري وذلك انه لما ركب الله فيهم من السر الالهي والعناية الربانية ملكهم بلاده وعباده وجعلهم حضنة بيته وخدام حرمه ونصرة دين رسوله محمد صلى الله عليه وسلم محافظين على كتابه وسنته منفذين أحكام شريعته ملازمين على طاعته وخصصهم بخصائص نالوا بها الحظ الاوفى فتقربوا بها اليه زلفى ومنهم المماليك الصالحية النجمية مثل الملك المعز أيبك واقطاي والملك المظفر قطز وكسره العدو المخذول على عين جالوت وفتحه الشام جميعه وأخذه من أيدي التتار عسكر هلاكو والملك الظاهر بيبرس وفتحه قلاع الاسماعيلية والحصون الفرنجية وخوضه الفرات وكسره التتار مرتين ودخوله الروم وقيسارية وكسره للمغل الخواص على البلستين وما انفرد به من الاجر المدخور في ابطاله المنكر واراقة الخمور وسيرته المرضية وأيامه الماضية والمولى الشهيد السلطان المأجور الملك المنصور قلاوون تغمده الله

وثقت بالملك الـــــواثق بالله النفوس * ملك يشـــقى به المال ولا يشقى الجليس * أسد يضحك عن شـــدّاته الحرب العبوس
أنس السيف به واســتوحش العلق النفيس
يابنى العباس يأبى الـــله الا ان ترءســـوا

مات الواثق بسر من رأى يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة مائتين واثنتين وثلاثين ولما احتضر جعل يردد هذين البيتين

الموت فيه جميع الخلق مشترك * لاسوقة منهم يبـــقى ولا ملك
ماضر أهـــل قليل فى تفارقهم * وليس يغنى عن الاملاك ما ملكوا

وحكى انه لما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء حرذون فاستل عينه فأكلها

مات فى أيامه من الاعلام مسدد وخلف بن هشام البزار المقرئ واسمعيل بن سعيد الشالحى شيخ أهل طبرستان ومحمد بن سعد كاتب الواقدى وأبو تمام الطائى الشاعر ومحمد بن زياد بن الاعرابى اللغوى والبويطى صاحب الشافعى مسجونا مقيدا فى المحنة وعلى بن المغيرة الاثرم اللغوى وآخرون ومن أخبار الواثق أسند الصولى عن جعفر بن على بن الرشيد قال كنا بين يدى الواثق وقد اصطبح فناوله خادمه مهج وردا ونرجسا فأنشد فى ذلك بعد يوم لنفسه شعر

حياك بالنرجس والورد * معتدل القامة والقد * فالهبت عيناه نار الهوى
وزاد فى اللوعة والوجد * املت بالملك له قـــربة * فصار ملكى سبب البعد
ورنحته سكرات الهوى * فمال بالوصل الى الصد * ان سئل البذل ثنى عطفه
وأســبل الدمع على الخد * غر بما تجنيه ألحاظه * لايعرف الانجاز للوعد
مولى تشكى الظلم من عبده * فانصفوا المولى من العبد

قال فاجمعوا انه ليس لاحـــد من الخلفاء مثل هذه الابيات وقال الصولى حدثنى عبدالله بن المعتز قال أنشـــدنى بعض أهلنا للواثق وكان يهوى خادمين لهذا يوم يخدمه فيه ولهذا يوم يخدمه فيه

قلبى قســـيم بين نفســـين * فمن رأى روحا بجســـمين
يغضب ذا ان جاد ذا بالرضا * فالقلب مشغول بشجوين

وأخرج بن الخزنبل قال غنى فى مجلس الواثق بشعر الاخطل

وشادن مربح بالكاس نادمنى * لابالحصور ولا فيها بسوّار

فقال أسوار أوسأر فوجه الى ابن الاعرابى يسئل عن ذلك فقال سوار وثاب يقول لايثب على ندمائه وسأر مفضل فى الكاس سؤرا وقد رويا جميعا فأمر الواثق لابن الاعرابى بعشرين ألف درهم وقال حدثنى ميمون بن ابراهيم حدثنى أحمد بن الحسين بن هشام قال تلاحى الحسين بن الضحاك ومخارق يوما فى مجلس الواثق فى أبى نواس وأبى العتاهية أيهما أشعر فقال الواثق اجعلا بينكما خطرا فجعلا بينهما مائتى دينار فقال الواثق من ههنا من العلماء فقيل أبو محلم فأحضره فســئل عن ذلك فقال أبو نواس أشعر وأذهب فى فنون العرب وأكثر افتنانا من أفانين الشعر فأمر الواثق بدفع الخطر الى الحسين

(المتوكل على الله جعفر)

المتوكل على الله جعفر أبو الفضــل بن المعتصم بن الرشـــيد أمه أم ولد اسمها شجاع ولد سـنة خمس وقيل سبع ومائتين وبويع له فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين بعد الواثق فأظهر الميل الى السنة ونصر أهلها ورفع

تسترق الاحرار وتخلد محدثها فى الدرك الاسفل من النار وخلف ولديه ذوى الهمم العالية والغزوات المشهورة المتواليـــة فالملك الاشرف الذى فتح عكا وصور وقبلهما عثليث ثم صيدا وبيروت والساحـــل جميعه وقلعـــة الروم وبهسنا وحرمتـــه الثاقبة والملك الناصر وكسره التتار على مربح الصفر وكانوا عـــددا لايوصـــف ومددا لايعرف وبعدهما المماليك المنصورية الملوك الكسروية فمنهم الملك العادل كتبغا والملك المنصور لاجين وملك العصر والزمان صاحب الامن والايمان الليث الغضنفر الملك المظفر بيبرس ركن الدنيا والدين ســيد الملوك والسلاطين واســطة عقدها وكوكب ســعدها أدام الله أيامـــه ونشر فى الخافقين أعـــلامه وأما النجباء أو الامراء من المماليك المنصورية فمثـــل طرنطاى والشجاعى وبيدرا وأيبك الخزندار وقراسنقر والابو بكـــرى وبيـــبرس الدوادار وقطـــز وبكتوت العلائى وبكتمر امير جاندار وبكتوت الفتاح وســـنقر الـــكمالى وأيبك البغدادى وبرلغى ونائب الســـلطنة سلار وأقش الافرم وقبجق والخاصكية والبرجية وهم هم العلية ولو شرحناهـــم اسما اسما لطال الكتاب والله

 الموفق للصواب ومازال السر الالهى متحركا فى تنقلات الاحوال وتغيرات الاوضاع فى استمرار الخير على قوم والشر على

المحنة وكتب بذلك الى الآفاق وذلك في سنة أربع وثلاثين واستقدم المحدثين الى سامرا وأجزل عطاياهم وأكرمهم وأمرهم بان يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية وجلس أبو بكر بن أبي شيبة في جامع الرصافة فاجتمع اليه نحو من ثلاثين ألف نفس وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور فاجتمع اليه أيضا نحو من ثلاثين ألف نفس وتوفر دعاء الخلق للمتوكل وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له حتى قال قائلهم الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتل أهل الردة وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم والمتوكل في احياء السنة واماتة التجهم وقال أبو بكر بن الخبازة في ذلك شعرا

وبعد فان السنة اليوم أصبحت * معززة حتى كأن لم تذلل
تصول وتسطو اذ أقيم منارها * وحط منار الافك والزور من عل
وولى أخو الابداع في الدين هاربا * الى النار يهوي مدبرا غير مقبل
شفى الله منهم بالخليفة جعفر * خليفته ذي السنة المتوكل
خليفة ربي وابن عم نبيه * وخير بني العباس من منهم ولي
وجامع شمل الدين بعد تشتت * وفاري رؤس المارقين بمنصل
أطال لنا رب العباد بقاءه * سليما من الاهوال غير مبدل
وبوأه بالنصر للدين جنة * يجاور في روضاتها خير مرسل

وفي هذه السنة أصاب ابن أبي دؤاد فالج صيره حجرا ملقى فلا آجره الله ومن عجائب هذه السنة انه هبت ريح بالعراق شديدة السموم لم يعهد مثلها أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد وقتلت المسافرين ودامت خمسين يوما واتصلت بهمدان وأحرقت الزرع والمواشي واتصلت بالموصل وسنجار ومنعت الناس من المعاش في الاسواق ومن المشي في الطرقات وأهلكت خلقا عظيما وفي السنة التي قبلها جاءت زلزلة مهولة بدمشق سقطت منها دور وهلك تحتها الخلق وامتدت الى أنطاكية فهدمتها والى الجزيرة فأحرقتها والى الموصل فيقال هلك من أهلها خمسون ألفا وفي سنة خمس وثلاثين ألزم المتوكل النصارى بلبس الغل وفي سنة ست وثلاثين أمر بهدم قبر الحسين وهدم ما حوله من الدور وأن يعمل مزارع ومنع الناس من زيارته وخرب وبقي صحراء وكان المتوكل معروفا بالتعصب فتألم المسلمون من ذلك وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء فمما قيل في ذلك

بالله ان كانت أمية قد أتت * قتل ابن بنت نبيها مظلوما * فلقد أتاه بنو أبيه بمثله
هذا لعمري قبره مهدوما * أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا * في قتله فتتبعوه رميما

وفي سنة سبع وثلاثين بعث الى نائب مصر أن يحلق لحية قاضي القضاة بمصر أبي بكر محمد بن أبي الليث وان يضرب به ويطاف به على حمار ففعل ونعم ما فعل فانه كان ظالما من رؤس الجهمية وولى القضاء بدله الحارث ابن مسكين من أصحاب مالك بعد تمنع وأهان القاضي المعزول بضربه كل يوم عشرين سوطا ليرد المظالمات الى أهلها وفي هذه السنة ظهرت نار بعسقلان أحرقت البيوت والبيادر ولم تزل تحرق الى ثلث الليل ثم كفت وفيها طلب من أحمد بن حنبل المجيء اليه فسار اليه ولم يجتمع به بل دخل على ولده المعتز وفي سنة ثمان وثلاثين كبست الروم دمياط ونهبوا وأحرقوا وسبوا منها ستمائة امرأة وولوا مسرعين في البحر وفي سنة أربعين سمع أهل خلاط صيحة عظيمة من جو السماء فمات منها خلق كثير ووقع برد بالعراق كبيض الدجاج وخسف بثلاث عشرة قرية بالمغرب وفي سنة احدى وأربعين ماجت النجوم في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل وكان أمرا مزعجا لم يعهد وفي سنة اثنتين وأربعين زلزلت الارض زلزلة عظيمة بتونس وأعمالها

والري

قوم فيعلو مستفل ويحط عال ويكمن ظاهر ويظهر كامن (قيل) لبعضهم لم زالت دولتكم عنكم قال لانها زالت من غيرنا فانتقلت الينا وكما قلنا انه ينبغي للملك أن يرفع من كان نازلا من المماليك الى ما يليق به من الرتب على التدريج فكذا ينبغي ان يحط من العلو من كان مقصرا عما هو بصدده حتى ينتهي الى ما يليق به فكذا وضع الدنيا وما فيها * وينبغي للملك أن يحسن الى من ظهرت نجابته من العبيد كما فعل أحمد بن طولون فانه الذي جمع العبيد السود وأحسن اليهم ووسع في نفقاتهم حتى انه بنى لهم مساكن الى جانب الفسطاط وجامعا وهو الى الآن والمساكن الى جانبه بقدر المدينة وكان يزوجهم ويكسوهم ويعتق أولادهم وانتفع بهم في حربه (ويحكى) انه قدم من سفر فاهدت له أخته عشرة جوار ملبسات محليات فاستحسنهن ودفعهن الى عشرة عبيد من سودانه وقال لاخته أسود يحارب عني وعنك أحب الي من هؤلاء وأما الخدام فيختار منهم من ظهرت حميته وشرفت أخلاقه في غيرته وحسنت آدابه فيقدم على المماليك وكان بعض الحزمة من الملوك يمنع الخدام الكبار من الدخول الى الحرم ولاسيما ذو الجمال والصلف منهم ويجب على الملك الحازم أن يكثر تفقده لاحوال مماليكه وخدمه وعبيده ويرتب لهم من يتولى تأديبهم ويباشر تعليمهم الادب والخط وحسن التصرف فانهم أقرب الناس الى الملك فيكونون أقرب الناس الى طباعه

والري وخراسان ونيسابور وطبرستان وأصبهان وتقطعت الجبال وتشققت الارض بقدر ما يدخل الرجل في الشق ورجمت قرية السويداء بناحية مصر من السماء ووزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال وسار جبل باليمن عليه مزارع لاهله حتى أتى مزارع آخرين ووقع بحلب طائر أبيض دون الرخمة في رمضان فصاح يامعشر الناس اتقوا الله الله الله وصاح أربعين صوتا ثم طار وجاء من الغد ففعل كذلك وكتب البريد بذلك وأشهد عليه خمسمائة انسان سمعوه وفيها حج من البصرة ابراهيم بن مطهر الكاتب على عجلة تجرها الابل وتعجب الناس من ذلك وفي سنة ثلاث وأربعين قدم المتوكل دمشق فأعجبته وبنى له القصر بداريا وعزم على سكناها فقال يزيد بن محمد المهلبي

أظن الشام تشمت بالعراق * اذا عزم الامام على انطلاق
فان تدع العراق وساكنيه * فقد تبلى المليحة بالطلاق

فبدا له ورجع بعد شهرين أو ثلاثة وفي سنة أربع وأربعين قتل المتوكل يعقوب بن السكيت الامام في العربية فانه ندبه الى تعليم أولاده فنظر المتوكل يوما الى ولديه المعتز والمؤيد فقال لابن السكيت من أحب اليك هما أو الحسن والحسين فقال قنبر يعني مولى علي خير منهما فأمر الاتراك فداسوا بطنه حتى مات وقيل أمر بسل لسانه فمات وأرسل الى ابنه بديته وكان المتوكل رافضيا وفي سنة خمس وأربعين عمت الزلازل الدنيا فأخربت المدن والقلاع والقناطر وسقط من انطاكية جبل في البحر وسمع من السماء أصوات هائلة وزلزلت مصر وسمع أهل بلبيس من ناحية مصر صيحة هائلة فمات خلق من أهل بلبيس وغارت عيون مكة فأرسل المتوكل مائة ألف دينار لاجراء الماء من عرفات اليها وكان المتوكل جوادا ممدحا يقال ما أعطى خليفة شاعرا ما أعطى المتوكل وفيه يقول مروان بن أبي الجنوب

فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد * فقد خفت أن أطغى وأن أتجبرا

فقال لا أمسك حتى يغرقك جودي وكان أجازه على قصيدة بمائة ألف وعشرين ألفا وخمسين ثوبا ودخل عليه علي بن الجهم يوما وبيده درتان يقلبهما فأنشده قصيدة له فرمى اليه بدرة فقلبها فقال تستنقص بها وهي والله خير من مائة ألف فقال لا ولكني فكرت في أبيات أعملها آخذ بها الاخرى فقال قل فقال

بسر من رأى امام عدل * تغرف من بحره البحار * الملك فيه وفي بنيه
ما اختلف الليل والنهار * يرجى ويخشى لكل خطب * كأنه جنة ونار
يداه في الجود ضرتان * عليه كلتاهما تغار
لم تأت منه اليمين شيأ * الا أتت مثلها اليسار

فرمى اليه بالدرة الاخرى قال بعضهم سلم على المتوكل بالخلافة ثمانية كل واحد منهم أبوه خليفة منصور بن المهدي والعباس بن الهادي وأبو أحمد بن الرشيد وعبد الله بن الامين وموسى بن المأمون وأحمد بن المعتصم ومحمد بن الواثق وابنه المنتصر وقال المسعودي لا يعلم أحد متقدم في جد ولا هزل الا وقد حظي في دولته ووصل اليه نصيب وافر من المال وكان منهمكا في اللذات والشراب وكان له أربعة آلاف سرية ووطئ الجميع وقال علي بن الجهم كان المتوكل مشغوفا بقبيحة أم ولده المعتز لا يصبر عنها فوقفت له يوما وقد كتبت على خدها بالغالية جعفرا فتأملها وأنشأ يقول شعرا

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا * بنفسي محط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها * لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا

وفي كتاب المحن للسلمي ان ذا النون أول من تكلم بمصر في ترتيب الاحوال ومقامات أهل الولاية فأنكر عليه عبد

واختياراته وأبعدهم عما يسوؤه ولكن فيهم من البر وحسن التصرف واللقاء والادب ما يحسن موقعه من خواص الملك وتنشرح به صدورهم فان كان الامر بالعكس أوحش الخاصة وأوغر صدورها ونفرها وظنت أن ذلك من الملك فسكنت الاحقاد في قلوبها وفي هذا كثير من المضرات التي لا يستدرك فارطها

(الباب السادس في طعام الملك والادب فيه)

قال الله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا والآيات والاخبار التي وردت في فضل الطعام واطعامه والحث عليه كثيرة جدا لانه أشرف أصناف البر وأنفع أنواع الجود لما فيه من قوام الابدان ومادة الانسان قلما بذله أحد الا ساد وزاد ونال من الدارين المراد وللعرب به عناية عظيمة حتى أن أكثر مفاخرها راجعة اليه وأكثر أشعارهم في الاضياف وأكرامهم والبشر بهم وانزالهم وفي وصف النيران ووقودها لدلالتهم والذبائح لطعمتهم ولهم حق الدخيل والنزيل وحماية الجار وهذا فن بلغت العرب فيه الغاية القصوى ويقال ان بعضهم كان يطرح في البرية اللحوم الكثيرة لقرى السباع والطير وبعضهم ينثر الحب والزاد لذلك المعنى حتى قيل رحلنا وخلينا على الارض زادنا وللطير في زاد الكرام نصيب وكم وقع التشاجر والحرب على الضيف والانفراد به والملوك أحق ببذل الطعام من كل أحد لانهم عليه أقدر وكان السلف من الملوك يتفاوتون فيه فبعضهم يأكل مع

الناس وبعضهم يحضر ولا يأكل وبعضهم يأمر بنصب الموائد ولا يحضرها وبعضهم يفرد لكل طائفة مائدة وطعاما يليق بهم على حسب

الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر ومن جلة أصحاب مالك وانه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف ورماه بالزندقة فدعاه أمير مصر وسأله عن اعتقاده فتكلم فرضي أمره وكتب به الى المتوكل فأمر باحضاره فحمل على البريد فلما سمع كلامه ولع به وأحبه وأكرمه حتى كان يقول اذا ذكر الصالحون فحيهلا بذي النون كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر ثم المعتز ثم المؤيد ثم انه أراد تقدم المعتز لمحبته لامه فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد فأبى فكان يحضره مجلس العامة ويحط منزلته ويتهدده ويشتمه ويتوعده واتفق ان الترك انحرفوا عن المتوكل لامور فاتفق الاتراك مع المنتصر على قتل أبيه فدخل عليه خمسة وهو في جوف الليل في مجلس لهوه فقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ورؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بقليل من السنة أحييتها ولما قتل رثته الشعراء ومن ذلك قول يزيد المهلبي

جاءت منيته والعين هاجعة * هلا أتته المنايا والقنا قصد
خليفة لم ينل ما ناله أحد * ولم يضع مثله روح ولا جسد

وكان من حظايا وصيفة تسمى محبوبة شاعرة عالمة بصنوف العلم عوادة فلما قتل ضمت الى بغا الكبير فأمرها يوما بالمنادمة فجلست منكسة فقال غني فاعتلت فأقسم عليها وأمر بالعود فوضع في حجرها فغنت ارتجالا

أي عيش يلذ لي * لا أرى فيه جعفرا
ملك قد رأيته * في نجيع معفرا
كل من كان ذا هيا * م وسقم فقد برا
غير محبوبة التي * لو ترى الموت يشترى
لاشترته بما حوته * يداها لتقبرا
ان موت الحزين أطيب من أن يعمرا

فغضب بغا وأمر بها فسجنت فكان آخر العهد بها ومن الغرائب ان المتوكل قال للبحتري قل في شعرا وفي الفتح ابن خاقان فاني أحب أن يحيا معي ولا أفقده فيذهب عيشي ولا يفقدني فقل في هذا المعنى فقال

ياسيدي كيف أخلفت وعدي * وتثاقلت عن وفاء بعهدي
لا أرتني الايام فقدك يافتـ * ـح ولا عرفتك ما عشت فقدي
أعظم الرزء ان تقدم قبلي * ومن الرزء ان تؤخر بعدي
حذرا ان تكون الفا لغيري * اذ تفردت بالهوى فيك وحدي

فقتلا معا كما تقدم * ومن أخبار المتوكل أخرج ابن عساكر ان المتوكل رأى في النوم كان سكرا سليمانيا أسقط عليه من السماء مكتوبا عليه جعفر المتوكل على الله فلما بويع خاض الناس في تسميته فقال بعضهم نسميه المنتصر فحدث المتوكل أحمد بن أبي دواد بما رأى في منامه فوجده موافقا فأمضى وكتب به الى الآفاق وأخرج عن هشام بن عمار قال سمعت المتوكل يقول واحسرتا على محمد بن ادريس الشافعي كنت أحب أن أكون في أيامه فأراه وأشاهده وأتعلم منه فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول يا أيها الناس ان محمد بن ادريس المطلبي قد صار الى رحمة الله وخلف فيكم علما حسنا فاتبعوه تهتدوا ثم قال اللهم ارحم محمد ابن ادريس رحمة واسعة وسهل على حفظ مذهبه وانفعني بذلك قلت استفدنا من هذا ان المتوكل كان متمذهبا بمذهب الشافعي وهو أول من تمذهب له من الخلفاء وأخرج عن أحمد بن علي البصري قال وجه المتوكل الى أحمد بن المعدل وغيره من العلماء فجمعهم في داره ثم خرج عليهم فقام الناس كلهم له غير أحمد بن المعدل فقال المتوكل لعبيد الله ان هذا لا يرى بيعتنا فقال له بلى يا أمير المؤمنين ولكن في بصره سوء فقال أحمد بن المعدل يا أمير المؤمنين ما في بصري سوء ولكن نزهتك من عذاب الله قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار فجاء المتوكل فجلس الى جنبه وأخرج عن يزيد المهلبي قال قال لي المتوكل يامهلبي

طبقاتهم فطائفة يحبهم الثريد واللبن ولا يؤثرون عليه غيره والترك وأهل البوادي يأكلون اللحم المسلوق والمشوي واللبن والشوربات القمح لا يحبهم سواه وكانت ملوك الفرس تفعل ذلك واطباع الملوك مختلفة فمنهم من يبخل بالطعام ومنهم من يسمح به وينقل ذلك عن معاوية بن ابي سفيان وسليمان ابن عبد الملك وغيرهما من بني أمية وعن الامين والمستكفي من بني العباس مع أن الامين وهب المجلس بما فيه غير مرة وكان يصعب عليه أكل الطعام ويكره من يتبسط فيه وكان بعض ملوك الفرس يصنع كل يوم خمسمائة مائدة على كل مائدة نصف شاة اما طبيخ واما شواء وجام حلوى أو عسل وعشرة أرغفة وانية من شراب أولبن وسمكة مصنوعة ونقل ان الحجاج جرى على هذا الترتيب مدة من ولايته يوضع على مائدته وخوانه في كل يوم ألف حوت وفي زمان بني أيوب كان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن العزيز صاحب دمشق خوان ورواتبه كل يوم خمسمائة راس غنم والدجاج لا يعبر عنه وتوابل ذلك وينبغي للملك أن يفتح بابه ويشرع سرادقاته عند حضور الطعام قال الشاعر

واذا أتاه طعامه لغدائه * رفعت له الاستار والابواب
وتهاتف الغلمان في جيرانه * فتسامع المعتر والمهتاب

ويستحب أن يكون على سماط الملوك ان

ان الخلفاء كانت تتصعب على الرعية لتطيعها وانا الين لهم ليحبونى ويطيعونى وأخرج عن عبد الاعلى بن حماد النرسى قال دخلت على المتوكل فقال يا أبا يحيى ما ابطأك عنا منذ ثلاث لم نرك كاهمنا لك بشئ فصرفناه الى غيرك فقلت يا أمير المؤمنين جزاك الله عن هذا الهم خيرا ألا انشدك بهذا المعنى بيتين قال بلى فانشدته

لاشكرنك معروفا هممت به * ان اهتمامك بالمعروف معروف
ولا الومك اذلم يمضه قدر * فالرزق بالقدر المحتوم مصروف

فامر لى بالف دينار وأخرج عن جعفر بن عبد الواحد الهاشمى قال دخلت على المتوكل لما توفيت امه فقال يا جعفر ربما قلت البيت الواحد فاذا جاوزته خلطت وقد قلت شعرا

تذكرت لما فرق الدهر بيننا * فعزيت نفسى بالنبى محمد

فاجازه بعض من حضر المجلس بقوله

وقلت لها ان المنايا سبيلنا * فمن لم يمت فى يومه مات فى غد

وأخرج عن الفتح بن خاقان قال دخلت يوما على المتوكل فرأيته مطرقا متفكرا فقلت يا أمير المؤمنين ما هذا الفكر فوالله ما على ظهر الارض أطيب منك عيشا ولا أنعم منك فقال يا فتح أطيب عيشا منى رجل له دار واسعة وزوجة صالحة ومعيشة حاضرة لا يعرفنا فنؤذيه ولا يحتاج الينا فنزدريه وأخرج عن أبى العيناء قال اهديت الى المتوكل جارية شاعرة اسمها فضل فقال لها أشاعرة انت قالت هكذا زعم من باعنى واشترانى فقال انشدينا شيأ من شعرك فانشدته

استقبل الملك امام الهدى * عام ثلاث وثلاثينا
خلافة أفضت الى جعفر * وهو ابن سبع بعد عشرينا
انا لنرجو يا امام الهدى * ان تملك الملك ثمانينا
لاقدس الله امرأ لم يقل * عند دعائى لك آمينا

وأخرج عن على بن الجهم قال أهدى الى المتوكل جارية يقال لها محبوبة قد نشأت بالطائف وتعلمت الادب وروت الاشعار فاغرى المتوكل بها ثم انه غضب عليها ومنع جوارى القصر من كلامها فدخلت عليه يوما فقال لى قد رأيت محبوبة فى منامى كانى قد صالحتها وصالحتنى فقلت خيرا يا أمير المؤمنين فقال قم بنا ننظر ما هى عليه فقمنا حتى اتينا حجرتها فاذا هى تضرب بالعود وتقول شعرا

ادور فى القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمنى
حتى كانى اتيت معصية * ليست لها توبة تخلصنى
فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره فصارمنى

فصاح المتوكل فخرجت فاكبت على رجليه تقبلهما فقالت يا سيدى رأيتك فى ليلتى هذه كانك قد صالحتنى قال وانا والله قد رأيتك فردها الى مرتبتها فلما قتل المتوكل صارت الى بغا وذكر الابيات السابقة وأخرج عن على البحترى يمدح المتوكل فيما رفع من المحنة ويهجو ابن أبى دؤاد بقوله

أمير المؤمنين لقد شكرنا * الى آبائك الغر الحسان *
رددت الدين فذا بعد أن قد * اراه فرقتين تخاصمان *
قصمت الظالمين بكل أرض * فاضحى الظلم مجهول المكان
وفى سنة رمت متجبريهم * على قدر بداهية عيان

سائر أصناف الاطعمة ويتفقد الجاشنكيريه أحوال الطعام وكلما خلا المكان من طعام يكمله ويرفع النوائل لارباب الاشغال على قدر طبقاتهم وينبغى لمن يأكل على طعام الملك ان لا يشره فانه أكل خدمة لا أكل تخمة بشرط أن يلزم الادب فى المؤاكلة والجلوس على الركب وغض الطرف والاكل مما يليه ولا يدسم الخبز وان دسم شيأ أكله ولا يستدعى ما بعد عنه ولا يمسح يديه فى الخوان ولا فى البقل ولا يغسل يديه بحضرة الملك واذا أراد ذلك فليبعد ويستحب احضار الكيزان بالماء فى السماط خشية من الشرقة

الباب السابع

(فى سماع تلاوة القرآن والمنادمة والمسامرة)

لابد للملك من ندماء ومسامرين وهم له بمنزلة الاوداء والاصدقاء الا انه لشرف الملك وجلالة حاله يكونون له كالعبيد ومنفعتهم له كمنفعة الصديق لانهم يذهبون وحشته وملاله ويجلبون أنسه ونشاطه وهو كثير الحاجة الى ذلك لانه يحمل من أعباء الملك وأثقال السياسة وورود الاخبار المختلفة والامور المضطربة ما يضجره ويسئمه وربما دهمته فوادح تبهره وتقلقه فاذا جالسهم خففوا عنه ما يجده وحكوا له من أخبار المتقدمين فى ذلك الفن الذى عرض له ما يكسبه تجربة ويحدث له تسلية أو يخفف عنه ثقلا فيعود اليه أنسه ونشاطه فيستقيم عند ذلك خاطره وتعتدل آراؤه فليكن فى الندماء من يعرف أخبار المتقدمين وسير الماضين فيأتى بالاشياء فى مواضعها ويشغل

فما ابتث من ابن أبي دؤاد * سوى حسد يخاطب بالمعاني
تحير فيه سابور بن سهل * تناوله ومناه الاماني
اذا أصحابه اصطبحوا بليل * اطالوا الخوض في خلق القرآن

وأخرج عن أحمد بن حنبل قال سهرت ليلة ثم نمت فرأيت في نومي كأن رجلا يعرج بي الى السماء وقائلا يقول

ملك يقاد الى مليك عادل * متفضل في العفو ليس بجائر

ثم أصبحنا فجاء نعي المتوكل من سرمن رأى الى بغداد وأخرج عن عمرو بن شيبان الجهني قال رأيت في الليلة التي قتل فيها المتوكل في المنام قائلا يقول

يا نائم العين في أوطار جسمان * أفض دموعك يا عمرو بن شيبان
أما ترى الفتية الارجاس مافعلوا * بالهاشمي وبالفتح بن خاقان
وافى الى الله مظلوما فضج له * أهل السموات من مثنى ووحدان
وسوف يأتيكموا أخرى مسومة * توقعوها لها شان من الشان
فابكوا على جعفر وارثوا خليفتكم * فقد بكاه جميع الانس والجان

ثم رأيت المتوكل في النوم بعد أشهر فقلت مافعل الله بك قال غفر لي بقليل من السنة أحييتها قلت فما تصنع ههنا قال انتظر محمدا ابني أخاصمه الى الله

أحاديث من رواية المتوكل قال الخطيب أخبرنا أبو الحسين الاهوازي حدثنا محمد بن اسحق بن ابراهيم القاضي حدثنا محمد بن هرون الهاشمي حدثنا محمد بن شجاع الاحمر قال سمعت المتوكل يحدث عن يحيى بن أكثم عن محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن الاعمش عن موسى بن عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حرم الرفق حرم الخير (أخرجه الطبراني في معجمه الكبير من وجه آخر عن جرير) وقال ابن عساكر أخبرنا نصر بن أحمد بن مقاتل السوسي حدثني جدي أبو محمد حدثنا أبو علي الحسين ابن علي الاهوازي حدثنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الازدي حدثنا أبو الطيب محمد بن جعفر بن داران غندر حدثنا هرون بن عبد العزيز بن أحمد العباسي حدثنا أحمد بن الحسن المقرئ البزار حدثنا أبو عبد الله محمد بن عيسى الكسائي وأحمد بن زهير واسحق بن ابراهيم بن اسحق فقالوا حدثنا علي بن الجهم قال كنت عند المتوكل فتذاكروا عنده الجمال فقال ان حسن الشعر لمن الجمال ثم قال حدثني المعتصم حدثني المأمون حدثنا الرشيد حدثنا المهدي حدثنا المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جمة الى شحمة أذنيه كأنها نظام اللؤلؤ وكان من أجمل الناس وكان أسمر رقيق اللون لا بالطويل ولا بالقصير وكان لعبد المطلب جمة الى شحمة أذنيه وكان لهاشم جمة الى شحمة أذنيه قال علي بن الجهم وكان للمتوكل جمة الى شحمة أذنيه وقال لنا المتوكل كان للمعتصم جمة وكذلك للمأمون والرشيد والمهدي والمنصور ولابيه محمد ولجده علي ولابيه عبد الله بن عباس قلت هذا الحديث مسلسل من ثلاثة أوجه بذكر الجمة وبالآباء وبالخلفاء ففي اسناده ست خلفاء

مات في أيام خلافة المتوكل من الاعلام أبو ثور والامام أحمد بن حنبل وابراهيم بن المنذر الحزامي واسحق بن راهويه واسحق النديم وروح المقرئ وزهير بن حرب وسحنون وسليمان الشاذكوني وأبو مسعود العسكري وأبو جعفر النفيلي وأبو بكر بن أبي شيبة وأخوه وديك الجن الشاعر وعبد الملك بن حبيب امام المالكية وعبد العزيز بن يحيى الغول أحد أصحاب الشافعي وعبيد الله بن عمر القواريري وعلي بن المديني ومحمد بن عبد الله بن نمير ويحيى بن معين ويحيى بن بكير ويحيى بن يحيى ويوسف الازرق المقرئ

الوقت بما يليق به وليكن فيهم من له نكت ونوادر وأجوبة حاضرة وفطنة وذكاء يضحك بنوادره ويشرح الصدور بغرائبه وليكن فيهم صاحب روايات وأشعار وفنون من البلاغة والبراعة وأما أصحاب المساخر والمضاحك والمحاكون والملاهون فتلك طبقة أخرى لا ينبغي للملوك أن تجالسها ولا تجاورها الا في الشاذ النادر في بعض الاوقات والخلوات وينبغي للندماء ان لا يتجاوزوا ماهم بصدده فلا يدخلون في الشفاعات وتقديم القصص والحديث في أمور المملكة والتعرض لاحد من أرباب الدولة الا ان أذن له الملك في ذلك فيكون قد رفع طبقته ومن تبسط هو بنفسه وشرع في أمور الملك فيصده الملك عن ذلك ويشير الى أمير مجلس بكفه ويأمر الندماء بالاقتصار على ماهم عليه فان عقولهم وأقدارهم تصغر عن ذلك في أمر المملكة وأضر ما على الملك أن يشتهر عنه انه يسمع من حاشيته وبطانته الكلام في أمرائه وأركان دولته فان الناس اذا علموا ذلك أقبلوا عليهم بالاكرام والهدايا والتحف فيميلون آراءهم الى أغراضهم فيصفون بالكفاية من كان عاجزا وبالشجاعة من كان جبانا وما أشبه ذلك ويكررون ذلك على سمع الملك فيعمل بحسبه فيقدم من يجب تأخيره ويؤخر من يجب تقديمه ويستكفي في العمل بمن ليس بكفء فتختل أحوال الدولة ويفسد نظامها ولا يشعر به وانما يشتغل كل بما يليق به لان كل فن لا يعرفه

وبشر بن الوليد الكندى المالكى وابن أبي دؤاد ذاك الكلاب لارحمه الله وأبو بكر الهذلى العلاف شيخ الاعتزال ورأس أهل الضلال وجعفر بن حرب من كبار المعتزلة وابن كلاب المتكلم والقاضى يحيى بن أكثم والحارث المحاسبى وحرملة صاحب الشافعى وابن السكيت وأحمد بن منيع وذو النون المصرى الزاهد وأبو تراب النخشبي وابو عمر الدورى المقرئ ودعبل الشاعر وأبو عثمان المازنى النحوى وخلائق آخرون

(المنتصر بالله محمد أبو جعفر)

المنتصر بالله محمد أبو جعفر وقيل أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد أمه أم ولد رومية اسمها حبشية وكان مليح الوجه أسمر أعين أقنى ربعة جسيما بطينا مليحا مهيبا وافر العقل راغبا فى الخير قليل الظلم محسنا الى العلويين وصولا لهم أزال عن آل أبي طالب ما كانوا فيه من الخوف والمحنة بمنعهم من زيارة قبر الحسين ورد على آل الحسين فدك فقال يزيد المهلبى فى ذلك

ولقد بررت الطالبية بعدما * ذموا زمانا بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم * بعد العداوة بينهم اخوانا

بويع له بعد قتل أبيه فى شوال سنه سبع وأربعين ومائتين فخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد الذى عقده لهما المتوكل بعده وأظهر العدل والانصاف فى الرعية فمالت اليه القلوب مع شدة هيبتهم له وكان كريما حليما ومن كلامه لذة العفو أعذب من لذة التشفى وأقبح أفعال المقتدر الانتقام ولما ولى صار يسب الاتراك ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء فعملوا عليه وهموا به فعجزوا عنه لانه كان مهيبا شجاعا فطنا متحرزا فتحيلوا الى أن دسوا الى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار فى مرضه فأشار بفصده ثم فصده بريشة مسمومة فمات ويقال ان ابن طيفور نسى ومرض فأمر غلامه ففصده بتلك الريشة فمات أيضا وقيل بل سم فى كمثراة وقيل مات بالخوانيق ولما احتضر قال ياأماه ذهبت منى الدنيا والآخرة عاجلت أبى فعوجلت

مات فى خامس ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين عن ست وعشرين سنة أو دونها فلم يمتع بالخلافة الا أشهرا معدودة دون ستة أشهر وقيل انه جلس فى بعض الايام للهو وقد استخرج من خزائن أبيه فرشا فأمر بفرشها فى المجلس فرأى فى بعض البسط دائرة فيها فارس وعليه تاج وحوله كتابة فارسية فطلب من يقرأ ذلك فأحضر رجل فنظره فقطب فقال ماهذه قال لامعنى لها فألح عليه فقال أنا شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت أبى فلم أتمتع بالملك الا ستة أشهر فتغير وجه المنتصر وأمر باحراق البساط وكان منسوجا بالذهب وفى لطائف المعارف للثعالبى أعرق الخلفاء فى الخلافة المنتصر فانه هو وآباؤه الخمسة خلفاء وكذلك اخواه المعتز والمعتمد قلت أعرق منه المستعصم الذى قتله التتار فان آباءه الثمانية خلفاء قال الثعالبى ومن العجائب ان أعرق الاكاسرة فى الملك وهو شيرويه قتل أباه فلم يعش بعده الا ستة أشهر وأعرق الخلفاء فى الخلافة وهو المنتصر قتل أباه فلم يمتع بعده سوى ستة أشهر

(المستعين بالله أبو العباس)

المستعين بالله أبو العباس أحمد بن المعتصم بن الرشيد وهو أخو المتوكل ولد سنة احدى وعشرين ومائتين وأمه أم ولد اسمها مخارق وكان مليحا أبيض بوجهه أثر جدرى ألثغ ولما مات المنتصر اجتمع القواد وتشاوروا وقالوا متى وليتم أحدا من أولاد المتوكل لايبقى منا باقية فقالوا مالها الا أحمد بن المعتصم ولد استاذنا فبايعوه وله ثمان وعشرون سنة واستمر الى أول سنة احدى وخمسين فتنكر له الاتراك لما قتل وصيفا وبغى ونفى باغر التركى الذى فتك بالمتوكل ولم يكن للمستعين مع وصيف وبغا أمر حتى قيل فى ذلك

خليفة فى قفص * بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له * كما تقول الببغا

الا الماهر فيه الخبير بفنونه (أوصى) ابراهيم النديم ولده فقال له اعلم يابنى ان مجالس الملك لايخلو من تحاسد وتضاغن ويجرى بين الجلساء التشاحر فاذا تكلمت بشئ واعترض معترض فدعه حتى ينتهى... ذوشنا آن فاذا أصاب فاعترف له بالحق يحمدك الملك وتنقص من عداوته وان هو أخطأ فرد عليه برفق واستدل لكلامك واقنع بظهور حجتك وصحة قولك عند من حضر ولا تظهر التشفى والتبكيت فانه لايسر الملك ذلك اذ ليس عنده ما عندكما من تحاسد وانما هو كالبحر تبتدئ منه الانهار وتعود اليه وان سئل غيرك فلا تجب أنت ولو أخطأ المسئول فيما سئل عنه فان سألك فاجب وان أمكنك ان تعتذر عن خطا صاحبك فافعل وان لم يكن لك فيه علم فاياك من الدخول فيما لاتعلم ومن حق الندماء على الملوك اطراح التكلف وترك الابهة التى تتعلق بالملك والمساواة فى المطعم والمشرب والمسمع وكان بعض الخلفاء يحتجب عن الندماء ويجلس خلف ستارة أو شباك مخرم يراهم ويسمعهم ولا يسمعونه وبعضهم يظهر لهم وبعضهم ساواهم وواساهم فكانوا فى الشتاء يجلسون فى المجالس وبها مناقد النار ويبخر فيها العود والند وعليهم الفراء اللائقة بالوقت على أشكالهم وفى الصيف فى القاعات والبساتين والفساقى على سمت كل أوان والملك دائما يتميز عليهم بملبوسه وتاجه ثم يرش عليهم الماورد ويتناشدون الاشعار ويتذاكرون الاخبار فاذا كان وقت النوم والاستراحة

ولما تنكر له الاتراك خاف وانحدر من سامرا الى بغداد فأرسلوا اليه يعتذرون ويخضعون له ويسألونه الرجوع فامتنع فقصدوا الحبس وأخرجوا المعتز بالله وبايعوه وخلعوا المستعين ثم جهز المعتز جيشا كثيفا لمحاربة المستعين واستعد أهل بغداد للقتال مع المستعين فوقعت بينهما وقعات ودام القتال أشهرا وكثر القتل وغلت الاسعار وعظم البلاء وانحل أمر المستعين فسعوا فى الصلح على خلع المستعين وقام فى ذلك اسمعيل القاضى وغيره بشروط مؤكدة فخلع المستعين نفسه فى أول سنة اثنتين وخمسين وأشهد عليه القضاة وغيرهم فأحدر الى واسط فأقام بها تسعة أشهر محبوسا وكل به أمير ثم رد الى سامرا وأرسل المعتز الى أحمد بن طولون ان يذهب الى المستعين فيقتله فقال والله لا أقتل أولاد الخلفاء فندب له سعيد الحاجب فذبحه فى ثالث شوال من السنة وله احدى وثلاثون سنة وكان خيرا فاضلا أديبا بليغا وهو أول من أحدث لبس الاكمام الواسعة فجعل عرضها نحو ثلاثة أشبار وصغر القلانس وكانت قبله طوالا

مات فى أيامه من الاعلام عبد بن حميد وأبو الطاهر بن السرح والحارث بن مسكين والبزى المقرئ وأبو حاتم السجستانى والجاحظ وآخرون

(المعتز بالله محمد)

المعتز بالله محمد وقيل الزبير أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وأمه أم ولد رومية تسمى قبيحة وبويع له عند خلع المستعين فى سنة اثنتين وخمسين وله تسع عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله أحد أصغر منه وكان بديع الحسن قال على بن حرب أحد شيوخ ابن المعتز فى الحديث ما رأيت خليفة أحسن منه وهو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب وكان الخلفاء قبله يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة وأول سنة تولى مات أشناس الذى كان الواثق استخلفه على السلطنة وخلف خمسمائة ألف دينار فأخذها المعتز وخلع خلعة الملك على محمد بن عبد الله بن طاهر وقلده سيفين ثم عزله وخلع خلعة الملك على أخيه أبى أحمد وتوجه بتاج من ذهب وقلنسوة مجوهرة ووشاحين مجوهرين وقلده سيفين ثم عزله من عامه ونفاه الى واسط وخلع على بغا الشرابى وألبسه تاج الملك فخرج على المعتز بعد سنة فقتل وجىء اليه برأسه وفى رجب من هذه السنة خلع المعتز أخاه المؤيد من العهد وضربه وقيده فمات بعد أيام فخشى المعتز ان يتحدث عنه انه قتله أو احتال عليه فأحضر القضاة حتى شاهدوه وليس به أثر وكان المعتز مستضعفا مع الاتراك فاتفق ان جماعة من كبارهم أتوه وقالوا يا أمير المؤمنين أعطنا أرزاقنا لنقتل صالح بن وصيف وكان المعتز يخاف منه فطلب من أمه مالا لينفقه فيهم فأبت عليه وشحت نفسها ولم يكن بقى فى بيوت المال شئ واجتمع الاتراك حينئذ على خلعه ووافقهم صالح بن وصيف ومحمد بن بغا فلبسوا السلاح وجاؤا الى دار الخلافة فبعثوا الى المعتز ان اخرج الينا فبعث يقول قد شربت دواء وأنا ضعيف فهجم عليه جماعة وجروا برجله وضربوه بالدبابيس وأقاموه فى الشمس فى يوم صائف وهم يلطمون وجهه ويقولون اخلع نفسك ثم أحضروا القاضى ابن أبى الشوارب والشهود وخلعوه ثم أحضروا من بغداد الى دار الخلافة وهى يومئذ سامرا محمد بن الواثق وكان المعتز قد أبعده الى بغداد فسلم المعتز اليه الخلافة وبايعه ثم ان الملأ أخذوا المعتز بعد خمس ليال من خلعه فأدخلوه الحمام فلما اغتسل عطش فمنعوه الماء ثم أخرج وهو أول ميت عطشا فسقوه ماء بثلج فشربه وسقط ميتا وذلك فى شهر شعبان المعظم سنة خمس وخمسين ومائتين واختفت أمه قبيحة ثم ظهرت فى رمضان وأعطت صالح بن وصيف مالا عظيما من ذلك ألف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار وسفط فيه مكوك زمرد وسفط فيه مكوك لؤلؤ حب كبار وكيلجة ياقوت أحمر وغير ذلك فقومت السفاط بألفى ألف دينار فلما رأى ابن وصيف ذلك قال قبحها الله عرضت ابنها للقتل لاجل خمسين ألف دينار وعندها هذا فأخذ الجميع ونفاها الى مكة فبقيت بها الى ان تولى المعتمد فردها الى سامرا وماتت سنة أربع

وستين

يجب الوقت ان يشرع نفسه ويقبل على سماع تلاوة كتاب الله العزيز والاصغاء اليه وتدبر الآيات واستفهام معانيها ولكن عند ما يقرأ ذلك القارئ يقص تفسيره حتى لو ان فى آية أشكلت تفسيرها وعرفوا ذوقها فيجب عليه البحث فى ذلك والسؤال حتى يفهم ثم يجب عليه وعلى الحاضرين اذا قرئ القرآن ان ينصتوا له ولا يشتغلوا بغيره قال تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون

(الباب الثامن)

(فى مجالس السماع وراحة النفس واختيار ذلك)

السماع من أشرف الراحات وأنفع اللذات وأجلها موقعا اذا استعمل على الوجه المرضى الذى ينبغى من جميع ملاذ الدنيا التى هى عائدة الى المطعم والمشرب والمنكح والمشم والمنظر والملبس والمسمع فهذه السبعة قانون راحة البدن فأما الستة الاولى فأى شئ حصل منها استعماله زائدا تكلفت له الاعضاء وحصل الملل الا السماع المطرب فانه لا كلفة فيه على الجسد ولا مضرة تلحقه بسببه وكانت حكماء الهند واليونان والفرس يجعلون الموسيقى واستماعها من باب الجدل لما فيه من تهذيب النفوس وتقويم الخواطر وتصحيح الفكر وتعديل الامزجة والجذب الى الاخلاق الجيدة والانقياد

وستين مات في أيام المعتز من الاعلام سري السقطي الزاهد وهرون بن سعيد الايلي والدارمي صاحب المسند والعتبي صاحب المسائل العتبية في مذهب مالك وأخرون رحمهم الله تعالى

(المهتدى بالله)

المهتدى بالله الخليفة الصالح محمد أبو اسحق وقيل أبو عبد الله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد أمه أم ولد تسمى وردة ولد في خلافة جده سنة بضع عشرة ومائتين وبويع بالخلافة لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وماقبل بيعته أحد حتى أتي بالمعتز فقام المهتدى له وسلم عليه بالخلافة وجلس بين يديه فجيء بالشهود فشهدوا على المعتز انه عاجز عن الخلافة فاعترف بذلك ومد يده فبايع المهتدى فارتفع حينئذ المهتدى الى صدر المجلس وكان المهتدى أسمر رقيقا مليح الوجه ورعا متعبدا عادلا قويا في أمر الله بطلا شجاعا لكنه لم يجد ناصرا ولا معينا قال الخطيب لم يزل صائما منذ ولي الى أن قتل وقال هاشم بن القاسم كنت بحضرة المهتدى عشية في رمضان فوثبت لانصرف فقال لي اجلس فجلست وتقدم فصلى بنا ثم دعا بالطعام فاحضر طبق خلاف وعليه رغف من الخبز النقي وفيه آنية فيها ملح وخل وزيت فدعاني الى الاكل فابتدأت آكل ظانا انه سيؤتى بطعام فنظر الي وقال ألم تك صائما قلت بلى قال أفلست عازما على الصوم فقلت كيف لا وهو رمضان فقال كل واستوف فليس ههنا من الطعام غير ماترى فعجبت ثم قلت ولم ياأمير المؤمنين قد أسبغ الله نعمته عليك فقال ان الامر ماوصفت ولكني فكرت في انه كان في بني أمية عمر بن عبد العزيز وكان من التقلل والتقشف على مابلغك فغرت على بني هاشم فأخذت نفسي بما رأيت وقال جعفر بن عبد الواحد ذاكرت المهتدى بشئ فقلت له كان أحمد ابن حنبل يقول به ولكنه كان يخالف أشير الى من مضى من آبائه فقال رحم الله أحمد بن حنبل والله لو جاز لي أن أتبرأ من أبي لتبرأت منه ثم قال لي تكلم بالحق وقل به فان الرجل ليتكلم بالحق فينبل في عيني وقال نفطويه حدثني بعض الهاشميين انه وجد للمهتدى سفط فيه جبة صوف وكساء كان يلبسه بالليل ويصلي فيه وكان قد اطرح الملاهي وحرم الغناء وحسم أصحاب السلطان عن الظلم وكان شديد الاشراف على أمر الدواوين يجلس بنفسه ويجلس الكتاب بين يديه فيعملون الحساب وكان لايخل بالجلوس الاثنين والخميس وضرب جماعة من الرؤساء ونفى جعفر بن محمود الى بغداد وكره مكانه لانه نسب عنده الى الرفض وقدم موسى بن بغا من الري يريد سامرا لقتل صالح بن وصيف بدم المعتز وأخذ أموال أمه ومعه جيشه فصاحت العامة على ابن وصيف يافرعون قد جاءك موسى فطلب موسى بن بغا الاذن على المهتدى فلم يأذن له فهجم بمن معه عليه وهو جالس في دار العدل فاقاموه وحملوه على فرس ضعيفة وانتهبوا القصر وأدخلوا المهتدى الى دار ناجود وهو يقول ياموسى اتق الله ويحك ماتريد قال والله مانريد الاخيرا فاحلف لنا ان لاتمالئ صالح بن وصيف فحلف لهم فبايعوه حينئذ ثم طلبوا صالحا ليناظروه على افعاله فاختفى وندبهم المهتدى الى الصلح فاتهموه انه يدري مكانه فجرى في ذلك كلام ثم تكلموا في خلعه فخرج اليهم المهتدى من الغد متقلدا بسيفه فقال قد بلغني شأنكم ولست كمن تقدمني مثل المستعين والمعتز والله ماخرجت اليكم الا وأنا متحنط وقد أوصيت وهذا سيفي والله لاضربن به مااستمسكت قائمته بيدي أما دين أما حياء أما دعة لم يكون الخلاف على الخلفاء والجرأة على الله ثم قال ما أعلم علم صالح فرضوا وانفضوا ونادى موسى بن بغا من جاء بصالح فله عشرة آلاف دينار فلم يظفر به أحد واتفق ان بعض الغلمان دخل زقاقا وقت الحر فرأى بابا مفتوحا فدخل فمشى في دهليز مظلم فرأى صالحا نائما فعرفه وليس عنده احد فجاء الى موسى فأخبره فبعث جماعة فأخذوه وقطعت راسه وطيف به وتألم المهتدى لذلك في الباطن ثم رحل موسى ومعه باكيال الى السن في طلب مساور فكتب المهتدى الى باكيال ان يقتل موسى ومفلحا أحد أمراء الاتراك أيضا أو يمسكهما ويكون هو الامير على الاتراك كلهم فأوقف باكيال موسى على كتابه وقال اني

الى السنن الصحيحة فان منه ما يشجع الجبان ونوع منه يلين القاسي ويقود العاصي وأنواع تؤلف بين المتباغضين وتذهب التشاحن بين المتشاحنين وأنواع تسر الحزين وتخفف كرب ذي الانين حتى انهم كانوا يستعملونها في الهيا كل وبيوت العبادات وتلحن بها القرا آت والمشهور عن داود النبي عليه السلام انه كان اذا تنغم في مزاميره ورجع صوته تصطف الطير على رأسه في الهواء وتكاد ان تتساقط عليه طربا من حسن صوته وترنمه وكانت له معزفة يضرب بها (والهند) خاصة في هذا الفن ذلق عظيم يتخذونه في بيوت عباداتهم ويتقربون به الى هيا كلهم وأصنامهم واذا خرجوا الى صيد الفيلة والسباع العادية يخرجون معهم المعازف والملاهي ويتخذون ستائر من الشجر والورق ويمشون امامهم والمعازف خلفها والفيلة تقرب اليها حتى تقع في مصايدها ويزعمون في تآليفهم ان للالحان اللذيذة والبخورات خواص في جذب الروحانيات واتخذت الروم الارغن في الكنائس والفرس الزمزمة على الموائد وعند القرابين وهي بالحان مطربة وأهل الطب يصفون الموسيقى لامراض النفوس والرؤس وكان جالينوس يستعمل العود في امراض الماليخوليا والفكر الرديئة يقصد بذلك ردمزاج الدماغ الى الاعتدال وموقع الالحان للنفوس كموقع الاغذية اللذيذة للابدان وتأثيره في الاطفال واصغائهم اليه

لست أفرح بهذا وانما هذا يعمل علينا كذا فأجمعوا على قتل المهتدى وساروا اليه فقاتل عن المهتدى المغاربة والفراغنة والاسروسنية وقتل من الاتراك فى يوم أربعة آلاف ودام القتال الى ان هزم جيش الخليفة وأمسك هو فعصر على خصيتيه فمات وذلك فى رجب سنة ست وخمسين فكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوما وكان لما دامت الاتراك عليه ثار العوام وكتبوا رقاعا وألقوها فى المساجد يا معشر المسلمين ادعوا الله لخليفتكم العدل الرضا المضاهى لعمر بن عبد العزيز ان ينصره الله على عدوه

(المعتمد على الله أبو العباس)

المعتمد على الله أبو العباس وقيل أبو جعفر أحمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولد سنة تسع وعشرين ومائتين وأمه رومية اسمها فتيان ولما قتل المهتدى كان المعتمد محبوسا بالجوسق فأخرجوه وبايعوه ثم انه استعمل أخاه الموفق طلحة على المشرق وصير ابنه جعفرا ولى عهده وولاه مصر والمغرب ولقبه المفوض الى الله وانهمك المعتمد فى اللهو واللذات واشتغل عن الرعية فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة وفى أيامه دخلت الزنج البصرة وأعمالها وأخربوها وبذلوا السيف وأحرقوا وخربوا وسبوا وجرى بينهم وبين عسكره عدة وقعات وأمير عسكره فى أكثرها الموفق أخوه وأعقب ذلك الوباء الذى لا يكاد يتخلف عن الملاحم بالعراق فمات خلق لا يحصون ثم أعقبه هدات وزلازل فمات تحت الردم ألوف من الناس واستمر القتال مع الزنج من حين تولى المعتمد سنة ست وخمسين الى سنة سبعين فقتل فيها رأس الزنج لعنه الله واسمه بهبوذ وكان ادعى انه أرسل الى الخلق فرد الرسالة وانه مطلع على المغيبات وذكر الصولى انه قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف آدمى وقتل فى يوم واحد بالبصرة ثلثمائة ألف وكان له منبر فى مدينته يصعد عليه ويسب عثمان وعليا ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم وكان ينادى على المرأة العلوية فى عسكره بدرهمين وثلاثة وكان عند الواحد من الزنج العشر من العلويات يطأهن ويستخدمهن ولما قتل هذا الخبيث دخل برأسه بغداد على رمح وعملت قباب الزينة وضج الناس بالدعاء للموفق ومدحه الشعراء وكان يوما مشهودا وأمن الناس وتراجعوا الى المدن التى أخذها وهى كثيرة كواسط ورامهرمز وفى سنة ستين من أيامه وقع غلاء مفرط بالحجاز والعراق وبلغ كر الحنطة فى بغداد مائة وخمسين دينارا وفيها أخذت الروم بلد لؤلؤة وفى سنة احدى وستين بايع المعتمد بولاية العهد بعده لابنه المفوض الى الله جعفر ثم من بعده لاخيه الموفق طلحة وولى ولده المغرب والشام والجزيرة وارمينية وولى أخاه المشرق والعراق وبغداد والحجاز واليمن وفارس وأصبهان والرى وخراسان وطبرستان وسجستان والسند وعقد لكل منهما لواءين أبيض وأسود وشرط ان حدث به حدث ان الامر لاخيه ان لم يكن ابنه جعفر قد بلغ وكتب العهد ونفذه مع قاضى القضاة ابن أبى الشوارب ليعلقه فى الكعبة وفى سنة ست وستين وصلت عساكر الروم الى ديار بكر ففتكوا وهرب أهل الجزيرة والموصل وفيها وثبت الاعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها وفى سنة سبع وستين استولى أحمد بن عبد الله الخجستانى على خراسان وكرمان وسجستان وعزم على قصد العراق وضرب السكة باسمه وعلى الوجه الآخر اسم المعتمد وهذا محل الغرابة ثم انه فى آخر السنة قتله غلمانه فكفى الله شره وفى سنة تسع وستين اشتد تخيل المعتمد من أخيه الموفق فانه كان خرج عليه فى سنة أربع وستين ثم اصطلحا فلما اشتد تخيله منه هذا العام كتب المعتمد الى ابن طولون نائبه بمصر واتفقا على أمر فخرج ابن طولون حتى قدم دمشق وخرج المعتمد من سامرا على وجه التنزه وقصد دمشق فلما بلغ ذلك الموفق كتب الى اسحق بن كنداج ليرده فركب ابن كنداج من نصيبين الى المعتمد فلقيه بين الموصل والحديثة فقال يا أمير المؤمنين أخوك فى وجه العدو وأنت تخرج عن مستقرك ودار ملكك ومتى صح هذا عنده رجع عن مقاومة الخارجى فيغلب عدوك على ديار آبائك فى كلمات أخر ثم وكل بالمعتمد جماعة ورسم على طائفة من خواصه ثم بعث الى المعتمد يقول ما هذا

وقطعها البكاء واشتغالها عن الامهات دليل على قوة تأثيره وكذلك الابل وحداء الاثقال وقطعها المسافات على نغم الحداء مع الكلال وكذلك أكثر الحيوانات وكل من عانى من الناس عملا متعبا مثل القطاع والنصار والدقاق والعتال ومن يجر الاثقال فلا بد له من نوع من التنغيم والموسيقى يستعين به على ما يعانى والا عجزوا وتألموا فأما المباح منه والمنهى عنه فللفقهاء فيه اختلاف فمذهب الامام الشافعى رضى الله عنه يباح الدف واليراع وهى الشبابة ومذهب مالك يباح الدف فى العرس ويندب اليه ويكفى عنده الاشهار بضربه فى ذلك ويكره الدف واليراع عند أحمد بن حنبل ومذهب أبى حنيفة كراهة ذلك جميعه وروى عنه تحريم الغناء على الاطلاق أيضا ومذهب أهل الظاهر كداود الاصفهانى وطائفة من أئمة السلف يبيحون الدف والشبابة والاوتار جميعها ويحتجون فى ذلك بانه لم يرد فى القرآن العزيز ولا فى الخبر الصحيح نص يدل على تحريمها ولهم فى الاحاديث التى رويت فى تحريم ذلك وكراهيته مطاعن يطول شرحها وأكثر الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس كانوا يشترون الجوارى المغنيات ويحضرونهن مجالسهم بأنواع الملاهى والسماع لا يرون بذلك بأسا وقد كان لعبد الله بن جعفر جارية بعشرة آلاف دينار وهى التى دس عليه يزيد بن معاوية من يحتال فى شرائها منه ففعل وحملها من المدينة الى دمشق فوجد يزيد قد مات فأعادها

بمقام فارجع فقال المعتمد فاحلف لى انك تحدر معى ولا تسلمنى فحلف له وانحدر الى سامرا فتلقاه صاعد بن مخلد كاتب الموفق فسلمه اسحق اليه فأنزله فى دار أحمد بن الخصيب ومنعه من نزول دار الخلافة ووكل به خمسمائة رجل يمنعون من الدخول اليه ولما بلغ الموفق ذلك بعث الى اسحق بخلع وأموال وأقطعه ضياع القواد الذين كانوا مع المعتمد ولقبه بذا السندين ولقب صاعدا ذا الوزارتين وأقام صاعد فى خدمة المعتمد ولكن ليس للمعتمد حل ولا ربط وقال المعتمد فى ذلك شعرا

أليس من العجائب ان مثلى * يرى ما قل ممتنعا عليه * وتوكل باسمه الدنيا جميعا
وما من ذاك شئ فى يديه * اليه تحمل الاموال طرا * ويمنع بعض ما يجبى اليه

وهو أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به ثم أدخل المعتمد واسط ولما بلغ بن طولون ذلك جمع الفقهاء والقضاة والاعيان وقال قد نكث الموفق يا أمير المؤمنين فاخلعوه من العهد فخلعوه الا القاضى بكار بن قتيبة فانه قال أنت أوردت على من المعتمد كتابا بولايته العهد فاورد على كتابا آخر منه بخلعه فقال انه محجور عليه ومقهور فقال لا أدرى فقال ابن طولون غرك الناس بقولهم ما فى الدنيا مثل بكار أنت شيخ قد خرفت وحبسه وقيده وأخذ منه جميع عطاياه من سنين فكانت عشرة آلاف دينار فقيل انها وجدت فى بيت بكار بختمها وبلغ الموفق ذلك فامر بلعن ابن طولون على المنابر ثم فى شعبان من سنة سبعين أعيد المعتمد الى سامرا ودخل بغداد ومحمد بن طاهر بين يديه بالحربة والجيش فى خدمته كأنه لم يحجر عليه ومات بن طولون فى هذه السنة فولى الموفق ابنه أبا العباس أعماله وجهزه الى مصر فى جنود العراق وكان خمارويه بن أحمد بن طولون أقام على ولايات أبيه بعده فوقع بينه وبين أبى العباس ابن الموفق وقعة عظيمة بحيث جرت الارض من الدماء وكان النصر للمصريين وفى هذه السنة انبثق بغداد فى نهر عيسى بثق فجاء الماء الى الكرخ فهدم سبعة آلاف دار وفيها نازلت الروم طرسوس فى مائة ألف فكانت النصرة للمسلمين وغنموا ما لا يحصى وكان فتحا عظيما عديم المثل وفيها ظهرت دعوة المهدى عبيد الله ابن عبيد جد بنى عبيد خلفاء المصريين الروافض فى اليمن وأقام على ذلك الى سنة ثمان وسبعين فحج تلك السنة واجتمع بقبيلة من كنانة فاعجبهم حاله فصحبهم الى مصر ورأى منهم طاعة وقوة فصحبهم الى المغرب فكان ذلك أول شان المهدى وفى سنة احدى وسبعين قال الصولى ولى هرون بن ابراهيم الهاشمى الحسبة فامر أهل بغداد أن يتعاملوا بالفلوس فتعاملوا بها على كره ثم تركوها وفى سنة ثمان وسبعين غار نيل مصر فلم يبق منه شئ وغلت الاسعار وفيها مات الموفق واستراح منه المعتمد وفيها ظهرت القرامطة بالكوفة وهم نوع من الملاحدة يدعون انه لا غسل من الجنابة وان الخمر حلال ويزيدون فى أذانهم وأن محمد بن الحنفية رسول الله وان الصوم فى السنة يومان يوم النيروز ويوم المهرجان وأن الحج والقبلة الى بيت المقدس وأشياء أخر ونفق قولهم على الجهال وأهل البر وتعب الناس بهم وفى سنة تسع وسبعين ضعف أمر المعتمد جدا لتمكن أبى العباس بن الموفق من الامور وطاعة الجيش له فجلس المعتمد مجلسا عاما وأشهد فيه على نفسه أنه خلع ولده المفوض من ولاية العهد وبايع لابى العباس ولقبه المعتضد وأمر المعتضد فى هذه السنة أن لا يقعد فى الطريق منجم ولا قصاص واستحلف الوراقين أن لا يبيعوا كتب الفلاسفة والجدل ومات المعتمد بعد أشهر من هذه السنة فجأة فقيل انه سم وقيل بل نام فغم فى بساط وذلك ليلة الاثنين لاحدى عشرة بقيت من رجب وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة الا انه كان مقهورا مع أخيه الموفق لاستيلائه على الامور ومات وهو كالمحجور عليه من بعض الوجوه من جهة المعتضد أيضا وممن مات فى أيامه من الاعلام البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه والربيع الجيزى والربيع المرادى والمزنى ويونس بن عبد الاعلى والزبير بن بكار وأبو الفضل الرياشى ومحمد بن يحيى الذهلى وحجاج بن الشاعر والعجلى الحافظ وقاضى القضاة ابن أبى الشوارب والسوسى المقرئ وعمر بن شبة وأبو زرعة الرازى

الى سيدها عبد الله بن جعفر والقصة مشهورة (وقد) اشتهرت اشعار يزيد بن عبد الملك فى سلامة وحبابة وهما مغنيتان ولما ماتت حبابة أسف عليها ولم يدفنها أياما ومات بعدها بقليل أسفا وحزنا ولو أوردنا ذكر من جلس فى السماع واشتغل بالغناء لاحتاج الى تاريخ كبير يتضمن ذلك من ذكر الملوك والخلفاء والرؤساء ثم لو أردنا ذكر من كره ذلك وامتنع منه لكان عددا يسيرا وطالما غالى الملوك والخلفاء فى اثمان القينات وبذلوا فيهن نفائس الاموال منهن من بلغت مائة ألف دينار مثل قوت القلوب جارية هرون الرشيد وفريدة جارية المتوكل ومنهن من زادت على العشرة آلاف دينار مثل غريب المأمونية ودنانير البرمكية وقبيحة جارية المتوكل وهذا المعنى مستوعب فى الكتب المصنفة فى هذا الفن

(فصل) فى أدب السماع لا ينبغى أن يشتغل فى وقت السماع بأكل ولا بشرب ولا بحديث الا الكلمة والكلمتين فى معنى ما هم فيه فانه غذاء نفسانى يتشوش بالاشتغال بغيره ولقد أجاد بعضهم حيث تمنى أن يسمع بجميع جوارحه فقال

يود ودادا أن أعضاء جسمه * اذا أنشدت شوقا اليها مسامع

(وقال آخر)

جاءت بوجه كأنه قمر * على قوام كأنه غصن
غنت فلم يبق فى جارحة * الا تمنت لو انها أذن

ولابن القيسرانى فى وصف مطرب ومستمعين

تالله لو أنصف الاقوام أنفسهم * أعطوك ما ادخروا منها وما صانوا

ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والقاضى بكار وداود الظاهرى وابن دارة وبقى بن مخلد وابن قتيبة وأبو حاتم الرازى وآخرون ومن قول عبد الله بن المعتز فى المعتمد يمدحه

ياخير من ترجى المطى به * وممن حبل العهد موثقه * أضحى عنان الملك مقتسرا
بيديك تحبسه وتطلقه * فاحكم لك الدنيا وساكنها * ماصاف سهم أنت موفقه

ومن شعر المعتمد لما حجر عليه

أصبحت لا أملك دفعا لما * أسام من خسف ومن ذلة * تمضى أمور الناس دونى ولا
يشعرنى فى ذكرها قلة * اذا اشتهيت الشئ ولوا به * عنى وقالوا ههنا علة

قال الصولى كان له وراق يكتب شعره بماء الذهب ورثاه أبو سعيد الحسن بن سعيد النيسابورى بقوله

لقد قر طرف الزمان النكد * وكان سخينا كثيرا لرمد * وبلغت الحادثات المنى
بموت امام الهدى المعتمد * ولم يبق لى حذر بعده * فدون المصائب فلتجتهد

(المعتضد بالله أحمد)

المعتضد بالله أحمد أبو العباس بن ولى العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولد فى ذى القعدة سنة اثنتين وأربعين ومائتين وقال الصولى فى ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين ومائتين وأمه أم ولد اسمها صواب وقيل حرز وقيل ضرار وبويع له فى رجب سنة تسع وسبعين بعد عمه المعتمد وكان ملكا شجاعا مهيبا ظاهر الجبروت وافر العقل شديد الوطأة من افراد خلفاء بنى العباس وكان يقدم على الاسد وحده لشجاعته وكان قليل الرحمة اذا غضب على قائد أمر بان يلقى فى حفيرة ويطم عليه وكان ذا سياسة عظيمة قال عبد الله بن حمدون خرج المعتضد يتصيد فنزل الى جانب مقثأة وأنا معه فصاح الناطور فقال على به فأحضر فسأله فقال ثلاثة غلمان نزلوا المقثأة فأخربوها فجىء بهم فضربت أعناقهم من الغد فى المقثأة ثم كلمنى بعد مدة فقال اصدقنى فيما ينكر على الناس قلت الدماء قال والله ما سفكت دما حراما منذ وليت قلت فلم قتلت أحمد بن الطيب قال دعانى الى الالحاد قلت فالثلاثة الذين نزلوا المقثأة قال والله ماقتلتهم وانما قتلت لصوصا قد قتلوا وأوهمت انهم هم وقال اسمعيل القاضى دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداث صباح الوجوه روم فنظرت اليهم فلما أردت القيام قال لى أيها القاضى والله ما حللت سراويلى على حرام قط ودخلت مرة فدفع الى كتابا فنظرت فيه فاذا قد جمع له فيه الرخص من زلل العلماء فقلت مصنف هذا زنديق فقال أمختلق قلت لا ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعة ومن أباح المتعة لم يبح الغناء وما من عالم الا وله زلة ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه فامر بالكتاب فاحرق وكان المعتضد شهما جلدا موصوفا بالرجلة قد لقى الحروب وعرف فضله فقام بالامر أحسن قيام وهابه الناس ورهبوه أعظم رهبة وسكنت الفتن فى أيامه لفرط هيبته وكانت أيامه طيبة كثيرة الامن والرخاء وكان قد أسقط المكوس ونشر العدل ورفع الظلم عن الرعية وكان يسمى السفاح الثانى لانه جدد ملك بنى العباس وكان قد خلق وضعف وكاد يزول وكان فى اضطراب من وقت قتل المتوكل وفى ذلك يقول ابن الرومى يمدحه

هنيأ بنى العباس ان امامكم * امام الهدى والبأس والجود أحمد
كما بأبى العباس أنشئ ملككم * كذا بأبى العباس أيضا يجدد
امام يظل الامس يعمل نحوه * تلهف ملهوف ويشتاقه الغد

وقال فى ذلك ابن المعتز أيضا

أما ترى ملك بنى هاشم * عاد عزيزا بعد ما ذللا * ياطالبا للملك كن مثله * تستوجب الملك والافلا

وفى أول سنة استخلف فيها منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة وما شاكلها ومنع القصاص والمنجمين من

ترى حب القلوب اليه تروى
حبيبى أنت أحسن من تثنى
على وتر وأحسن من تلوى
(ولمؤلفه فى راقصة)
اذا هزت معاطفها الرقص
وحركت الانامل والنهودا
ومالت والتوت دلا وظرفا
ورنحت الشمائل والقدودا
وأشرق وجهها واحمر خدا
قطفنا من تضرجه ورودا
ومذ عرقت تساقط منه در
نظمنا من نفائسه عقودا
وهب نسيم خطرتها فاهدى
الى عشاقها مسكا وعودا
فتاة تخجل الاغصان قدا
وغزلان النقا طرفا وجيدا
رمت بقسى حاجبها الينا
نبالا فتتت منا الكبودا
وقد نصبت لنا من مقلتيها
شرا كا نسترق بها عبيدا
فيا لله من عجب عجيب
رأينا ظبية صادت أسودا
(ولبعضهم فى دفافة)
لما تبدت بين اترابها
مطربة عيل بها صبرى
شبهتها والدف فى كفها
شمس الضحى تلعب بالبدر
(ولغيره فى عوادة)
وكأن فى حجرها مسترضعا
ضمته بين ترائب ولبان
طورا تدغدغ بطنه فاذا هفا
عركت له اذنا من الآذان
(ومما نقش على العود)
سقى الله أرضا أنبتت عودك
الذى * زكت منه أعراق
وطابت مغارس
تغنى عليه الطير والعود أخضر
وغنى عليه الناس والعود يابس

القعود فى الطريق وصلى بالناس صلاة الاضحى فكبر فى الاولى ستا وفى الثانية واحدة ولم تسمع منه الخطبة وفى سنة ثمانين دخل داعى المهدى الى القير وان وفشا أمره ووقع القتال بينه وبين صاحب افريقية وصار أمره فى زيادة وفيها ورد كتاب من الديبل ان القمر كسف فى شوال وان الدنيا أصبحت مظلمة الى العصر فهبت ريح سوداء فدامت الى ثلث الليل واعقبها زلزلة عظيمة أذهبت عامة المدينة فكان عدة من أخرج من تحت الردم مائة ألف وخمسين ألفا وفى سنة احدى وثمانين فتحت مكورية فى بلاد الروم وفيها غارت مياه الرى وطبرستان حتى بيع الماء ثلاثة أرطال بدرهم وقحط الناس وأكلوا الجيف وفيها هدم المعتضد دار الندوة بمكة وصيرها مسجدا الى جانب المسجد الحرام وفى سنة اثنتين وثمانين ابطل ما يفعل فى النير وزمن وقيد النيران وصب الماء على الناس وأزال سنة المجوس وفيها زفت اليه قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون فدخل عليها فى ربيع الاول وكان فى جهازها أربعة آلاف تكة مجوهرة وعشرة صناديق جوهر وفى سنة ثلاث وثمانين كتب الى الآفاق بان يورث ذوو الارحام وان يبطل ديوان المواريث وكثر الدعاء للمعتضد وفى سنة أربع وثمانين ظهرت بمصر حمرة عظيمة حتى كان الرجل ينظر الى وجه الرجل فيراه أحمر وكذا الحيطان فتضرع الناس بالدعاء الى الله تعالى وكانت من العصر الى الليل قال ابن جرير وفيها عزم المعتضد على لعن معاوية على المنابر فخوفه عبيد الله الوزير اضطراب العامة فلم يلتفت وكتب كتابا فى ذلك ذكر فيه كثيرا من مناقب على ومثالب معاوية فقال له القاضى يوسف يا أمير المؤمنين أخاف الفتنة عند سماعه فقال ان تحركت العامة وضعت السيف فيها قال فما تصنع بالعلويين الذين هم فى كل ناحية قد خرجوا عليك واذا سمع الناس هذا من فضائل أهل البيت كانوا اليهم أميل فامسك المعتضد عن ذلك وفى سنة خمس هبت ريح صفراء بالبصرة ثم صارت خضراء ثم صارت سوداء وامتدت فى الامصار ووقع عقبها برد وزنة البردة مائة وخمسون درهما وقلعت الريح نحو خمسمائة نخلة ومطرت قرية حجارة سودا وبيضا وفى سنة ست ظهر بالبحرين أبو سعيد القرمطى وقويت شوكته وهو أبو أبى طاهر سليمان الذى يأتى أنه قلع الحجر الاسود ووقع القتال بينه وبين عسكر الخليفة وأغار على البصرة ونواحيها وهزم جيش الخليفة مرات ومن أخبار المعتضد ما أخرجه الخطيب وابن عساكر عن أبى الحسين الخصيبى قال وجه المعتضد الى القاضى أبى حازم يقول ان لى على فلان مالا وقد بلغنى ان غرماءه أثبتوا عندك وقد قسطت لهم من ماله فاجعلنا كاحدهم فقال أبو حازم قل له أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ذاكر لما قال لى وقت قلدنى انه قد أخرج الامر من عنقه وجعله فى عنقى ولا يجوز لى أن أحكم فى مال رجل لمدع الا ببينة فرجع اليه فاخبره فقال قل له فلان وفلان يشهدان يعنى رجلين جليلين فقال يشهدان عندى وأسأل عنهما فان زكيا قبلت شهادتهما والا أمضيت ما قد ثبت عندى فامتنع أولئك من الشهادة فزعا ولم يدفع الى المعتضد شيأ قال ابن حمدون النديم غرم المعتضد على عمارة البحيرة ستين ألف دينار وكان يخلو فيها مع جواريه وفيهن محبوبته دريرة فقال ابن بسام شعرا

ترك الناس بحيره * وتخلى فى البحيره قاعدا يضرب بالطبل على حر دريرة

فبلغ ذلك المعتضد فلم يظهر انه بلغه ثم أمر بتخريب تلك العمارات ثم ماتت دريرة فى أيام المعتضد فجزع عليها جزعا شديدا وقال يرثيها شعرا

ياحبيبا لم يكن يعـــدله عندى حبيب	أنت عن عينى بعيد * ومن القلب قريب
ليس لى بعدك فى شـــئ من اللهو نصيب	لك من قلبى على قلـــبى وان بنت رقيب
وخيالى منك مذ غبـــت خيال لا يغيب	لو ترانى كيف لى بعـــدك عول ونحيب
وفؤادى حشوه من * حرق الحزن لهيب	لتيقنت بانى * فيك محزون كئيب
ما أرى نفسى وان سلـــيتها عنك تطيب	لى دمع ليس يعصيـــنى وصبر ما يجيب

ألفت على يدها الشمال حبائلا وهذا باب كثرت فيه التصانيف وانبسطت فيه الخواطر وانما ذكرناه هذا القدر على سياقة الكلام

(الباب التاسع فى الرياضة واللعب بالكرة والمطاردة)

اللعب بالكرة هو رياضة حسنة تامة وصفتها الحكماء والفضلاء من الملوك لرياضة الجسد ورياضة الخيل واللعب بالكرة والجوكان واستعمالهما بالغدوات من أتم الرياضات وأكملها وأنفعها لان من الرياضات ما يختص بالكفوف والسواعد مثل الشبابك وتناول الطابة أيضا وما يختص بالرجل مثل المشى والسعى ومنها ما يختص بأنواع البدن مثل الصراع وحمل الاثقال وهذه تعم البدن جميعه وهو يتحرك لها حركات مختلفة والبصر يتبعها والرأس يلتفت اليها والاصوات والصيحات ترفع فيها والخيل ترتاض وتلين رؤسها بالجولان والكر والفر وفيها تحريك القوة الغضبية لما فيها من طلب المغالبة وأما نفع الرياضة بالجملة فظاهر معلوم لما جعله الله فى الابدان من الاخلاط المتغايرة المتغالبة التى موادها من الاغذية المختلفة وجعل لكل خلط مقرا يأوى اليه فضلاته وهيأ له من المنافذ والمجارى ليخرج من الجسد ما لا حاجة به اليه وكان السكون موجبا لتقرير الاخلاط حيث حلت من الجسد ودوامها مع الزيادة والنمو فيوجب ذلك اما تعفنها واستحالتها الى ما يؤدى لخروجه عن الاعتدال واما غلبة أحد الاخلاط على غيرها وتأثيرها واضطراب حال

الحكمة استعمال الحركة الرياضية فاتخذ لكل نوع من الناس نوع من الرياضة وهذه رياضة ملوكية وفيها فوائد كثيرة منها التدرب على ركوب أصناف الخيل والانفتال والخفة والرشاقة ومنها السرور والفرح بالظفر والاستيلاء مع مباشرة التألم من العجز والغلبة فان بذلك يعرف مقدار لذة الغلبة ومنها تعود الاجتماع والتدرب ومساعدة الاصحاب لبعضها أو تعاضد الاولياء وتعاونها على الخصوم والاعداء (يحكى) ان المعتصم قسم أصحابه للعب الكرة يوما فجعل الافشين فى جهة وهو فى جهة فقال يعفيني أمير المؤمنين من هذا فقال ولم قال لانى ما أرى أن أكون على أمير المؤمنين فى جد ولا هزل فاستحسن ذلك منه وجعله فى حزبه وكل رياضة مليحة لما فيها من الحركات وما شرحناه أولا ولكن يخشى من الوقوع والتقنطر والسقوط والعثار والمصادمة وأصابة الجوكان والكرة وغير ذلك مما لا يمكن الاحتراز عنه غالبا ويجب ان لا يفرط فيها ولا يطول فى اشتغالها بل يكون عند ابتداء بواكر النهار والعشيات عند خلو المعدة من الاكل وتقطع عند ابتداء العرق والنفس المتتابع وان أمكن الدخول بعدها الحمام لاخراج ما تحلل من الفضلات وازالة ما خرج من العرق بتلك الحركة

وقال بعضهم يمدح المعتضد وهى على جزء جزء شعرا

طيف ألم * بذى سلم * بين الخيم * بطوى الاكم * جاد نسم * يشفى السقم
ممن لثم * وملتزم * فيه هضم * اذا يضم * داوى الألم * ثم انصرم
فلم أنم * شوقا وهم * اللوم ذم * كم ثم كم * نوم الاصم * أجد لم
كل الشلم * مما انهدم * هو العلم * والمعتصم * خير النسم * خالا وعم
حوى الهمم * وما احتلم * طود أشم * سمح الشيم * جلا الظلم * كالبدر تم
رعى الذمم * حمى الحرم * فلم يؤم * خص وعم * بما قسم * له النعم
مع النقم * والخير جم * اذا ابتسم * والماء دم * اذا انتقم

اعتل المعتضد فى ربيع الآخر سنة تسع وثمانين علة صعبة وكان مزاجه قد تغير من كثرة افراطه فى الجماع ثم تماسك فقال ابن المعتز شعرا

طار قلبى بجناح الوجيب * جزعا من حادثات الخطوب
وحذارا أن يشاك بسوء * أسد الملك وسيف الحروب

ثم انتكس ومات يوم الاثنين لثمان بقين منه وحكى المسعودى قال شكوا فى موت المعتضد فتقدم اليه الطبيب وجس نبضه ففتح عينيه ورفس الطبيب برجله فندحاه اذرعا فمات الطبيب ثم مات المعتضد من ساعته ولما احتضر أنشد

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى * وخذ صفوها ما ان صفت ودع الرتقا
ولا تأمنن الدهر انى أمنته * فلم يبق لى حالا ولم يرع لى حقا
قتلت صناديد الرجال فلم أدع * عدوا ولم أمهل على ظنة خلقا
وأخليت دور الملك من كل بازل * وشتتهم غربا ومزقتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة * ودانت رقاب الخلق اجمع لى رقا
رمانى الردى سهما فأخمد جمرتى * فها انا ذا فى حفرتى عاجلا ملقى
فافسدت دنياى ودينى سفاهة * فمن ذا الذى منى بمصرعه أشقى
فياليت شعرى بعد موتى ما أرى * الى نعمة لله أم ناره ألقى

ومن شعر المعتضد

يا لاحظى بالفتور والدعج * وقاتلى بالدلال والغنج
أشكو اليك الذى لقيت من الوجد * فهل لى اليك من فرج
حلت بالطرف والجمال من الناس * محل العيون والمهج

وله أنشده الصولى

لم يلق من حر الفراق * أحد كما انا منه لاق
ياسائلى عن طعمه * ألفيته مر المذاق
جسمى يذوب ومقلتى * عبرى وقلبى ذو احتراق
مالى أليف بعدكم * الا اكتئابى واشتياقى
فالله يحفظكم جميعا * فى مقامى وانطلاقى

ولابن المعتز يرثيه

يا دهر ويحك ما أبقيت لى أحدا * وأنت والد سوء تأكل الولدا
استغفر الله بل ذا كله قدر * رضيت بالله ربا واحدا صمدا
ياساكن القبر فى غبراء مظلمة * بالظاهرية مقصى الدار منفردا
اين الجيوش التى قد كنت تنجبها * أين الكنوز التى أحصيتها عددا
أين السرير الذى قد كنت تملؤه * مهابة من رأته عينه ارتعدا
أين الاعادى الاولى ذللت مصعبهم * أين الليوث التى صيرتها بددا
أين الجياد التى حجلتها بدم * وكن يحملن منك الضيغم الاسدا
أين الرماح التى غذيتها مهجا * مذ مت ما وردت قلبا ولا كبدا
أين الجنان التى تجرى جداولها * وتستجيب اليها الطائر الغردا

أين الوصائف كالغزلان رائعة * يسحبن من حلل موشية جددا * أين الملاهي وأين الراح تحسبها
ياقوتة كسيت من فضة زردا * أين الوثوب الى الاعداء مبتغيا * صلاح ملك بني العباس اذ فسدا
مازلت تقسر منهم كل قسورة * وتحطم العالي الجبار معتمدا
ثم انقضيت فلا عين ولا أثر * حتى كأنك يوما لم تكن أحدا

مات في أيام المعتضد من الاعلام ابن المواز المالكي وابن أبي الدنيا واسمعيل القاضي والحارث بن أبي اسامة وأبو العيناء والمبرد وأبو سعيد الخراز شيخ الصوفية والبحتري الشاعر وخلائق آخرون وخلف المعتضد من الاولاد أربعة ذكور ومن الاناث احدى عشرة

(المكتفي بالله أبو محمد)

المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد ولد في غرة ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين وأمه تركية اسمها جيجك وكان يضرب بحسنها المثل حتى قال بعضهم شعرا

قايست بين جمالها وفعالها * فاذا الملاحة بالخيانة لا تفي
والله لا كلمتها ولو انها * كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

وعهد اليه أبوه فبويع في مرضه يوم الجمعة بعد العصر لاحدى عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين قال الصولي وليس من الخلفاء من اسمه علي الا هو وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ولا من يكنى أبا محمد سوى الحسن بن علي والهادي والمكتفي ولما بويع له عند موت أبيه كان غائبا بالرقة فنهض بأعباء البيعة الوزير أبو الحسن القاسم بن عبيد الله وكتب له فوافى بغداد في سابع جمادى الاولى ومر بدجلة في سمارية وكان يوما عظيما وسقط أبو عمر القاضي من الزحمة في الجسر وأخرج سالما ونزل المكتفي بدار الخلافة وقالت الشعراء وخلع على القاسم الوزير سبع خلع وهدم المطامير التي اتخذها أبوه وصيرها مساجد وأمر برد البساتين والحوانيت التي أخذها أبوه من الناس ليعملها قصرا الى أهلها وسار سيرة جميلة فأحبه الناس ودعوا له وفي هذه السنة زلزلت بغداد زلزلة عظيمة دامت أياما وفيها هبت ريح عظيمة بالبصرة قلعت عامة نخلها ولم يسمع بمثل ذلك وفيها خرج يحيى بن زكرويه القرمطي واستمر القتال بينه وبين عسكر الخليفة الى أن قتل في سنة تسعين فقام عوضه أخوه الحسين وأظهر شامة في وجهه وزعم انها آيته وجاءه ابن عمه عيسى بن مهرويه وزعم ان لقبه المدثر وانه المعني في السورة ولقب غلاما له المطوق بالنور وظهر على الشام وعاث وافسد وتسمى بامير المؤمنين المهدي ودعي له على المنابر ثم قتل الثلاثة في سنة احدى وتسعين وفي هذه السنة فتحت انطالية باللام من بلاد الروم عنوة وغنم منها ما لا يحصى من الاموال وفي سنة اثنتين زادت دجلة زيادة لم ير مثلها حتى خربت بغداد وبلغت الزيادة احدا وعشرين ذراعا ومن شعر الصولي يمدح المكتفي ويذكر القرمطي

كفى المكتفي الخليفة ما كان قد حذر
الى أن قال آل عباس أنتم * سادة الناس والغرر حكم الله انكم * حكماء على البشر
وأولو الامر منكمو * صفوة الله والخير من رأى ان ؤمنا * من عصاكم فقد كفر
أنزل الله ذا كمو * قبل في محكم السور

قال الصولي سمعت المكتفي يقول في علته والله ما آسى الا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من مال المسلمين في أبنية ما احتجت اليها وكنت مستغنيا عنها أخاف أن أسئل عنها واني أستغفر الله منها مات المكتفي شابا في ليلة الاحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين وخلف ثمانية أولاد ذكور وثمانية اناث وممن مات في أيامه من الاعلام عبد الله بن أحمد بن حنبل وثعلب امام العربية وقنبل المقرئ وأبو عبد الله البوسنجي

خمس ثم بعد الحمام يتناول من الشراب الموافق لمزاجه ثم التغذي بعد ذلك وأما من يتعاناه في زمان هذا في وقت القائلة من الظهر الى العصر فضر بالفارس والفرس ويتولد منه أنواع المضار المختلفة فليكن على قدر العوائد وما تمرنت عليه البشرية

(فصل) وأما الشطرنج فقد دخله في هذا الباب لكونه وضع لصفة الحرب ولما فيه من قصد المغالبة وهو ينهض القوة الغضبية وهو من وضع الهند واقتباساتهم مثال في سياسة الملك وتدبير الحرب ويشيرون الى ان بالتدبير والفكر في المصلحة ينال الظفر ويدفع الضرر والفرس وضعت النرد على البخت والرزق يشيرون الى أن الامور بالتقدير لا بالتدبير وبالعادة لا بالارادة فاما ما يتعلق بالشرع فالنرد محرم باجماع والشطرنج مختلف فيه والاظهر في مذهب الشافعي اباحته اذ لم يثبت فيه نص ونقل أن الصحابة كانت تلعب به كعبد الله بن جعفر وغيره

(فصل) والذي ينبغي لمن يلعب بالشطرنج ان لا يحلف عليها بصدق ولا بكذب ويترك المراء ويجتنب المكابرة فانه لعب لا ينبغي ان يوصل به الى الحسد والغضب ولا يراهن عليه لانه حرام وفيه مواد الحقود فان كان لابد من ذلك فيتوصل اليه بطريق الهبة أو النذر وليكن على المأكول والاشياء اليسيرة دون الاموال فانه قمار وهو ردي غير محمود لا شرعا ولا عقلا ومن لعب مع الملك أو مع من هو من العظماء فليصبر حتى يبتدئ هو باختيار أحد

الفقيه والبزار صاحب المسند وأبو مسلم الكجي والقاضي أبو حازم وصالح جزرة ومحمد بن نصر المروزي الامام وأبو الحسين النوري شيخ الصوفية وأبو جعفر الترمذي شيخ الشافعية بالعراق ورأيت في تاريخ نيسابور لعبد الغافر عن ابن أبي الدنيا قال لما أفضت الخلافة الى المكتفي كتبت اليه بيتين

ان حق التأديب حق الابوة * عند أهل الحجى وأهل المروة

وأحق الرجال ان يحفظوا ذا * كبر ويرعوه أهل بيت النبوة

قال فحمل الى عشرة آلاف درهم وهذا يدل على تأخر ابن أبي الدنيا الى أيام المكتفي

(المقتدر بالله أبو الفضل)

المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد ولد في رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين وأمه رومية وقيل تركية اسمها غريب وقيل شغب ولما اشتدت علة أخيه المكتفي سأل عنه فصح عنده انه احتلم فعهد اليه ولم يل الخلافة قبله أصغر منه فانه وليها وله ثلاث عشرة سنة فاستصباه الوزير العباس ابن الحسن فعمل على خلعه ووافقه جماعة على ان يولوا عبد الله بن المعتز فأجاب ابن المعتز بشرط ان لا يكون فيها دم فبلغ المقتدر ذلك فأصلح حال العباس ودفع اليه أموالا أرضته فرجع عن ذلك وأما الباقون فانهم ركبوا عليه في العشرين من ربيع الاول سنة ست والمقتدر يلعب بالاكرة فهرب ودخل وأغلقت الابواب وقتل الوزير وجماعة وأرسل الى ابن المعتز فجاء وحضر القواد والقضاة والاعيان وبايعوه بالخلافة ولقبوه الغالب بالله فاستوزر محمد بن داود بن الجراح واستقضى أبا المثنى أحمد بن يعقوب ونفذت الكتب بخلافة ابن المعتز قال المعافى بن زكريا الجريري لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز دخلوا على شيخنا محمد بن جرير الطبري فقال ما الخبر قيل بويع ابن المعتز قال فمن رشح للوزارة قيل محمد ابن داود قال فمن ذكر للقضاء قيل أبو المثنى فأطرق ثم قال هذا الامر لا يتم قيل له وكيف قال كل واحد ممن سميتم متقدم في معناه عالي الرتبة والزمان مدبر والدنيا مولية وما أرى هذا الا الى اضمحلال وما أرى لمدته طولا وبعث ابن المعتز الى المقتدر يأمره بالانصراف الى دار محمد بن طاهر لكي ينتقل ابن المعتز الى دار الخلافة فأجاب ولم يكن بقي معه الا طائفة يسيرة فقالوا يا قوم نسلم هذا الامر ولا نجرب نفوسنا في دفع ما نزل بنا فلبسوا السلاح وقصدوا المخرم وبه ابن المعتز فلما رآهم من حوله ألقى الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا منهزمين بلا قتال وهرب ابن المعتز ووزيره وقاضيه ووقع النهب والقتل في بغداد وقبض المقتدر على الفقهاء والامراء الذين خلعوه وسلموا الى يونس الخازن فقتلهم الا أربعة منهم القاضي أبو عمر فانهم سلموا من القتل وحبس ابن المعتز ثم أخرج فيما بعد ميتا واستقام الامر للمقتدر فاستوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات فسار أحسن سير وكشف المظالم وحض المقتدر على العدل ففوض اليه الامور لصغره واشتغل باللعب واللهو وأتلف الخزائن وفي هذه السنة أمر المقتدر ان لا يستخدم اليهود والنصارى وأن يركبوا بالاكف وفيها غلب أمر المهدي بالمغرب وسلم عليه بالامامة ودعي له بالخلافة وبسط في الناس العدل والاحسان فانحرفوا اليه وتمهدت له المغرب وعظم ملكه وبنى المهدية وهرب أمير افريقية زيادة الله بن أغلب الى مصر ثم أتى العراق وخرجت المغرب عن أمر بني العباس من هذا التاريخ فكانت مدة ملكهم جميع الممالك الاسلامية مائة وبضعا وستين سنة ومن هنا دخل النقص عليهم قال الذهبي اختل النظام كثيرا في أيام المقتدر لصغره وفي سنة ثلاثمائة ساخ جبل بالدينور في الارض وخرج من تحته ماء كثير أغرق القرى وفيها ولدت بغلة فلوا فسبحان القادر على ما يشاء وفي سنة احدى وثلثمائة ولي الوزارة علي بن عيسى فسار بعفة وعدل وتقوى وأبطل الخمور وأبطل من المكوس ما ارتفاعه في العام خمسمائة ألف دينار وفيها أعيد القاضي أبو عمر الى القضاء وركب المقتدر من داره الى الشماسية وهي أول ركبة ركبها وظهر فيها للعامة وفيها أدخل الحسين الحلاج مشهورا على جمل الى بغداد فصلب حيا ونودي عليه هذا أحد

الصنفين ثم يصبر حتى يبتدي باللعب (١٥٢) ويحترز أن يمثل عليها بالامثال القبيحة والاشعار السخيفة فكثيرا ما يجري مثل ذلك من اللعاب ولا يقال للملك غلبت ولا قهرت ولا شاه مات وانما يقال شاه بلا بيت أو شاه ويسكت واذا فرغ من اللعب فلا يطرح الشطرنج في وسط الرقعة بل يبقي مكانه حتى يشرع في صفه واذا حضرت بحضرة من يلعب فلا تدبب لاحدهما على الآخر ولا تشر اليه فيشتغل صاحبه ويشنؤك الخصم (ويحكى) ان أميرين جلسا بحضرة عضد الدولة يلعبان بالشطرنج فأشار الى أحدهما يعلمه على الآخر وهما متراهنان فقال لصاحبه غلبتني يا فلان قال وكيف ذلك قال لان الملك عضد الدولة يدبب لك علي ومن كان عليه فانه مغلوب لا محالة فدعني أزيح التعب فأعجب بأدبه وسكت عنه فاتفق أنه غلب كما قال فوفى عنه عضد الدولة ولعلي بن جهم في وصف الشطرنج

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين جيشين مصفوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها * من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يكر على هذا وذاك على * هذا يكر وعين الحرب لم تنم
فانظر الى فطن جاشت بفكرهما * بعسكرين بلا طبل ولا علم

ولابن بكري فيها

انما العيش بالشطرنج يا صاح رياضه * فاهجر الهجر لديها لا تردويا حياضه
وتجنب صاحب الجهل ومن فيه غضاضه * لا تجالس غير ندب زانه العقل وراضه

وأحسن ما سمعته من الشيخ رشيد الدين الفارقي . دعاة

رحمه الله بيناه مفردا في كيفية لعبها وأنه من حفظه وعمل به لم يغلب وهو حقق مقاصد كل نقل وانتهى *عنه ولاحظ ما على الشاهين

دعاة القرامطة فاعرفوه ثم حبس الى أن قتل في سنة تسع وأشيع عنه انه ادعى الالهية وانه يقول بحلول اللاهوت
في الاشراف ويكتب الى أصحابه من النور الشعشعاني ونوظر فلم يوجد عنده شيء من القرآن ولا الحديث ولا الفقه
وفيها سار المهدي الفاطمي يريد مصر في أربعين ألفا من البربر فحال النيل بينه وبينها فرجع الى اسكندرية
وأفسد فيها وقتل ثم رجع فسار اليه جيش المقتدر الى برقة وجرت لهم حروب ثم ملك الفاطمي الاسكندرية
والفيوم من هذا العام وفي سنة اثنتين ختن المقتدر خمسة من أولاده فغرم على ختانهم ستمائة ألف دينار وختن
معهم طائفة من الايتام وأحسن اليهم وفيها صلى العيد في جامع مصر ولم يكن يصلى فيه العيد قبل ذلك فخطب
بالناس علي بن أبي شيخة من الكتاب نظرا وكان من غلطه ان قال اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مشركون
وفيها أسلم الديلم على يد الحسن بن علي العلوي الاطروش وكانوا مجوسيا وفي سنة أربع وقع الخوف ببغداد من
حيوان يقال له الزبزب ذكر الناس انهم يرونه بالليل على الاسطحة وانه يأكل الاطفال ويقطع ثدي المرأة
فكانوا يتحارسون ويضربون بالطاسات ليهرب واتخذ الناس لاطفالهم مكاب ودام عدة ليال وفي سنة خمس
قدمت رسل ملك الروم بهدايا وطلبت عقد هدنة فعمل المقتدر موكبا عظيما فأقام العسكر وصفهم بالسلاح وهم
مائة وستون ألفا من باب الشماسية الى دار الخلافة وبعدهم الخدام وهم سبعة آلاف خادم ويليهم الحجاب وهم
سبعمائة حاجب وكانت الستور التي نصبت على حيطان دار الخلافة ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج
والبسط اثنين وعشرين ألفا وفي الحضرة مائة سبع في السلاسل الى غير ذلك وفي هذه السنة وردت هدايا
صاحب عمان وفيها طير اسود يتكلم بالفارسية والهندية أفصح من الببغا وفي سنة ست فتح مارستان أم
المقتدر وكان مبلغ النفقة فيه في العام سبعة آلاف دينار وفيها صار الامر والنهي لحرم الخليفة ونسائه
لركاكته وآل الامر الى أن أمرت أم المقتدر بمثل القهرمانة أن تجلس للمظالم وتنظر في رقاع الناس كل جمعة
فكانت تجلس وتحضر القضاة والاعيان وتبرز التواقيع وعليها خطها وفيها عاد القائم محمد بن المهدي الفاطمي
الى مصر فأخذ أكثر الصعيد وفي سنة ثمان غلت الاسعار ببغداد وشغبت العامة لكون حامد بن العباس ضمن
السواد وجدد المظالم ووقع النهب وركب الجند فيها وشتمهم العامة ودام القتال أياما وأحرق العامة الحبس
وفتحوا السجون ونهبوا الناس ورجموا الوزير واختلفت أحوال الدولة العباسية جدا وفيها ملكت جيوش
القائم الجزيرة من الفسطاط واشتد قلق أهل مصر وتأهبوا للحروب وجرت أمور وحروب يطول شرحها في
سنة تسع قتل الحلاج بافتاء القاضي أبي عمر والفقهاء والعلماء انه حلال الدم وله في أحواله السنية أخبار
أفردها الناس بالتصنيف وفي سنة احدى عشرة أمر المقتدر برد المواريث الى ما صيرها المعتضد من توريث
ذوي الارحام وفي سنة اثنتي عشرة فتحت فرغانة على يد والي خراسان وفي سنة أربع عشرة دخلت الروم
ملطية بالسيف وفيها جمدت دجلة بالموصل وعبرت عليها الدواب وهذا لم يعهد وفي سنة خمس عشرة دخلت
الروم دمياط وأخذوا من فيها وما فيها وضربوا الناقوس في جامعها وفيها ظهرت الديلم على الري والجبال فقتل
خلق وذبحت الاطفال وفي سنة ست عشرة بنى القرمطي دارا سماها دار الهجرة وكان في هذه السنين قد كثر
فساده وأخذه البلاد وفتكه بالمسلمين واشتد الخطب به وتمكنت هيبته في القلوب وكثر اتباعه وبث السرايا
وتزلزل له الخليفة وهزم جيش المقتدر غير مرة وانقطع الحج في هذه السنين خوفا من القرامطة ونزح أهل مكة
عنها وقصدت الروم ناحية خلاط وأخرجوا المنبر من جامعها وجعلوا الصليب مكانه وفي سبع عشرة خرج
مؤنس الخادم الملقب بالمظفر على المقتدر لكونه بلغه انه يريد ان يولي امرة الامراء هرون بن غريب مكان
مؤنس وركب معه سائر الجيش والامراء والجنود وجاؤا الى دار الخلافة فهرب خواص المقتدر وأخرج
المقتدر بعد العشاء وذلك في ليلة رابع عشر المحرم من داره وأمه وخالته وحرمه ونهب لامه ستمائة ألف دينار
وأشهد عليه بالخلع وأحضر محمد بن المعتضد وبايعه مؤنس والامراء ولقبوه القاهر بالله وفوضت الوزارة الى

(الباب العاشر)
في الصيد والقنص وصفات
الجوارح والكواسر
وأمراضها وعلاجاتها

قال الله تعالى واذا حللتم
فاصطادوا وقال عز من قائل
وما علمتم من الجوارح مكلبين
تعلمونهن مما علمكم الله
فكلوا مما أمسكن عليكم
واذكروا اسم الله عليه *وفي
الحديث الصحيح عن عدي
ابن حاتم قال سألت النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت انا
قوم نصيد بهذه الكلاب
فقال اذا أرسلت كلابك
المعلمة وذكرت اسم الله عليها
فكل مما أمسكن عليك
وان قتلن الا أن يأكل
الكلب فان أكل فلا تأكل
فاني أخاف ان يكون انما
أمسك على نفسه وان خالطها
كلاب غيرها فلا تأكل
فانما سميت على كلبك ولم
تسم على غيره وفي الترمذي
عن محمد بن حاتم قال سألت
النبي صلى الله عليه وسلم عن
صيد البازي فقال ما أمسك
عليك فكل وفي الصحيحين
عن عدي بن حاتم قال قلت
اني أرمي بالمعراض فأصيب
فقال عليه السلام اذا رميت
بالمعراض فخزق فكله وان
أصابه بعرضه فلا تأكله في
الشرح ان المعراض سهم
كبير لاريش عليه والعصا في
معناه وفي صحيح مسلم قال
قال رسول الله صلى الله عليه

 وسلم اذا رميت سهمك فاذكر اسم الله فان وجدته قد قتل فكل الا ان تجده قد وقع في ماء فانك لا تدري الماء قتله أو سهمك

أبى على بن مقلة وذلك يوم السبت وجلس القاهر يوم الاحد وكتب الوزير عنه الى البلاد وعمل الموكب يوم الاثنين فجاء العسكر يطلبون رزق البيعة ورزق السنة ولم يكن مؤنس حاضرا فارتفعت الاصوات فقتلوا الحاجب ومالوا الى دار مؤنس يطلبون المقتدر ليردوه الى الخلافة فحملوه على أعناقهم من دار مؤنس الى قصر الخلافة وأخذ القاهر فجىء به وهو يبكى و يقول الله الله فى نفسى فاستدناه وقبله وقال له يا أخى أنت والله لاذنب لك والله لاجرى عليك منى سوء أبدا فطاب نفسا وسكن الناس وعاد الوزير فكتب الى الاقاليم بعود الخليفة الى خلافته وبذل المقتدر الاموال فى الجند وفى هذه السنة سير المقتدى ركب الحاج مع منصور الديلمى فوصلوا الى مكة سالمين فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطى فقتل الحجيج فى المسجد الحرام قتلا ذريعا وطرح القتلى فى بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه وأقام بها أحد عشر يوما ثم رحلوا وبقى الحجر الاسود عندهم أكثر من عشرين سنة ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا حتى أعيد فى خلافة المطيع وقيل انهم لما أخذوه هلك تحته أربعون جملا من مكة الى هجر فلما أعيد حمل على قعود هزيل فسمن قال محمد بن الربيع بن سليمان كنت بمكة سنة القرامطة فصعد رجل لقلع الميزاب وأنا أراه فعيل صبرى وقلت يارب ما أحلمك فسقط الرجل على دماغه فمات وصعد القرمطى على باب الكعبة وهو يقول

أنا بالله و بالله أنا * يخلق الخلق ويفنيهم أنا

ولم يفلح أبو طاهر القرمطى بعدها وتقطع جسده بالجدرى وفى هذه السنة هاجت فتنة كبرى ببغداد بسبب قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا فقالت الحنابلة معناها يقعده الله على عرشه وقال غيرهم بل هى الشفاعة ودام الخصام واقتتلوا حتى قتل جماعة كثيرة وفى سنة تسع عشرة نزل القرمطى الكوفة وخاف أهل بغداد من دخوله اليها فاستغاثوا ورفعوا أصواتهم والمصاحف وسبوا المقتدر وفيها دخلت الديلم الدينور فسبوا وقتلوا وفى سنة عشرين ركب مؤنس على المقتدر فكان معظم جند مؤنس البربر فلما التقى الجمعان رمى بربرى المقتدر بحربة سقط منها الى الارض ثم ذبحه بالسيف وشيل رأسه على رمح وسلب ماعليه وبقى مكشوف العورة حتى ستر بالحشيش ثم حفر له بالموضع ودفن وذلك يوم الاربعاء لثلاث بقين من شوال وقيل ان وزيره أخذ له ذلك اليوم طالعا فقال له المقتدر أى وقت هو قال وقت الزوال فتطير وهم بالرجوع فاشرفت خيل مؤنس ونشبت الحرب وأما البربرى الذى قتله فان الناس صاحوا عليه فسار نحو دار الخلافة ليخرج القاهر فصادفه حمل شوك فزحمه الى دكان لحام فعلقه كلاب وخرج الفرس من مشواره من تحته فمات فحطه الناس وأحرقوه بالحمل الشوك وكان المقتدر جيد العقل صحيح الرأى لكنه كان مؤثرا للشهوات والشراب مبذرا وكان النساء غلبن عليه فأخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها وأعطى بعض حظاياه الدرة اليتيمة ووزنها ثلاثة مثاقيل وأعطى زيدان القهرمان سبحة جوهر لم ير مثلها وأتلف أموالا كثيرة وكان فى داره أحد عشر ألف غلام خصيان غير الصقالبة والروم والسود وخلف اثنى عشر ولدا ذكرا وولى الخلافة من أولاده ثلاثة الراضى والمتقى والمطيع وكذلك اتفق للمتوكل والرشيد وأما عبد الملك فولى الامر من أولاده أربعة ولا نظير لذلك الا فى الملوك كذا قال الذهبى قلت فى زماننا ولى الخلافة من أولاد المتوكل خمسة المستعين العباس والمعتضد داود والمستكفى سليمان والقائم حمزة والمستنجد يوسف ولا نظير لذلك وفى لطائف المعارف للثعالبى (نادرة) لم يل الخلافة من اسمه جعفر الا المتوكل والمقتدر وقتلا جميعا المتوكل ليلة الاربعاء والمقتدر يوم الاربعاء ومن محاسن المقتدر ما حكاه ابن شاهين ان وزيره على بن عيسى أراد ان يصلح بين ابن صاعد و بين أبى بكر بن أبى داود السجستانى فقال الوزير يا أبا بكر أبو محمد أكبر منك فلو قمت اليه قال لا أفعل فقال الوزير أنت شيخ زيف فقال ابن أبى داود والشيخ الزيف الكذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا ثم قام ابن أبى داود وقال

عليها حتى أخذتها فجئت بها الى أبى طلحة فبعث الى النبى صلى الله عليه وسلم بفخذها وركها فقبله وفى سنن أبى داود عن ابن عمر قال جىء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فلم يأكلها ولم ينه عنها وقيل انها تحيض وفى سنن أبى داود والنسائى عن خزيمة بن جرير قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن أكل الضبع فقال أو يأكل الضبع أحد وعن يزيد بن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أكلت مع النبى صلى الله عليه وسلم لحم حبارى وفى الصحاح عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وعن كل ذى مخلب من الطير وفى البخارى والنسائى عن أسماء بنت أبى بكر قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فأكلناه وفى النسائى عن خالد بن الوليد انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل أكل لحوم الخيل والبغال والحمير والاول أصح وان صح هذا فهو منسوخ بالاول وفى الصحاح كثير من ذلك وفيما أوردناه كفاية

(فصل) والصيد نزهة الملوك وقناعة الصعلوك أما الملوك فانها تتدرب على الفروسية وتمرن على الصبر فى السفر والجوع والعطش وتقوى على شدة التعب وتسر بحلاوة الظفر ومن كانت قوته الغضبية خاملة تحركت أو ناقصة

توهم أني أذل لك لاجل ان رزقي يصل الى على يدك والله لا أخذت من يدك شيأ أبدا فبلغ المقتدر ذلك فصار يزن رزقه بيده ويبعث به فى طبق على يد الخادم مات فى أيام المقتدر من الاعلام محمد بن أبي داود الظاهرى و يوسف بن يعقوب القاضى وابن شريح شيخ الشافعية والجنيد شيخ الصوفية وأبو عثمان الحيرى الزاهد وأبو بكر البرديجى وجعفر القريانى وابن بسام الشاعر والنسائى صاحب السنن والحسن بن سفيان صاحب السنن والجبائى شيخ المعتزلة وابن المواز النحوى وابن الجلاء شيخ الصوفية وأبو يعلى الموصلى صاحب المسند والاشنانى المقرئ وابن سيف من كبار قراء مصر وأبو بكر الرويانى صاحب المسند وابن المنذر الامام وابن جرير الطبرى والزجاج النحوى وابن خزيمة وابن زكريا الطبيب والاخفش الصغير وبنان الجمال وأبو بكر بن أبي داود السجستانى وابن السراج النحوى وأبو عوانة صاحب الصحيح وأبو القاسم البغوى المسند وأبو عبيد بن حربويه والكعبى شيخ المعتزلة وأبو عمر القاضى وقدامة الكاتب وخلائق آخرون

(القاهر بالله أبو منصور)

القاهر بالله أبو منصور بن محمد بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل أمه أم ولد اسمها فتنة لما قتل المقتدر أحضر هو ومحمد ابن المكتفى فسألوا ابن المكتفى ان يتولى فقال لا حاجة لى فى ذلك وعمى هذا أحق به فكلم القاهر فأجاب فبويع ولقب القاهر بالله كما لقب به فى سنة سبع عشرة فأول ما فعل ان صادر آل المقتدر وعذبهم وضرب أم المقتدر حتى ماتت فى العذاب وفى سنة احدى وعشرين شغب عليه الجند واتفق مؤنس وابن مقلة وآخرون على خلعه بابن المكتفى فتحيل القاهر عليهم الى ان امسكهم وذبحهم وطين على ابن المكتفى بين حيطتين وأما ابن مقلة فاختفى فاحرقت داره ونهبت دور المخالفين ثم أطلق أرزاق الجند فسكنوا واستقام الامر للقاهر وعظم فى القلوب وزيد فى القابه المنتقم من أعداء دين الله ونقش ذلك على السكة وفى هذه السنة أمر بتحريم القيان والخمر وقبض على المغنين ونفى المخانيث وكسر آلات اللهو وأمر ببيع المغنيات من الجوارى على أنهن سوادج وكان مع ذلك لا يصحو من السكر ولا يفتر من سماع الغناء وفى سنة اثنتين وعشرين ظهرت الديلم وذلك لان أصحاب مرداويج دخلوا أصبهان وكان من قواده على بن بويه فاقتطع مالا جليلا فانفرد عن مخدومه ثم التقى هو ومحمد بن ياقوت نائب الخليفة فهزم محمدا واستولى ابن بويه على فارس وكان بويه فقيرا صعلوكا يصيد السمك رأى كأنه بال فخرج من ذكره عمود نار ثم تشعب العمود حتى ملأ الدنيا فعبرت بان أولاده يملكون الدنيا ويبلغ سلطانهم على قدر ما احتوت عليه النار فمضت السنون وآل الامر على هذا الى ان صار قائد المرداويج بن زياد الديلمى فأرسله يستخرج له مالا من الكرخ فاستخرج خمسمائة ألف درهم وأتى همدان ليملكها فغلق أهلها فى وجهه الابواب فقاتلهم وفتحها عنوة وقيل صلحا ثم صار الى شيراز ثم انه قل ما عنده من المال فنام على ظهره فخرجت حية من سقف المجلس فأمر بنقضه فخرجت صناديق ملأى ذهبا فأنفقها فى جنده وطلب خياطا يخيط له شيأ وكان أطروشا فظن انه قد سعى به فقال والله ما عندى سوى اثنى عشر صندوقا لا أعلم ما فيها فأحضرت فوجد فيها مالا عظيما وركب يوما فساخت قوائم فرسه فحفروه فوجدوا فيه كنزا واستولى على البلاد وخرجت خراسان وفارس عن حكم الخلافة وفى هذه السنة قتل القاهر اسحق بن اسمعيل النوبختى الذى قد كان أشار بخلافة القاهر ألقاه على رأسه فى بئر وطمت وذنبه انه زايد القاهر قبل الخلافة فى جارية واشتراها فحقد عليه وفيها تحرك الجند عليه لان ابن مقلة فى اختفائه كان يوحشهم منه ويقول لهم انه بنى لكم المطامير ليحبسكم وغير ذلك فأجمعوا على القتال به فدخلوا عليه بالسيوف فهرب فأدركوه وقبضوا عليه فى سادس جمادى الآخرة وبايعوا أبا العباس محمد بن المقتدر ولقبوه الراضى بالله ثم أرسلوا الى القاهر الوزير والقضاة أبا الحسين بن

تكملات فان أرباب السياسة يحتاجون الى تعهد القوة الغضبية حتى يستقيم الامر وأما الصعلوك فيخرج من منزله وقد ترك أطفاله جياعا يتصارخون الى الصحراء بكلابه فيرجع وقد حصل لهم ما يقوتهم ولعله يحصل أكثر من ذلك وفيه من النشاط والانبساط وحسن التصرف فى ركوب الخيل ورياضة البدن على التعب ما لا يخفى ولا ينبغي ان يواظب على ذلك ولا يكثر منه ولا يفسد بسببه الزرع قال الله تعالى ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها قيل هو اتلاف الزرع والاكثار منه ليس بمحمود وكثيرا ما يطرأ فيه الخطأ والسقوط والجراح وغيرها والتوسط فى ذلك خير من الافراط ولا ينبغي ان يتوغل فى طلب الصيد فى أرض لم يخبرها فربما كانت فيها مسايل أو أودية أو مواحل أو مهالك وكذلك لا يدخل الاجمة ومواضع السباع ولا يجرى بفرسه على الجندل وبالجملة لا يغرر بنفسه ولا يصطاد فى أرض العدو ومواضع يخاف فيها المكامن وكثير من الملوك ظفر بهم العدو فى الصيد واذا تدبرت هذا الامر تجد أكثر ما دخل الدخيل على الملوك فى الصيد وتمكنت فى قلوبهم الاحقاد الكامنة مثل أمر قطز والملك الاشرف وغيرهما وما جرى لبهرام جور ملك الفرس مع جودة فروسيته كان كثير الغرام بالصيد وفيه هلك وذلك انه تبع حمار وحش فغاب عنه فى ضباب وأطلق فرسه خلفه فوقع فى سبخة غاص فيها بفرسه وهلك ولم يقدر

القاضي أبي عمر والحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب وأبا طالب بن البهلول فجاؤه فقيل له ما تقول قال أنا أبو منصور محمد بن المعتضد لي في أعناقكم بيعة وفي أعناق الناس ولست أبرئكم ولا أحللكم منها فقوموا فقاموا فقال الوزير يخلع ولا يفكر فيه أفعاله مشهورة وقال القاضي أبو الحسين فدخلت على الراضي وأعدت عليه ما جرى وأعلمته اني أرى امامته فرضا فقال انصرف ودعني واياه فأشار سيماء بقدم الحربة على الراضي بسمله فكحله بمسمار محمي قال محمود الاصبهاني كان سبب خلع القاهر سوء سيرته وسفكه الدماء فامتنع من الخلع فسملوا عينيه حتى سالتا على خديه وقال الصولي كان أهوج سفاكا للدماء قبيح السيرة كثير التلون والاستحالة مدمن الخمر ولولا جودة حاجبه سلامة لأهلك الحرث والنسل وكان قد صنع حربة يحملها فلا يطرحها حتى يقتل بها انسانا قال علي بن محمد الخراساني أحضرني القاهر يوما والحربة بين يديه فقال أسألك عن خلفاء بني العباس عن أخلاقهم وشيمهم قلت أما السفاح فكان مسارعا الى سفك الدماء واتبعه عماله على مثل ذلك وكان مع ذلك سمحا وصولا بالمال قال فالمنصور قلت كان أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد أبي طالب وكانوا قبلها متفقين وهو أول خليفة قرب المنجمين وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية ككتاب كليلة ودمنة وكتاب اقليدس وكتب اليونان فنظر الناس فيها وتعلقوا بها فلما رأى ذلك محمد بن اسحق جمع المغازي والسير والمنصور أول من استعمل مواليه وقدمهم على العرب قال فالمهدي قلت كان جوادا عادلا منصفا رد ما أخذ أبوه من الناس غصبا وبالغ في اتلاف الزنادقة وبنى المسجد الحرام ومسجد المدينة والاقصى قال فالهادي قلت كان جبارا متكبرا فسلك عماله طريقه على قصر أيامه قال فالرشيد قلت كان مواظبا على الغزو والحج وعمر القصور والبرك بطريق مكة وبنى الثغور كاذنة وطرسوس والمصيصة ومرعش وعم الناس احسانه وكان في أيامه البرامكة وما اشتهر من كرمهم وهو أول خليفة لعب بالصوالجة ورمى النشاب في البرجاس ولعب بالشطرنج من بني العباس قال فالامين قلت كان جوادا الا انه انهمك في لذاته ففسدت الامور قال فالمأمون قلت غلب عليه النجوم والفلسفة وكان حليما جوادا قال فالمعتصم قلت سلك طريقه وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بملوك الاعاجم واشتغل بالغزو والفتوح قال فالواثق قلت سلك طريقة أبيه قال فالمتوكل قلت خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقادات ونهى عن الجدال والمناظرات والاهواء وعاقب عليها وأمر بقراءة الحديث وسماعه ونهى عن القول بخلق القرآن فأحبه الناس ثم سأل عن باقي الخلفاء وأنا أجيبه بما فيهم فقال لي سمعت كلامك وكأني أشاهد القوم ثم قام وقال المسعودي أخذ القاهر من مؤنس وأصحابه مالا عظيما فلما خلع وسمل طولب بها فأنكر فعذب بأنواع العذاب فلم يقر بشيء فأخذه الراضي بالله فقربه وأدناه وقال له قد ترى مطالبة الجند بالمال وليس عندي شيء والذي عندك فليس بنافع لك فاعترف به فقال اما اذا فعلت هذا فالمال مدفون في البستان وكان قد أنشأ بستانا فيه أصناف الشجر حملت اليه من البلاد وزخرفه وعمل فيه قصرا وكان الراضي مغرما بالبستان والقصر فقال وفي أي مكان المال منه فقال أنا مكفوف لا أهتدي الى مكان فاحفر البستان تجده فحفر الراضي البستان وأساسات القصر وقلع الشجر فلم يجد شيئا فقال له وأين المال فقال وهل عندي مال وانما كان حسرتي في جلوسك في البستان وتنعمك فأردت أن أفجعك فيه فندم الراضي وحبسه فأقام الى سنة ثلاث وثلاثين ثم أطلقوه وأهملوه فوقف يوما بجامع المنصور بين الصفوف وعليه مبطنة بيضاء وقال تصدقوا علي فأنا من قد عرفتم وذلك في أيام المستكفي ليشنع عليه فمنع من الخروج الى ان مات سنة تسع وثلاثين في جمادي الاولى عن ثلاث وخمسين سنة وكان له من الولد عبد الصمد وأبو القاسم وأبو الفضل وعبد العزيز ومات في أيامه من الاعلام الطحاوي شيخ الحنفية وابن دريد وأبو هاشم الجبائي وآخرون

على اخراج جثته الا بتعب شديد

(ويحكى) عن بعض ملوك السلجوقية انه عمل حلقة على الصيد لجمع فيها كل صنف من الاصناف وضيقها وضغطها فجعلت تلهث من شدة الحر والعطش وألم الجراح فرفعت رؤسها الى السماء وصاحت كالمستغيثة صياحا منكرا بأصوات مختلفة فأصاب الملك القولنج فسقط عن فرسه بوقته فانحل الجمع لاشتغال الناس به وشردت الوحوش منطلقة في البرية ثم أفاق الملك

(فصل في ذكر الصيد وصفة الجوارح من الطير والكواسر من الفهود والكلاب) فأما أهل التجارب فيذكرون ان اتخاذ الفهد مبارك مسعود وان البركة تظهر من حين دخوله الى منزل صاحبه وهو حيوان فيه صلف يحتاج الى مداراة ويضره الحر الشديد والبرد الشديد والموضع الندي وحلية الجيد منه ما صغر سنه واتسع صدره وصغر رأسه وطال عنقه واتسعت عيناه واستدارت وأهل الشرق يختارون ما ضاقت عينه ويزعمون انه أبصر ويختار فيه دقة الخصر ولطف الكف واعتدال القد وبعد ما بين الاذنين والفهد الصغير السن علامته ان تكون أسنانه بيضاء حادة والهرم تكون أسنانه صفراء كالة وفي الفهود الابيض والاصفر والاحمر فالابيض والاصفر أحسنها وأطيبها خلقا والاحمر شرس الخلق دعر والانثى أخف وألطف للصيد والذكر لا يكاد يصطاد الا طلقين أو ثلاثة والانثى ربما تصيد

*(الراضي)

(الراضي بالله أبو العباس)

الراضي بالله أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل ولد سنة سبع وتسعين ومائتين وأمه أم ولد رومية اسمها ظلوم بويع له يوم خلع القاهر فأمر ابن مقلة ان يكتب كتابا فيه مثالب القاهر ويقرأ على الناس وفي هذا العام أي عام اثنتين وعشرين وثلثمائة من خلافته مات مرداويج مقدم الديلم بأصبهان وكان قد عظم أمره وتحدثوا انه يريد قصد بغداد وأنه مسالم لصاحب المجوس وكان يقول أنا أرد دولة العجم وأمحق دولة العرب وفيها بعث علي بن بويه الى الراضي يقاطعه على البلاد الذي استولى عليها بثمان مائة ألف ألف درهم كل سنة فبعث له لواء وخلعا ثم أخذ ابن بويه يماطل بحمل المال وفيها مات المهدي صاحب المغرب وكانت أيامه خمسا وعشرين سنة وهو جد خلفاء المصريين الذين يسميهم الجهلة بالفاطميين فان المهدي هذا ادعى انه علوي وانما جده مجوسي قال القاضي أبو بكر الباقلاني جد عبيد الله الملقب بالمهدي مجوسي دخل عبيد الله المغرب وادعى انه علوي ولم يعرفه أحد من علماء النسب وكان باطنيا خبيثا حريصا على ازالة ملة الاسلام أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من اغواء الخلق وجاء أولاده على أسلوبه أباحوا الخمور والفروج وأشاعوا الرفض وقام بالامر بعد موت هذا ابنه القائم بامر الله أبو القاسم محمد وفي هذه السنة ظهر محمد بن علي الشمعاني المعروف بابن أبي العزاقر وقد شاع عنه انه يدعي الالهية وانه يحيي الموتى فقتل وصلب وقتل معه جماعة من أصحابه وفيها توفي أبو جعفر السجزي أحد الحجاب قيل بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وحواسه جيدة وفيها انقطع الحج من بغداد الى سنة سبع وعشرين وفي سنة ثلاث وعشرين تمكن الراضي بالله وقلد ابنيه أبا الفضل وأبا جعفر المشرق والمغرب وفيها كانت واقعة ابن شنبوذ المشهورة واستتابته عن القراءة بالشاذ والمحضر الذي كتب عليه وذلك بحضرة الوزير أبي علي بن مقلة وفيها في جمادى الاولى هبت ريح عظيمة ببغداد واسودت الدنيا وأظلمت من العصر الى المغرب وفيها في ذي القعدة انقضت النجوم سائر الليل انقضاضا عظيما ما رؤي مثله وفي سنة أربع وعشرين تغلب محمد بن رائق أمير واسط ونواحيها وحكم على البلاد وبطل أمر الوزراء والدواوين وتولى هو الجميع وكتابه وصارت الاموال تحمل اليه وبطلت بيوت المال وبقي الراضي معه صورة وليس له من الخلافة الا الاسم وفي سنة خمس وعشرين اختل الامر جدا وصارت البلاد بين خارجي قد تغلب عليها أو عامل لا يحمل مالا وصاروا مثل ملوك الطوائف ولم يبق بيد الراضي غير بغداد والسواد مع كون يد ابن رائق عليه ولما ضعف أمر الخلافة في هذه الازمان ووهت أركان الدولة العباسية وتغلبت القرامطة والمبتدعة على الاقاليم قويت همة صاحب الاندلس الامير عبد الرحمن بن محمد الاموي المرواني وقال أنا أولى الناس بالخلافة وتسمى بامير المؤمنين الناصر لدين الله واستولى على أكثر الاندلس وكانت له الهيبة الزائدة والجهاد والغزو والسيرة المحمودة واستأصل المتغلبين وفتح سبعين حصنا فصار المسمون بأمير المؤمنين في الدنيا ثلاثة العباسي ببغداد وهذا بالاندلس والمهدي بالقيروان وفي سنة ست وعشرين خرج بحكم على ابن رائق فظهر عليه واختفى ابن رائق فدخل بحكم بغداد فاكرمه الراضي ورفع منزلته ولقبه أمير الامراء وقلده امارة بغداد وخراسان وفي سنة سبع وعشرين كتب ابو علي عمر بن يحيى العلوي الى القرمطي وكان يحبه ان يطلق طريق الحاج ويعطيه عن كل جمل خمسة دنانير فاذن وحج الناس وهي أول سنة أخذ فيها المكس من الحجاج وفي سنة ثمان وعشرين غرقت بغداد غرقا عظيما حتى بلغت زيادة الماء تسعة عشر ذراعا وغرق الناس والبهائم وانهدمت الدور وفي سنة تسع وعشرين اعتل الراضي ومات في شهر ربيع الآخر وله احدى وثلاثون سنة ونصف وكان سمحا كريما أديبا شاعرا فصيحا محبا للعلماء وله شعر مدون وسمع الحديث من البغوي وغيره قال الخطيب للراضي فضائل منها انه آخر خليفة له شعر مدون وآخر خليفة انفرد بتدبير

عشرة اطلاق والفهد الجبلي ينبغي ان يطرح في مكانه حجارة وحصى ليتألف الهاو بعناد وكذلك السهلي يجعل له التراب والرمل لذلك * وأما الكلاب ففي طبعها الوفاء والمحافظة وكلاب الصيد أبلغ في ذلك وهي أصناف كثيرة وصفة الجيد في السلوقية ان يكون صغير الرأس قصير العنق عظيم المقلتين ناتئ الجبهة عريضها غليظ المشفر قصير اليدين طويل الرجلين عريض الظهر دقيق الخصر في ظهره طول وفي ركبتيه انحناء والانثى كلما لطفت كانت أجود والذكر كلما كبر كان أبهى وقد يوجد في بعض الكلاب ما على أحد ساقيه مخلب أو عليهما وذلك من العلامات الجيدة في الصيد والفراهة وينبغي ان يقطع منها كلما طال لكيلا يجرحه وسود الكلاب أقوى وزرقها أبصر والسلوقية الذكور تعيش أكثر من الاناث واذا هرم الكلب اطعم السمن فانه يقويه وينشطه واذا حفي يمسح يداه ورجلاه بالقطران ويدهن تحت أذنيه وذنبه وأفخاذه بالسمن فيزول عنه العياء والتعب ومما قيل في وصف الفهد والكلاب

كأن الريح حين يلوح سرب * اعارته معالجة الهبوب
يغير فيجعل النائي قريبا * ويسلب مهجة الظبي الربيب
يلاحظ منه حين يجول جسم * تدرع جالباب القلوب

(وفي صفة وجه الفهد)

وجه كأن البدر حالة تمه * أهدى له تدويره وكماله
وجنانه منقوشة فكأنما * ألقى عليه كل خد خاله

(وفي جودة صيده)

الجيوش والاموال وآخر خليفة خطب يوم الجمعة وآخر خليفة جالس الندماء وكانت جوائزه وأموره على ترتيب المتقدمين وآخر خليفة سافر بزي القدماء ومن شعره

كل صفو الى كدر * كل أمر الى حذر * ومصير الشباب للـ
ـموت فيه أو الكبر * درّ درّ المشيب من * واعظ ينذر البشر
أيها الآمل الذي * تاه في لجة الغرر * أين من كان قبلنا
ذهب الشخص والأثر * رب فاغفر خطيئتي * أنت يا خير من غفر

ذكر أبو الحسن بن زرقويه عن اسمعيل الخطبي قال وجه الى الراضي ليلة الفطر فجئت اليه فقال يا اسمعيل قد عزمت في غد على الصلاة بالناس فما الذي أقول اذا انتهيت الى الدعاء لنفسي فاطرقت ساعة ثم قلت قل يا أمير المؤمنين رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية فقال لي حسبك ثم تبعني خادم فأعطاني أربعمائة دينار

مات في أيامه من الاعلام نفطويه وابن مجاهد المقرى وابن كاس الحنفي وابن أبي حاتم ومبرمان وابن عبد ربه صاحب العقد والاصطخري شيخ الشافعية وابن شنبوذ وأبو بكر الانباري وآخرون

(المتقي لله أبو اسحق)

المتقي لله أبو اسحق ابراهيم بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الراضي وهو ابن اربع وثلاثين سنة وأمه أمة اسمها خلوب وقيل زهرة ولم يغير شيأ قط ولا تسرى على جاريته التي كانت له وكان كثير الصوم والتعبد ولم يشرب نبيذا قط وكان يقول لا أريد نديما غير المصحف ولم يكن له سوى الاسم والتدبير لابن عبد الله أحمد بن علي الكوفي كاتب بجكم وفي هذه السنة من ولايته سقطت القبة الخضراء بمدينة المنصور وكانت تاج بغداد ومأثرة بني العباس وهي من بناء المنصور ارتفاعها ثمانون ذراعا وتحتها ايوان طوله عشرون ذراعا في عشرين ذراعا وعليها تمثال فارس بيده رمح فاذا استقبل بوجهه جهة علم ان خارجيا يظهر من تلك الجهة فسقط رأس هذه القبة في ليلة ذات مطر ورعد وفي هذه السنة قتل بجكم التركي فولي امرة الامراء مكانه كورتكين الديلمي وأخذ المتقي حواصل بجكم التي كانت ببغداد وهي زيادة على ألف ألف دينار ثم في هذا العام ظهر ابن رائق فقاتل كورتكين ببغداد فهزم كورتكين واختفى وولي ابن رائق امرة الامراء مكانه وفي سنة ثلاثين كان الغلاء ببغداد فبلغ كر الحنطة ثلثمائة وستة عشر دينارا واشتد القحط وأكلوا الميتات وكان قحطا لم ير ببغداد مثله أبدا وفيها خرج أبو الحسين علي بن محمد البزيدي فخرج لقتاله الخليفة وابن رائق فهزما وهربا الى الموصل ونهبت بغداد ودار الخلافة فلما وصل الخليفة الى تكريت وجد هناك سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبد الله بن حمدان وأخاه الحسن وقتل ابن رائق غيلة وولي الخليفة مكانه الحسن بن حمدان ولقبه ناصر الدولة وخلع على أخيه ولقبه سيف الدولة وعاد الى بغداد وهما معه فهرب البزيدي الى واسط ثم ورد الخبر في ذي القعدة ان البزيدي يريد بغداد فاضطرب الناس وهرب وجوه أهل بغداد وخرج الخليفة ليكون مع ناصر الدولة وسار سيف الدولة لقتال البزيدي فكانت بينهما وقعة هائلة بقرب المدائن وهزم البزيدي فعاد بالويل الى واسط فساق سيف الدولة الى واسط فانهزم البزيدي الى البصرة وفي سنة احدى وثلاثين وصلت الروم الى ارزن وميافارقين ونصيبين فقتلوا وسبوا ثم طلبوا منديلا في كنيسة الرها يزعمون أن المسيح مسح به وجهه فارتسمت صورته فيه على انهم يطلقون جميع من سبوا فارسل اليهم واطلقوا الاسرى وفيها هاج الامراء بواسط على سيف الدولة فهرب في البر يريد بغداد ثم سار الى الموصل أخوه ناصر الدولة خائفا لهرب أخيه وسار من واسط توزون فقصد بغداد وقد هرب منه سيف الدولة الى الموصل فدخل توزون

(وفي صفة كلاب الصيد)

شم ردلات واسعات الاشداق
سود الزلاليم وشهل الاحداق
غلب مهاريت طوال الاعناق
تمشي واطشمرسات الاخلاق
يأثمن ترب الارض لثم المشتاق
كأنهن يستعن الارزاق
للوحش من سلطانهن اقراق
لا عاصم منها ولا منها واق

(فصل في ذكر الجوارح)

أصول الجوارح من الطير أربعة الباز والشاهين والعقاب والصقر وتحت كل جنس منها أنواع تناسبها في الفعل والطبع والحركات فمن أنواع البزاة السنقر والطغرل والباز التام والباز النيم والباز الزرق والباشق فأجودها الطغرل وهو عزيز الوجود ومواضعه بلاد الخزر وبلاد خوارزم واطراف ارمينية وجبالها وهو شديد القوة خفيف الطيران يصيد صيد الباز والشاهين ينقض على طير الماء فان بشقه والاعلا ثم انحط عليه فيضربه ضربة تصرعه ومخلبه مسموم ان جرح شيأ لا يكاد يبرأ ولذلك ينبغي لحامله ان يحتاط على يده بالدستبانات القوية من الجلود والابود وقيل يليه السنقر وهو طير عزيز الوجود وقيل قيمته ألف دينار وأكثر ما يكون بجزائر الفرنج وسكانه في شعارى جبالها وبعده الباز التام وأجوده الاشهب وقد سمي ملك الجوارح لكثرة ما فيه من الخصال الملوكية ومنه الاصفر والاحمر والاسود وقد أكثر أهل

بغداد

بغداد في رمضان فخلع عليه المتقي وولاه أمير الامراء ثم وقعت الوحشة بين المتقي وتوزون فارسل توزون أبو جعفر بن شيرزاد من واسط الى بغداد فحكم عليها وأمر ونهى فكاتب المتقي ابن حمدان بالقدوم عليه فقدم في جيش عظيم واستتر ابن شيرزاد فسار المتقي باهله الى تكريت وخرج ناصر الدولة بجيش كثير من الاعراب والاكراد الى قتال توزون فالتقيا بعكبرا فانهزم ابن حمدان والمتقي الى الموصل ثم تلاقوا مرة أخرى فانهزم ابن حمدان والخليفة الى نصيبين فكتب الخليفة الى الاخشيد صاحب مصر ان يحضر اليه ثم بان له من بني حمدان الملل والضجر فراسل الخليفة توزون في الصلح فاجاب وبالغ في الايمان ثم حضر الاخشيد الى المتقي وهو بالرقة وقد بلغه مصالحة توزون فقال يا أمير المؤمنين أنا عبدك وابن عبدك وقد عرفت الاتراك وفجورهم وغدرهم فالله الله في نفسك سر معي الى مصر فهي لك وتأمن على نفسك فلم يقبل فرجع الاخشيد الى بلاده وخرج المتقي من الرقة الى بغداد في رابع المحرم سنة ثلاث وثلاثين وخرج للقائه توزون فالتقيا بين الانبار وهيت فترجل توزون وقبل الارض فامره المتقي بالركوب فلم يفعل ومشى بين يديه الى الخيم الذي ضربه له فلما نزل قبض عليه وعلى ابن مقلة ومن معه ثم كحل الخليفة وادخل بغداد مسمول العينين وقد أخذ منه الخاتم والبردة والقضيب واحضر توزون عبد الله بن المكتفي وبايعه بالخلافة ولقب المستكفي بالله ثم بايعه المتقي المسمول وأشهد على نفسه بالخلع من ذلك لعشر بقين من المحرم وقيل من صفر ولما كحل قال القاهر شعرا

صرت وابراهيم شيخي عمى * لابد للشيخين من مصدر * مادام توزون له امرة
* مطاعة فالميل في المجمر *

ولم يحل الحول على توزون حتى مات وأما المتقي فانه أخرج الى جزيرة مقابلة للسندية فسجن بها فاقام بالسجن خمسا وعشرين سنة الى ان مات في شعبان سنة سبع وخمسين وفي أيام المتقي كان حمدي اللص ضمنه ابن شيرزاد لما تغلب على بغداد اللصوصية بها بخمسة وعشرين ألف دينار في الشهر فكان يكبس بيوت الناس بالمشعل والشمع ويأخذ الاموال وكان اسكورج الديلمي قد ولي شرطة بغداد فاخذه ووسطه وذلك سنة اثنتين وثلاثين مات في أيام المتقي من الاعلام أبو يعقوب النهرجوري احد اصحاب الجنيد والقاضي أبو عبد الله المحاملي وأبو بكر الفرغاني الصوفي والحافظ أبو العباس بن عقدة وابن ولاد النحوي وآخرون ولما بلغ القاهر انه سمل قال صرنا اثنين نحتاج الى ثالث فكان كذلك سمل المستكفي

(المستكفي بالله أبو القاسم)

المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بن المعتضد أمه أم ولد اسمها أملح الناس بويع له بالخلافة عند خلع المتقي في صفر سنة ثلاث وثلاثين وعمره احدى وأربعون سنة ومات توزون في أيامه ومعه كاتبه أبو جعفر ابن شيرزاد فطمع في المملكة وحلف العساكر لنفسه فخلع عليه الخليفة ثم دخل أحمد بن بويه بغداد فاختفى ابن شيرزاد ودخل ابن بويه دار الخلافة فوقف بين يدي الخليفة فخلع عليه ولقبه معز الدولة ولقب أخاه عليا عماد الدولة وأخاه الحسن ركن الدولة وضرب ألقابهم على السكة ولقب المستكفي نفسه امام الحق وضرب ذلك على السكة ثم ان معز الدولة قوي أمره وحجر على الخليفة وقدر له كل يوم برسم النفقة خمسة آلاف درهم فقط وهو أول من ملك العراق من الديلم وأول من أظهر السعاة ببغداد وغوى المصارعين والسباحين فانهمك شباب بغداد في تعلم المصارعة والسباحة حتى صار السباح يسبح وعلى يده كانون وفوقه قدرة فيسبح حتى ينضج اللحم ثم أن معز الدولة تخيل من المستكفي فدخل عليه في جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين فوقف والناس وقوف على مراتبهم فتقدم اثنان من الديلم الى الخليفة فمد يديه اليهما ظنا انهما يريدان تقبيلها فجذباه من السرير حتى طرحاه الى الارض وجراه بعمامته وهجم الديلم دار الخلافة الى الحرم ونهبوها فلم يبق فيها شيء ومضى معز الدولة

النظم والنثر في وصفه وتشبيهه فمن قولهم في أصفر شهم غدا يزينه اصفراره * محمودة في صيده آثاره طائر لم ينجه فراره * ولم يوق نفسه نفاره
كأنما اسقطت الدما شعاره
أو حل في منسره شفاره

وفي باز أسود

جون يلاحظ منه منظر حسن
له تصير البزاة البيض كالرخم
ينال حامله من حمله تعبا
يعود منه الى الاعراض والسأم
كأنما بين هاديه ونفنفه
تلهب النار في دق من الفحم

(وفي باز أشهب)

وأشهب كبياض الثلج ما سمعت
بمثل صورته بيض الاعاصير
كأن حمرة عينيه وهامته
سلافة فضلت في كاس بلور
وانظر الى نقط في جؤجؤ لطفت
كأرجل النمل في تمثال كافور

(وفي باز أحمر لمؤلفه)

وباز غريب الشكل قد فاق منظرا
بحمرته قد فاق أبناء جنسه
له حدق كالنار ترمي لهيبها
على جسمه فاحمر منها بملبسه
وما أحرقته النار لكن تعرست
بهاء بمسود على ثوب لبسه
له الفخر في اطلاقه ودعائه
ولا غرو أن يأتي الفخار بنفسه
يطير فيصطاد الطيور وينثني
فوا عجبا من عوده نحو حبسه
تأنس بالاحسان فالجود لم يزل
به يسترق الحر كل بانسه

(وأما) الباز النيم فانه قضيف البدن قليل الصيد وأما الزرق فهو خلقة الباز يصيد الحجل وما فوقه ولا يبلغ الكركي لكنه قوي النفس فيه حرارة وشهامة وحدة دون قوة الباز وأما الباشق فانه دون ما

الى منزله وساقوا المستكفي ماشيا اليه وخلع وسملت عيناه يومئذ وكانت خلافته سنة وأربعة أشهر وأحضروا الفضل بن المقتدر وبايعوه ثم قدموا ابن عمه المستكفي فسلم عليه بالخلافة وأشهد على نفسه بالخلع ثم سجن الى ان مات سنة ثمان وثلاثين وله ست وأربعون سنة وكان يتظاهر بالتشيع

(المطيع لله أبو القاسم)

المطيع لله أبو القاسم الفضل بن المقتدر بن المعتضد أمه أم ولد اسمها شغلة ولد سنة احدى وثلثمائة وبويع له بالخلافة عند خلع المستكفي في جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وقرر له معز الدولة كل يوم نفقة مائة دينار فقط وفي هذه السنة من خلافته اشتد الغلاء ببغداد حتى أكلوا الجيف والروث وماتوا على الطرق وأكلت الكلاب لحومهم وبيع العقار بالرغفان ووجدت الصغار مشوية مع المساكين واشترى لمعز الدولة كر دقيق بعشرين ألف درهم والكر سبعة عشر قنطارا بالدمشقي وفيها وقع بين معز الدولة وبين ناصر الدولة بن حمدان فخرج لقتاله ومعه المطيع ثم رجع والمطيع معه كالاسير وفيها مات الاخشيد صاحب مصر وهو محمد ابن طغج الفرغاني والاخشيد معناه ملك الملوك وهو لقب لكل من ملك فرغانة كما ان الاصبهبذ لقب ملك طبرستان وصول ملك جرجان وخاقان ملك الترك والافشين ملك اشروسنة وسامان ملك سمرقند وكان الاخشيد شجاعا مهيبا ولي مصر من قبل القاهر وكان له ثمانية آلاف مملوك وهو استاذ كافور وفيها مات القائم العبيدي صاحب المغرب وقام بعده ولي عهده ابنه المنصور بالله اسمعيل وكان القائم شرا من أبيه زنديقا ملعونا أظهر سب الانبياء وكان مناديه ينادي العنوا الغار وما حوى وقتل خلقا من العلماء وفي سنة خمس وثلاثين جدد معز الدولة الايمان بينه وبين المطيع وأزال عنه التوكيل واعاده الى دار الخلافة وفي سنة ثمان وثلاثين سأل معز الدولة أن يشرك معه في الامر اخاه علي ابن بويه عماد الدولة ويكون من بعده فاجابه المطيع ثم لم ينشب ان مات عماد الدولة من عامه فاقام المطيع أخاه ركن الدولة والد عضد الدولة وفي سنة تسع وثلاثين اعيد الحجر الاسود الى موضعه وجعل له طوق فضة يشد به وزنه ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعة وسبعون درهما ونصف وقال محمد بن نافع الخزاعي تأملت الحجر الاسود وهو مقلوع فاذا السواد في رأسه فقط وسائره أبيض وطوله قدر عظم الذراع وفي سنة احدى وأربعين ظهر قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم ان روح علي انتقلت اليه وامرأة تزعم أن روح فاطمة انتقلت اليها وآخر يدعي انه جبريل فضربوا فتعززوا بالانتماء الى أهل البيت فأمر معز الدولة باطلاقهم لميله الى أهل البيت فكان هذا من أفعاله الملعونة وفيها مات المنصور العبيدي صاحب المغرب بالمنصورية التي مصرها وقام بالامر ولي عهده ابنه معد ولقب بالمعز لدين الله وهو الذي بنى القاهرة وكان المنصور حسن السيرة بعد أبيه وأبطل المظالم فاحبه الناس وأحسن أيضا ابنه السيرة وصفت له المغرب وفي سنة ثلاث وأربعين خطب صاحب خراسان للمطيع ولم يكن خطب له قبل ذلك فبعث اليه المطيع اللواء والخلع وفي سنة أربع وأربعين زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت ودامت ثلاث ساعات وفزع الناس الى الله بالدعاء وفي سنة ست وأربعين نقص البحر ثمانين ذراعا وظهر فيه جبال وجزائر واشياء لم تعهد وكان بالري ونواحيها زلازل عظيمة وخسف ببلد الطالقان ولم يفلت من أهلها الا نحو ثلاثين رجلا وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الري واتصل الامر الى حلوان فخسف بأكثرها وقذفت الارض عظام الموتى وتفجرت منها المياه وتقطع بالري جبل وعلقت قرية بين السماء والارض بمن فيها نصف النهار ثم خسف بها وانخرقت الارض خروقا عظيمة وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم هكذا نقل ابن الجوزي

وفي سنة سبع وأربعين عادت الزلازل بقم وحلوان والجبال فاتلفت خلقا عظيما وجاء جراد طبق الدنيا فأتى على جميع الغلات والاشجار وفي سنة خمسين بنى معز الدولة ببغداد دارا هائلة عظيمة أساسها في الارض ستة وثلاثون

ذراعا

وصيده على مقداره ويسمى الساق وأما البيدق ٣ ويسمى العفصي فهو أصغر الجميع وصيده السماني والعصافير

(فصل في علامات الجيد منها وعلامات أصنافها وصفاتها)

فأما الجوارح من الطير ذات المناسر فانها انبل من ذكورها وذوات المناقير بالعكس وأصلح البازات الجرجانية وفيها نوع غريب وهو الذي في وسط ظهره خيط أسود وان كان الباز أشهب فهو كذلك والمدبج بالحمرة يدل على الفراهة ويستحب ان تكون ركبتا الباز محددتين ويكون السواد غالبا عليه وان يكون ضخم المنسر واسع العينين رحب دائرة الاذنين واسع الشدقين غليظ العنق واسع الحوصلة تام الاجنحة وعيبه قصر قوادمه ولهذا كان الحجل والدراج والسماني قليل الطيران واذا وجد أسود الظهر أكحل العينين فهو من العلامات الجيدة وفيها ما يكون صفر الارجل وفيها ما يكون أكحل العينين ويحمر بعد القرنصة أو يتغير عن لونه والبزاة كبار الرؤس غلاظ الاعناق كثيرة الريش وشر البزاة الحبشية

(فصل في وصايا تتعلق بالصيد)

قال أهل ذلك لا ينبغي ان يضرى الباز على الدجاج دائما فانه يكسل وتقل فراهيته لسهولة ذلك عليه بل يعوّد أصنافا من الطير

(قال) السجزي في كتابه ينبغي ان يستجاب الباز على اللحم أياما ثم بالطيور من الارض ثم من العلو وأنت على الارض ليجب

ذراعا وفيها قلد القضاء أبا العباس عبد الله بن الحسن بن أبى الشوارب وركب بالخلع من دار معز الدولة وبين يديه الدبادب والبوقات وفى خدمته الجيش وشرط على نفسه ان يحمل فى كل سنة الى خزانة معز الدولة مائتى ألف درهم وكتب عليه بذلك سجلا وامتنع المطيع من تقليده ومن دخوله عليه وأمر ان لا يمكن من الدخول اليه أبدا وفيها ضمن معز الدولة الحسبة ببغداد والشرطة وكل ذلك عقب ضعفة ضعفها وعوفى منها فلا كان الله عافاه وفيها أخذت الروم جزيرة أقريطش من المسلمين وكانت فتحت فى حدود الثلاثين والمائتين وفيها توفى صاحب الاندلس الناصر لدين الله وقام بعده ابنه الحاكم وفى سنة احدى وخمسين كتبت الشيعة ببغداد على أبواب المساجد لعنة معاوية ولعنة من غصب فاطمة حقها من فدك ومن منع الحسن ان يدفن مع جده ولعنة من نفى أباذر ثم ان ذلك محى فى الليل فأراد معز الدولة ان يعيده فأشار عليه الوزير المهلبى ان يكتب مكان ما محى لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرحوا بلعنة معاوية فقط وفى سنة اثنتين وخمسين يوم عاشوراء ألزم معز الدولة الناس بغلق الاسواق ومنع الطباخين من الطبيخ ونصبوا القباب فى الاسواق وعلقوا عليها المسوح وأخرجوا نساء منتشرات الشعور يلطمن فى الشوارع ويقمن المأتم على الحسين وهذا أول يوم نيح عليه ببغداد واستمرت هذه البدعة سنين وفى ثانى عشر ذى الحجة منها عمل عيد غدير خم وضربت الدبادب وفى هذه السنة بعث بعض بطارقة الارمن الى ناصر الدولة ابن حمدان رجلين ملتصقين عمرهما خمس وعشرون سنة والالتصاق فى الجنب ولهما ابطنان وسرتان ومعدتان ويختلف أوقات جوعهما وعطشهما وبولهما ولكل واحد كفان وذراعان ويدان وفخذان وساقان واحليلان وكان أحدهما يميل الى النساء والآخر يميل الى المرد ومات أحدهما وبقى أياما وأخوه حى فانتن وجمع ناصر الدولة الاطباء على ان يقدروا على فصل الميت من الحى فلم يقدروا ثم مرض الحى من رائحة الميت ومات وفى سنة ثلاث وخمسين عمل لسيف الدولة خيمة عظيمة ارتفاع عمودها خمسون ذراعا وفى سنة أربع وخمسين ماتت أخت معز الدولة فنزل المطيع فى طيارة الى دار معز الدولة يعزيه فخرج اليه معز الدولة ولم يكلفه الصعود من الطيارة وقبل الارض مرات ورجع الخليفة الى داره وفيها بنى يعقوب ملك الروم قيسارية قريبا من بلاد المسلمين وسكنها ليغير كل وقت وفى سنة ست وخمسين مات معز الدولة وأقيم ابنه بختيار مكانه فى السلطنة ولقبه المطيع عز الدولة وفى سنة سبع ملك القرامطة دمشق ولم يحج أحد فيها لا من الشام ولا من مصر وعزموا على قصد مصر ليملكوها فجاء العبيديون فأخذوها وقامت دولة الرفض فى الاقاليم المغرب ومصر والعراق وذلك ان كافور الاخشيدى صاحب مصر لما مات اختل النظام وقلت الاموال على الجند فكتب جماعة الى المعز يطلبون منه عسكرا ليسلموا اليه مصر فأرسل مولاه جوهرا القائد فى مائة ألف فارس فملكها ونزل موضع القاهرة اليوم واختطها وبنى دار الامارة للمعز وهى المعروفة الآن بالقصرين وقطع خطبة بنى العباس ولبس السواد وألبس الخطباء البياض وأمر ان يقال فى الخطبة اللهم صل على محمد المصطفى وعلى على المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول وصل على الائمة آباء أمير المؤمنين المعز بالله وذلك كله فى شهر شعبان سنة ثمان وخمسين ثم فى ربيع الآخر سنة تسع وخمسين أذنوا بمصر بحى على خير العمل وشرعوا فى بناء الجامع الازهر ففرغ فى رمضان سنة احدى وستين وفى سنة تسع وخمسين انقض بالعراق كوكب عظيم أضاءت منه الدنيا حتى صار كأنه شعاع الشمس وسمع بعد انقضاضه صوت كالرعد الشديد وفى سنة ستين أعلن المؤذنون بدمشق فى الاذان بحى على خير العمل بأمر جعفر بن فلاح نائب دمشق للمعز بالله ولم يجسر أحد على مخالفته وفى سنة اثنتين وستين صادر السلطان بختيار المطيع فقال المطيع أنا ليس لى غير الخطبة فان أحببتم اعتزلت فشدد عليه حتى باع قماشه وحمل أربعمائة ألف درهم وشاع فى الالسنة ان الخليفة صودر وفيها قتل رجل من أعوان الوالى ببغداد فبعث الوزير أبو الفضل الشيرازى من طرح النار من النحاسين الى السماكين فاحترق حريق عظيم لم ير مثله واحترقت أموال وأناس

النزول اليك ثم من اليد الى اليد ثم من الارض الى العلو ويدرجه فى البعد ولا يخالف عليه الاصوات فيتحير وكذلك ضرب الطبل بازليكون على نسق واحد وهو يحب الحمام الابيض فاذا أبطأ عليك فلوح له به ويحتاج ان يكون معك تشده فى خيط وتلوح به (وقال) خاقان يكون عدم استجابة الطير من أسباب أولها سوء حمله أو قلة تأنيسه ووحشته أو من وجع يعتريه فينظر فى ذلك وتزاح علته فيستقيم (وقال) بعض أهل التجربة اذا كان الجارح بطئ الاستجابة فيدهن منقاره بشحم سرة الكديش فانه يأخذه من الحرص عليه كهيئة الجنون وقيل اذا أخذ أنجدان ودارصينى وسحقا ولطخ طعمه بعسل وذر عليه من ذلك وأخر عن عادته ساعة وأطعم استقامت احواله وحسنت استجابته واذا أردت ان تنشط الباز فأطعمه فرخ حمام قد أوجرته بخل حتى يتشرب فى لحمه وعروقه أو تنقعه فيه ثم تطعمه فيصبح ضامرا نشيطا وكلما صاد شيأ فأطعمه منه فانه يعود اليه نشاطه واذا غاب البازى مع صيده ولم تره فاقصد مكانا عاليا واصغ هل تسمع نعيق الغراب أو تنظر الى كثرتها واجتماعها فاعلم ان الباز هنالك فامض له وقيل اذا رأيت الباز يحوم على رأس صاحبه ولا يعلو فى الجو فانما علامة حسن التعليم وان حلق ناحية ولم يطلب جهة الصيد وشال ذنبه ونشره وصعد فى الجو فهو علامة الهروب وقد يكون توحشه من جارح يظهر أكبر منه أو من شبع

كثيرون فى الدور والحمامات وهلك الوزير من عامه لارحمه الله وفى رمضان من هذه السنة دخل المعز الى مصر ومعه توابيت آبائه وفى سنة ثلاث وستين قلد المطيع القضاء أبا الحسن محمد بن أم شيبان الهاشمى بعد تمنع وشرط لنفسه شروطا منها ان لا يرتزق على القضاء ولا يخلع عليه ولا يشفع اليه فيما يخالف الشرع وقرر لكاتبه فى كل شهر ثلثمائة درهم وللحاجب مائة وخمسين وللفارض على بابه مائة وللخازن ديوان الحكم والاعوان ستمائة وكتب له عهد صورته هذا ما عهد عبد الله الفضل المطيع لله أمير المؤمنين الى محمد بن صالح الهاشمى حين دعاه الى ما يتولاه من القضاء بين أهل مدينة السلام مدينة المنصور والمدينة الشرقية من الجانب الشرقى والجانب الغربى والكوفة وسقى الفرات وواسط وكرخى وطريق الفرات ودجلة وطريق خراسان وحلوان وقرميسين وديار مصر وديار ربيعة وديار بكر والموصل والحرمين واليمن ودمشق وحمص وجند قنسرين والعواصم ومصر والاسكندرية وجند فلسطين والاردن واعمال ذلك كلها ومن يجرى من ذلك من الاشراف على من يختاره من العباسيين بالكوفة وسقى الفرات واعمال ذلك وما قلده اياه من قضاء القضاة وتصفح أحوال الحكام والاستشراف على ما يجرى عليه أمر الاحكام من سائر النواحى والامصار التى تشتمل عليه المملكة وتنتهى اليها الدعوة واقرار من يحمد هديه وطريقه والاستبدال بمن يذم شيمته وسجيته احتياطا للخاصة والعامة وحنوا على الملة والذمة عن علم بانه المقدم فى بيته وشرفه المبرز فى عفافته الزكى فى دينه وامانته الموصوف فى ورعه ونزاهته المشار اليه بالعلم والحجى المجمع عليه فى الحلم والنهى البعيد من الادناس اللابس من التقى أجمل اللباس النقى الجيب المحبور بصفاء الغيب العالم بمصالح الدنيا العارف بما يفسد سلامة العقبى أمره بتقوى الله فانها الجنة الواقية وليجعل كتاب الله فى كل ما يعمل فيه رويته ويرتب عليه حكمه وقضيته وامامه الذى يفزع اليه وعماده الذى يعتمد عليه وان يتخذ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم منارا يقصده ومثالا يتبعه وأن يراعى الاجماع وان يقتدى بالائمة الراشدين وان يعمل اجتهاده فيما لا يوجد فيه كتاب ولا سنة ولا اجماع وان يحضر مجلسه من يستظهر بعلمه ورأيه وأن يسوى بين الخصمين اذا تقدما اليه فى لحظه ولفظه ويوفى كلا منهما من انصافه وعدله حتى يامن الضعيف حيفه وييأس القوى من ميله وأمره ان يشرف على أعوانه وأصحابه ومن يعتمد عليه من أمنائه وأسبابه اشرافا يمنع من التخطى الى السيرة المحظورة ويدفع عن الاسفاف الى المكاسب المحجورة وذكر من هذا الجنس كلاما طويلا قلت كان الخلفاء يولون القاضى المقيم ببلدهم القضاء بجميع الاقاليم والبلاد التى تحت ملكهم ثم يستنيب القاضى من تحت أمره من شاء فى كل اقليم وفى كل بلد ولهذا كان يلقب قاضى القضاة ولا يلقب به الا من هو بهذه الصفة ومن عداه بالقاضى فقط أو قاضى بلد كذا وأما الآن فصار فى البلد الواحد أربعة مشتركون كل منهم يلقب قاضى القضاة ولعل آحاد نواب أولئك كان فى حكمه أضعاف ما كان فى حكم الواحد من قضاة القضاة الآن ولقد كان قاضى القضاة اذ ذاك أوسع حكما من سلاطين هذا الزمان وفى هذه السنة أعنى سنة ثلاث وستين حصل للمطيع فالج وثقل لسانه فدعاه حاجب عز الدولة الحاجب سبكتكين الى خلع نفسه وتسليم الامر الى ولده الطائع لله ففعل وعقد له الامر فى يوم الاربعاء ثالث عشر من ذى القعدة فكانت مدة خلافة المطيع تسعا وعشرين سنة واشهرا واثبت خلعه على القاضى ابن أم شيبان وصار بعد خلعه يسمى الشيخ الفاضل قال الذهبى وكان المطيع وابنه مستضعفين مع بنى بويه ولم يزل أمر الخلفاء فى ضعف الى ان استخلف المقتفى لله فانصلح أمر الخلافة قليلا وكان دست الخلافة لبنى عبيد الرافضة بمصر أميز وكلمتهم أنفذ ومملكتهم تناطح مملكة العباسيين فى وقتهم وخرج المطيع الى واسط مع ولده فمات فى المحرم سنة أربع وستين قال ابن شاهين خلع نفسه غير مكره فيما صح عندى قال الخطيب حدثنى محمد بن يوسف القطان سمعت أبا الفضل التميمى سمعت المطيع لله سمعت شيخى ابن منيع سمعت أحمد بن حنبل يقول اذا مات اصدقاء الرجل ذل وممن مات فى أيام المطيع من

أومن تعب لسمن فيصبر عليه ويأنس ويلوح له بالجناح ويستدعى فيعود ثم يدار به (قال) والجوارح تهيج فى الربيع للسفاد وتطلب أوكارها فينبغى ان تحفظ فى ذلك الفصل سيما التى علمت بعد القرنصة وأما التى علمت وهى فراخ فما يصعب أمرها *(وصف الشواهين)* وهو جنس تحته أنواع على أخلاقها وطباعها أولها الشاهين المعروف وهو أجلها او بعده الافقى وهو دونه ثم البؤبؤ ثم القطامى ثم الكونج وقد يسمى الجلم لخفة جناحه وفى الشاهين خفة الطيران وشجاعة وحسن تحليق وانكفاف وحرص شديد وربما رمى بنفسه على الصيد فى سن جبل أو فى شوك أو شجر محدد فيهلك نفسه لانه يضرب بصدره وأجود الشواهين البحرية البلنكرية وهى سود الظهور غائرة العينين حادة النظر قصار الظهور طوال الخوافى لطاف الاذناب وفيها الصفر والحمر والشهب واذا كان الشاهين بسيط الكف أخضره دقيق الذنب قليل الريش فهو سريع لا يفوته طير وأنشد بعضهم فى شاهينة شهباء

بيضاء كافورية اللون ما تنجو سباع الطير من كيدها
ان أطلقت فالطير فى جوها حاصلة بالرغم فى قيدها
وكلما تعلو وريش ففى قبضتها كرها وفى صيدها

(وفى أخرى)

وبحيرة زنجية اللون طررت * بانعالها المستحسنات نعوتها
اذا أرسلت رامت علوا كأنما * أعدلها فى منتهى الجو قوتها

الاعلام الخرقي شيخ الحنابلة وأبو بكر الشبلي الصوفي وابن القاضي امام الشافعية وأبو رجاء الاسواني وأبو بكر الصولي والهيثم بن كليب الشاشي وأبو الطيب الصعلوكي وأبو جعفر النحاس النحوي وأبو نصر الفارابي وأبو اسحق المروزي امام الشافعية وأبو القاسم الزجاجي النحوي والكرخي شيخ الحنفية والدينوري صاحب المجالسة وأبو بكر الضبعي والقاضي أبو القاسم التنوخي وابن الحداد صاحب الفروع وأبو علي بن أبي هريرة من كبار الشافعية وأبو عمر الزاهد والمسعودي صاحب مروج الذهب وابن درستويه وأبو علي الطبري أول من جرد الخلاف والفاكهي صاحب تاريخ مكة والمتنبي الشاعر وابن حبان صاحب الصحيح وابن شعبان من أئمة المالكية وأبو علي القالي وأبو الفرج صاحب الاغاني

(الطائع لله أبو بكر)

الطائع لله أبو بكر عبد الكريم ابن المطيع أمه أم ولد اسمها هزار نزل له أبوه عن الخلافة وعمره ثلاث وأربعون سنة فركب وعليه البردة ومعه الجيش وبين يديه سبكتكين وخلع من الغد على سبكتكين خلع السلطنة وعقد له اللواء ولقبه نصر الدولة ثم وقع بين عز الدولة وسبكتكين فدعا سبكتكين الاتراك لنفسه فأجابوه وجرى بينه وبين عز الدولة حروب وفي ذي الحجة من هذه السنة أي سنة ثلثمائة وثلاث وستين أقيمت الخطبة والدعوة بالحرمين للمعز العبيدي وفي سنة أربع وستين قدم عضد الدولة بغداد لنصرة عز الدولة على سبكتكين فأعجبته بغداد وملكها فعمل عليها واستمال الجند فشغبوا على عز الدولة فاغلق بابه وكتب عضد الدولة عن الطائع الى الآفاق باستقرار الامر لعضد الدولة فوقع بين الطائع وبين عضد الدولة فقطعت الخطبة للطائع بسبب ذلك ببغداد وغيرها من يوم العشرين من جمادى الاولى الى أن اعيدت في عاشر رجب وفي هذه السنة وبعدها غلا الرفض وفار بمصر والشام والمشرق والمغرب ونودي بقطع صلاة التراويح من جهة العبيدي وفي سنة خمس وستين نزل ركن الدولة ابن بويه عما بيده من الممالك لاولاده فجعل لعضد الدولة فارس وكرمان ولمؤيد الدولة الري وأصبهان ولفخر الدولة همدان والدينور وفي رجب منها عمل مجلس الحكم في دار السلطان عز الدولة وجلس قاضي القضاة ابن معروف وحكم لان عز الدولة التمس ذلك ليشاهد مجلس حكمه كيف هو وفيها كانت وقعة بين عز الدولة وعضد الدولة واسر فيها غلام تركي لعز الدولة فجن عليه واشتد حزنه وامتنع من الاكل واخذ في البكاء واحتجب عن الناس وحرم على نفسه الجلوس في الدست وكتب الى عضد الدولة يسأله ان يرد الغلام اليه ويتذلل فصار ضحكة بين الناس وعوتب فما أرعوى لذلك وبذل في فداء الغلام جاريتين عوديتين كان قد بذل له في الواحدة مائة ألف دينار وقال للرسول ان توقف عليك في رده فزد ما رأيت ولا تفكر فقد رضيت أن آخذه وأذهب الى أقصى الارض فرده عضد الدولة عليه وفيها أسقطت الخطبة من الكوفة لعز الدولة وأقيمت لعضد الدولة وفيها مات المعز لدين الله العبيدي صاحب مصر وأول من ملكها من العبيديين وأقام بالامر بعده ابنه نزار ولقب العزيز وفي سنة ست وستين مات المنتصر بالله الحكم بن الناصر لدين الله الاموي صاحب الاندلس وقام بعده ابنه المؤيد بالله هشام وفي سنة سبع وستين التقى عز الدولة وعضد الدولة فظفر عضد الدولة وأخذ عز الدولة أسيرا وقتله بعد ذلك وخلع الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة وتوجه بتاج مجوهر وطوقه وسوره وقلده سيفا وعقد له لواءين بيده أحدهما مفضض على رسم الامراء والآخر مذهب على رسم ولاة العهود ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره قبله وكتب له عهدا وقرئ بحضرته ولم يبق أحد الا تعجب ولم تجر العادة بذلك انما كان يدفع العهد الى الولاة بحضرة أمير المؤمنين فاذا أخذه قال امير المؤمنين هذا عهدي اليك فاعمل به وفي سنة ثمان وستين أمر الطائع بان تضرب الدبادب على باب عضد الدولة في وقت الصبح والمغرب والعشاء وان يخطب له على منابر الحضرة قال ابن الجوزي وهذان أمران لم يكونا من قبله ولا أطلقا لولاة العهود وقد كان معز الدولة أحب ان تضرب له الدبادب

فان نحن أقلعنا الطيور تحدرت * كصاعقة حرصا عليها تميتها (وفيها) بحرية أربت على العقبان جات عن الاشكال والاقران ترقى فما تدرك بالعيان تنقض كالنجم على الشيطان والطائر القاصي لها كالدان

(وصف الصقر)

ودونه جوارح من طبعه فمنها الكونج ويسمى السفا يصيد الدق من الطير وربما صاد الارنب والسلك وأما السنك فسيره بالفارسية الجر وهي زرق العيون صبورة خفيفة تصيد صيد الباشق والزمج أحسنها لكنه ضعيف الجسد وفيه فشل ويصيد الكروان ومن العلامات الجيدة في الصقران يكون أحمر اللون عظيم الهامة تام المنسر طويل العنق رحب الصدر ممتلئ الدروز عريض الوسط قصير الساقين طويل الجناحين قصير الذنب والحمر منها سهلية والشهب جبلية والسود بحرية والصفر قوية تصيد الظباء *(وصف العقاب)* يقال ان الزمج من أجناسه والعقاب يصيد الغزلان والثعالب والوحش وأما الزمج فالجيد منه يصرع الكركي ومادونه والعقاب الجبلي جيد والذي يؤتى به من جزائر المغرب فاره كاسر صياد والمائل الى الحمرة والغائر الحلاق جيد وكذلك الاغبر المائل الى الشهبة والاسفع هو الذي على رأسه أو ظهره بياض واذا تقرنص تناقضت أفعاله بخلاف غيره وقد يربى فرخ الحدأة فيستجيب ويصيد *(فصل في القرنصة للجوارح)* وهي سقوط الريش عنها كما يطرأ لبعض الحيوان من سقوط

بمدينة السلام فسأل المطيع في ذلك فلم يأذن له وما حظى عضد الدولة بذلك الا لضعف أمر الخلافة وفي سنة تسع وستين ورد رسول العزيز صاحب مصر الى بغداد وسأل عضد الدولة الطائع ان يزيد في القابه تاج الملة ويجدد الخلع عليه ويلبسه التاج فأجابه وجلس الطائع على السرير وحوله مائة بالسيوف والزينة وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة وبيده القضيب وهو متقلد بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وضربت ستارة بعثها عضد الدولة وسأل ان تكون حجابا للطائع حتى لا يقع عليه عين أحد من الجند قبله ودخل الاتراك والديلم وليس مع أحد منهم حديد ووقف الاشراف وأصحاب المراتب من الجانبين ثم أذن لعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة وقبل عضد الدولة الارض فارتاع زياد القائد لذلك وقال لعضد الدولة ما هذا أيها الملك أهذا هو الله فالتفت اليه وقال هذا خليفة الله في الارض ثم استمر يمشي ويقبل الارض سبع مرات فالتفت الطائع الى خالص الخادم وقال استدنه فصعد عضد الدولة فقبل الارض مرتين فقال له أدن الى فدنا وقبل رجله وثنى الطائع يمينه عليه وأمره فجلس على كرسي بعد أن كرر عليه اجلس وهو يستعفى فقال له أقسمت عليك لتجلس فقبل الكرسي وجلس فقال له الطائع قد رأيت أن أفوض اليك ما وكل الله الى من أمور الرعية في شرق الارض وغربها وتدبيرها في جميع جهاتها سوى خاصتي وأسبابي فتول ذلك فقال يعينني الله على طاعة مولانا أمير المؤمنين وخدمته ثم أفاض عليه الخلع وانصرف قلت أنظر الى هذا الامر وهو الخليفة المستضعف الذي لم تضعف الخلافة في زمن أحد ما ضعفت في زمنه ولا قوى أمر سلطان ما قوى أمر عضد الدولة وقد صار الامر في زماننا الى أن الخليفة يأتي السلطان يهنئه برأس الشهر فاكثر ما يقع من السلطان في حقه ان ينزل عن مرتبته ويجلسان معا خارج المرتبة ثم يقوم الخليفة يذهب كأحد الناس ويجلس السلطان في دست مملكته ولقد حدثت ان السلطان الاشرف برسباي لما سافر الى آمد لقتال العدو وصحب الخليفة معه كان الخليفة راكبا امامه يحجبه والهيبة والعظمة للسلطان والخليفة كآحاد الامراء الذين في خدمة السلطان وفي سنة سبعين خرج من همدان عضد الدولة وقدم بغداد فتلقاه الطائع ولم تجر عادة بخروج الخلفاء لتلقي أحد فلما توفيت بنت معز الدولة ركب المطيع اليه فعزاه فقبل الارض وجاء رسول عضد الدولة يطلب من الطائع ان يتلقاه فما وسعه التأخر وفي سنة اثنتين وسبعين مات عضد الدولة فولى الطائع مكانه في السلطنة ابنه صمصام الدولة ولقبه شمس الملة وخلع عليه سبع خلع وتوجه وعقد له لواءين ثم في سنة ثلاث وسبعين مات مؤيد الدولة أخو عضد الدولة وفي سنة خمس وسبعين هم صمصام الدولة ان يجعل المكس على ثياب الحرير والقطن مما ينسج ببغداد ونواحيها ووقع له في ضمان ذلك ألف ألف درهم في السنة فاجتمع الناس في جامع المنصور وعزموا على المنع من صلاة الجمعة وكاد البلد يفتتن فاعفاهم من ضمان ذلك وفي سنة ست وسبعين قصد شرف الدولة أخاه صمصام الدولة فانتصر عليه وكحله ومال العسكر الى شرف الدولة وقدم بغداد وركب الطائع اليه يهنئه بالبلاد وعهد اليه بالسلطنة وتوجه وقرئ عهده والطائع يسمع وفي سنة ثمان وسبعين أمر شرف الدولة برصد الكواكب السبعة في سيرها كما فعل المأمون وفيها اشتد الغلاء ببغداد جدا وظهر الموت بها ولحق الناس بالبصرة حر وسموم تساقط منه وجاءت ريح عظيمة بفم الصلح حرقت الدجلة حتى ذكر أنه بانت أرضها وغرقت كثيرا من السفن واحتملت زورقا منحدرا وفيه دواب فطرحت ذلك في أرض جوخى فشوهد بعد أيام وفي سنة تسع وسبعين مات شرف الدولة وعهد الى أخيه أبي نصر فجاءه الطائع الى دار المملكة يعزيه فقبل الارض غير مرة ثم ركب أبو نصر الى الطائع وحضر الاعيان فخلع الطائع على أبي نصر سبع خلع اعلاها سوداء وعمامة سوداء وفي عنقه طوق كبير وفي يده سواران ومشى الحجاب بين يديه بالسيوف ثم قبل الارض بين يدي الطائع وجلس على كرسي وقرئ عهده ولقبه الطائع بهاء الدولة وضياء الملة وفي سنة احدى وثمانين قبض على الطائع وسببه انه حبس رجلا من خواص بهاء الدولة فجاء بهاء الدولة وقد جلس الطائع في الرواق متقلدا سيفا فلما قرب بهاء الدولة قبل الارض وجلس على كرسي وتقدم

الشعر والاستبدال به وكالحية في نزع جلدها فاذا شرعت الجوارح في القرنصة فينبغي ان يعد لها بيت كي لا يدخله الدخان ولا الغبار والرياح ولا يسمع جلبة فيه ويفرش حوله ورق الصفصاف والسوسن والريحان ويبدل كل ثلاثة أيام ويضع بين يدي كل طير اجانة من ماء ويجدد له في كل يوم ويطعم الخاليف بدمائها سبعة أيام بدهن الجوز ثم يطعم لحم الضأن وان أمكن ان ينقع في لبن الاتن والسكر كان أنفع له ويعاد عليه الفراخ في بعض الاوقات ومما يسرع بجري ريشه لحم القنفذ بغير شحم ولحم الفار السبري بدهن بنفسج أو بعسل ويطعم لحم جمل يوما واحدا ولحم بقر يوما آخر ينقى من عروقه وشحمه ويطعم واذا أصابه الربو فيطعم لحم سنورفانه ينفعه ويسمنه ويصفي رئته ولحم اليربوع جيد للقرنصة واذا أردت ان تسهله فادلك لحمه بدهن البنفسج أو بالزبد ومما يسرع سقوط ريشه ان يطعم الغدد التي تكون في حلق الشاة موضع الذبح تحت الجلد يطعم منها ثلاثة أيام وكذلك لحم السلاحف

(فصل في بعض امراضها وعلاماتها وعلاجاتها)

فمن ذلك (الرمد) وعلامته ان ترم عينه وتحمر وتدمع (علاجه) ان يشوى الجبن ويطعم ثلاثة أيام واذا شوى يقرب بخاره الى عينيه (الزكام) وعلامته ان يحمر منخراه وتسيل الرطوبة من فمه وتدمع عيناه (علاجه) يدق نوى الزعرور اليابس ويصب عليه الزيت ويحبب مثل الحمص

أصحاب بهاء الدولة فجذبوا الطائع من سريره وتكاثر عليه الديلم فلفوه في كساء وأصعد الى دار السلطنة وارتج البلد ورجع بهاء الدولة وكتب على الطائع أيمانا بخلع نفسه وانه سلم الامر الى القادر بالله وشهد عليه الاكابر والاشراف وذلك في تاسع عشر شهر شعبان ونفذ الى القادر بالله ليحضروهو بالبطيحة واستمر الطائع في دار القادر بالله مكرما محترما في أحسن حال حتى انه حمل اليه ليلة شمعة قد أوقد نصفها فأنكر ذلك فحملوا اليه غيرها الى ان مات ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وصلى عليه القادر وشيعه الاكابر والخدم ورثاه الشريف الرضى بقصيدة وكان شديد الانحراف على آل آبي طالب وسقطت الهيبة في أيامه جدا حتى هجاه الشعراء

مات في أيام الطائع من الاعلام ابن السنى الحافظ وابن عدى والقفال الكبير والسيرافى النحوى وأبو سهل الصعلوكى وأبو بكر الرازى الحنفى وابن خالويه والازهرى امام اللغة وأبو ابراهيم الفارابى صاحب ديوان الادب والرفاء الشاعر وأبو زيد المروزى الشافعى والداركى وأبو بكر الابهرى شيخ المالكية وأبو الليث السمرقندى امام الحنفية وأبو على الفارسى النحوى وابن الجلاب المالكى

(القادر بالله أبو العباس)

القادر بالله أبو العباس أحمد بن اسحق بن المقتدر ولد سنة ست وثلاثين وثلثمائة وأمه أمة اسمها تمنى وقيل دمنة بويع له بالخلافة بعد خلع الطائع وكان غائبا فقدم في عاشر رمضان وجلس من الغد جلوسا عاما وهنئ وأنشد بين يديه الشعراء من ذلك قول الشريف الرضى

شرف الخلافة يا بنى العباس * اليوم جدده أبو العباس
ذا الطود أبقاه الزمان ذخيرة * من ذلك الجبل العظيم الراسى

قال الخطيب وكان القادر من الديانة والسيادة وادامة التهجد وكثرة الصدقات وحسن الطريقة على صفة اشتهرت عنه تفقه على العلامة أبى بشر الهروى الشافعى وقد صنف كتابا فى الاصول ذكر فيه فضائل الصحابة واكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن وكان ذلك الكتاب يقرأ فى كل جمعة فى حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدى وبحضرة الناس *(ترجمه ابن الصلاح فى طبقات الشافعية)* وقال الذهبى فى شوال من سنة ولايته عقد مجلس عظيم وحلف القادر وبهاء الدولة كل منهما لصاحبه بالوفاء وقلده القادر ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة وفيها دعا صاحب مكة أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوى الى نفسه وتلقب بالراشد بالله وسلم عليه بالخلافة فانزعج صاحب مصر ثم ضعف أمر أبى الفتوح وعاد الى طاعة العزيز العبيدى وفى سنة اثنتين وثمانين ابتاع الوزير أبو نصر سابور أزدشير دارا بالكرخ وعمرها وسماها دار العلم ووقفها على العلماء ووقف بها كتبا كثيرة وفى سنة أربع وثمانين عاد الحاج العراقى من الطريق اعترضهم الاصيفر الاعرابى ومنعهم الجواز الا برسمه فعادوا ولم يحجوا ولا حج أيضا أهل الشام ولا اليمن انما حج أهل مصر وفى سنة سبع وثمانين مات السلطان فخر الدولة وأقيم ابنه رستم مقامه فى السلطنة بالرى وأعمالها وهو ابن أربع سنين ولقبه القادر مجد الدولة قال الذهبى ومن الاعجوبات هلاك تسعة ملوك على نسق فى سنتى سبع وثمانين وثمان وثمانين منصور بن نوح ملك ما وراء النهر وفخر الدولة ملك الرى والجبال والعزيز العبيدى صاحب مصر وفيهم يقول أبو منصور عبد الملك الثعالبى شعرا

ألم تر مذ عامين أملاك عصرنا * يصيح بهم للموت والقتل صائح * فنوح بن منصور طوته يد الردى
على حسرات ضمنتها الجوانح * ويا بؤس منصور فى يوم سرخس * تمزق عنه ملكه وهو طائح
وفرق عنه الشمل بالسمل واغتدى * أميرا ضريرا تعتريه الجوائح * وصاحب مصر قد مضى بسبيله
ووالى الجبال غيبته الضرائح * وصاحب جرجانية فى ندامة * ترصده طرف من الحين طامح

ويغسل به احنكه ويوقف فى الشمس ساعة ويطعم بعد ذلك حمامة حارة وان كان فى الشتاء يسحق فلفل وينفخ فى منخريه ويطعم طيرا شديد العصب وقوى اللحم حتى ينتفخ عصبه وريشه فتخرج الرطوبة من منخريه والبرد (والكزاز) علامته أن يكون ضاما لجناحيه ثانى الريش قائمه يرفع رجلا ويضع أخرى وينفض ويتقاعس (علاجه) ان يدخن من جر لادخان فيه ويقطر فى حلقه قطرات دهن بان أو يمسح به ظهره وتحت أفخاذه وبعضهم يلفه فى قطعة فرو بعد ان يدهنه ببعض الادهان الحادة فيدفأ ويحسن حاله (الجص) علامته ان يغمض عينيه فهو دليل على ان المرض فى رأسه وان كان يجد الالم عند الذرق فعلامته أن يمد منسره الى مؤخره فذلك دليل على ان الداء فى بطنه وأكثر ما يطرأ من الريح أو من التخمة وعلاجه أن يطعم الفانيد فانه يكسر الريح ويلين البطن ويطعم الرشاد والزنجبيل والوج ويطعم لحوم العصافير والقنابر منقوعة فى دهن الجوز واذا أغليت العسل على النار جيدا ونزعت رغوته وعقدته ثم أطعمت الطير بقدر الجوزة نفعه للمحص والريح وان كان الالم فى رأسه ولم يهدأ بالطعم فاكوه بقصب آس فى ثلاث مواضع عن يمين أصل منسره وعن يساره وفى وسط رأسه واجعل فى طعمه الرشاد (الاكلة) علامتها اذا ابيضت لهاة الطير بعد سوادها واذا أكل اللحم يدخل مخاليبه فى منسره ويحكه حتى يسيل منه الدم وربما امتنع

خوار زم شاه شاه وجـه نعيمه * وعن له يوم من النحس طالح * وكان علاقى الارض يخطبها أبو
على الى أن طوحته الطوائح * وصاحب بست ذلك الضيغم الذى * براثنــه للمشرقـين مفاتح
أناخ به من صدمة الدهر كلكل * فلم تغن عنـه والمقـدر سانح * جيوش اذا أربت على عدد الحصى
تغص بها فيعانها والصحاصح * ودارت على صمصام دولة بويه * دوائر سوء سابهـن فـوادح
وقد جازوا الى الجوزجان قناطر الـسعياة فوافته المنايا الطوائح

وذكر الذهبى ان العزيز صاحب مصر مات سنة ست وثمانين وفتحت له زيادة على آبائه حمص وحماة وحلب وخطب له بالموصل وباليمن وضرب اسمه فيها على السكة والاعلام وقام بالامر بعده ابنه منصور ولقب الحاكم بأمر الله وفى سنة تسعين ظهر بسجستان معدن ذهب فكانوا يصفون من التراب الذهب الاحمر وفى سنة ثلاث وتسعين أمر نائب دمشق الاسود الحاكمى بمغربى فطيف به على حمار ونودى عليه هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ثم ضرب عنقه رحمه الله ولا رحم قاتله ولا استاذه الحاكم وفى سنة أربع وتسعين قلد بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوى قضاء القضاة والحج والمظالم ونقابة الطالبيين وكتب له من شيراز العهد فلم ينظر فى القضاء لامتناع القادر من الاذن له وفى سنة خمس وتسعين قتل الحاكم بمصر جماعة من الاعيان صبرا وامر بكتب سب الصحابة على أبواب المساجد والشوارع وأمر العمال بالسب وفيها أمر بقتل الكلاب وأبطل الفقاع والملوخيا ونهى عن السمك الذى لا قشر له وقتل جماعة ممن باع ذلك بعد نهيه وفى سنة ست وتسعين أمر الناس بمصر والحرمين اذا ذكر الحاكم أن يقوموا ويسجدوا فى السوق وفى مواضع الاجتماع وفى سنة ثمان وتسعين وقعت فتنة بين الشيعة وأهل السنة فى بغداد وكاد الشيخ أبو حامد الاسفراينى يقتل فيها وصاح الرافضة ببغداد يا حاكم يا منصور فاحفظ القادر من ذلك وأنفذ الفرسان الذين على بابه لمعاونة أهل السنة فانكسر الروافض وفيها هدم الحاكم بيعة قمامة التى بالمقدس وأمر بهدم جميع الكنائس التى بمصر وأمر النصارى بان تعلق فى أعناقهم الصلبان طول الصليب ذراع ووزنه خمسة أرطال بالمصرى واليهود أن يحملوا فى أعناقهم قرامى الخشب فى زنة الصلبان وان يلبسوا العمائم السود فأسلم طائفة منهم ثم بعد ذلك اذن فى اعادة البيع والكنائس وأذن لمن أسلم ان يعود الى دينه لكونه مكرها وفى سنة تسع وتسعين عزل أبو عمرو قاضى البصرة وولى القضاء أبو الحسن بن أبى الشوارب فقال العصفرى الشاعر

عندى حديث ظريف * بمثـله يتغـنى * من قاضيين يعزى * هذا وهذا يهنى
وذا يقول جـبرنا * وذا يقول استرحنا * ويكذبان جميعا * ومن يصدق منا

وفيها وهى سلطان بنى أمية بالاندلس وانخرم نظامهم وفى سنة أربعمائة نقصت دجلة نقصا لم يعهد وا كتريت لاجل جزائر ظهرت ولم يكن قبل ذلك قط وفى سنة اثنتين نهى الحاكم عن بيع الرطب وحرقه وعن بيع العنب وأباد كثيرا من الكروم وفى سنة أربع منع النساء من الخروج الى الطرقات ليلا ونهارا واستمر ذلك الى ان مات وفى سنة احدى عشرة قتل الحاكم لعنه الله بحلوان قرية بمصر وقام بعده ابنه على ولقب بالظاهر لاعزاز دين الله وتضعضعت دولتهم فى أيامه فخرجت عنهم حلب وأكثر الشام وفى سنة اثنتين وعشرين توفى القادر بالله ليلة الاثنين الحادى عشر من ذى الحجة عن سبع وثمانين سنة ومدة خلافته احدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر وممن مات فى أيامه من الاعلام أبو أحمد العسكرى الاديب والرمانى النحوى وأبو الحسن الماسرجسى شيخ الشافعية وأبو عبيد الله المرزبانى والصاحب بن عباد وهو وزير مؤيد الدولة وهو أول من سمى بالصاحب من الوزراء والدارقطنى الحافظ المشهور وابن شاهين وأبو بكر الاودنى امام الشافعية ويوسف بن السيرافى وابن زولاق المصرى وابن أبى زيد المالكى شيخ المالكية وأبو طالب المكى صاحب قوت القلوب وابن بطة الحنبلى وابن شمعون الواعظ

والخطابى

من الاكل فاعلم ان فى حنكه الاكلة وربما كانت فى بطنه وأصلها من الجص وصعود البخار الى رأسه وحلقه (علاجه) ان يطلى بشئ من سمن البقر والفلفل ثلاثة أيام ويؤخذ نشادر درهمين وزرنيخ أصفر درهما وبورق أرمنى نصف درهم يدق ويخلط بشيرج وتطلى لهاته وحلقه منه ثم يغسل بخل وان دهنته بدهن المشمش المسخن حتى يشكوى به نفعه وان اشتد مرضه فسعطه بالزرنيخ واذا كويت جانبى منسره بعود شيخ كان أماناله من الاكلة وأما الآفات الطارئة عليه من الظاهر فمنها الصدمة فاذا أصابته يضطرب فى الطيران وعلى الكندرة ويصقع ويكون ذرقه مختلطا بدم علاجه تدق كزبرة البئر ويستخرج ماؤها وينقع طعمه فيه ويكون من لحم طير حار ويؤخذ بعر الغنم وورق الصفصاف ويغلى فى ماء ثم ينزل ويكب عليه غربال ويوقف الطير عليه حتى يرتفع عليه البخار فينفعه الجراحة وان أصاب الطير جرح وانقطع جلده فيخيطه بخيط صوف رفيع ويذر عليه كزبرة بئر يابسة وان كانت متوغلة فذر عليه أنزروت حتى يبرأ وان زال من جلده قطعة فضع فى مكانها من جلد فرخ حمام حار وذر فوقها كزبرة بئر وخيطه وان جعلت تحته شحم بقر كان أصلح وأسرع لبرئه وعلاج الشواهين مثل علاج البزاة وكذلك سائر الكواسر الا ان مداواة كل نوع على حدة فيحتاج من يشتغل بذلك أن يكون له دراية ومعرفة واذا نقصت من ريش الجارح

والخطابي والحاتمي اللغوي والادفوي أبو بكر وزاهر السرخسي شيخ الشافعية وابن غلبون المقرئ والكشميهني راوي الصحيح والمعافى بن زكريا النهرواني وابن خويزمنداد وابن جني والجوهري صاحب الصحاح وابن فارس صاحب المجمل وابن منده الحافظ والاسماعيلي شيخ الشافعية وأصبغ بن الفرج شيخ المالكية وبديع الزمان أول من عمل المقامات وابن لال وابن أبي زمنين وأبو حيان التوحيدي والواوا الشاعر والهروي صاحب الغريبين وأبو الفتح البستي الشاعر والحليمي شيخ الشافعية وابن الفارض وأبو الحسن القابسي والقاضي أبو بكر الباقلاني وأبو الطيب الصعلوكي وابن الاكفاني وابن نباتة صاحب الخطب والصيمري شيخ الشافعية والحاكم صاحب المستدرك وابن كج والشيخ أبو حامد الاسفرايني وابن فورك والشريف الرضي وأبو بكر الرازي صاحب الالقاب والحافظ عبد الغني بن سعيد وابن مردويه وهبة الله ابن سلامة الضرير المفسر وأبو عبد الرحمن السلمي شيخ الصوفية وابن البواب صاحب الخط وعبد الجبار المعتزلي والمحاملي امام الشافعية وأبو بكر القفال شيخ الشافعية والاستاذ أبو اسحق الاسفرايني واللالكائي وابن الفخار عالم الاندلس وعلي بن عيسى الربعي النحوي وخلائق آخرون قال الذهبي كان في هذا العصر رأس الاشعرية أبو اسحق الاسفرايني ورأس المعتزلة القاضي عبد الجبار ورأس الرافضة الشيخ المفيد ورأس الكرامية محمد بن الهيصم ورأس القراء أبو الحسن الحمامي ورأس المحدثين الحافظ عبد الغني بن سعيد ورأس الصوفية أبو عبد الرحمن السلمي ورأس الشعراء أبو عمر بن دراج ورأس المجودين ابن البواب ورأس الملوك السلطان محمود بن سبكتكين قلت ويضم الى هذا رأس الزنادقة الحاكم بأمر الله ورأس اللغويين الجوهري ورأس النحاة ابن جني ورأس البلغاء البديع ورأس الخطباء ابن نباتة ورأس المفسرين أبو القاسم بن حبيب النيسابوري ورأس الخلفاء القادر بالله فانه من أعلامهم تفقه وصنف وناهيك بأن الشيخ تقي الدين بن الصلاح عده من الفقهاء الشافعية وأورده في طبقاتهم ومدته في الخلافة من أطول المدد

(القائم بأمر الله أبو جعفر)

القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن القادر ولد في نصف ذي القعدة سنة احدى وتسعين وثلثمائة وأمه أم ولد أرمنية اسمها بدر الدجى وقيل قطر الندى ولي الخلافة عند موت أبيه سنة اثنتين وعشرين وكان ولي عهده في الحياة وهو الذي لقبه بالقائم بأمر الله قال ابن الاثير كان جميلا مليح الوجه ورعا دينا زاهدا عالما قوي اليقين بالله كثير الصدقة والصبر له عناية بالادب ومعرفة حسنة بالكتابة مؤثرا للعدل والاحسان وقضاء الحوائج لا يرى المنع من شئ طلب منه قال الخطيب ولم يزل أمره مستقيما الى ان قبض عليه في سنة خمسين وكان السبب في ذلك ان أرسلان التركي البساسيري كان قد عظم أمره واستفحل شأنه لعدم نظرائه وانتشر ذكره وتهيبته أمراء العرب والعجم ودعي له على المنابر وجبى الاموال وخرب القرى ولم يكن القائم يقطع أمرا دونه ثم صح عنده سوء عقيدته وبلغه انه عزم على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة فكاتب الخليفة أبا طالب محمد بن ميكال سلطان الغز المعروف بطغرلبك وهو بالري يستنهضه في القدوم ثم أحرقت دار البساسيري وقدم طغرلبك في سنة سبع وأربعين فذهب البساسيري الى الرحبة وتلاحق به خلق من الاتراك وكاتب صاحب مصر فأمده بالاموال وكاتب ينال أخا طغرلبك وأطمعه بمنصب أخيه فخرج ينال واشتغل به طغرلبك ثم قدم البساسيري بغداد في سنة خمسين ومعه الرايات المصرية ووقع القتال بينه وبين الخليفة ودعي لصاحب مصر المستنصر بجامع المنصور وزيد في الاذان حي على خير العمل ثم خطب له في كل الجوامع الا جامع الخليفة ودام القتال شهرا ثم قبض البساسيري على الخليفة في ذي الحجة وسيره الى غانة وحبسه بها وأما طغرلبك فظفر بأخيه وقتله ثم كاتب متولي غانة في رد الخليفة الى داره مكرما فوصل الخليفة الى مقر عزه في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة احدى وخمسين ودخل بابهة عظيمة والامراء والحجاب بين يديه وجهز طغرلبك جيشا فحاربوا البساسيري فظفروا به

شئ فليوصل بابرة لطيفة تدخل بين الريشتين ويجعل على رأسها مرى فيه صمغ ومصطكى مدقوقين وفيما ذكرناه كفاية والله أعلم

(القسم الرابع في الحروب وهو عشرة أبواب)

(الباب الاول في وصف أجناس الناس واختلاف أصنافهم وأطوارهم)

اعلم ان النجدة والفروسية من أهم المصالح الدينية واقامة الدين ونظام العالم وبها تحرز الاموال وتصان الحرم والنعم الدنيوية والدرجات الاخروية وبها تكون العزة للنفوس الابية وهي نتيجة النخوة والحمية حثت عليها الشرائع والديانات وانتظمت بها ضوابط السياسات وقد ورد في القرآن الكريم والخبر الصحيح في فضل الجهاد والمجاهدين والحث على الغزاة وتحريض المؤمنين ما يكثر تعداده وللفروسية ثلاثة أصول أحدها أحكام الركوب الثاني الحذق في أخذ السلاح واستعماله والمقاتلة به والثالث الشجاعة وتدبير اللقاء والتقدم والتأخر والثبات وأصناف ذلك وتصرفاته فلنقدم قبل الشروع في ذلك وصف أجناس الناس وطبقاتهم ومبلغهم من ذلك وما اختصت به كل أمة من أهل الاقاليم (الفرس) ذوو شهامة ونجدة وصبر وحسن سياسة فكان لهم الملك ودام فيهم ودانت لهم البلاد واستمرت على الممالك ألوف سنين وفيهم الرمي بالنشاب وأهل جبالهم رجالة شجعان وأهل مثاقفون يرمون بالحجر المصيب والمنجنيق من استنباطاتهم ويقال انه ظهر في زمن النمرود وهو من نبطهم وأعقاب

دولتهم بالعراق وقد جاء فى تفسير قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قال بعض الصحابة

وقتل وحمل رأسه الى بغداد ولما رجع الخليفة الى داره لم ينم بعدها الا على فراش مصلاه ولزم الصيام والقيام وعفا عن كل من آذاه ولم يسترد شيأ مما نهب من قصره الا بالثمن وقال هذه أشياء احتسبناها عند الله ولم يضع رأسه بعدها على مخدة ولما نهب قصره لم يوجد فيه شئ من آلات الملاهي وروى انه لما سجنه البساسيري كتب قصته ونفذها الى مكة فعلقت فى الكعبة فيها الى الله العظيم من المسكين عبده اللهم انك العالم بالسرائر المطلع على الضمائر اللهم انك غنى بعلمك واطلاعك على خلقك عن اعلامى هذا عبد قد كفر نعمك وما شكرها وألغى العواقب وما ذكرها أطغاه حلمك حتى تعدى علينا بغيا وأساء الينا عتوا وعدوا اللهم قل الناصر واعتز الظالم وأنت المطلع العالم المنصف الحاكم بك نعتز عليه واليك نهرب من يديه فقد تعزز علينا بالمخلوقين ونحن نعتز بك وقد حاكمناه اليك وتوكلنا فى انصافنا منه عليك ورفعنا ظلامتنا هذه الى حرمك ووثقنا فى كشفها بكرمك فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين وفى سنة ثمان وعشرين مات الظاهر العبيدى صاحب مصر وأقيم ابنه المستنصر بعده وهو ابن سبع سنين فأقام فى الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر قال الذهبي ولا أعلم أحدا فى الاسلام لا خليفة ولا سلطانا أقام هذه المدة وفى أيامه كان الغلاء بمصر الذى ما عهد مثله منذ زمان يوسف فأقام سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضا وحتى قيل انه بيع رغيف بخمسين دينارا وفى سنة أربعمائة وثلاث وأربعين قطع المعز بن باديس الخطبة للعبيدي بالمغرب وخطب لبنى العباس. وفى سنة احدى وخمسين كان عقد الصلح بين السلطان ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وبين السلطان جغر بيك بن سلجوق أخو طغرلبك صاحب خراسان بعد حروب كثيرة ثم مات جغر بيك فى السنة وأقيم مكانه ابنه ألب ارسلان وفى سنة أربع وخمسين زوج الخليفة بنته لطغرلبك بعد ان دافع بكل ممكن وانزعج واستعفى ثم لان لذلك برغم منه وهذا أمر لم ينله أحد من ملوك بنى بويه مع قهرهم الخلفاء وتحكمهم فيهم قلت والآن زوج خليفة عصرنا ابنته من واحد من مماليك السلطان فضلا عن السلطان فانا لله وانا اليه راجعون ثم قدم طغرلبك فى سنة خمس فدخل بابنة الخليفة وأعاد المواريث والمكوس وضمن بغداد بمائة وخمسين ألف دينار ثم رجع الى الرى فمات بها فى رمضان فلا عفا الله عنه وأقيم فى السلطنة بعده ابن أخيه عضد الدولة ألب ارسلان صاحب خراسان وبعث اليه القائم بالخلع والتقليد قال الذهبي وهو أول من ذكر بالسلطان على منابر بغداد وبلغ مالم يبلغه أحد من الملوك وافتتح بلادا كثيرة من بلاد النصارى واستوزر نظام الملك فأبطل ما كان عليه الوزير قبله عميد الملك من سب الاشعرية وانتصر للشافعية وأكرم امام الحرمين وأبا القاسم القشيرى وبنى النظامية قيل وهى أول مدرسة بنيت للفقهاء وفى سنة ثمان وخمسين ولدت بباب الازج صغيرة لها رأسان ووجهان ورقبتان على بدن واحد وفيها ظهر كوكب كأنه دارة القمر ليلة تمه بشعاع عظيم وهال الناس ذلك وأقام عشر ليال ثم تناقص ضوؤه وغاب وفى سنة تسع وخمسين فرغت المدرسة النظامية ببغداد وقرر لتدريسها الشيخ أبو اسحق الشيرازى فاجتمع الناس فلم يحضر واختفى فدرس ابن الصباغ صاحب الشامل ثم تلطفوا بالشيخ أبى اسحق حتى أجاب ودرس وفى سنة ستين كانت بالرملة الزلزلة الهائلة التى خربتها حتى طلع الماء من رؤس الآبار وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفا وأبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم فنزل الناس الى أرضه يلتقطون السمك فرجع الماء عليهم فأهلكهم وفى سنة احدى وستين احترق جامع دمشق وزالت محاسنه وتشوه منظره وذهبت سقوفه المذهبة وفى سنة اثنتين وستين ورد رسول أمير مكة على السلطان ألب ارسلان بأنه أقام الخطبة العباسية وقطع خطبة المستنصر المصرى وترك الاذان بحى على خير العمل فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعا وسبب ذلك ذلة المصريين بالقحط المفرط سنين متوالية حتى أكل الناس الناس وبلغ الاردب مائة دينار وبيع الكلب بخمسة دنانير والهر بثلاثة دنانير وحكى صاحب المرآة أن امرأة خرجت من القاهرة ومعها مد جوهر فقالت من يأخذه بمد بر فلم يلتفت اليها أحد وقال بعضهم يهنئ القائم شعرا

من هؤلاء يارسول الله قال هذا وقومه وأشار الى سلمان الفارسى (العرب) أهل ركوب وخفة فى الكر والفر وفيهم شجاعة وليس لهم ثبات وهم يجتمعون بالاطماع والآمال وتؤثر فيهم الخطابة والاشعار فى كل فن حتى انهم يقعون فى الاخطار أو يتركون من الاموال ماله مقدار ببيت شعر أو كلمة سجع * ومن خصائصهم حفظ الجار والنزيل والذب عنه وفى بعضهم كرم وليس لهم من أنواع الاسلحة الا الرمح ورمى القوس العربى فى بعض طوائفهم وهو كالنادر فيهم (الترك) ذوو شجاعة وحمية وغلظة وقساوة على غير جنسهم وفيهم انقياد لمشايخهم وكبرائهم مع انهم ليس فيهم عصبية كما فى الكرد وأخلاقهم عسرة وأشرفهم الخطائم الختن ثم الجكل ثم التبكت ثم القفجاق والخطا والختن أجلهم وأصبحهم والجكل أعجزهم والتتر أطوعهم واليمك أسقطهم ولهم فى الفروسية رمى النشاب والضرب بالدبوس والسيف ولهم الصبر فينبغى ان يوسع عليهم فى الانفاق وتزاح عللهم فى ذلك ويمكنوا من عاداتهم ولا يرفهون فانهم ينقادون الى كل أمر يدعون اليه ويتبعون

(الروم) أهل صنائع وحرف وحكم وفيهم صبر وخدمة ولهم حيل فى السياسات ووضع آلات حربية وحظهم فى الفروسية قليل وقد

وقد علم المصرى ان جنوده * سنو يوسف فيها وطاعون عمواس
أقامت به حتى استراب بنفسه * وأوجس منها خيفة أى ايجاس

وفى سنة ثلاث وستين خطب بحلب للقائم وللسلطان ألب ارسلان لما رأوا قوة دولتهما وادبار دولة المستنصر وفيها كانت وقعة عظيمة بين الاسلام والروم ونصر المسلمون ولله الحمد ومقدمهم السلطان ألب ارسلان وأسر ملك الروم ثم أطلقه بمال جزيل وهادنه خمسين سنة ولما أطلق قال السلطان أين جهة الخليفة فأشار له فكشف رأسه وأومأ الى الجهة بالخدمة وفى سنة أربع وستين كان الوباء فى الغنم الى الغاية وفى سنة خمس وستين قتل السلطان ألب ارسلان وقام فى الملك بعده ولده ملكشاه ولقب جلال الدولة ورد تدبير الملك الى نظام الملك ولقبه الاتابك وهو أول من لقبه ومعناه الامير الوالد وفيها اشتد الغلاء بمصر حتى أكلت امرأة رغيفا بألف دينار وكثر الوباء الى الغاية وفى سنة ست وستين كان الغرق العظيم ببغداد وزادت دجلة ثلاثين ذراعا ولم يقع مثل ذلك قط وهلكت الاموال والانفس والدواب وركبت الناس فى السفن وأقيمت الجمعة فى الطيار على وجه الماء مرتين وأقام الخليفة يتضرع الى الله وصارت بغداد ملقة واحدة وانهدم مائة ألف دار أو أكثر وفى سنة سبع وستين مات الخليفة القائم بأمر الله ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان وذلك أنه افتصد ونام فانحل موضع الفصد وخرج منه دم كثير فاستيقظ وقد انحلت قوته فطلب حفيده وولى العهد عبد الله بن محمد ووصاه ثم توفى ومدة خلافته خمس وأربعون سنة

مات فى أيامه من الاعلام أبو بكر البرقانى وأبو الفضل الفلكى والثعلبى المفسر والقدورى شيخ الحنفية وابن سينا شيخ الفلاسفة ومهيار الشاعر وأبو نعيم صاحب الحلية وأبو زيد الدبوسى والبرادعى المالكى صاحب التهذيب وأبو الحسين البصرى المعتزلى ومكى صاحب الاعراب والشيخ أبو محمد الجوينى والمهدوى صاحب التفسير والاقليلى والثمانينى وأبو عمرو الدانى والخليل صاحب الارشاد وسليم الرازى وأبو العلاء المقرى وأبو عثمان الصابونى وابن بطال شارح البخارى والقاضى أبو الطيب الطبرى وابن شيطى المقرى والماوردى الشافعى وابن باب شاذ والقضاعى صاحب الشهاب وابن برهان النحوى وابن حزم الظاهرى والبيهقى وابن سيده صاحب المحكم وأبو يعلى ابن الفراء شيخ الحنابلة والحضرمى من الشفاعية والهذلى صاحب الكامل فى القراآت والفريابى والخطيب البغدادى وابن رشيق صاحب العمدة وابن عبد البر

(المقتدى بأمر الله أبو القاسم)

المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله مات أبوه فى حياة القائم وهو حمل فولد بعد وفاة أبيه بستة أشهر وأمه أم ولد اسمها أرجوان وبويع له بالخلافة عند موت جده وله تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وكانت البيعة بحضرة الشيخ أبى اسحق الشيرازى وابن الصباغ والدامغانى وظهر فى أيامه خيرات كثيرة وآثار حسنة فى البلدان وكانت قواعد الخلافة فى أيامه باهرة وافرة الحرمة بخلاف من تقدمه ومن محاسنه أنه نفى المغنيات والخواطى ببغداد وأمر أن لا يدخل أحد الحمام الا بمئزر وخرب أبراج الحمام صيانة لحرم الناس وكان دينا خيرا قوى النفس عالى الهمة من نجباء بنى العباس وفى هذه السنة من خلافته أعيدت الخطبة للعبيدى بمكة وفيها جمع نظام الملك المنجمين وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل وكان قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله النظام مبدأ التقاويم وفى سنة ثمان وستين خطب للمقتدى بدمشق وأبطل الاذان بحى على خير العمل وفرح الناس بذلك وفى سنة تسع وستين قدم بغداد أبو نصر بن الاستاذ أبى القاسم القشيرى الاشعرى فوعظ بالنظامية وجرى له فتنة كبيرة مع الحنابلة لانه تكلم على مذهب الاشعرى وحط عليهم وكثر أتباعه والمتعصبون له فهاجت فتن وقتلت جماعة وعزل فخر الدولة بن جهير من وزارة المقتدى لكونه شذ من الحنابلة

وامهم ضرب بالسيف ورمى بالجرخ والزنبورك وميلهم الى المكايد فى الحروب أكثر وفيهم صبر وحرص على جمع المال ومحبة الذهب والفضة والتنعم (الديلم) أهل طبرستان والجبال فهم الفروسية والشجاعة والصور الهائلة والاصوات المفزعة وهم يرمون بالمزاريق فتنفذ حيث أصابت ولا تكاد تخطئ وهم أطوع الناس لكبرائهم الا ان آراءهم مطربة وما استراحوا قط الا بطروا ولا ينبغى ان يولى عليهم غيرهم فان نفوسهم أبية وينبغى لواليهم ان يغضى عن بعض هفواتهم ويسمح باليسير من جناياتهم وفيهم عنف وعسف لمن وليهم من غيرهم وكذلك البربر والعرب بالضد (الكرد) هم فى جبال الفرس وديار ربيعة فهم الشجاعة والنجدة والحمية فرسانهم ورجالتهم وهم يتعصبون لبعضهم على كل حال كما تفعله العرب فى بعض الاحوال وليس فيهم حيل ولا مكر وينقادون للديانات والامانات وربما كان فيهم غدر فى بعض الاوقات ولا يكون سببه الا التعصب والحمية (البربر) فيهم الصبر على الشقاء والاقدام على الموت والحروب وهم أهل غلظة وجفاء وجهل وتأليفهم بالمواعظ والخطب والانقياد لمشايخهم ولكبرائهم وتؤثر فيهم النواميس غاية التأثير وهم خفاف على الخيل خفاف فى الجرى ومنهم رجالة يلحقون الخيل ويعمل فيهم الارهاب ويعظمون شيوخهم وفيهم قبيلة تعظم النساء وتحكمهن وتنسب الاولاد اليهن وينتقب الرجال وتسفر النساء فى الغالب

وفى سنة خمس وسبعين بعث الخليفة الشيخ أبا اسحق الشيرازى رسولا الى السلطان يتضمن الشكوى من العميد أبى الفتح وفى سنة ست وسبعين رخصت الاسعار بسائر البلاد وارتفع الغلاء وفيها ولى الخليفة أبا شجاع محمد بن الحسين الوزارة ولقبه ظهير الدين وأظن ذلك أول حدوث التلقيب بالاضافة الى الدين وفى سنة تسع وسبعين سار سليمان بن قلمش السلجوقى صاحب قونية وأقصرا بجيوشه الى الشام فاخذ انطاكية وكانت بيد الروم فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وأرسل الى السلطان ملكشاه يبشره قال الذهبى وآل سلجوق هم ملوك بلاد الروم وقد امتدت أيامهم وبقى منهم بقية الى زمن الملك الظاهر بيبرس وفى سنة ثمان وسبعين جاءت ريح سوداء ببغداد واشتد الرعد والبرق وسقط رمل وتراب كالمطر ووقعت عدة صواعق فظن الناس انها القيامة وبقيت ثلاث ساعات بعد العصر وقد شاهد هذه الكائنة الامام أبو بكر الطرطوشى وأوردها فى أماليه وفى سنة تسع وسبعين أرسل يوسف بن تاشفين صاحب سبتة ومراكش الى المقتدى يطلب أن يسلطنه وان يقلده مابيده من البلاد فبعث اليه الخلع والاعلام والتقليد ولقبه بامير المسلمين ففرح بذلك وسر به فقهاء المغرب وهو الذى أنشأ مدينة مراكش وفيها دخل السلطان ملكشاه بغداد وهو أول دخوله اليها فنزل بدار المملكة ولعب بالكرة وقد تقاوم الخليفة ثم رجع الى أصبهان وفيها قطعت خطبة العبيدى بالحرمين وخطب للمقتدى وفى سنة احدى وثمانين مات ملك غزنة المؤيد ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وقام مقامه ابنه جلال الدين مسعود وفى سنة ثلاث وثمانين عملت ببغداد مدرسة لتاج الملك مستوفى الدولة بباب ابرز ودرس بها أبو بكر الشاشى وفى سنة أربع وثمانين استولت الفرنج على جميع جزيرة صقلية وهى أول مافتحها المسلمون بعد المائتين وحكم عليها آل الاغلب دهرا الى ان استولى العبيدى المهدى على المغرب وفيها قدم السلطان ملكشاه بغداد وأمر بعمل جامع كبير بها وعمل الامراء حوله دورا ينزلونها ثم رجع الى أصبهان وعاد الى بغداد فى سنة خمس وثمانين عازما على الشر وأرسل الى الخليفة يقول لابد ان تترك لى بغداد وتذهب الى أى بلد شئت فانزعج الخليفة وقال امهلنى ولو شهرا قال ولا ساعة واحدة فارسل الخليفة الى وزير السلطان يطلب المهلة الى عشرة أيام فاتفق مرض السلطان وموته وعد ذلك كرامة للخليفة وقيل ان الخليفة جعل يصوم فاذا أفطر جلس على الرماد ودعا على ملكشاه فاستجاب الله دعاءه وذهب الى حيث ألقت ولما مات كتمت زوجته تركان موته وأرسلت الى الامراء سرا فاستحلفتهم لولده محمود وهو ابن خمس سنين فحلفوا له وأرسلت الى المقتدى فى ان يسلطنه فأجاب ولقبه ناصر الدنيا والدين ثم خرج عليه أخوه بركيارق بن ملكشاه فقلده الخليفة ولقبه ركن الدين وذلك فى المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين وعلم الخليفة على تقليده ثم مات الخليفة من الغد فجأة فقيل ان جاريته شمس النهار سمته وبويع لولده المستظهر وممن مات فى أيام المقتدى من الاعلام عبد القاهر الجرجانى وأبو الوليد الباجى والشيخ أبو اسحق الشيرازى والاعلم النحوى وابن الصباغ صاحب الشامل والمتولى وامام الحرمين والدامغانى الحنفى وابن فضال المجاشعى والبزدوى شيخ الحنفية

(المستظهر بالله أبو العباس)

المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى بالله ولد فى شوال سنة سبعين وأربعمائة وبويع له عند موت أبيه وله ست عشرة سنة قال ابن الاثير كان لين الجانب كريم الاخلاق يسارع فى أعمال البر حسن الخط جيد التوقيعات لا يقاربه فيها أحد يدل على فضل غزير وعلم واسع سمحا جوادا محبا للعلماء والصلحاء ولم تصف له الخلافة بل كانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب وفى هذه السنة من أيامه مات المستنصر العبيدى صاحب مصر وقام بعده ابنه المستعلى أحمد وفيها أخذت الروم بلنسية وفى سنة ثمان وثمانين قتل أحمد خان صاحب سمرقند لانه ظهر منه الزندقة فقبض عليه الامراء وأحضر الفقهاء فأفتوا بقتله فقتل لا رحمه الله وملكوا ابن عمه وفى

سنة

وهى قبيلة مسوفة وسياستهم بالقهر والارهاب واستعمال السيف مكان السوط (الارمن) فهم صبر وخدمة وقد يكون فيهم جمال وفيهم ملاحة وذكاء وحسن تأن فى الاعمال مع فساد وقلة أمانة (الهند) أهل الحكمة والذكاء والفطنة وفيهم الحيل والمكر والوهم والخداع ولا يقاتلون الا بأمر دينى وأما الحمية والانفة والغيرة فعندهم قليلة ومنهم طائفة تنسب الى الشجاعة يسكنون فى جبال الهند وهم غزاة (الحبش) هم أشفق أصناف السودان وأحسنهم وفيهم أمانة وشجاعتهم نادرة وهم أهل جد وصبر وأصناف السودان كثيرة أشجعهم أهل غانة ثم كوكو والنوبة وأضعفهم الزيلع ثم كانم وبالجملة فأهل البلاد الباردة أشجع من أهل البلاد الحارة لتلزز أبدانهم واكتناز أعضائهم وتوهم الأن أهل البلاد الحارة أخف وأرشق وربما كانوا أركب وأهل الجبال أشجع وأصح من أهل السهل وكذلك أهل المشرق أشجع من أهل المغرب وأهل الشمال أشجع من سكان الجنوب والوسط وسط * قال أهل الفراسة من صفة الشجاع ان يكون متلزز الاعضاء قوى العصب شديد اللحم قائم الشعر سبطه كأنه ابر مغروزة عريض الصدر غليظ العنق جهورى الصوت أخمص البطن وهذه الصفات مأخوذة من الاسد ولو شرحنا سائر أجناس الناس لطال الكتاب ولكن اختصرنا لئلا يفوت الغرض *(الباب الثانى فى الشجاعة وحدها وفضلها وصفاتها)*

سنة تسع وثمانين اجتمعت الكواكب السبعة سوى زحل فى برج الحوت فحكم المنجمون بطوفان يقارب طوفان نوح فاتفق ان الحجاج نزلوا فى دار المناقب فأتاهم سيل غرق أكثرهم وفى سنة تسعين قتل السلطان أرسلان ارغون بن ألب ارسلان السلجوقى صاحب خراسان فملكها السلطان بركيارق ودانت له البلاد والعباد وفيها خطب للعبيدى بحلب وانطاكية والمعرة وشيزر شهرا ثم أعيدت الخطبة العباسية وفيها جاءت الفرنج فأخذوا انطاكية وهو أول بلاد أخذوه ووصلوا الى كفر طاب واستباحوا تلك النواحى فكان هذا أول مظهر الفرنج بالشام قدموا فى بحر القسطنطينية فى جمع عظيم وانزعجت الملوك والرعية وعظم الخطب فقيل ان صاحب مصر لما رأى قوة السلجوقية واستيلاءهم على الشام كاتب الفرنج يدعوهم الى المجىء الى الشام ليملكوها وكثر النفير على الفرنج من كل جهة وفى سنة اثنتين وتسعين انتشرت دعوة الباطنية بأصبهان وفيها أخذت الفرنج بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف وقتلوا به أكثر من سبعين ألفا منهم جماعة من العلماء والعباد والزهاد وهدموا المشاهد وجمعوا اليهود فى الكنيسة وأحرقوها عليهم وورد المستنفرون الى بغداد فأوردوا كلاما أبكى العيون واختلفت السلاطين فتمكنت الفرنج من الشام وللابيوردى فى ذلك

مزجنا دماء بالدموع السواجم * فلم يبق منا عرضة للمراجم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه * اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايها بنى الاسلام ان وراءكم * وقائع يلحقن الردى بالمناسم
أنائمة فى ظل أمن وغبطة * وعيش كنوار الخميلة ناعم
وكيف تنام العين ملء جفونها * على هبوات أيقظت كل نائم
واخوانكم بالشام يضحى مقيلهم * ظهور المذاكى أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم * تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
فكم من دماء قد أبيحت ومن دمى * توارى حياء حسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيض محمرة الظبى * وسمر العوالى داميات اللهازم
يكاد لهن المستجن بطيبة * ينادى بأعلى الصوت يا آل هاشم
أرى أمتى لا يسرعون الى العدى * رماحهم والدين واهى الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى * ولا يحسبون العار ضربة لازم
أترضى صناديد الاعارب بالاذى * وتغضى على ذل كماة الاعاجم
فليتهم اذ لم يردوا حمية * عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم

وفيها خرج محمد بن ملكشاه على أخيه السلطان بركيارق فانتصر عليه فقلده الخليفة ولقبه غياث الدنيا والدين وخطب له ببغداد ثم جرت بينهما عدة وقعات وفيها نقل المصحف العثمانى من طبرية الى دمشق خوفا عليه وخرج الناس لتلقيه فآووه فى خزانة بمقصورة الجامع وفى سنة أربع وتسعين كثر أمر الباطنية بالعراق وقتلهم الناس واشتد الخطب بهم حتى كانت الامراء يلبسون الدروع تحت ثيابهم وقتلوا خلائق منهم الرويانى صاحب البحر وفيها أخذ الفرنج بلد سروج وحيفاء وارسوف وقيسارية وفى سنة خمس وتسعين مات المستعلى صاحب مصر وأقيم بعده ابنه الآمر باحكام الله منصور وهو طفل له خمس سنين وفى سنة ست وتسعين جرت فتن للسلطان فترك الخطباء الدعوة للسلطان واقتصروا على الدعوة للخليفة لا غير وفى سنة سبع وتسعين وقع الصلح بين السلطانين محمد وبركيارق وسببه ان الحروب لما تطاولت بينهما وعم الفساد وصارت الاموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والسلطنة مطموع فيها وأصبح الملوك مقهورين بعد ان كانوا قاهرين

الشجاعة اقدام على أمر مخوف غالبا مع توطين النفس على الظفر وأما مع استشعار العطب فهو التهور والقاء النفس فى التهلكة وقيل الشجاعة أمر به يدفع المكروه ويجلب المحبوب * وعلى الجملة فان الشجاعة أمر تقتضيه الفحولية والهمم العلية وهو للملوك ألزم ولا يلزم ان الملك أشجع بل يكفى ان يكون شجاعا مقتدرا عارفا بالطعن والضرب والحملة والاقدام ومواقعه ومواضعه والثبات وموانعه فانه اذا أحكم هذه الامور كانت فيه فوائد عظيمة منها هيبته فى القلوب وعظمته عند أعدائه وأوليائه ومنها معرفته بحقيقة الفروسية ومقدارها فيضع كل أحد فى الرتبة التى يستحقها ومنها انه وان كان له عساكر وأعوان لكنه ربما اضطر فى بعض الاحوال الى مباشرة الحرب بنفسه لانتهاز فرصة أو لدفع شدة فان لم يكن شجاعا ولا له معرفة فانه يهلك ويهلك * والشجاعة على أنواع منها السبعية ومنشؤها من الغضب والفزع وقد تكون طبعا ولا مادة لها ومنها البهيمية وهى التى تكون لطلب مأكل أو منكح ومنها المصلحية وهى المكتسبة يتدرب عليها من يزاولها حتى اذا تمهر فيها ارتقى بسببها وهى طريقة الجند والشجاعة أمر محمود وفضيلة وهى الوسطى والافراط فيها تهور والتفريط جبن ومثال التهور مقاومة ضعيف أعزل لقوى شاك والجبن بالعكس أو الهروب قبل المناوشة والحرب وانما ينبغى ان يثبت موضع الثبات وينتهز عند امكان الفرصة ولا يرتاع ان رأى غيره أصيب فلعله من السالمين الظافرين

دخل العقلاء بينهما في الصلح وكتبت العهود والايمان والمواثيق وأرسل الخليفة خلع السلطنة الى بركياروق وأقيمت له الخطبة ببغداد وفي سنة ثمان وتسعين مات السلطان بركياروق فأقام الامراء بعده ولده جلال الدولة ملكشاه وقلده الخليفة وخطب له ببغداد وله دون خمس سنين فخرج عليه عمه محمد واجتمعت الكلمة عليه فقلده الخليفة وعاد الى أصبهان سلطانا تام التمكن مهيبا كثير الجيوش وفيها كان ببغداد جدري مفرط مات فيه خلق من الصبيان لا يحصون وتبعه وباء عظيم وفي سنة تسع وتسعين ظهر رجل بنواحي نهاوند فادعى النبوة وتبعه خلق فأخذ وقتل وفي سنة خمسمائة أخذت قلعة أصبهان التي ملكها الباطنية وهدمت وقتلوا وسلخ كبيرهم وحشي جلده تبنا فعل ذلك السلطان محمد بعد حصار شديد فلله الحمد وفي سنة احدى وخمسمائة رفع السلطان الضرائب والمكوس ببغداد وكثر الدعاء له وزاد في العدل وحسن السيرة وفي سنة اثنتين عادت الباطنية فدخلوا شيزر على حين غفلة من أهلها فملكوها وملكوا القلعة وأغلقوا الابواب وكان صاحبها خرج يتنزه فعاد وأبادهم في الحال وقتل فيها شيخ الشافعية الروياني صاحب البحر قتله الباطنية في بغداد كما تقدم وفي سنة ثلاث أخذت الفرنج طرابلس بعد حصار سنين وفي سنة أربع عظم بلاء المسلمين بالفرنج وتيقنوا استيلاءهم على أكثر الشام وطلب المسلمون الهدنة فامتنعت الفرنج وصالحوهم بألوف دنانير كثيرة فهادنوا ثم غدروا لعنهم الله وفيها هبت بمصر ريح سوداء مظلمة أخذت بالانفاس حتى لا يبصر الرجل يده ونزل على الناس رمل وأيقنوا بالهلاك ثم تجلى قليلا وعاد الى الصفرة وكان ذلك من العصر الى بعد المغرب وفيها كانت ملحمة كبيرة بين الفرنج وبين ابن تاشفين صاحب الاندلس نصر فيها المسلمون وقتلوا وأسروا وغنموا مالا يعبر عنه وبادت شجعان الفرنج وفي سنة سبع جاء مودود صاحب الموصل بعسكر ليقاتل ملك الفرنج الذي بالقدس فوقع بينهم معركة هائلة ثم رجع مودود الى دمشق فصلى الجمعة يوما في الجامع واذا بباطني وثب عليه فجرحه فمات من يومه فكتب ملك الفرنج الى صاحب دمشق كتابا فيه وان أمة قتلت عميدها في يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله ان يبيدها وفي سنة احدى عشرة جاء سيل عرم غرق سنجار وسورها وهلك خلق كثير حتى ان السيل أخذ باب المدينة فذهب به عدة فراسخ واختفى تحت التراب الذي جره السيل وظهر بعد سنين وسلم طفل في سرير له حمله السيل فتعلق السرير بزيتونة وعاش وكبر وفيها مات السلطان محمد وأقيم بعده ابنه محمود وله اربع عشرة سنة وفي سنة اثنتي عشرة مات الخليفة المستظهر بالله في يوم الاربعاء الثالث والعشرين من ربيع الاول فكانت مدته خمسا وعشرين سنة وغسله ابن عقيل شيخ الحنابلة وصلى عليه ابنه المسترشد وماتت بعده بقليل جدته ارجوان والدة المقتدي قال الذهبي ولا يعرف خليفة عاشت جدته بعده الا هذا رأت ابنها خليفة ثم ابن ابنها ثم ابن ابن ابنها ومن شعر المستظهر

أذاب حر الهوى في القلب ما جمدا * يوما مددت الى رسم الوداع يدا
وكيف أسلك نهج الاصطبار وقد * أرى طرائق في مهوى الهوى قددا
ان كنت أنقض عهد الحب يا سكني * من بعد حسن فلا عاينتكم أبدا

وللصارم البطائحي مدحا

أصبحت بالمستظهر بن المقتدي * بالله ابن القائم ابن القادر * مستعصما أرجو نوال كفه
وبان يكون على العشيرة ناصري * فيقر مع كبرى قراري عنده * ويفوز من مدحي بشعر سائر

فوقع المستظهر بجائزتين يخير بين الصلة والانحدار والمقام والادرار وقال السلفي قال لي أبو الخطاب بن الجراح صليت بالمستظهر في رمضان فقرأت ان ابنك سرق رواية رويناها عن الكسائي فلما سلمت قال هذه قراءة حسنة فيها تنزيه أولاد الانبياء عن الكذب

(فصل في فضل الغزاة في سبيل الله) تعالى) قال الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وقال عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله الآية * وفي الحديث الصحيح ما أورده النسائي عن عبد الله بن أبي أوفى ان النبي عليه السلام قال اعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف * وفيه عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله عز وجل من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل من عند نفسه صادقا ثم مات أو قتل فله أجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فانها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها كالزعفران وريحها كالمسك ومن جرح جرحا في سبيل الله فعليه طابع الشهداء *(فصل)* والشجاعة في العرب مشهورة في جاهليتها واسلامها وقد كثر تعداد ذلك في وقائعها وتكررت في الكتب والتآليف أخبارها والشجاعة أيضا في الفرس مشهورة وفي تآليفهم واشعارهم مذكورة منهم بهرام جور الملك كان يصيد السباع وكان في الحرب يقبض على الرجلين فيدق أحدهما بالآخر حتى يسقطا قتيلين * ومن قصته في ابتداء ملكه ان والده يزدجرد الاثيم سلمه وهو صغير الى المنذر بن النعمان ملك العرب ليتولى تربيته ويخرجه ففعل ذلك فلما كبر علمه الفروسية والله مات

تعالى قد ركبها فيه وهيأه لبلوغ غايتها ثم جاء به الى والده وعرض عليه فروسيته ورميه وحذقه فى حمل السلاح ثم استنطقه فوجده فصيحا

مات فى أيامه من الاعلام أبو المظفر السمعانى ونصر المقدسى وأبو الفرج وشيذله والرويانى والخطيب التبريزى والكيا الهراسى والغزالى والشاشى الذى صنف له كتاب الحلية وسماه المستظهرى الابيوردى اللغوى

(المسترشد بالله أبو منصور)

المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله ولد فى ربيع الاول سنة خمس وثمانين وأربعمائة وبويع له بالخلافة عند موت أبيه فى ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وكان ذا همة عالية وشهامة زائدة واقدام ورأى وهيبة شديدة ضبط امور الخلافة ورتبها أحسن ترتيب وأحيى رسم الخلافة ونشر عظامها وشيد أركان الشريعة وطرز أكمامها وباشر الحروب بنفسه وخرج عدة نوب الى الحلة والموصل وطريق خراسان الى أن خرج النوبة الاخيرة وكسر جيشه بقرب همدان وأخذ أسيرا الى أذربيجان وقد سمع الحديث من أبى القاسم ابن بيان وعبد الوهاب بن هبة الله السبتى وروى عنه محمد بن عمر بن مكى الاهوازى ووزيره على بن طراد واسمعيل بن طاهر الموصلى ذكر ذلك ابن السمعانى وذكره ابن الصلاح فى طبقات الشافعية وناهيك بذلك فقال هو الذى صنف له أبو بكر الشاشى كتابه العمدة فى الفقه وبلقبه اشتهر الكتاب فانه كان حينئذ يلقب عمدة الدنيا والدين وذكره ابن السبكى فى طبقات الشافعية وقال كان فى أول أمره تنسك ولبس الصوف وانفرد فى بيت العبادة وكان مولده يوم الاربعاء ثامن عشر شعبان سنة ست وثمانين وأربعمائة وخطب له أبوه بولاية العهد ونقش اسمه على السكة فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وثمانين وكان مليح الخط ما كتب أحد من الخلفاء قبله مثله يستدرك على كتابه ويصلح أغاليط فى كتبهم وأما شهامته وهيبته وشجاعته واقدامه فأمر أشهر من الشمس ولم تزل أيامه مكدرة بكثرة التشويش والمخالفين وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك الى أن خرج الخرجة الاخيرة الى العراق فكسر وأخذ ورزق الشهادة وقال الذهبى مات السلطان محمود بن محمد ملكشاه سنة خمس وعشرين فأقيم ابنه داود مكانه فخرج عليه عمه مسعود بن محمد فاقتتلا ثم اصطلحا على الاشتراك بينهما والسكة بمملكة وخطب لمسعود بالسلطنة ببغداد ومن بعده لداود وخلع عليهما ثم وقعت الوحشة بين الخليفة ومسعود فخرج لقتاله فالتقى الجمعان وغدر بالخليفة أكثر عسكره فظفر به مسعود وأسر الخليفة وخواصه فحبسهم بقلعة بقرب همدان فبلغ أهل بغداد ذلك فحثوا فى الاسواق التراب على رؤسهم وبكوا وضجوا وخرج النساء حاسرات يندبن الخليفة ومنعوا الصلوات والخطبة قال ابن الجوزى وزلزلت بغداد مرارا كثيرة ودامت كل يوم خمس مرات أو ستا والناس يستغيثون فأرسل السلطان سنجر الى ابن أخيه مسعود يقول ساعة وقوف الولد غياث الدنيا والدين على هذا المكتوب يدخل على أمير المؤمنين ويقبل الارض بين يديه ويسأله العفو والصفح ويتنصل غاية التنصل فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والارضية ما لا طاقة لنا بسماع مثلها فضلا عن المشاهدة من العواصف والبروق والزلازل ودام ذلك عشرين يوما وتشويش العساكر وانقلاب البلدان ولقد خفت على نفسى من جانب الله وظهور آياته وامتناع الناس من الصلاة فى الجوامع ومنع الخطباء مالا طاقة لى بحمله فالله الله تتلافى أمرك وتعيد أمير المؤمنين الى مقر عزه وتحمل الغاشية بين يديه كما جرت عادتنا وعادة آبائنا ففعل مسعود جميع ما أمره به وقبل الارض بين يدى الخليفة ووقف يسأل العفو ثم أرسل سنجر رسولا آخر ومعه عسكر يستحث مسعودا على اعادة الخليفة الى مقر عزه فجاء فى العسكر سبعة عشر من الباطنية فذكر ان مسعودا ما علم بهم وقيل بل علم بهم وقيل بل هو الذى دسهم فهجموا على الخليفة فى خيمته ففتكوا به وقتلوا معه جماعة من أصحابه فما شعر بهم العسكر الا وقد فرغوا من شغلهم فأخذوهم وقتلوهم الى لعنة الله وجلس السلطان للعزاء وأظهر المساءة بذلك ووقع النحيب والبكاء وجاء الخبر الى بغداد فاشتد ذلك

فاضلا بارعا فى الالسن المتداولة فاعجب به وانصرف المنذر فبقى بهرام عند أبيه لا يصرفه فى أمر ولا يوسع عليه فى نفقة ويحجبه ويقصيه ويغض عنه فصبر حتى ورد رسول الروم الى يزدجرد فسأله بهرام أن يشفع له عند والده ان يطلق سراحه ليعود الى العرب فانه قد اشتاق اليهم فأذن له فانصرف فأقام مكرما عند المنذر حتى مات والده يزدجرد فاجتمعت عظماء الفرس على رجل من أهل بيت المملكة يسمى كسرى فولوه عليهم لكراهتهم فى يزدجرد لسوء سيرته ولم يريدوا بقاء الملك على ولده فلما بلغ المنذر ذلك أعلم بهرام وقال له هل تنهض لأخذ الملك فانى أجمع العرب وأسير معك فقال ان تفعل تجز به فجمع عساكر العرب وسار حتى أناخ بمدينة ملك الفرس فخرج اليه المرازبة والعظماء وقالوا له نحن قد أنعم الله علينا بالخلاص من يزدجرد وظلمه وعسفه ونخشى أن يكون ولده على سيرته وقد قلدنا هذا الملك أمورنا فلا يكن من قبلك التناشر فقال لهم اجتمعوا الى بهرام واسمعوا كلامه واشرطوا عليه ما تريدون فان اتفق ما يرضيكم والا عدت فوعدهم ليوم اجتمعوا فيه لذلك وكان المنذر قد صنع

لهم طعاما وشرابا وأجلس بهرام على تخت من وراء حجاب ثم لما تكامل جمعهم وفرغوا كلهم أمر برفع الحجاب والسلام عليه فأحسن الرد عليهم

على الناس وخرجوا حفاة مخرقين الثياب والنساء ناشرات الشعور يلطمن ويقلن المراثي لان المسترشد كان محببا فيهم ببره ولما فيه من الشجاعة والعدل والرفق بهم وكان قتل المسترشد رحمه الله براغة يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة سنة تسع وعشرين ومن شعره

أنا الاشقر المدعو بي في الملاحم * ومن يملك الدنيا بغير مزاحم
ستبلغ أرض الروم خيلي وتنتضي * بأقصى بلاد الصين بيض صوارمي

ومن شعره لما أسر

ولا عجبا للاسد ان ظفرت بها * كلاب الاعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى * وموت علي من حسام ابن ملجم

وله لما كسر وأشير عليه بالهزيمة فلم يفعل وثبت حتى أسر شعر

قالوا تقيم وقد أحا * ط بك العدو ولا تفر
فأجبتهم المرء ما * لم يتعظ بالوعظ غر
لا نلت خيرا ما حييـ * ـت ولا عداني الدهر شر
ان كنت أعلم ان غير الله ينفع أو يضر

قال الذهبي وقد خطب بالناس يوم عيد أضحى فقال الله أكبر ما سبحت الانواء وأشرق الضياء وطلعت ذكاء وعلت على الارض السماء الله أكبر ما همي سحاب ولمع سراب وأنجح طلاب وسر قادما اياب وذكر خطبة بليغة ثم جلس ثم قام فخطب وقال اللهم أصلحني في ذريتي وأعني على ما وليتني وأوزعني شكر نعمتك ووفقني وانصرني فلما أتمها وتهيأ للنزول بدره أبو المظفر الهاشمي فأنشده

عليك سلام الله يا خير من علا * على منبر قد حف أعلامه النصر
وأفضل من أم الانام وعمهم * بسيرته الحسنى وكان له الامر
وأفضل أهل الارض شرقا ومغربا * ومن جده من أجله نزل القطر
لقد شنفت أسماعنا منك خطبة * وموعظة فصل يلين لها الصخر
ملأت بها كل القلوب مهابة * فقد رجفت من خوف تخويفها مصر
وزدت بها عدنان مجدا مؤثلا * فأضحى بها بين الانام لك الفخر
وسدت بني العباس حتى لقد غدا * يباهي بك السجاد والعالم الحبر
فلله عصر أنت فيه امامنا * ولله دين أنت فيه لنا الصدر
بقيت على الايام والملك كلما * تقادم عصر أنت فيه أتى عصر
وأصبحت بالعيد السعيد مهنأ * تشرفنا فيه صلاتك والنحر

وقال وزيره جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة يمدحه

وجدت الورى كالماء طعما ورقة * وان أمير المؤمنين زلاله
وصورت معنى العقل شخصا مصورا * وان أمير المؤمنين مثاله
ولولا مكان الدين والشرع والتقى * لقلت من الاعظام جل جلاله

وفي سنة أربع وعشرين من أيامه ارتفع سحاب أمطر بلد الموصل نارا أحرقت من البلد مواضع ودورا كثيرة وفيها قتل صاحب مصر الآمر بأحكام الله منصور عن غير عقب وقام بعده ابن عمه الحافظ عبد المجيد بن محمد بن المنتصر وفيها ظهر ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان وخاف الناس منها وقد قتلت جماعة أطفال

وممن مات في أيام المسترشد من الاعلام شمس الائمة أبو الفضل امام الحنفية وأبو الوفاء بن عقيل الحنبلي وقاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني وابن بليمة المقرئ والطغرائي صاحب لامية العجم وأبو علي الصدفي الحافظ وأبو نصر القشيري وابن القطاع اللغوي ومحيي السنة البغوي وابن الفحام المقرئ والحريري صاحب المقامات

وخطابهم خطبة بليغة فارسية ووعدهم (١٧٤) فيها بالجميل والخير والفضل واتباع الشرع ثم قال وأما طلبي الملك فليس بمجرد الارث بل بوضع التاج والحلة والخاتم بين يدي أسدين ضاريين واحضر أنا وملككم الذي قلدتموه فمن انتزع آلة الملك استحق الولاية عليكم فأعجبهم ما سمعوه من فصاحته وشاهدوه من صباحته مع مواعيده الجميلة فاتفقوا على ان يفعلوا ذلك فأخذوا التاج والخاتم والحلة ووضعوها بين يدي أسدين مجوعين مع خروف مسلوخ واجتمع العظماء والمرازبة والموابذة وأركان الدولة لمشاهدة ذلك فقال بهرام لكسرى تقدم لاخذ التاج فرأى الاساد وهي تزأر فارتاع لذلك فقال بل تقدم أنت فقال نعم على خيرة الله وتقدم وبيده الكرز الذهب فقصد الى الحلة واطلق الاسدان من السلاسل فقصده أحدهما فلما قرب منه راوغه ثم وثب على ظهره فركبه وعصره بفخذه حتى كادت اضلاعه تندق فقصده الاسد الآخر فبادره بالكرز على أم رأسه فاشغله بنفسه ولم يزل ذلك الاسد الذي تحته يقع ويقوم وهو لا يفك فخذيه عنه ويضربه بالكرز في دماغه حتى قتله ثم عطف على الآخر فقتله فارتفعت الضجات واستبشر الناس ودعوا له ووضع التاج على رأسه وجلس على تخت الملك باستحقاق (وكذلك) قصته لما مضى الى الهند وقتل الفيل الذي كان قد هاج واغتلم وقطع الطريق ولم يتجرأ أحد عليه فخرج اليه وحده وضربه بسهم بين عينيه غلغله في دماغه ثم لم يزل

المقامات والميداني صاحب الامثال وأبو الوليد بن رشد المالكي والامام أبو بكر الطرطوشي وأبو الحجاج السرقسطي وابن السيد البطليوسي وأبو علي الفارقي من الشافعية وابن الطراوة النحوي وابن البادش وظافر الحداد الشاعر وعبد الغفار الفارسي وخلائق آخرون

(الراشد بالله أبو جعفر)

الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد ولد في سنة اثنتين وخمسمائة وأمه أم ولد ويقال انه ولد مسدودا فأحضروا الاطباء فأشاروا بان يفتح له مخرج بآلة من ذهب ففعل به ذلك فنفع

وخطب له أبوه بولاية العهد سنة ثلاث عشرة وبويع له بالخلافة عند قتل أبيه في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وكان فصيحا أديبا شاعرا شجاعا سمحا جوادا حسن السيرة يؤثر العدل ويكره الشر ولما عاد السلطان مسعود الى بغداد خرج هو الى الموصل فأحضروا القضاة والاعيان والعلماء وكتبوا محضرا فيه شهادة طائفة بما جرى من الراشد من الظلم وأخذ الاموال وسفك الدماء وشرب الخمر واستفتوا الفقهاء فيمن فعل ذلك هل تصح امامته وهل اذا ثبت فسقه يجوز لسلطان الوقت أن يخلعه ويستبدل خيرا منه فأفتوا بجواز خلعه وحكم بخلعه ابن الكرخي قاضي البلد وبايعوا عمه محمد بن المستظهر ولقب المقتفي لامر الله وذلك في سادس عشر من ذي القعدة سنة ثلاثين وبلغ الراشد الخلع فخرج من الموصل الى بلاد أذربيجان وكان معه جماعة فقسطوا على مراغة مالا وعاثوا هنالك ومضوا الى همدان وأفسدوا بها وقتلوا جماعة وصلبوا آخرين وحلقوا لحى جماعة من العلماء ثم مضوا الى اصبهان فحاصروها ونهبوا القرى ومرض الراشد بظاهر اصبهان مرضا شديدا فدخل عليه جماعة من العجم كانوا فراشين معه فقتلوه بالسكاكين ثم قتلوا كلهم وذلك في سادس عشر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وجاء الخبر الى بغداد فقعدوا للعزاء يوما واحدا قال العماد الكاتب كان للراشد الحسن اليوسفي والكرم الحاتمي قال ابن الجوزي وقد ذكر الصولي ان الناس يقولون ان كل سادس يقوم للناس يخلع فتأملت هذا فرأيته عجبا قلت وقد سبقت بقية كلامه في الخطبة ولم يؤخذ البردة والقضيب من الراشد حتى قتل فأحضرا بعد قتله الى المقتفي

(المقتفي لامر الله أبو عبد الله)

المقتفي لامر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ولد في الثاني والعشرين من ربيع الاول سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأمه حبشية وبويع له بالخلافة عند خلع ابن أخيه وعمره أربعون سنة وسبب تلقيبه بالمقتفي انه رأى في منامه قبل ان يستخلف بستة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له سيصل هذا الامر اليك فاقتف لامر الله فلقب المقتفي لامر الله وبعث السلطان مسعود بعد ان أظهر العدل ومهد بغداد فأخذ جميع ما في دار الخلافة من دواب وأثاث وذهب وستور وسرادق ولم يترك في اصطبل الخلافة سوى أربعة أفراس وثمانية أبغال برسم الماء فيقال انهم بايعوا المقتفي على ان لا يكون عنده خيل ولا آلة سفر ثم في سنة احدى وثلاثين أخذ السلطان مسعود جميع تعلق الخليفة ولم يترك له الا العقار الخاص وأرسل وزيره يطلب من الخليفة مائة ألف دينار فقال المقتفي ما رأينا أعجب من أمرك أنت تعلم ان المسترشد سار اليك بأمواله فجرى ما جرى وان الراشد ولي ففعل ما فعل ورحل وأخذ ما بقي ولم يبق الا الاثاث فأخذته كله وتصرفت في دار الضرب وأخذت التركات والجوالي فمن أي وجه نقيم لك هذا المال وما بقي الا ان نخرج من الدار ونسلمها فاني عاهدت الله ان لا آخذ من المسلمين حبة ظلما فترك السلطان الاخذ من الخليفة وعاد الى جباية الاملاك من الناس وصادر التجار فلقي الناس من ذلك شدة ثم في جمادى الاولى أعيدت بلاد الخليفة ومعاملاته والتركات اليه وفي هذه السنة رقب الهلال ليلة الثلاثين من شهر رمضان فلم ير فأصبح أهل بغداد صائمين لتمام العدة فلما أمسوا رقبوا الهلال فما رأوه أيضا وكانت السماء جلية صاحية ومثل هذا لم يسمع بمثله في التواريخ وفي سنة ثلاث وثلاثين كان بجنزة زلزلة عظيمة عشرة فراسخ في مثلها فأهلكت خلائق ثم خسف بجنزة وصار مكان البلد ماء أسود وفيها استولى

يرميه حتى أجهز عليه (ومنهم) رستم زال ورماياته المشهورة ومنهم هرمز واصفهبدزو بن و بهرام جوبين الذي بعثه هرمز لحرب ملك الترك وقد توغل بلاد الفرس في أربعمائة ألف مقاتل ما بين فارس وراجل فلما انتهى اليه واصطفت عساكر الفريقين تقدم اليه بهرام متنكرا حتى قابله ورماه بسهم في جبينه فخرج من دماغه ووقع على الارض فانكسر العسكر بذلك وكانت رمية مشهورة عجيبة حتى زعمت الفرس ان الملائكة جاءت نشابة بهرام والترك زعمت ان الجن حملتها لانها رمية خارقة للعادات وهذا هو عين الغلط فان الملك ما ينبغي له ان يغرر بنفسه وان كان أصاب دفعة فربما يقع في الخطا دفعات ومثل هذا في المعنى رجال ببلاد الاسماعيلية يسمون برجال الدعوة معدون لمثل هذا فان الرجل منهم أو الرجلين يغني عن حركات الجيوش الكثيرة ويقال لهم في بلادهم الاسماعيلية وفي بلاد الفرنج يسمونهم الحشيشية وعند أهل الاقاليم الفداوية وهم قوم على دين الاسلام وقد كانت للملوك الاسلامية بهم عناية كبيرة وفي زماننا اعتنى بهم الملك الظاهر رحمه الله وسيرهم في الاشغال الكبار فقضوها مع الفرنج والتتار وكذلك اعتنى بهم الملك الاشرف رحمه الله ابن الملك المنصور قلاوون تغمده الله برحمته وسيرهم أيضا في مهمات قضوا فيها الاشغال وفرقوا الجموع وذلك انهم كانوا اذا ندبوا الامر بذلوا أرواحهم فيه وسمحوا بنفوسهم وتلذذوا بالموت والسلامة على ما قدر

الامراء على مغلات البلاد وعجز السلطان مسعود ولم يبق له الا الاسم وتضعضع أيضا أمر السلطان سنجر فسبحان مذل الجبابرة وتمكن الخليفة المقتفي وزادت حرمته وعلت كلمته وكان ذلك مبدأ صلاح الدولة العباسية فلله الحمد وفي سنة احدى وأربعين قدم السلطان مسعود بغداد وعمل دار ضرب فقبض الخليفة على الضراب الذي تسبب في اقامة دار الضرب فقبض مسعود على حاجب الخليفة فغضب الخليفة وغلق الجامع والمساجد ثلاثة أيام ثم أطلق الحاجب فاطلق الضراب وسكن الامر وفيها جلس ابن العبادي الواعظ فحضر السلطان مسعود وتعرض بذكر مكس البيع وماجرى على الناس ثم قال ياسلطان العالم أنت تهب في ليلة لمطرب بقدر هذا الذي يؤخذ من المسلمين فاحسبني ذلك المطرب وهبه لي واجعله شكرا لله بما أنعم عليك فأجاب ونودي في البلد باسقاطه وطيف بالالواح التي نقش عليها ترك المكوس وبين يديه الدبادب والبوقات وسمرت ولم تزل الى ان أمر الناصر لدين الله بقلع الالواح وقال مالنا حاجة بآثار الاعاجم وفي سنة ثلاث وأربعين حاصرت الفرنج دمشق فوصل اليها نور الدين محمود بن زنكي وهو صاحب حلب يومئذ وأخوه غازي صاحب الموصل فنصر المسلمون ولله الحمد وهزم الفرنج واستمر نور الدين في قتال الفرنج وأخذ ما استولوا عليه من بلاد المسلمين وفي سنة أربع وأربعين مات صاحب مصر الحافظ لدين الله وأقيم ابنه الظافر اسمعيل وفيها جاءت زلزلة عظيمة وماجت بغداد نحو عشر مرات وتقطع منها جبل بحلوان وفي سنة خمس وأربعين جاء باليمن مطر كله دم وصارت الارض مرشوشة بالدم وبقي أثره في ثياب الناس وفي سنة سبع وأربعين مات السلطان مسعود قال ابن هبيرة وهو وزير المقتفي لما تطاول على المقتفي أصحاب مسعود وأساؤا الادب ولم يمكن المجاهرة بالمحاربة اتفق الرأي على الدعاء عليه شهرا كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على رعل وذكوان شهرا فابتدأ هو والخليفة سرا كل واحد في موضعه يدعو سحرا من ليلة تسع وعشرين من جمادى الاولى واستمر الامر كل ليلة فلما تكامل الشهر مات مسعود على سريره لم يزد على الشهر يوما ولانقص يوما واتفق العسكر على سلطنة ملكشاه وقام بأمره خاصبك ثم ان خاصبك قبض على ملكشاه وطلب أخاه محمدا من خوزستان فجاءه فسلم اليه السلطنة وأمر الخليفة حينئذ ونهى ونفذت كلمته وعزل من كان السلطان ولاه مدرسا بالنظامية وبلغه ان في نواحي واسط تخبطا فسار بعسكره ومهد البلاد ودخل الحلة والكوفة ثم عاد الى بغداد مؤيدا منصورا وزينت بغداد وفي سنة ثمان وأربعين خرجت الغز على السلطان سنجر وأسروه وأذاقوه الذل وملكوا البلاد وبقوا الخطبة باسمه وبقي معهم صورة بلامعنى وصار يبكي على نفسه وله اسم السلطنة وراتبه في قدر راتب سائس من ساسته وفي سنة تسع وأربعين قتل بمصر صاحبها الظافر بالله العبيدي وأقاموا ابنه الفائز عيسى صبيا صغيرا ووهي أمر المصريين فكتب المقتفي عهد نور الدين محمود بن زنكي وولاه مصر وأمره بالمسير اليها وكان مشغولا بحرب الفرنج وهو لا يفتر من الجهاد وكان تملك دمشق في صفر من هذا العام وملك عدة قلاع وحصون بالسيف وبالامان من بلاد الروم وعظمت ممالكه وبعد صيته فبعث اليه المقتفي تقليدا وأمره بالمسير الى مصر ولقبه بالملك العادل وعظم سلطان المقتفي واشتدت شوكته واستظهر على المخالفين وأجمع على قصد الجهات المخالفة لامره ولم يزل أمره في تزايد وعلو الى ان مات ليلة الاحد ثاني ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة قال الذهبي كان المقتفي من سروات الخلفاء عالما أديبا شجاعا حليما دمث الاخلاق كامل السودد خليقا للامامة قليل المثل في الائمة لايجري في دولته أمر وان صغر الابتوقيعه وكتب في خلافته ثلاث ربعات وسمع الحديث من مؤدبه أبي البركات ابن أبي الفرج بن السني قال ابن السمعاني وسمع جزء ابن عرفة مع أخيه المسترشد من أبي القاسم بن بيان روى عنه أبو منصور الجواليقي اللغوي امامه والوزير ابن هبيرة وزيره وغيرهما وقد جدد المقتفي باب الكعبة واتخذ من العتيق تابوتا لدفنه وكان محمود السيرة مشكور الدولة يرجع الى دين وعقل وفضل ورأي وسياسة جدد معالم الامامة ومهد رسوم الخلافة وباشر الامور بنفسه وغزا غير مرة وامتدت

وكانت لهم الرواتب والانعامات والانشادات وغير ذلك وكانوا في قلاعهم لايخرجون منها ولا يعرفهم أحد الا بعد قضاء الاشغال وهؤلاء الرجال معدون لمثل هذا الامر فان أي جمع اجتمع من الاعداء توجه اليهم شخصان أو ثلاثة فهجموا على مقدم ذلك الجمع فقتلوه فينحل عقد نظامهم ويتبدد شملهم فما عسى أن يكون مقدار هؤلاء الرجال وهم يجازون فهذا كان بهرام جوبين وفي قلاع الاسماعيلية في زماننا هذا ألف بهرام فيجب على الملك النظر التام الى هؤلاء الطائفة والاحسان اليهم واجراؤهم على عوائدهم وندبهم للمهمات العائد نفعها على الملك والممالك * وأما أصناف الشجعان فكثير وقد قيل من الاشعار في الشجاعة كثير بسائر الالسن فمن ذلك بالعربي على سبيل العرض قول الشاعر

أكر على الكتيبة لا أبالي
أحتفي كان فيها أم سواها

(وقول عنترة العبسي)

وانا المنية حين تشتجر القنا
والطعن مني سابق الآجالا

(وكقول السموأل بن عاديا)

ومامات منا سيد حتف أنفه
ولاطل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا
وليست على غير الظبات تسيل

(وقال في الاقدام)

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا
ولكن على أقدامنا تقطر الدما

(وقال)

ومن عجب ان السيوف لديهم * تحيض دماء والسيوف ذكور
وأعجب من ذا انها في اكفهم * تأجج نارا والاكف بحور

(أخذه الناصي فقال)

خلقت كما أرادتك المعالي أيامه

أيامه وقال أبو طالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد السميع الهاشمي في كتاب المناقب العباسية كانت أيام المقتفي نضرة بالعدل زهرة بفعل الخيرات وكان على قدم من العبادة قبل افضاء الامر اليه وكان في أول امره متشاغلا بالدين ونسخ العلوم وقراءة القرآن ولم يرع مع سماحته ولين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة في شهامته وصرامته وشجاعته مع ما خص به من زهده وورعه وعبادته ولم تزل جيوشه منصورة حيث يممت وقال ابن الجوزي من أيام المقتفي عادت بغداد والعراق الى يد الخلفاء ولم يبق لها منازع وقبل ذلك من دولة المقتدر الى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك وليس للخليفة معهم الا اسم الخلافة ومن سلاطين دولته السلطان سنجر صاحب خراسان والسلطان نور الدين محمود صاحب الشام وكان جوادا كريما محبا للحديث وسماعه معتنيا بالعلم مكرما لاهله قال ابن السمعاني حدثنا أبو منصور الجواليقي حدثنا المقتفي لامر الله أمير المؤمنين حدثنا أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب حدثنا أبو محمد الصيرفيني حدثنا المخلص حدثنا اسمعيل الوراق حدثنا حفص بن عمرو الربالي حدثنا أبو سهيم حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزداد الامر الا شدة ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولما دعا المقتفي الامام أبا منصور الجواليقي النحوي ليجعله اماما يصلي به دخل عليه فما زاد على ان قال السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وكان ابن التلميذ النصراني الطبيب قائما فقال ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين يا شيخ فلم يلتفت اليه ابن الجواليقي وقال يا أمير المؤمنين سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية وروى الحديث ثم قال يا أمير المؤمنين لو حلف حالف ان نصرانيا أو يهوديا لم يصل الى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه لما لزمته كفارة لان الله ختم على قلوبهم ولن يفك ختم الله الا الايمان فقال المقتفي صدقت وأحسنت وكأنما ألجم ابن التلميذ بحجر مع غزارة أدبه وممن مات في أيام المقتفي من الاعلام ابن الابرش النحوي ويونس بن مغيث وجمال الاسلام ابن المسلم الشافعي وأبو القاسم الاصفهاني صاحب الترغيب وابن برجان والمازري المالكي صاحب المعلم والزمخشري والرشاطي صاحب الانساب والجواليقي وهو امامه وابن عطية صاحب التفسير وأبو السعادات ابن الشجري والامام أبو بكر بن العربي وناصح الدين الارجاني الشاعر والقاضي عياض والحافظ أبو الوليد بن الدباغ وأبو الاسعد هبة الرحمن القشيري وابن علام الفرس المقرئ والرفاء الشاعر والشهرستاني صاحب الملل والنحل والقيسراني الشاعر ومحمد بن يحيى تلميذ الغزالي وأبو الفضل بن ناصر الحافظ وأبو الكرم الشهرزوري المقرئ والواوا الشاعر وابن الجلاء امام الشافعية وخلائق آخرون

(المستنجد بالله أبو المظفر)

المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتفي ولد سنة ثمان عشرة وخمسمائة وامه أم ولد كرجية اسمها طاوس خطب له أبوه بولاية العهد سنة سبع وأربعين وبويع له يوم موت ابيه وكان موصوفا بالعدل والرفق اطلق من المكوس شيئا كثيرا بحيث لم يترك بالعراق مكسا وكان شديدا على المفسدين سجن رجلا كان يسعى بالناس مدة فحضر رجل وبذل فيه عشرة آلاف دينار فقال أنا اعطيك عشرة آلاف دينار ودلني على آخر مثله لاحبسه واكف شره عن الناس قال ابن الجوزي وكان المستنجد موصوفا بالفهم الثاقب والرأي الصائب والذكاء الغالب والفضل الباهر له نظم بديع ونثر بليغ ومعرفة بعمل آلات الفلك والاسطرلاب وغير ذلك ومن شعره

عيرتني بالشيب وهو وقار * ليتها عيرت بما هو عار
ان تكن شابت الذوائب مني * فالليالي تزينها الاقمار

وله في بخيل

وباخل أشعل في بيته * تكرمة منه لنا شمعه
فما جرت من عينها دمعة * حتى جرت من عينه دمعه

(الباب الثالث في الفروسية ورياضة الخيل والركوب)

ينبغي لمن أراد الفروسية اذا كان مبتدئا ان يتدرب عليها فأول ما يبتدئ بالخفة في الوثوب والنزول ثم يتدرب على ركوب الفرس العربي العري بلا عدة سوى الرسن فانه اذا لم يحكم ذلك ربما دهمه أمر يعجله عن الاسراج والالجام وتكون الخيل عنده فلا يقدر على ركوبها فيؤخذ أو يقتل فمن عزم على ذلك فليتخذ فرسا عربيا مرتاضا فيطرح عليه جلا ويوثق رباطه في الحزم واللبب حتى لا يميل الى جانب وليقف عند يسار الفرس ويضع يده على رأس منكبه عند طرف المعرفة وقد أخذ بها العنان ويثب عليه وثوبا مستويا ويميل ظهره ويجعل اعتماده على شد الفخذين فهو أصل الثبات ومن كان لا ينهض للوثوب فيثب على فرس قصير أياما حتى تخف نهضته أو يجعل الفرس في وهدة ثم يتدرج على أعلى من ذلك حتى يتدرب ويسهل عليه (ورأيت) كثيرا من الفرسان يثبون على الفرس وعليهم الدروع أو الجواشن ملبسة فاذا أحكم رشاقة الوثوب واستواء الجلوس حتى يبقى كما قال المتنبي

فكأنها احلقت قياما تحتهم * وكأنهم ولدوا على صهواتها

فليتعود السير ثم الخبب ثم الجري ثم الطرد ويحفظ نفسه عند أول جري الفرس وخروجه

وله فى وزيره ابن هبيرة وقد رأى منه ما يعجبه من تدبير مصالح المسلمين شعر

صفت نعمتان خصتاك وعمتا * بذكرهما حتى القيامة تذكر
وجودك والدنيا اليك فقيرة * وجودك والمعروف فى الناس منكر
فلو رام يا يحيى مكانك جعفر * ويحيى لكفاعنه يحيى وجعفر
ولم أر من ينوى لك السوء يا أبا الـ * ـمظفر الا كنت أنت المظافر

مات فى ثامن ربيع الآخر سنة ست وستين وكان فى أول سنة من خلافته مات الفائز صاحب مصر وقام بعده العاضد لدين الله آخر خلفاء بنى عبيد وفى سنة اثنتين وستين جهز السلطان نور الدين الامير أسد الدين شيركوه فى ألفى فارس الى مصر فنزل بالجيزة وحاصر مصر نحو شهرين فاستنجد صاحبها بالفرنج فدخلوا من دمياط لنجدته فرحل أسد الدين الى الصعيد ثم وقعت بينه وبين المصريين حرب انتصر فيها على قلة عسكره وكثرة عدوه وقتل من الفرنج الوفا ثم جبى أسد الدين خراج الصعيد وقصد الفرنج الاسكندرية وقد أخذها صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو ابن أخى أسد الدين فحاصروها أربعة أشهر فتوجه أسد الدين اليهم فرحلوا عنها فرجع الى الشام وفى سنة أربع وستين قصدت الفرنج الديار المصرية فى جيش عظيم فملكوا بلبيس وحاصروا القاهرة فأحرقها صاحبها خوفا منهم ثم كاتب السلطان نور الدين يستنجد به فجاء أسد الدين بجيوشه فرحل الفرنج عن القاهرة لما سمعوا بوصوله ودخل أسد الدين فولاه العاضد صاحب مصر الوزارة وخلع عليه فلم يلبث أسد الدين ان مات بعد خمسة وستين يوما فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وقلده الامور ولقبه الملك الناصر فقام بالسلطنة أتم قيام ومن أخبار المستنجد قال الذهبى ما زالت الحمرة الكثيرة تعرض فى السماء منذ مرض وكان يرى ضوؤها على الحيطان وممن مات فى أيامه من الاعلام الديلمى صاحب مسند الفردوس والعمرانى صاحب البيان من الشافعية وابن البزرى شافعى أهل الجزيرة والوزير ابن هبيرة والشيخ عبد القادر الجيلى والامام أبو سعيد السمعانى وأبو النجيب السهروردى وأبو الحسن بن هذيل المقرئ وآخرون

(المستضئ بامر الله الحسن)

المستضئ بامر الله الحسن أبو محمد بن المستنجد بالله ولد سنة ست وثلاثين وخمسمائة وامه أم ولد ارمنية اسمها غضة بويع له بالخلافة يوم موت ابيه قال ابن الجوزى فنادى برفع المكوس ورد المظالم وأظهر من العدل والكرم مالم نره فى أعمارنا وفرق مالا عظيما على الهاشميين والعلويين والعلماء والمدارس والربط وكان دائم البذل للمال ليس له عنده وقع ذا حلم وأناة ورأفة ولما استخلف خلع على أرباب الدولة وغيرهم فحكى خياط المخزن انه فصل ألفا وثلثمائة قباء ابريسم وخطب له على منابر بغداد ونثرت الدنانير كما جرت العادة وولى روح بن الحديثى القضاء وأمر سبعة عشر مملوكا والحيص بيص فيه شعر

يا امام الهدى علوت على الجو * د بمال وفضة ونضار
فوهبت الاعمار والامن والبلـ * ـدان فى ساعة مضت من نهار
فبماذا يثنى عليك وقد جا * وزت فضل البحور والامطار
انما أنت معجز مستقل * خارق العقول والافكار
جمعت نفسك الشريفة بالبأ * س وبالجود بين ماء ونار

قال ابن الجوزى واحتجب المستضئ عن أكثر الناس فلم يركب الا مع الخدم ولا يدخل عليه غيرهم وفى خلافته انقضت دولة بنى عبيد وخطب له بمصر وضربت السكة باسمه وجاء البشير بذلك فغلقت الاسواق ببغداد وعملت القباب وصنفت كتابا سميته النصر على مصر هذا كلام ابن الجوزى وقال الذهبى فى ايامه ضعف الرفض ببغداد ووهى وأمن الناس ورزق سعادة عظيمة فى خلافته وخطب له باليمن وبرقة وتوزر ومصر الى اسوان

ولا يثبت ويتلوى فى ركوبه وينبغى أن يطوف مقودا مشدودا الى عروة فى المرد الذى على الجل وان كان فى الحرب فيجعله الفارس فى وسطه حتى اذا سقط على الارض بقى الفرس معه لا ينفلت منه وأما الملوك وأصحاب الحرب فلا تزال لهم خيول مسرجة ملجمة بالنوبة دائما حذرا من هجوم أمر بغتة لا يمكن معه التأنى والملوك تفعل ذلك فى الليل والنهار والحرب والسلم والسفر والحضر وهى عادة مستمرة وتسمى خيل النوبة وتوقف فى أقرب المواضع من الملك واما أهل الحرب والبزكية والعرب والتركمان فانهم اذا نزلوا فى أرض ورعوا خيولهم وعلموا انها شبعت أجوها وأوقفوها ومنهم من يتعانى اللبوان وهو أنفع ولا يمنع الرعى وسمعت ان الفارس سالم بن غانم الزغبى كان يعلم الناس الفروسية فيأخذ جلا من شعر فيربعه على ظهر الفرس ويشد عليه حزامه ولببه ثم يقف على يسار الفرس والمخصرة معلقة فى يده اليسرى والعنان أيضا ويضع يده اليمنى على أعلى حارك الفرس عند طرف الجل والمعرفة ويتقاصر ويثب على ظهر الفرس ويضرب بيده اليمنى صفحة

ودانت الملوك بطاعته وذلك سنة سبع وستين وقال العماد الكاتب استفتح السلطان صلاح الدين بن أيوب سنة سبع بجامع مصر كل طاعة وسمع وهو اقامة الخطبة في الجمعة الاولى منها بمصر لبني العباس وعفت البدعة وصفت الشرعة وأقيمت الخطبة العباسية في الجمعة الثانية بالقاهرة وأعقب ذلك موت العاضد في يوم عاشوراء وتسلم صلاح الدين القصر بما فيه من الذخائر والنفائس بحيث استمر البيع فيه عشر سنين غير ما اصطفاه صلاح الدين لنفسه وسير السلطان نور الدين بهذه البشارة شهاب الدين المطهر بن العلامة شرف الدين ابن أبي عصرون الى بغداد وأمرني بانشاء بشارة عامة تقرأ في سائر بلاد الاسلام فأنشأت بشارة أولها الحمد لله معلي الحق ومعلنه وموهي الباطل وموهنه ومنها ولم يبق بتلك البلاد منبر الا وقد أقيمت عليه الخطبة لمولانا الامام المستضيء بامر الله أمير المؤمنين وتمهدت جوامع الجمع وتهدمت صوامع البدع الى ان قال وطالما مرت عليها الحقب الخوالي وبقيت مائتين وثمان سنين ممنوة بدعوة المبطلين مملوأة بحزب الشياطين فملكنا الله تلك البلاد ومكن لنا في الارض وأقدرنا على ما كنا نؤمله من ازالة الالحاد والرفض وتقدمنا الى من استنبناه ان يقيم الدعوة العباسية هنالك ويورد الادعياء ودعاة الالحاد بها المهالك وللعماد قصيدة في ذلك منها

قد خطبنا للمستضيء بمصر * نائب المصطفى امام العصر * وخذلنا لنصره العضد العا
ضد والقاصر الذي بالقصر * وتركنا المدعي يدعو ثبورا * وهو بالذل تحت حجر وحصر

وأرسل الخليفة في جواب البشارة الخلع والتشريفات لنور الدين وصلاح الدين وأعلاما وبنودا للخطباء بمصر وسير للعماد الكاتب خلعة ومائة دينار فعمل قصيدة أخرى منها

ادالت بمصر لداعي الهداة * وانتقمت من دعي اليهود

وقال ابن الاثير السبب في اقامة الخطبة العباسية بمصر ان صلاح الدين لما ثبت قدمه وضعف أمر العاضد كتب اليه نور الدين يأمره بذلك فاعتذر بالخوف من وثوب المصريين فلم يصغ الى قوله وأرسل اليه يلزمه بذلك واتفق ان العاضد مرض فاستشار صلاح الدين أمراءه فمنهم من وافق ومنهم من خاف وكان قد دخل مصر أعجمي يعرف بالامير العالم فلما رأى ماهم فيه من الاحجام قال انا أبتدئ بها فلما كان أول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء فلم ينكر ذلك أحد فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بقطع خطبة العاضد ففعل ذلك ولم ينتطح فيها عنزان والعاضد شديد المرض فتوفي في يوم عاشوراء وفي سنة تسع وستين أرسل نور الدين الى الخليفة بتقادم وتحف منها حمار مخطط وثوب عتابي وخرج الخلق للفرجة عليه وكان فيهم رجل عتابي كثير الدعاوى وهو بليد ناقص الفضيلة فقال رجل ان كان قد بعث الينا حمار عتابي فنحن عندنا عتابي حمار وفيها وقع برد بالسواد كالنارنج هدم الدور وقتل جماعة وكثيرا من المواشي وزادت دجلة زيادة عظيمة بحيث غرقت بغداد وصليت الجمعة خارج السور وزادت الفرات أيضا واهلكت قرى ومزارع وابتهل الخلق الى الله تعالى ومن العجائب ان هذا الماء على هذه الصفة ودجيل قد هلكت مزارعه بالعطش وفيها مات السلطان نور الدين وكان صاحب دمشق وابنه الملك الصالح اسمعيل وهو صبي فتحركت الفرنج بالسواحل فصولحوا بمال وهو دنوا وفيها أراد جماعة من شيعة العبيديين ومحبيهم اقامة الدعوة وردها الى آل العاضد ووافقهم جماعة من أمراء صلاح الدين فاطلع صلاح الدين على ذلك فصلبهم بين القصرين وفي سنة اثنتين وسبعين أمر صلاح الدين ببناء السور الاعظم المحيط بمصر والقاهرة وجعل على بنائه الامير بهاء الدين قراقوش قال ابن الاثير ودوره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة ذراع بالهاشمي وفيها أمر بانشاء قلعة بجبل المقطم وهي التي صارت دار السلطنة ولم تتم الا في أيام السلطان الملك الكامل بن أخي صلاح الدين وهو أول من سكنها وفيها بنى صلاح الدين تربة الامام الشافعي وفي سنة أربع وسبعين هبت ببغداد ريح شديدة نصف الليل وظهرت

أنواعا من الوثوب*وقيل ان التقدم على ظهر الفرس خير من التأخر والانحناء اليسير عند السوق خير من الانتصاب والميل الى ورائه ولكن الفارس كانه ينظر الى ابهام رجليه*وقال بعض أهل الفروسية من أراد الركوب بالسرج فليتخذه واسع المجرى الجلس والركاب قصير القرابيس واطئه ولا يمكن رجليه من الركاب الى مؤخرهما ولا بطرفيهما بحيث لا تثبتان بل يتوسط في ذلك فان من انتشب في ركابه وسقط لا تخلص رجلاه وربما كان هلاكه منه ومن كان متطرفا فأيسر حركة تخرج رجليه فيستعد لردها فيضطرب في ركوبه وليقو موطئة السرج أعني الابازيم ويقوي له حزامين جيدين وثيقين ولبيا وبرذعيا جيدا وان أمكنه تخريم وطاء الركاب فليفعل أو يلبده خشية أن تزلق رجلاه من نعومة الحديد أو يضع عليه خشبا فهو أصلح وينبغي أن يكون الركاب ثقيلا وسيره عريضا حتى لا يتقلقل من مكانه واذا خرجت رجل الفارس منه لا يروغ فعادت اليه سريعا بغير طلب*وأما ركوب الفرس المسرج فيقف الفارس على يسار الفرس متأخرا عن الركاب ويضع طرف قدمه اليسرى في الركاب ويمسك طرف معرفة الفرس بيده اليسرى ويده اليمنى في قربوس السرج القدامي ويثب راكبا وبعضهم ينسل انسلالا في الركوب والوثبة ويستوي في ظهر السرج جالسا على مقعده سواء ويشد فخذيه وركبيه والميل في ظهر

أعمدة مثل النار في أطراف السماء واستغاث الناس استغاثة شديدة و بقي الامر على ذلك الى السحر وفي سنة خمس وسبعين مات الخليفة المستضيء في سلخ شوال وعهد الى ابنه أحمد وممن مات في أيام المستضيء من الاعلام ابن الخشاب النحوي وملك النحاة أبو نزار الحسن بن صافي والحافظ أبو العلاء الهمداني وناصح الدين ابن الدهان النحوي والحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر من حفدة الشافعي والحيص بيص الشاعر والحافظ أبو بكر بن خير وآخرون

(الناصر لدين الله أحمد)

الناصر لدين الله أحمد أبو العباس بن المستضيء بامر الله ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وأمه تركية اسمها زمرد بويع له عند موت أبيه في مستهل ذي القعدة سنة خمس وسبعين وأجاز له جماعة منهم أبو الحسين عبد الحق اليوسفي وأبو الحسن علي بن عساكر البطائحي وشهده وأجاز هو لجماعة فكانوا يحدثون عنه في حياته و يتنافسون في ذلك رغبة في الفخر لا في الاسناد قال الذهبي ولم يل الخلافة أحد أطول مدة منه فانه أقام فيها سبعة وأربعين سنة ولم تزل مدة حياته في عز وجلالة وقمع الاعداء واستظهار على الملوك ولم يجد ضيما ولا خرج عليه خارجي الا قمعه ولا خالف الا دفعه وكل من أضمر له سوأ رماه الله بالخذلان وكان مع سعادة جده شديد الاهتمام بمصالح الملك لا يخفى عليه شئ من أحوال رعيته كبارهم وصغارهم وأصحاب أخباره في أقطار البلاد يوصلون اليه أحوال الملوك الظاهرة والباطنة وكانت له حيل لطيفة ومكائد غامضة وخدع لا يفطن لها أحد يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون و يوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون ولما دخل رسول صاحب مازندران بغداد كانت تأتيه ورقة كل صباح بما عمل في الليل فصار يبالغ في التكتم والورقة تأتيه بذلك فاختلى ليلة بامرأة دخلت من باب السر فصبحته الورقة بذلك وفيها كان عليكم دواج فيه صورة الفيلة فتحير وخرج من بغداد وهو لا يشك ان الخليفة يعلم الغيب لان الامامية يعتقدون ان الامام المعصوم يعلم ما في بطن الحامل وما وراء الجدار وأتى رسول خوارزم شاه برسالة مخفية وكتاب مختوم فقيل له ارجع فقد عرفنا ما جئت به فرجع وهو يظن انهم يعلمون الغيب قال الذهبي قيل ان الناصر كان مخدوما من الجن ولما ظهر خوارزم شاه بخراسان وما وراء النهر وتجبر وطغى واستعبد الملوك الكبار وأباد أمما كثيرة وقطع خطبة بني العباس من بلاده وقصد بغداد فوصل الى همدان فوقع عليهم ثلج عظيم عشرين يوما فغطاهم في غير أوانه فقال له بعض خواصه ان ذلك غضب من الله حيث قصدت بيت الخلافة و بلغه ان أمم الترك قد تألبوا عليه وطمعوا في البلاد لبعده عنها فكان ذلك سبب رجوعه وكفي الناصر شره بلا قتال وكان الناصر اذا أطعم أشبع واذا ضرب أوجع وله مواطن يعطي فيها عطاء من لا يخاف الفقر ووصل اليه رجل معه ببغاء تقرأ قل هو الله أحد تحفة للخليفة من الهند فاصبحت ميتة وأصبح حيران فجاءه فراش يطلب منه الببغاء فبكى وقال الليلة ماتت فقال قد عرفناها انها ميتة وقال كم كان ظنك ان يعطيك الخليفة قال خمسمائة دينار قال هذه خمسمائة دينار خذها فقد أرسلها اليك الخليفة فانه اعلم بحالك منذ خرجت من الهند وكان صدر جهان قد صار الى بغداد ومعه جماعة من الفقهاء و واحد منهم لما خرج من داره من سمرقند على فرس جميلة فقال له أهله لو تركتها عندنا لئلا تؤخذ منك في بغداد فقال الخليفة لا يقدر أن يأخذها مني فأمر بعض القوادين انه حين يدخل بغداد يضربه و يأخذها منه و يهرب في الزحمة ففعل فجاء الفقيه يستغيث فلا يغاث فلما رجعوا من الحج خلع على صدر جهان وأصحابه وخلع على ذلك الفقيه وقدمت له فرسه وعليها سرج من ذهب وطوق وقيل له لم يأخذ فرسك الخليفة انما أخذها أتوني تخر مغشيا عليه واعجل بكرامتهم وقال الموفق عبد اللطيف كان الناصر قد ملأ القلوب هيبة وخيفة فكان يرهبه أهل الهند ومصر كما يرهبه أهل بغداد فأحيا هيبة الخلافة وكانت قد ماتت بموت المعتصم ثم ماتت بموته وكان الملوك والاكابر بمصر والشام اذا جرى ذكره في خلواتهم خفضوا أصواتهم هيبة واجلالا وورد بغداد تاجر

الفرس بعقب العثر واما معايب الركوب فمنها اقلاق الفخذين في المشي والجري ومنها الضرب في أجناب الفرس في الجري والرفس بالكعبين فانه يشغل الفرس عن جريه وانما الهمز أو الضرب عند أول الاطلاق مثل التنبيه محمود واما كثرة الانحناء والانعقاص الى خلف الا اليسير منه عند الامساك وجذب العنان تواتر الضرب فعيب غير محمود يجب فتح المرفقين والاضطراب والالتفات

*(فصل في فضل الخيل وصفاتها وشياتها وعلاماتها)

قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وعند النسائي عن أبي وهب الجشمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأكفالها وقلدوها ولا تقلدوها الاوتار وعليكم بكل كميت أغر محجل أو اشقر اغر محجل أو ادهم أغر محجل وفي الترمذي عن أبي قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الخيل الادهم الارثم المحجل طلق اليمين فان لم يكن فكميت على هذه الشية وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوي ناصية فرسه باصبعه وهو يقول الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنيمة وعن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الشكال من الخيل والشكال أن يكون الفرس في رجله اليمنى بياض وفي يده اليسرى خلافه وأما

تاجر ومعه قناع دمياط المذهب فسألوه عنه فانكر فاعطى علامات فيه من عدده وألوانه وأصنافه فازداد انكاره فقيل له من العلامات انك نقمت على مملوكك التركي فلان فأخذته الى سيف بحر دمياط خلوة وقتلته ودفنته هنالك ولم يشعر بذلك أحد قال ابن النجار دانت السلاطين للناصر ودخل في طاعته من كان من المخالفين وذلت له العتاة والطغاة وانقهرت بسيفه الجبابرة واندحض أعداؤه وكثر أنصاره وفتح البلاد العديدة وملك من الممالك مالم يملكه احد ممن تقدمه من الخلفاء والملوك وخطب له ببلاد الاندلس وبلاد الصين وكان أشد بني العباس يتصدع لهيبته الجبال وكان حسن الخلق لطيف الخلق كامل الظرف فصيح اللسان بليغ البيان له التوقيعات المسددة والكلمات المؤيدة وكانت أيامه غرة في وجه الدهر ودرة في تاج الفخر وقال ابن واصل كان الناصر شهما شجاعا ذا فكرة صائبة وعقل رصين ومكر ودهاء وله أصحاب أخبار في العراق وسائر الاطراف يطالعونه بجزئيات الامور حتى ذكر ان رجلا ببغداد عمل دعوة وغسل يده قبل أضيافه فطالع صاحب الخبر الناصر بذلك فكتب في جواب ذلك سوء أدب من صاحب الدار وفضول من كاتب المطالعة قال وكان مع ذلك ردىء السيرة في الرعية مائلا الى الظلم والعسف ففارق أهل البلاد بلادهم وأخذ أموالهم وأملاكهم وكان يفعل أفعالا متضادة وكان يتشيع ويميل الى مذهب الامامية بخلاف آبائه حتى ان ابن الجوزي سئل بحضرته من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أفضلهم بعده من كانت ابنته تحته ولم يقدر أن يصرح بتفضيل أبي بكر وقال ابن الاثير كان الناصر سيئ السيرة خربت في أيامه العراق مما أحدثه من الرسوم وأخذ أموالهم وأملاكهم وكان يفعل الشيء وضده وكان يرمي بالبندق ويهوى الحمام وقال الموفق عبد اللطيف وفي وسط ولايته اشتغل برواية الحديث واستناب نوابا في الاجازة عنه والتسميع وأجرى عليهم جرايات وكتب للملوك والعلماء اجازات وجمع كتابا سبعين حديثا وصل الى حلب وسمعه الناس قال الذهبي أجاز الناصر لجماعة من الاعيان فحدثوا عنه منهم ابن سكينة وابن الاخضر وابن النجار وابن الدامغاني وآخرون قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي وغيره قل بصر الناصر في آخر عمره وقيل ذهب كله ولم يشعر بذلك أحد من الرعية حتى الوزير وأهل الدار وكان له جارية قد علمها الخط بنفسه فكانت تكتب مثل خطه فتكتب على التواقيع وقال شمس الدين الجزري كان الماء الذي يشرب به الناصر تأتي به الدواب من فوق بغداد بسبعة فراسخ ويغلى سبع غلوات كل يوم غلوة ثم يحبس في الاوعية سبعة أيام ثم يشرب منه ومع هذا مامات حتى سقي المرقد مرات وشق ذكره وأخرج منه الحصى ومات منه يوم الاحد سلخ رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة ومن لطائفه ان خادما له اسمه يمن كتب اليه ورقة فيها عتب فوقع فيها شعرا

يمن يمن * يمن ثمن ثمن

ولما تولى الخليفة بعث الى السلطان صلاح الدين بالخلع والتقليد وكتب اليه السلطان كتابا يقول فيه والخادم ولله الحمد يعدد سوابق في الاسلام والدولة العباسية لايعمرها أولية أبي مسلم لانه والى ثم وارى ولا آخرية طغرلبك لانه نصر ثم حجر والخادم خلع من كان ينازع الخلافة رداءها وأساغ الغصة التي أذخر الله للاساغة في سيفه ماءها فرحل الاسماء الكاذبة الراكبة على المنابر وأعز بتأييد ابراهيمي فكسر الاصنام الباطنة بسيفه الظاهر ومن الحوادث في أيامه منشورة في سنة سبع وسبعين وخمسمائة أرسل الملك الناصر يعاتب السلطان صلاح الدين في تسميه بالملك الناصر مع علمه ان الخليفة اختار هذه التسمية لنفسه وفي سنة ثمانين جعل الخليفة مشهد موسى الكاظم امنا لمن لاذ به فالتجأ اليه خلق وحصل بذلك مفاسد وفي سنة احدى وثمانين ولد بالعاث ولد طول جبهته شبر وأربع أصابع وله أذن واحدة وفيها وردت الاخبار بأنه خطب للناصر بمعظم بلاد المغرب وفي سنة اثنتين وثمانين اجتمع الكواكب الستة في الميزان فحكم المنجمون بخراب العالم في جميع البلاد بطوفان الريح فشرع الناس في حفر مغارات في التخوم وتوثيقها وسد منافسها على الريح ونقلوا اليها الماء والزاد وانتقلوا اليها

بالعكس وقد اختلف في الارجل الذي يتطير منه فقيل هو الذي يده الواحدة بيضاء وهو الاشهر وقيل هو الذي رجله بيضاء واللفظ يقتضيه والاعصم هو الذي يده بيضاء ومن محاسن الخيل وشياتها ما قاله صعصعة ابن صوحان حين سأله معاوية بن أبي سفيان عن أجود الخيل فقال طويل الثلاث الاذن والعنق والحزام قصير الثلاث الصلب والعسيب والقص عريض الثلاث الجبهة والمنخر والورك صافي الثلاث العين والاديم والحافر وقيل خير الخيول مالا يتعبه شوط ولا يبعثه سوط وقال آخر يصف فرسه لا يفوته طرف ولا يسبقه طرف والاشعار في أوصاف الخيل كثيرة والاختصار هنا أجزل

(فمما قيل في ذلك المعنى)

ولقد ركبت على أغر محجل
ماء الدياجي قطرة من مائه
وكأنما لطم الصباح جبينه
فاقتص منه فخاض في أحشائه
لاتعلق الالحاظ في أعطافه
الا اذا كفكفت في غلوائه
لايكمل الطرف المحاسن كلها
حتى يكون الطرف من اسرائه

(الباب الرابع في الاسلحة واستعمالها في الحرب وصفات الرمي وفضله والطعن والضرب للغزاة والحث على الجهاد)

قال الله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الآية وقال يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين * وفي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول

وانتظروا الليلة التي وعدوا فيها بريح كريح عاد وهي الليلة التاسعة من جمادى الآخرة فلم يأت فيها شيء ولا هب فيها نسيم بحيث أوقدت الشموع فلم يتحرك فيها ريح تطفئها وعملت الشعراء في ذلك فمما قيل فيه قول ابن الغنائم محمد بن المعلم

قل لابي الفضل قول معترف * مضى جمادى وجاءنا رجب
وما جرت زعزع كما حكموا * ولا بدا كوكب له ذنب
كلا ولا أظلمت ذكاء ولا * بدت اذن في قرنها الشهب
يقضى عليها من ليس يعلم ما * يقضى عليه هذا هو العجب
قد بان كذب المنجمين وفي * أى مقال قالوا فما كذبوا

وفي سنة ثلاث وثمانين اتفق ان أول يوم في السنة كان أول أيام الاسبوع وأول السنة الشمسية وأول سني الفرس والشمس والقمر في أول البرج وكان ذلك من الاتفاقات العجيبة وفيها كانت الفتوحات الكثيرة أخذ السلطان صلاح الدين كثيرا من البلاد الشامية التي كانت بيد الفرنج واعظم ذلك بيت المقدس وكان بقاؤه في يد الفرنج احدى وتسعين سنة وأزال السلطان ما أحدثه الفرنج من الآثار وهدم ما أحدثوه من الكنائس وبنى موضع كنيسة منها مدرسة للشافعية فجزاه الله عن الاسلام خيرا ولم يهدم القمامة اقتداء بعمر رضي الله عنه حيث لم يهدمها لما فتح بيت المقدس وقال في ذلك محمد بن أسعد النسابة

أترى مناما ما بعيني أبصر * القدس يفتح والنصارى تكسر
وقمامة قمت من الرجس الذي * بزواله وزوالها يتطهر
ومليكهم في القيد مصفود ولم * ير قبل ذاك لهم مليك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذي * وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
يا يوسف الصديق أنت لفتحها * فاروقها عمر الامام الاطهر

ومن الغرائب ان ابن برجان ذكر في تفسير آلم غلبت الروم ان بيت المقدس يبقى في يد الروم الى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ثم يغلبون ويفتح ويصير دار اسلام الى آخر الابد أخذا من حساب الآية فكان كذلك قال أبو شامة وهذا الذي ذكره ابن برجان من عجائب ما اتفق وقد مات ابن برجان قبل ذلك بدهر فان وفاته سنة كذا وجد وفي سنة تسع وثمانين مات السلطان صلاح الدين رحمه الله فوصل الى بغداد الرسول وفي صحبته لامة الحرب التي لصلاح الدين وفرسه ودينار واحد وستة وثلاثون درهما لم يخلف من المال سواها واستقرت مصر لابنه عماد الدين عثمان الملك العزيز ودمشق لابنه الملك الافضل نور الدين على وحلب لابنه الملك الظاهر غياث الدين غازى وفي سنة تسعين مات السلطان طغرلبك شاه بن ارسلان ابن طغرلبك بن محمد بن ملكشاه وهو آخر الملوك السلجوقية قال الذهبي وكان عددهم نيفا وعشرين ملكا أولهم طغرلبك الذي أعاد القائم الى بغداد ومدة دولتهم مائة وستون سنة وفي سنة خمسمائة واثنتين وتسعين هبت ريح سوداء بمكة عمت الدنيا ووقع على الناس رمل أحمر ووقع من الركن اليماني قطعة وفيها عسكر خوارزم شاه فعدا جيحون في خمسين ألفا وبعث الى الخليفة يطلب السلطنة واعادة دار السلطنة الى ما كانت وان يجيء الى بغداد ويكون الخليفة من تحت يده كما كانت الملوك السلجوقية فهدم الخليفة دار السلطنة ورد رسوله بلا جواب ثم كفى الله شره كما تقدم وفي سنة ثلاث وتسعين انقض كوكب عظيم سمع لانقضاضه صوت هائل واهتزت الدور والاماكن فاستغاث الناس وأعلنوا بالدعاء وظنوا ذلك من امارات القيامة وفي سنة خمس وتسعين مات الملك العزيز بمصر وأقيم ابنه المنصور بدله فوثب الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب وتملكها ثم أقام بها ابنه الملك الكامل وفي سنة ست وتسعين توقف النيل بمصر بحيث كسرها ولم يكمل ثلاثة عشر ذراعا وكان الغلاء المفرط بحيث أكلوا الجيف والآدميين

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي يكررها ثلاثا وفي البخاري عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي عليه السلام على نفر من أسلم ينتاضلون فقال ارموا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا وأنا مع بني فلان قال فامسك أحد الفريقين بأيديهم فقال عليه السلام مالكم لا ترمون قالوا كيف نرمي وأنت معهم قال عليه السلام ارموا وأنا معكم كلكم وكانت المسابقة في الرمي بسهم واحد ويجب به الاصابة فجعلت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا يعني السابق في الاصابة الى الثالث هو الفائز ثم بعد ذلك صارت أربعة الى أول دولة بني العباس فصارت تحسب بخمسة

(فصل في المراهنة) وهي الرماية وسباق الخيل أمر مشروع ولذلك صفات وشروط مستوعبة في كتب الفقه فأما صفة الرمي فقال مرزبان الرامي في كتابه ينبغي للرامي اذا قام للرمي أن يكون بين رجليه من السعة بمقدار الذراع ثم يأخذ قوسا لينة عليه يحكم عليها ويخرج منكبيه فيمدها من غير سهم حتى يبسط شماله ويثبت يده اليمنى على منكبه ويعدل سهمه ويهدي يديه فاذا فعل ذلك مد بالسهم الطويل المجاوز لمقداره ليعرف مقداره منه ويكون قيامه على رجله اليسرى وقبضته اليمنى في الوتر حذاء قبضته اليسرى في القوس ويكون خروج منكبه الايمن حذاء خروج منكبه الايسر فاذا أراد مد السهم مده من فوق شاربه الايمن بعد بسط شماله وتكون رجل القوس وفشا

ونشأ أكل بني آدم واشتهر ورئي من ذلك العجب العجاب وتعدوا الى حفر القبور وأكل الموتى وتمزق أهل مصر كل ممزق وكثر الموت من الجوع بحيث كان الماشي لا يقع قدمه أو بصره الا على ميت أو من هو في السياق وهلك أهل القرى قاطبة بحيث ان المسافر يمر بالقرية فلا يرى فيها نافخ نار و يجد البيوت مفتحة وأهلها موتى وقد حكى الذهبي في ذلك حكايات يقشعر الجلد من سماعها قال وصارت الطرق مزرعة بالموتى وصارت لحومهم للطير والسباع وأبيعت الاحرار والاولاد بالدراهم اليسيرة واستمر ذلك الى اثناء سنة ثمان وتسعين وفي سنة سبع وتسعين جاءت زلزلة كبرى بمصر والشام والجزيرة فأخربت أماكن كثيرة وقلاعا وخسفت قرية من اعمال بصرى وفي سنة تسع وتسعين في سلخ المحرم ماجت النجوم وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وانزعج الخلق وضجوا الى الله تعالى ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سنة ستمائة هجم الفرنج الى النيل من رشيد ودخلوا بلاد فوة فنهبوها واستباحوها ورجعوا وفي سنة احدى وستمائة تغلبت الفرنج على القسطنطينية وأخرجوا الروم منها وكانت بأيدي الروم من قبل الاسلام واستمرت بيد الفرنج الى سنة ستين وستمائة فاستطلقها منهم الروم وفيها أي سنة احدى ولدت امرأة بقطيعاء ولدا برأسين ويدين وأربعة أرجل ولم يعش وفي سنة ست وستمائة كان ابتداء أمر التتار وسيأتي شرح حالهم وفي سنة خمس عشرة أخذت الفرنج من دمياط برج السلسلة قال أبو شامة وهذا البرج كان قفل الديار المصرية وهو برج عال في وسط النيل ودمياط بحذائه من شرقيه والجزيرة بحذائه من غربيه وفي ناحيته سلسلتان تمتد أحداهما على النيل الى دمياط والاخرى على النيل الى الجزيرة تمنعان عبور المراكب من البحر المالح وفي سنة ست عشرة أخذت الفرنج دمياط بعد حروب ومحاصرات وضعف الملك الكامل عن مقاومتهم فبدعوا فيها وجعلوا الجامع كنيسة وابتنى الملك الكامل مدينة عند مفرق البحرين سماها المنصورة وبنى عليها سورا ونزلها بجيشه وفي هذه السنة كاتبه قاضي القضاة ركن الدين الظاهر وكان الملك المعظم صاحب دمشق في نفسه منه فارسل له بقجة فيها قباء وكلوته وأمره بلبسهما بين الناس في مجلس حكمه فلم يمكنه الامتناع ثم قام ودخل داره ولزم بيته ومات بعد أشهر قهرا ورمى قطعا من كبده وتأسف الناس لذلك واتفق ان الملك المعظم ارسل في عقب ذلك الى الشرف بن عنين حين تزهد خمرا ونردا وقال سبح بهذا فكتب اليه يقول

يا أيها الملك المعظم سنة * أحدثتها تبقى على الآباد
تجري الملوك على طريقك بعدها * خلع القضاة وتحفة الزهاد

وفي سنة ثمان عشرة استردت دمياط من الفرنج فلله الحمد وفي سنة احدى وعشرين بنيت دار الحديث الكاملية بالقاهرة بين القصرين وجعل شيخها أبا الخطاب بن دحية وكانت الكعبة تكسى الديباج الابيض من أيام المأمون الى الآن فكساها الناصر ديباجا أخضر ثم كساها ديباجا أسود فاستمر الى الآن وممن مات في أيام الناصر من الاعلام الحافظ أبو طاهر السلفي وأبو الحسن بن القصار اللغوي والكمال أبو البركات بن الانباري والشيخ أحمد بن الرفاعي الزاهد وابن بشكوال ويونس والد يونس الشافعي وأبو بكر بن طاهر الاحدب النحوي وأبو الفضل والد الرافعي وابن الملكون النحوي وعبد الحق الاشبيلي صاحب الاحكام وأبو زيد السهيلي صاحب الروض الانف والحافظ أبو موسى المديني وابن بري اللغوي والحافظ أبو بكر الحازمي والشرف بن أبي عصرون وأبو القاسم البخاري والعتابي صاحب الجامع الكبير من كبار الحنفية والنجم الخبوشاني المشهور بالصلاح وأبو القاسم بن فيرة الشاطبي صاحب القصيدة وفخر الدين أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب بن الدهان الفرضي أول من وضع الفرائض على شكل المنبر والبرهان المرغيناني صاحب الهداية من الحنفية وقاضيخان صاحب الفتاوى منهم وعبد الرحيم بن حجون الزاهد بالصعيد وأبو الوليد بن رشيد صاحب العلوم الفلسفية وأبو بكر بن زهر الطبيب والجمال بن فضلان من

خارجة وأعلاها قائمة ويكون غمزه على وسط الفرس ويكون افلاته من جوف الوتر ويكون أصل مفصل ابهامه عند الاستيفاء متمكنا على منكبه فانه اقوى له على فتلة الوتر عند الافلات وتسمى الغمزة ويكون خروج يده اليمنى مع القبضة الى فوق وان استعمل الخطرة بشماله مع النفضة بيمينه كان أصح وأصلح وينبغي أن يكون وضع سبابته على يده معتدلا وهو أن يكون حد المفصل الاول على وسط الظفر من الابهام في أصله من كفه اليمنى ويكون فوق السبابة مع المجرى الذي فوق اليد اليسرى وزنا بوزن ويحترز الرامي أن يضع الفوق على موضع فتلة الوتر فان النشاب يقلق ولا يصح وسبيل الرامي أن يطلق الوتر بحركة مع تصحيح نظره الى موضع الغرض ويجمع نظر عينيه جميعا من النصل الى موضع الغرض ثم يطلق فيصيب ان شاء الله تعالى

(فصل في صفة القسي والنشاب) أجود القسي ما كثر فوقها وقل خشبها وصح لجامها واشتد جنافها وثقل وزنها وقوي حبلها والدمشقية أجود من غيرها وقد تتخذ من الخشب المفرد والقناقسي عربية وهي نوع يحسن الرمي بها طائفة من العرب وقبائل السودان وكذلك الفرس والروم قسيهم على أنواع مختلفة والمغاربة والفرنج يعانون قسي الجرخ وهي أكثر نفعها من داخل السور وفي مراكب البحر والقسي الجروخ القرن تصلح للقلاع والعقاقير جميعها خشب ماتصلح الا في البحر لان هواء البحر يضر القرن و يفسده والعقاقير

الشافعية والقاضي الفاضل صاحب الانشاء والترسل والشهاب الطوسي وأبو الفرج بن الجوزي والعماد الكاتب وابن عظيمة المقرئ والحافظ عبد الغني المقدسي صاحب العمدة والبركي الطاوسي صاحب الخلاف وتميم الحلي وأبوذر الخشني النحوي والامام فخر الدين الرازي وأبو السعادات بن الاثير صاحب جامع الاصول ونهاية الغريب والعماد بن يونس صاحب شرح الوجيز والشرف صاحب التنبيه والحافظ أبو الحسن بن المفضل وأبو محمد بن حوط الله وأخوه أبو سليمان والحافظ عبد القادر الرهاوي والزاهد أبو الحسن بن الصباغ بقنا والوجيه بن الدهان النحوي وتقي الدين بن المقترح وأبو اليمن الكندي النحوي والمعين الجاجرمي صاحب الكفاية من الشافعية والركن العميدي صاحب الطريقة في الخلاف وأبو البقاء العكبري صاحب الاعراب وابن أبي أصيبعة الطبيب وعبد الرحيم بن السمعاني ونجم الدين الكبري وابن أبي الصيف اليمني وموفق الدين بن قدامة الحنبلي وفخر الدين بن عساكر وخلائق آخرون

(الظاهر بأمر الله أبو نصر)

الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله ولد سنة احدى وسبعين وخمسمائة وبايع له أبوه بولاية العهد واستخلف عند موت والده وهو ابن اثنتين وخمسين سنة فقيل له ألا تتفسح قال لقد يبس الزرع فقيل يبارك الله في عمرك قال من فتح دكانا بعد العصر ايش يكسب ثم انه أحسن الى الرعية وأبطل المكوس وأزال المظالم وفرق الاموال (ذكر ذلك أبو شامة) وقال ابن الاثير في الكامل لما ولي الظاهر أظهر من العدل والاحسان ما أعاد به سنة العمرين فلو قيل ما ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقا فانه أعاد من الاموال المغصوبة والاملاك المأخوذة في أيام أبيه وقبلها شيأ كثيرا وأبطل المكوس في البلاد جميعها وأمر باعادة الخراج القديم في جميع العراق وباسقاط جميع ما جدده أبوه وكان ذلك كثيرا لا يحصى فمن ذلك يعقوبا كان يحصل منها قديما عشرة آلاف دينار فلما استخلف الناصر كان يوخذ منها في السنة ثمانون ألف دينار واستغاث أهلها فأعادها الظاهر الى الخراج الاول ولما أعاد الخراج الاصلي على البلاد حضر خلق وذكروا ان أملاكهم قد يبست أكثر أشجارها وخربت فأمر أن لا يوخذ الا من كل شجرة سالمة ومن عدله ان صنجة الخزانة كانت راجحة نصف قيراط في المثقال يقبضون بها ويعطون بصنجة البلد فخرج خطه الى الوزير وأوله ويل للمطففين الآيات وفيه قد بلغنا كذا وكذا فتعاد صنجة الخزانة الى ما يتعامل به الناس فكتبوا اليه ان هذا فيه تفاوت كثيرا وقد حسبناه في العام الماضي فكان خمسة وثلاثين ألف دينار فأعاد الجواب ينكر على القائل ويقول يبطل ولو أنه ثلثمائة ألف وخمسون ألف دينار ومن عدله ان صاحب الديوان قدم من واسط ومعه أزيد من مائة ألف دينار من ظلم فردها على أربابها وأخرج أهل الحبوس وأرسل الى القاضي عشرة آلاف دينار ليوفيها عن أعسر وفرق ليلة عيد النحر على العلماء والصلحاء مائة ألف دينار وقيل له هذا الذي تخرجه من الاموال لا تسمح نفس ببعضه فقال أنا فتحت الدكان بعد العصر فاتركوني أفعل الخير فكم بقيت أعيش ووجد في بيت من داره ألوف رقاع كلها مختومة فقيل له لم لا تفتحها قال لا حاجة لنا فيها كلها سعايات (هذا كله كلام ابن الاثير) وقال سبط بن الجوزي لما دخل الى الخزائن قال له خادم كانت في أيام آبائك تمتلئ فقال ما فعلت الخزائن لتمتلئ بل تفرغ وتنفق في سبيل الله فان الجمع شغل التجار وقال ابن واصل أظهر العدل وأزال المكس وظهر للناس وكان أبوه لا يظهر الا نادرا توفي رحمه الله في ثالث عشر رجب سنة ثلاث وعشرين فكانت خلافته تسعة أشهر وأياما وقد روى الحديث عن والده بالاجازة روى عنه أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي ولما توفي اتفق خسوف القمر مرتين في السنة فجاء ابن الاثير نصر الله رسولا من صاحب الموصل برسالة في التعزية أولها ما الليل والنهار لا يعتذران وقد عظم حادثهما وما الشمس والقمر

لا ينكسفان

انشب ما تتغير فيه وقليل ان تخطئ سهام (٨٤) الجروح اذا كان الرامي بها عارفا حاذقا وأما النشاب فيجب ان تكون صحيحة الاعتدال والاستدارة والفتل والثقل والخفة وطوله وقصره على حسب مقادير الرامي والمريش المربع أو المثلث والجناح الايمن أخف من الايسر والمثلث المريش أسرع والمربع أعدل وأصح لكن فيه بطء وريش الذنب لاخير فيه فان اضطر اليه فليخلط مع غيره ولا يصلح الا للاماج وللصيد للبالغ خاصة

(فصل) في السيوف وهي أصناف أجودها العتيق وأصنافها اليمانية ثم القلعية ثم الهندية ثم السليمانية ومنها الشامية والخراسانية والآن التي يعانيها الناس القلاجورية من السيوف اللينة الفرنجية وهي على أصناف الالمانية والبردلية والكبردية وغير ذلك * ومن علامات السيوف اليمانية العتق التي طبعت في الجاهلية ثقبان في سنبل السيلان وثقب السنبل من احدى جهتيه أوسع أو متساويان ووسطه أضيق ومنها المحفورة وهي التي شطبها شبيه بالانهار وقد حفر بمبرد مدور ومنها ذات حفر مربع ومنها ذات شطب وقلما تسلم اليمانية من العروق المفتوحة وقد توضع عليها تماثيل أو يكتب عليها أو يصور عليها صورة وقد يخفى ذلك وهذه السيوف أكثر قطعها في اللين فاذا صادفت الحديد أو اليابس تقصفت بخلاف السيوف الافرنجية فانها تقطع الصلاب من العظام وتبري

لاينكسفان وقد فقد ثالثهما شعر

فياوحشة الدنيا وكانت أنيسة * ووحدة من فيها لمصرع واحد

وهو سيدنا ومولانا الامام الظاهر أمير المؤمنين الذى جعلت ولايته رحمة للعالمين الى آخر الرسالة

(المستنصر بالله أبو جعفر)

المستنصر بالله أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله ولد فى صفر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وأمه جارية تركية قال ابن النجار و بويع بعد موت أبيه فى رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة فنشر العدل فى الرعايا وبذل الانصاف فى القضايا وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد والربط والمدارس والمارستانات وأقام منار الدين وقمع المتمردة ونشر السنن وكف الفتن وحمل الناس على أقوم سنن وقام بأمر الجهاد أحسن قيام وجمع الجيوش لنصرة الاسلام وحفظ الثغور وافتتح الحصون وقال الموفق عبد اللطيف بويع أبو جعفر فسار السيرة الجميلة وعمر طرق المعروف الدائرة وأقام شعار الدين ومنار الاسلام واجتمعت القلوب على محبته والالسن على مدحه ولم يجد أحد من المتعنتة فيه معابا وكان جده الناصر يقربه ويسميه القاضى لهداه وعقله وانكاره ما يجده من المنكر وقال الحافظ زكى الدين بن عبد العظيم المنذرى كان المستنصر راغبا فى فعل الخير مجتهدا فى تكثير البر وله فى ذلك آثار جميلة وأنشأ المدرسة المستنصرية ورتب فيها الرواتب الحسنة لاهل العلم وقال ابن واصل بنى المستنصر على دجلة من الجانب الشرقى مدرسة ما بنى على وجه الارض أحسن منها ولا أكثر منها وقوفا وهى بأربعة مدرسين على المذاهب الاربعة وعمل فيها مارستانا ورتب فيها مطبخا للفقهاء ومزملة للماء البارد ورتب لبيوت الفقهاء الحصر والبسط والزيت والورق والحبر وغير ذلك وللفقيه بعد ذلك فى الشهر دينارا ورتب لهم حماما وهو أمر لم يسبق الى مثله واستخدم عساكر عظيمة لم يستخدم مثلها أبوه ولا جده وكان ذا همة عالية وشجاعة واقدام عظيم وقصدت التتار البلاد فلقيهم عسكره فهزموا التتار هزيمة عظيمة وكان له أخ يقال له الخفاجى فيه شهامة زائدة وكان يقول لئن وليت لاعبرن بالعسكر نهر جيحون وآخذ البلاد من أيدى التتار واستأصلهم فلما مات المستنصر لم ير الدوادار ولا الشرابى تقليد الخفاجى خوفا منه وأقاما ابنه أبا أحمد للينه وضعف رأيه ليكون لهما الامر ليقضى الله أمرا كان مفعولا من هلاك المسلمين فى مدته وتغلب التتار فانا لله وانا اليه راجعون قال الذهبى وقد بلغ ارتفاع وقوف المستنصرية فى العام نيفا وسبعين ألف مثقال وكان ابتداء عمارتها فى سنة خمس وعشرين وتمت فى سنة احدى وثلاثين ونقل اليها الكتب وهى مائة وستون حملا من الكتب النفيسة وعدد فقهائها مائتان وثمانية وأربعون فقيها من المذاهب الاربعة وأربعة مدرسون وشيخ حديث وشيخ نحو وشيخ طب وشيخ فرائض ورتب فيها الخبز والطبيخ والحلاوة والفاكهة وجعل فيها ثلاثين يتيما ووقف عليها ما لا يعبر عنه كثرة ثم سرد الذهبى القرى والرباع الموقوفة عليها وقال وفتحت يوم الخميس فى رجب وحضر القضاة والمدرسون والاعيان وسائر الدولة وكان يوما مشهودا ومن الحوادث فى أيام المستنصر فى سنة ثمان وعشرين أمر الملك الاشرف صاحب دمشق ببناء دار الحديث الاشرفية وفرغت فى سنة ثلاثين وفى سنة اثنتين وثلاثين أمر المستنصر بضرب الدراهم الفضية لتتعامل بها بدلا عن قراضة الذهب فجلس الوزير وأحضر الولاة والتجار والصيارفة وفرشت الانطاع وأفرغ عليها الدراهم وقال الوزير قد رسم مولانا أمير المؤمنين لمعاملتكم بهذه الدراهم عوضا عن قراضة الذهب رفقا بكم وانقاذا لكم من التعامل بالحرام من الصرف الربوى فأعلنوا بالدعاء ثم أديرت بالعراق وسعرت كل عشرة بدينار فقال الموفق أبو المعالى القاسم بن أبى الحديد شعرا

لاعدمنا جميل رأيك فينا * أنت باعدتنا عن التطفيف

ورسمت اللجين حتى ألفنا

الحديد على قدر * جودتها وجودة سقايتها *(فصل فى الترس)* لا ينبغى ان يدخل فى حرب بسيف (١٨٥) الا ومعه ترس الا عن ضرورة والترس على أصناف كل صنف منها يصلح لشئ فمنها المسطح والمستطيل المحفر الوسط ومنها المقبب المنحنى الاطراف الى خارج وهذا النوع لا يتقى به الرمح لانه متى طعن ثبت الرمح فيه وصرع صاحبه وانما يتقى به النشاب والحجارة والسيف والمستطيل يتقى به النشاب لان رأسه يستر رأس الفارس وطوله يقيه لانه ينظر باحدى عينيه من التخصير ولا يكشف رأسه والمسطح يتقى به الرمح ويكون نظرك من جانب الترس الى العدو واحذر من كثرة الضرب فى غير وقته ولا تضرب من الخصم الا الموضع الذى لا سلاح فيه وعليك بالاطراف فقليل الجراح منها كثير ولا تضع الضرب فى الدرق والتراس فربما نبا السيف أو نشب أو التوى ولا تبتدئ الاعسر بالضرب فيظهر عليك ان أخطأت بل اصبر حتى يبتدئك ثم الحقه * واعلم أن أصل المثاقفة الروغان فأحكمه وقد قيل يحتاج المثاقف أن يكون أروغ من ثعلب وأثقف من هر وأحذر من سلحفاة وأخطف من حدأة واذا قابلت فاجعل الذى يقابلك عن يمينك واقطع ما تجرى معه يدك اليك وأنفذ ماترديك الى خاف قبله

(فصل فى الرمح) طرائق حركات الرمح وتصرفاته كثيرة وكتب السياسة مشحونة بذلك واللعب به فى الميادين وبين يدى الملوك غير التحرك به

وما كان قبل بالمألوف * ليس للجمع كان منعك للصر * ف ولكن للعدل والتعريف

وفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ولي قضاء دمشق شمس الدين أحمد الجوني وهو أول قاض رتب مراكز الشهود بالبلد وكان قبل ذلك يذهب الناس الى بيوت العدول يشهدونهم وفيها مات السلطانان الأخوان الأشرف صاحب دمشق والكامل صاحب دمشق والكامل صاحب مصر بعده بشهرين وتسلطن بمصر ولد الكامل فلامه ولقب العادل ثم خلع وتملك اخوه الصالح أيوب نجم الدين وفي سنة سبع وثلاثين وستمائة ولي خطابة دمشق الشيخ عز الدين بن عبد السلام فخطب خطابة عرية من البدع وازال الاعلام المذهبة واقام عوضها سودا بابيض ولم يؤذن قدامه سوى مؤذن واحد وفيها اقدم رسول الامين الذي تملك اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول التركماني الى الخليفة يطلب تقليد السلطنة باليمن بعد موت الملك المسعود بن الملك الكامل وبقي الملك في بيته الى سنة خمس وستين وثمانمائة وفي سنة تسع وثلاثين وستمائة بني الصالح صاحب مصر المدرسة التي بين القصرين والقلعة التي بالروضة ثم أخرب غلمانه القلعة المذكورة سنة أحدى وخمسين وستمائة وفي سنة أربعين وستمائة توفي المستنصر يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة ورثاه الشعراء فمن ذلك قول صفي الدين عبد الله بن جميل ومن مناقب المستنصر أن الوجيه القيرواني مدحه بقصيدة يقول فيها شعرا

لو كنت يوم السقيفة حاضرا * كنت المقدم والامام الاورعا

فقال له قائل بحضرته أخطأت قد كان حاضرا العباس جد أمير المؤمنين ولم يكن المقدم الا أبو بكر فاقر ذلك المستنصر وخلع على القائل ذلك خلعة وأمر بنفي الوجيه فخرج الى مصر حكاها الذهبي وممن مات في أيام المستنصر من الاعلام الامام أبو القاسم الرافعي والجمال المصري وابن معروز النحوي وياقوت الحموي والسكاكي صاحب المفتاح والحافظ أبو الحسن بن القطان ويحيى بن معطي صاحب الالفية في النحو والموفق عبد اللطيف البغدادي والحافظ أبو بكر بن نقطة والحافظ عز الدين علي بن الاثير صاحب التاريخ والانساب وأسد الغابة وابن عنين الشاعر والسيف الآمدي وابن فضلان وعمر بن الفارض صاحب التائية والشهاب السهروردي صاحب عوارف المعارف والبهاء بن شداد وأبو العباس العوفي صاحب المولد النبوي والعلامة أبو الخطاب بن دحية وأخوه أبو عمرو والحافظ أبو الربيع بن سالم صاحب الاكتفاء في المغازي وابن الشواء الشاعر والحافظ زكي الدين البرزلي والجمال الحصري شيخ الحنيفة والشمس الجوني والحراني وأبو عبد الله الزبيني وأبو البركات ابن المستوفي والضياء بن الاثير صاحب المثل السائر وابن عربي صاحب الفصوص والكمال بن يونس شارح التنبيه وخلائق آخرون

(المستعصم بالله أبو أحمد)

المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله آخر الخلفاء العراقيين ولد سنة تسع وستمائة وأمه أم ولد اسمها هاجر وبويع له بالخلافة عند موت أبيه وأجاز له على يد ابن النجار المؤيد الطوسي وأبو روح الهروي وجماعة وروى عنه بالاجازة جماعة منهم النجم البادرائي والشرف الدمياطي وخرج له الدمياطي أربعين حديثا رأيتها بخطه وكان كريما حليما سليم الباطن حسن الديانة قال الشيخ قطب الدين كان متدينا متمسكا بالسنة كأبيه وجده ولكنه لم يكن مثلهما في التيقظ والحزم وعلو الهمة وكان للمستنصر أخ يعرف بالخفاجي يزيد عليه في الشجاعة والشهامة وكان يقول ان ملكني الله الامر لاعبرن بالجيوش نهر جيحون وأنتزع البلاد من التتار واستأصلهم فلما توفي المستنصر لم ير الدويدار والشرابي والكبار تقليد الخفاجي الامر وخافوا منه وآثروا المستعصم للينه وانقياده ليكون لهم الامر فاقاموه ثم ركن المستعصم الى وزيره مؤيد الدين العلقمي الرافضي فاهلك الحرث والنسل ولعب بالخليفة كيف أراد وباطن التتار وناصحهم وأطمعهم في المجيء الى العراق

في الحروب منها المواجهة وهي أن تحمل على مبارزك وقد أخذت الرمح تحت ابطك وجعلته بين أذني فرسك وتقصده مستويا حتى تقرب منه فان رأيته قد طرح رمحه عنه فاطرح رمحك يسرة وان طرحه يسرة فاطرح رمحك عنه واجهد أن تبدأ بالحمل عليه وأنت مسدد وتحول الرمح عنه أو يسرة كي تدهشه فلا يدري من أين تجيئه فاذا دنيت منه دخلت عليه من الخلل الذي لا يكون رمحه فيه واذا أردت ان تبتدئ بالخروج فخذ أسفل الرمح بيدك اليمنى ورأسه الى الهواء وهو على عاتقك الايمن وتحمل على قرنك وأنت كذلك وان شئت قربت منه حتى لا يدري من أي وجه يلقاك ثم تنظر من أين يطارح رمحه فتطارح أنت من الجانب الخالي واياك ان تطارح رمحك وتسدده من جانبه الآن علمت أن رمحك أطول ويسمى المواصلة وهي خطأ في العمل فاحذرها ومنها المواجهة الخراسانية وهي ان تحمل فاذا دنوت من مبارزك فاجعل أسفل الرمح تحت الايمن وأشر بيمينك وارفعها حتى يصيبها الرمح قدام يدك اليسرى فتوهمه انك تنقل ثم ترد يدك بسرعة الى أسفل الرمح فانه ينقل الى ميامنه فتلقاه يسرة وانما يتهيأ لك هذا المكر بحذقك بعنان فرسك وان خرجت الى فارسين وتفرقا فاحمل على الادنى واذا كانا مقربين فأر أحدهما انك تريد رفيقه واحمل عليه ولا تتم حملتك ثم اعدل على الآخر وأصدقه الحملة وان حذقا ورأيتهما يفترقان عليك فتطرف ولا تتوسط واحمل واحذ

وأخذ بغداد وقطع الدولة العباسية ليقيم خليفة من آل علي وصار اذا جاءه خبر منهم كتمه عن الخليفة ويطالع بأخبار الخليفة التتار الى أن حصل ما حصل وفي سنة سبع وأربعين من أيامه اخذت الفرنج دمياط والسلطان الملك الصالح مريض فمات ليلة نصف شعبان فاخفت جاريته أم خليل المسماة شجرة الدر موته وأرسلت الى ولده توران شاه الملك المعظم فحضر ثم لم يلبث أن قتل في المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة وثب عليه غلمان أبيه فقتلوه وأمروا عليهم جارية أبيه شجرة الدر وحلف لها الاتراك ولنائبها عز الدين أيبك التركماني فشرعت شجرة الدر في الخلع للامراء والاعطيات ثم استقل عز الدين بالسلطنة في ربيع الآخر ولقب الملك المعز ثم تنصل منها وحلف العسكر للملك الاشرف بن صلاح الدين يوسف بن المسعود بن الكامل وله ثمان سنين وبقي عز الدين أتابكه وخطب لهما وضربت السكة باسمهما وفي هذه السنة اعني سنة ثمان استردت دمياط من الفرنج وفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة ظهرت نار في ارض عدن وكان يطير شررها في الليل الى البحر ويصعد منها دخان عظيم في النهار وفيها أبطل المعز اسم الملك الاشرف واستقل بالسلطنة وفي سنة أربع وخمسين ظهرت النار بالمدينة النبوية قال أبو شامة جاءنا كتب من المدينة فيها لما كانت ليلة الاربعاء ثالث جمادى الآخرة ظهر بالمدينة دوي عظيم ثم زلزلة عظيمة فكانت ساعة بعد ساعة الى خامس الشهر فظهرت نار عظيمة في الحرة قريبا من قريظة نبصرها من دورنا من داخل المدينة كانها عندنا وسالت أودية منها الى وادي شظا سيل الماء وطلعنا نبصرها فاذا الجبال تسيل نارا وسارت هكذا وهكذا بين نيران كانها الجبال وطار منها شرر كالقصر الى أن أبصر ضوؤها من مكة ومن الفلاة جميعها واجتمع الناس كلهم الى القبر الشريف مستغفرين تائبين واستمرت هكذا اكثر من شهر قال الذهبي أمر هذه النار متواتر وهي مما اخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى وقد حكى غير واحد ممن كان ببصرى في الليل ورأى أعناق الابل في ضوئها وفي سنة خمس وخمسين وستمائة مات المعز أيبك سلطان مصر قتلته زوجته شجرة الدر وسلطنوا بعده ولده الملك المنصور على هذا والتتار جائلون في البلاد وشرهم متزايد ونارهم تستعر والخليفة والناس في غفلة عما يراد بهم والوزير العلقمي حريص على ازالة الدولة العباسية ونقلها الى العلوية والرسل في السر بينه وبين التتار والمستعصم تائه في لذاته لا يطلع على الامور ولا له غرض في المصلحة وكان أبوه المستنصر قد استكثر من الجند جدا وكان مع ذلك يصانع التتار ويهادنهم ويرضيهم فلما استخلف المستعصم كان خليا من الرأي والتدبير فاشار عليه الوزير بقطع أكثر الجند وان مصانعة التتار واكرامهم يحصل به المقصود ففعل ذلك ثم ان الوزير كاتب التتار وأطمعهم في البلاد وسهل عليهم ذلك وطلب أن يكون نائبهم فوعدوه بذلك وتأهبوا لقصد بغداد * شرح حال التتار ملخصا قال الموفق عبد اللطيف في خبر التتار هو حديث يأكل الاحاديث وخبر يطوي الاخبار وتاريخ ينسي التواريخ ونازلة تصغر كل نازلة وفادحة تطبق الارض وتملؤها ما بين الطول والعرض وهذه الامة لغتهم مشوبة بلغة الهند لانهم في جوارهم وبينهم وبين مكة أربعة أشهر وهم بالنسبة الى الترك عراض الوجوه واسعو الصدور خفاف الاعجاز صغار الاطراف سمر الالوان سريعو الحركة في الجسم والرأي تصل اليهم أخبار الامم ولا تصل أخبارهم الى الامم وقلما يقدر جاسوس ان يتمكن منهم لان الغريب لا يتشبه بهم واذا أرادوا جهة كتموا أمرهم ونهضوا دفعة واحدة فلا يعلم بهم أهل بلد حتى يدخلوه ولا عسكر حتى يخالطوه فلهذا تفسد على الناس وجوه الحيل وتضيق طرق الهرب ونساؤهم يقاتلن كرجالهم والغالب على سلاحهم النشاب وأكلهم أي لحم وجدوا وليس في قتلهم استثناء ولا ابقاء يقتلون الرجال والنساء والاطفال وكان قصدهم افناء النوع وابادة العالم لا قصد الملك والمال وقال غيره أرض التتار باطراف بلاد الصين وهم سكان براري ومشهورون بالشر والغدر وسبب ظهورهم ان اقليم الصين متسع دوره ستة أشهر وهو ست ممالك ولهم ملك حاكم على الممالك الست هو القان الاكبر المقيم

على الادنى اليك فان تساووا فالادهش الاضعف واحمل على الاقوى فان تساووا وكانوا جماعة فامتد أمامهم حتى يتبعوك ثم كر على الادنى منك فاطعنه وان دخلت مضيقا فتلقاك فارس برمح فاياك والمصادمة بل انزل الى الارض واطعنه وان كان خلفك فارس وقدامك فارس في مضيق فانزل وتحيل واقصد أقربهما اليك وتترس من الآخر بدابتك واربط في طرف اللجام مستمعا طويلا تحفظ به الفرس الى حين حاجتك اليه واحذق في التعطيل وهو ان تعارض رمحه عند دنوه منك فتعطله عن الطعن واجعل رمحك فوق رمح خصمك واذا تمكنت فاضربه وعطله وان كان رمحك تحته وأخطأت صار رمحك الى الارض وتعطل والقتل ان تفتل الرمح وتدفعه برمحك وتدخل فتطعنه وبعضهم يعطل الرمح بالمقرعة وبالدبوس واذا كان في رمحك علم فاحذر ان يغطي وجهك أو وجه فرسك فان الريح يفعل ذلك فتدبره أولا واجعله من ناحية لا تضرك فان غلبك الريح فاطرحه على عاتقك واقتل العلم عليه فانه ينقص قوته وبالجملة فانه معوق غير مفيد واذا أردت الوثوب فخذ رمحك بيدك اليمنى وقربوس السرج بيسراك واتكئ على الرمح وثب تصير في السرج مستويا

(الباب الخامس في تولية الاعمال والامصار)

ولاية المدينة هي الرتبة الاولى من السياسة العظمى فيجب على والي المدينة أو صاحبها ان يكون فيه من السياسة والحفظ والضبط وحسن التدبير ما هو مذكور في الآداب

بطمغاج وهو كالخليفة للمسلمين وكان سلطان احدى الممالك الست وهو دوش خان قد تزوج بعمة جنكزخان فحضر زائر العمته وقدمات زوجها وكان قد حضر مع جنكزخان كشلوخان فاعلمتهما ان الملك لم يخلف ولدا واشارت على ابن أخيها ان يقوم مقامه فقام وانضم اليه خلق من المغول ثم سير التقادم الى القان الاكبر فاستشاط غيظا وأمر بقطع أذناب الخيل التى أهديت وطردها وقتل الرسل لكون التتار لم يتقدم لهم سابقة بتملك انما هم بادية الصين فلما سمع جنكزخان وصاحبه كشلوخان تحالفا على التعاضد وأظهر الخلاف للقان وأتتهما أمم كثيرة من التتار وعلم القان قوتهم وشرهم فارسل يؤانسهم ويظهر مع ذلك انه ينذرهم ويهددهم فلم يغن ذلك شيأ ثم قصدهم وقصدوه فوقع بينهم ملحمة عظيمة فكسروا القان الاعظم وملكوا بلاده واستفحل شرهم واستمر الملك بين جنكزخان وكشلوخان على المشاركة ثم سار الى بلادشاقون من نواحى الصين فلكاها فمات كشلوخان فقام مقامه ولده فاستضعفه جنكزخان فوثب عليه وظفر به واستقل جنكزخان ودانت له التتار وانقادت له واعتقدوا فيه الالهية وبالغوا فى طاعته ثم كان أول خروجهم فى سنة ست وستمائة من بلادهم الى نواحى الترك وفرغانة فأرسل خوارزم شاه محمد بن تكش صاحب خراسان الذى أباد الملوك وأخذ الممالك وعزم على قصد الخليفة فلم يتهيأ له كما تقدم فامر أهل فرغانة والمشاش وكاسان وتلك البلاد النزهة العامرة بالجلاء والجفل الى سمرقند وغيرها ثم خربها جميعا خوفا من التتار ان يملكوها لعلمه انه لا طاقة له بهم ثم صارت التتار يتخطفون ويتنقلون الى سنة خمس عشرة فارسل فيها جنكزخان الى السلطان خوارزم شاه رسلا وهدايا وقال الرسول ان القان الاعظم يسلم عليك ويقول لك ليس يخفى على عظم شأنك وما بلغت من سلطانك ونفوذ حكمك على الاقاليم وأنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات وأنت عندى مثل أعز أولادى وغير خاف عنك انى تملكت الصين وأنت أخبر الناس ببلادى وانها مثارات العساكر والخيول ومعادن الذهب والفضة وفيها كفاية عن غيرها فان رأيت ان تعقد بيننا المودة وتأمر التجار بالسفر لتعم المصلحتين فعلت فأجابه خوارزم شاه الى ملتمسه وبشر جنكزخان بذلك واستمر الحال على المهادنة الى ان وصل من بلاده تجار وكان خال خوارزم شاه ينوب على بلاد ما وراء النهر ومعه عشرون ألف فارس فشرهت نفسه الى أموال التجار وكاتب السلطان يقول ان هؤلاء القوم قد جاؤا بزى التجار وما قصدهم الا التجسس فان أذنت لى فيهم فاذن له بالاحتياط عليهم فقبض عليهم وأخذ أموالهم فوردت رسل جنكزخان الى خوارزم شاه تقول انك أعطيت امانك التجار فغدرت والغدر قبيح وهو من سلطان الاسلام أقبح فان زعمت ان الذى فعله خالك بغير أمرك فسلمه الينا والا سوف تشاهد منى ما تعرفنى به فحصل عند خوارزم شاه من الرعب ما خامر عقله فتجلد وامر بقتل الرسول فقتلوا فيا لها من حركة لما هدرت من دماء المسلمين أجرت بكل نقطة سيلا من الدم ثم سار جنكزخان اليه فانجفل خوارزم شاه عن جيحون الى نيسابور ثم ساق الى برج همدان رعبا من التتار فأحدق به العدو فقتلوا كل من معه ونجا هو بنفسه فخاض الماء الى جزيرة ولحقته علة ذات الجنب فمات بها وحيدا فريدا وكفن فى شاش فراش كان معه وذلك فى سنة سبع عشرة وملكوا جميع مملكة خوارزم شاه قال سبط ابن الجوزى كان أول ظهور التتار بما وراء النهر سنة خمس عشرة فاخذوا بخارى وسمرقند وقتلوا أهلها وحاصروا خوارزم شاه ثم بعد ذلك عبروا النهر وكان خوارزم شاه قد أباد الملوك من مدن خراسان فلم تجد التتار أحدا فى وجههم فطاروا فى البلاد قتلا وسبيا وساقوا الى أن وصلوا الى همذان وقزوين فى هذه السنة وقال ابن الاثير فى كامله حادثة التتار من الحوادث العظمى والمصائب الكبرى التى عقمت الدهور عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل ان العالم منذ خلقه الله تعالى الى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ومن أعظم ما يذكرون فعل بختنصر ببنى اسرائيل بالبيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة الى ما خرب هؤلاء الملاعين من مدن الاسلام وما بنو اسرائيل بالنسبة الى ما قتلوا فهذه الحادثة التى استطار شررها وعم ضررها وسارت فى البلاد كالسحاب

الملوكية ثم يصرف همته الى التحصين (١٨٨) والاشتغال به وهو الأهم كتعلية الاسوار وحفر الخنادق وسد الثغر وقطع المواضع المشرفة عليها وسد المسارب النافذة نحوها وترتيب الرجال بابراجها والحراس على أسوارها والطوف بطرقاتها وحفظ أبوابها وتوكل الثقات بحفظها وان كانت البلد صغيرة فتقال أبوابها كيف أمكن وتحفظ دروبها وأرباعها ولا يهمل أمرها فان الملك فى مدينته أو قلعته كالرجل فى منزله ولا ينبغى ان يترك فى المدينة أهل التعصب والاهواء فمنه منشأ الفتن وكانت ملوك الفرس تمنع من الانتساب الى القبائل لهذا السبب وكان أكثر غرضهم تأليف أهل المدينة على نظام مستقيم وهو الاسوس والاصلح فانما يحتاج الى التجمع وأما انتساب أهل البرارى والفلوات فلحماية بعضهم عن بعض وتعطف بعضهم على بعض والعصبية فى المدن تؤدى الى خرابها والاستيلاء على ملوكها وكثيرا ما خربت بلاد بالمشرق مثل أصفهان والرى وغيرهما بالتعصب فى المذاهب والآراء وقال بزرجمهر كل جمع غير جمع السلطان وكل سيف غير سيفه فهو عليه لا له وعليه قهره وازالته وكذلك يمنع أهل البلد من البطالة فانها تدعو الى الشرور والافساد بل يجب ان كل طائفة تنعكف على شغل من الاشغال أو فن من المصالح العائد نفعها عليهم وعلى المدينة قيل لما فتح كسرى أنوشروان مدينة انطاكية أحضر المهندسين وأمرهم بالنظر اليها وتصويرها استدبرته

استدبرته الريح فان قوما خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاد ساغرق ثم منها الى بخارى وسمرقند فملكوها ويبيدون أهلها ثم تعبر طائفة منهم الى خراسان فيفرغون منها هلكا وتخريبا وقتلا وابادة والى الري وهمدان الى حد العراق ثم يقصدون أذربيجان ونواحيها ويخربونها ويستبيحونها في أقل من سنة أمر لم يسمع بمثله ثم ساروا من أذربيجان الى دربند شروان فملكوا مدنها وعبروا من عندها الى بلاد اللان واللكز فقتلوا وأسروا ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم أكثر من الترك عددا فقتلوا من وقف وهرب الباقون واستولى التتار عليها ومضت طائفة أخرى غير هؤلاء الى غزنة وأعمالها وسجستان وكرمان ففعلوا مثل هؤلاء بل أشد هذا لم يطرق الاسماع مثله فان الاسكندر الذي ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة وانما ملكها في نحو عشر سنين ولم يقتل أحدا وانما رضي بالطاعة وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الارض وأحسنه وأعمره في نحو سنة ولم يبق أحد في البلاد التي لم يطرقوها الا وهو خائف يترقب وصولهم اليه ثم انهم لم يحتاجوا الى ميرة ومدد يأتيهم فانهم معهم الاغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لا غير وأما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير وأما دياناتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيأ ويأكلون جميع الدواب وبني آدم ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد ولما دخلت سنة ست وخمسين وصل التتار الى بغداد وهم مائتا ألف ويقدمهم هلاكو فخرج اليهم عسكر الخليفة فهزم العسكر ودخلوا بغداد يوم عاشوراء فأشار الوزير لعنه الله على المستعصم بمصانعتهم وقال أخرج اليهم أنا في تقرير الصلح فخرج وتوثق لنفسه منهم وورد الى الخليفة وقال ان الملك قد رغب في ان يزوج ابنته بابنك الامير أبي بكر ويبقيك في منصب الخلافة كما أبقى صاحب الروم في سلطنته ولا يريد الا ان تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع السلاطين السلجوقية وينصرف عنك بجيوشه فليجب مولانا الى هذا فان فيه حقن دماء المسلمين ويمكن بعد ذلك ان تفعل ما تريد والرأي أن تخرج اليه فخرج اليه في جمع من الاعيان فأنزل في خيمة ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء والاماثل ليحضروا العقد فخرجوا من بغداد فضربت أعناقهم وصار كذلك تخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم حتى قتل جميع من هناك من العلماء والامراء والحجاب والكبار ثم مدوا الجسر وبذل السيف في بغداد واستمر القتل فيها نحو أربعين يوما فبلغ القتلى أكثر من ألف ألف نسمة ولم يسلم الا من اختفى في بئر او قناة وقتل الخليفة رفسا قال الذهبي وما أظنه دفن وقتل معه جماعة من أولاده وأعمامه وأسر بعضهم وكانت بلية لم يصب الاسلام بمثلها ولم يتم للوزير ما أراد وذاق من التتار الذل والهوان ولم تطل ايامه بعد ذلك وعملت الشعراء قصائد في مراثي بغداد وأهلها وتمثل بقول سبط التعاويذي

بادت وأهلوها معا فبيوتهم * ببقاء مولانا الوزير خراب

وقال بعضهم

يا عصبة الاسلام نوحي واندبي * حزنا على ما تم للمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقمي

وكان آخر خطبة خطبت ببغداد قال الخطيب في أولها الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الاعمار وحكم بالفناء على أهل هذه الدار هذا والسيف قائم بها ولتقي الدين بن أبي اليسر قصيدة مشهورة في بغداد وهي هذه

لسائل الدمع عن بغداد أخبار * فما وقوفك والاحباب قد ساروا
يا زائرين الى الزوراء لا تفدوا * فما بذاك الحمى والدار ديار
تاج الخلافة والربع الذي شرفت * به المعالم قد عفاه اقفار
أضحى لعطف البلى في ربعه أثر * وللدموع على الآثار آثار
يا نار قلبي من نار لحرب وغى * شبت عليه ووافى الربع اعصار

ثم أمرهم ببناء مثلها بالعراق فبنوها بالنهروان بالقرب من بادرايا ثم لما حمل السبي اليها انطلق كل واحد الى مثل منزله ودكانه لم يتغير عليه شيء وكانت هذه من عجائب أعمال كسرى ويجب على والي البلد من المصالح أن ينظر في تحسينها وتزيينها فيأمر بعمارة ما فيها من خلل وخراب فان الخراب موت والعمارة حياة فينبغي لواضعها ومرتبها أن يفرد كل سوق على حدته حتى لا تجاور الصنائع الخسيسة مع الصنائع النفيسة وان كانت المدينة كبيرة فلا بد من تفرقة بائع الطعام على مواضع كثيرة لان الحاجة اليه متكررة فيشق على أهلها التردد الى ذلك ويتقدم بأن تكون أرباب الصناعات القذرة في أطراف البلد بعزل عن المواضع المتوسطة منها وذلك مثل المسالخ والمدابغ ومسابك الزجاج والحديد وأتاتين الجير والآجر وعمل الصابون وما أشبه ذلك وينظر في توسعة رحابها وتعلية سباطاتها وسقائفها ولا يمكن أحدا من تضييق الطريق واحداث ما يضر بالمارة ويولي الحسبة لمن يثق بدينه وأمانته وهيبته فينظر في أمر الموازين والمكاييل ويضبط أمور الرعية من الباعة وأصناف السوقة ولا يمكنهم من ظلم أحد ويعاقب من اطلع له على غش أو وكس وينظر في تنظيف الطرق والرحاب من الاوساخ والاقذار ان كانت من بيت المبال والاقنية فيأمر كل قوم باصلاح ما يليهم ويتفقد حال المياه وصيانتها ولا يمكن من افسادها بالاوراث ولا بالمصبات والقنوات والاسراب لان الماء

علا الصليب على أعلى منابرها * وقام بالامر من يحـويه زنار
وكم حريم سبتـه الترك غاصبة * وكان من دون ذاك الستر أستار
وكم بدور على البدرية انخسفت * ولم يعـد لبـدور منـه ابدار
وكم ذخائر أضحت وهي شائعة * من النهاب وقـد حازته كـفار
وكم حدود أقيمت من سيوفهم * على الرقاب وحطت فيـه اوزار
ناديت والسبي مهتوك تجرهم * الى السفاح من الاعـداء دعار

ولما فرغ هلاكو من قتل الخليفة واهل بغـداد واقام على العراق نوابه وكان ابن العلقمي حسن لهم ان يقيموا خليفة علويا فلم يوافقوه واطرحوه وصار معهم في صورة بعض الغلمان ومات كمدا لا رحمـه الله ولا عفا عنـه ثم أرسـل هلاكو الى الناصر صاحب دمشق كتابا صورته يعـلم السلطان ملك ناصر طال بقاؤه انه لما توجهنا الى العراق وخرج الينا جنودهم فقتلناهم بسـيف الله ثم خرج الينا رؤساء البلـد ومقدموها فكان قصارى كلامهم سببا لهلاك نفوس تستحق الاهلاك وأما ما كان من صاحب البلدة فانه خرج الى خدمتنا ودخل تحت عبوديتنا فسألناه عن أشـياء كذبنا فيها فاستحق الاعـدام وكان كذبه ظاهرا ووجـدوا ما عملوا حاضرا أجب ملك البسيطة ولا تقولن قلاعي المانعات ورجالي المقاتلات وقد بلغنا ان شـذرة من العسكر التجأت اليك هاربة والى جنابك لائذة

أين المفر ولا مفر لهارب * ولنا البسيطان الثرى والماء

فساعة وقوفك على كتابنا تجعل قلاع الشام سماءها أرضا وطولها عرضا والسـلام ثم أرسل له كتابا ثانيا يقول فيه خدمة ملك ناصر طال عمره أما بعد فانا فتحنا بغداد واستأصلنا ملكها وملكها وكان قد ظن وقد فتن بالاموال ولم ينافس في الرجال ان ملكه يبقى على ذلك الحال وقد علا ذكره ونمى قدره فخسف في الكمال بدره شعر

اذا تم أمر بدا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم

ونحن في طلب الازدياد عـلى ممـر الآباد فلا تكن كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم وأبد ما في نفسك اما امساك بمعروف أو تسريح باحسان أجب دعوة ملك البسـيطة تأمن شره وتنال بره واسع اليـه باموالك ورجالك ولا تعوق رسلنا والسلام ثم أرسل اليه كتابا ثالثا يقول فيـه اما بعد فنحن جنود الله بنا ينتقم ممن عتا وتجبر وطـغى وتكبر وبامر الله ما ائتمر ان عوتب تمـر وان روجـع استمر ونحن قـد اهلكنا البـلاد وأبدنا العباد وقتلنا النسوان والاولاد فيا أيهـا الباقون انتم بمن مضى لاحقون ويا أيها الغافـلون انتم اليهم تساقون ونحن جيوش الهلكة لا جيوش الملكة مقصودنا الانتقام وملكنا لا يرام ونزيلنا لا يضام وعـدلنا في ملكنا قد اشتهر ومن سـيوفنا اين المفر

أين المفـر ولا مفـر لهارب * ولنا البسيطان الثرى والماء
ذلت لهيبتنا الاسود وأصبحت * في قبضتي الامراء والخلفاء

ونحن اليكم صائرون ولكم الهرب وعلينا الطلب

ستعلم ليلى أي دين تداينت * وأي غريم بالتقاضي غريمها

دمرنا البلاد وايتمنا الاولاد واهلكنا العباد واذقناهم العذاب وجعلنا عظيمهم صـغيرا واميرهم اسيرا تحسـبون انكم منا ناجون أو متخلصون وعن قليل سوف تعلمون على ما تقـدمون وقد أعذر من انذر ثم دخلت سنة سبع وخمسين والدنيا بلا خليفة وفيها نزل التتار على آمد وكان صاحب مصر المنصور على بن المعز صبيا واتابكه الامير سـيف الدين قطز المعزى مملوك أبيـه وقدم الصاحب كمال الدين العديم اليهم رسولا يطلب النجدة على التتار فجمع قطز الامراء والاعيان فحضر الشـيخ عز الدين بن عبد السـلام وكان المشار اليه في

مادة الحياة فاذا فسد فسدت الاجسام (١٩٠) لما يكسبها من الامراض وتتغير الانفس والاخلاق على ما يذكره أرباب الطب والطبائع ويتبع فساد الماء فساد الابخرة والاهوية المحيطة بالاجسام ويتقدم باصلاح القناطر وفتح المسالك وحفظ ظواهرها وضواحيها وأمن مسالكها من القطاع والسراق كل هـذا من الحقوق اللازمة على الملوك في مدنهم ويتقـدم باصـلاح المساجد وعمـاراتها والقيام برواتبها ومصالح قـومتها ومجالس الذكر وينظـر في فنادق السـبيل وبنيـه والبيمارستان ومنازل الفقراء ويتقدم باصـلاح ما فسـد وتجديد ما دسر ويتفقد حال الضعفاء والفقراء والعاجزين عن التكسب والبطالـين فيفرض لهم ما يقوم باودهم كل هـذا بعد ترتيب الولاة وتقليد الكفاة مثل القاضي والوالي والمحتسب وعـرفاء الاسواق وأمناء الصناعات والمقدمين وشيوخ الدروب وأصحاب الارباع كل ذلك من ضوابط البلـد ولوازمها

(الباب السادس في حفظ الثغور والقـلاع وما يجب من أمورها)

قد ورد في الرباط والمثاغرة من الفضل والثواب ما يطول بشرحـه الـكتاب * في البخاري عن سهل بن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيـل الله خـير من الدنيا وما عليهـا وذكر باقي الحديث * وفي الترمذي عن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطا في سبيل الله فانه ينمو عمله الى يوم القيامة * والذي يجب

الـكلام

الكلام فقال الشيخ عز الدين اذا طرق العدو البلاد وجب على العالم كلهم قتالهم وجاز أن يؤخذ من الرعية ما يستعان به على جهازهم بشرط ان لا يبقى في بيت المال شئ وان تبيعوا مالكم من الحوائص والا لات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه وتتساووا في ذلك أنتم والعامة وأما أخذ أموال العامة مع بقاء ما في أيدي الجند من الاموال والا لات الفاخرة فلا ثم بعد أيام يسيرة قبض قطز على ابن أستاذه المنصور وقال هذا صبي والوقت صعب ولا بد من أن يقوم رجل شجاع ينتصب للجهاد وتسلطن قطز ولقب بالملك المظفر ثم دخلت سنة ثمان وخمسين والوقت أيضا بلا خليفة وفيها قطع التتار الفرات ووصلوا الى حلب وبذلوا السيف فيها ثم وصلوا الى دمشق وخرج المصريون في شعبان متوجهين الى الشام لقتال التتار فاقبل المظفر بالجيوش وشاليشه ركن الدين بيبرس البندقداري فالتقوا هم والتتار عند عين جالوت ووقع المصاف وذلك يوم الجمعة خامس عشر رمضان فهزم التتار شر هزيمة وانتصر المسلمون ولله الحمد وقتل من التتار مقتلة عظيمة وولوا الادبار وطمع الناس فيهم يتخطفونهم وينهبونهم وجاء كتاب المظفر الى دمشق بالنصر فطار الناس فرحا ثم دخل المظفر الى دمشق مؤيدا منصورا واحبه الخلق غاية المحبة وساق بيبرس وراء التتار الى بلاد حلب وطردهم عن البلاد ووعده السلطان بحلب ثم رجع عن ذلك فتأثر بيبرس من ذلك وكان ذلك مبدأ الوحشة وكان المظفر عزم على التوجه الى حلب لينظف آثار البلاد من التتار فبلغه أن بيبرس تنكر له وعمل عليه فصرف وجهه عن ذلك ورجع الى مصر وقد أضمر الشر لبيبرس وأسر ذلك الى بعض خواصه فاطلع على ذلك بيبرس فسار والى مصر وكل منهما محترس من صاحبه فاتفق بيبرس وجماعة من الامراء على قتل المظفر فقتلوه في الطريق في ثالث عشر شهر ذي القعدة وتسلطن بيبرس ولقب بالملك القاهر ودخل مصر وأزال عن أهلها ما كان المظفر قد أحدثه عليهم من المظالم وأشار عليه الوزير زين الملة والدين ابن الزبير بان يغير هذا اللقب وقال ما لقب به أحد فافلح لقب به القاهر بن المعتضد فخلع بعد قليل وسمل ولقب به القاهر بن صاحب الموصل فسم فابطل السلطان هذا اللقب وتلقب بالملك الظاهر ثم دخلت سنة تسع وخمسين والوقت أيضا بلا خليفة الى رجب فاقيمت بمصر الخلافة وبويع المستنصر كما سنذكره وكان مدة انقطاع الخلافة ثلاث سنين ونصفا وممن مات في أيام المستعصم من الاعلام الحافظ تقي الدين الصريفيني والحافظ أبو القاسم بن الطيلسان وشمس الائمة الكردري من كبار الحنفية والشيخ تقي الدين ابن الصلاح والعلم السخاوي والحافظ محب الدين بن النجار مؤرخ بغداد ومنتجب الدين شارح المفصل وابن يعيش النحوي وأبو الحجاج الاقصري الزاهد وأبو علي الشلوبيني النحوي وابن البيطار صاحب المفردات والعلامة جمال الدين بن الحاجب امام المالكية وأبو الحسن بن الدباج النحوي والقفطي صاحب تاريخ النحاة وأفضل الدين الخونجي صاحب المنطق والازدي صاحب (البياض في الاصل) والحافظ يوسف بن خليل والبهاء بن بنت الجميزي والجمال بن عمرون النحوي والرضي الصغاني اللغوي صاحب العباب وغيره والكمال عبد الواحد الزملكاني صاحب المعاني والبيان واعجاز القرآن والشمس الخسرو شاهي والمجد بن تيمية ويوسف سبط بن الجوزي صاحب مرآة الزمان وابن باطيش من كبار الشافعية والنجم البادرائي وابن أبي الفضل المرسي صاحب التفسير وخلائق آخرون

(فصل) ومات في مدة انقطاع الخلافة من الاعلام الزكي عبد العظيم المنذري والشيخ أبو الحسن الشاذلي شيخ الطائفة الشاذلية وشعلة المقرئ والفاسي شارح الشاطبية وسعد الدين بن العربي الشاعر والصرصري الشاعر وابن الابار مؤرخ الاندلس وآخرون

(المستنصر بالله أحمد)

المستنصر بالله أحمد أبو القاسم بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد قال الشيخ قطب الدين كان محبوسا ببغداد فلما أخذت التتار بغداد أطلق فهرب وصار الى عرب العراق فلما تسلطن الملك الظاهر

على الملك الفاضل أن يصرف معظم عنايته الى حفظ الثغور وضبطها فان من أهمل ذلك دخل على ملكه ورعيته الخلل والهلاك وكان بعض ملوك الفرس يقول لحاجبه لا تحجب عني رسول الثغر وان كنت نائما أيقظني ليلا أو نهارا * وليكثر في الثغر من الشجعان وذوي البصائر في القتال وأهل الحمية والانفة والدين المتين فبمثل هؤلاء تصان الثغور ثم يكثر لهم الدروع والخوذ والرماح والسيوف والقسي والجروخ والدرق والتراس وجميع آلات الحرب والزيارات والمجانيق ويرتب الحراس على الابراج والحفاظ للشرفات ليلا ونهارا ويحتاط في فتح الابواب وفي غلقها فلا يكون في وقت الغلس ولا يهمل أمر ظواهر البلد وضواحيه من المطالع وأرصاد العيون من جهة العدو لئلا يهجم عليه ويطرق ثغره وهو غافل ثم يوسع في نفقاتهم ويدخر أقواتهم ويزيح أعذارهم في ذلك وكذلك الكسوات وجميع الآلات ويحسن الى واليهم ومقدمهم ويرفع قدرهم ويؤلف بين كلمتهم على المصالح العائدة نفعها في حراسة ثغرهم وحفظه * كان كسرى أنوشروان لا يولي الثغور الا من جاوز الاربعين من ذوي الشهامة والرأي والشجاعة والحمية ويخلع عليهم في كل سنة مرتين ليعلم مكانتهم عنده فتنفذ أوامرهم وخلعته كسوة تامة وسلاح تام وقوس وعلم وخيمة وينبغي أن يتفقد السلاح في كل سنة فيرم منه ما تشعث ويجدد ما عتق ويعوض ما نقص وكذلك جميع

بيبرس وفد عليه في رجب ومعه عشرة من بني مهارش فركب السلطان للقائه ومعه القضاة والدولة فشق القاهرة ثم أثبت نسبه على يد قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز ثم بويع بالخلافة فأول من بايعه السلطان ثم قاضي القضاة تاج الدين ثم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم الكبار على مراتبهم وذلك في ثالث عشر رجب ونقش اسمه على السكة وخطب له ولقب بلقب أخيه وفرح الناس وركب يوم الجمعة وعليه السواد الى جامع القلعة وصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس ودعا فيها للسلطان وللمسلمين ثم صلى بالناس ثم رسم بعمل خلعة لخليفة السلطان وبكتابة تقليد له ثم نصب خيمة بظاهر القاهرة وركب المستنصر بالله والسلطان يوم الاثنين رابع شعبان الى الخيمة وحضر القضاة والامراء والوزير فألبس الخليفة السلطان الخلعة بيده وطوقه ونصب منبر فصعد عليه فخر الدين بن لقمان فقرأ التقليد ثم ركب السلطان بالخلعة ودخل من باب النصر وزينت القاهرة وحمل الصاحب التقليد على رأسه راكبا والامراء مشاة ورتب السلطان للخليفة أتابكا واستادارا وشرابيا وخزندارا وحاجبا وكاتبا وعين له خزانة وجملة مماليك ومائة فرس وثلاثين بغلا وعشرة قطارات جمال الى أمثال ذلك قال الذهبي ولم يل الخلافة أحد بعد ابن أخيه الا هذا والمقتفي واما صاحب حلب الامير شمس الدين أقوش فانه أقام بحلب خليفة ولقبه الحاكم بأمر الله وخطب له ونقش اسمه على الدراهم ثم ان المستنصر هذا عزم على التوجه الى العراق فخرج معه السلطان يشيعه الى ان دخلوا دمشق ثم جهز السلطان الخليفة وأولاد صاحب الموصل وغرم عليه وعليهم من الذهب ألف ألف دينار وستة وستين ألف درهم فسار الخليفة ومعه ملوك الشرق وصاحب الموصل وصاحب سنجار والجزيرة فاجتمع به الخليفة الحلبي الحاكم ودان له ودخل تحت طاعته ثم سار ففتح الحديثة ثم هيت فجاءه عسكر من التتار فتصافوا له فقتل من المسلمين جماعة وعدم الخليفة المستنصر فقيل قتل وهو الظاهر وقيل سلم وهرب فأضمرته البلاد وذلك في الثالث من المحرم سنة ستين فكانت خلافته دون ستة أشهر وتولى بعده بسنة الحاكم الذي كان بويع بحلب في حياته

(الحاكم بأمر الله أبو العباس)

الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبي علي الحسن القبي بضم القاف وتشديد الباء الموحدة ابن علي بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله كان اختفى وقت أخذ بغداد ونجا ثم خرج منها وفي صحبته جماعة فقصد حسين بن فلاح أمير بني خفاجة فأقام عنده مدة ثم توصل مع العرب الى دمشق وأقام عند الامير عيسى ابن مهنا مدة فطالع به الناصر صاحب دمشق فأرسل يطلبه فبغته مجيء التتار فلما جاء الملك المظفر دمشق سير في طلبه الامير قلج البغدادي فاجتمع به وبايعه بالخلافة وتوجه في خدمته جماعة من أمراء العرب فافتتح الحاكم غانة والحديثة وهيت والانبار وصاف التتار وانتصر عليهم ثم كاتبه علاء الدين طيبرس نائب دمشق يومئذ والملك الظاهر يستدعيه فقدم دمشق في صفر فبعثه الى السلطان وكان المستنصر بالله قد سبقه بثلاثة أيام الى القاهرة فما رأى ان يدخل اليها وخاف ان يمسك فرجع الى حلب فبايعه صاحبها ورؤساؤها منهم عبد الحليم ابن تيمية وجمع خلقا كثيرا وقصد غانة فلما رجع المستنصر وافاه بغانة فانقاد الحاكم له ودخل تحت طاعته فلما عدم المستنصر في الوقعة المذكورة في ترجمته قصد الحاكم الرحبة وجاء الى عيسى بن مهنا فكاتب الملك الظاهر بيبرس فيه فطلبه فقدم الى القاهرة ومعه ولده وجماعة فأكرمه الملك الظاهر وبايعوه بالخلافة وامتدت ايامه وكانت خلافته نيفا وأربعين سنة وأنزله الملك الظاهر بالبرج الكبير بالقلعة وخطب بجامع القلعة مرات قال الشيخ قطب الدين في يوم الخميس ثامن المحرم سنة احدى وستين جلس السلطان مجلسا عاما وحضر الحاكم بأمر الله راكبا الى الايوان الكبير بقلعة الجبل وجلس مع السلطان وذلك بعد ثبوت نسبه فأقبل عليه السلطان وبايعه بامرة المؤمنين ثم أقبل هو على السلطان وقلده الامور ثم بايعه الناس على طبقاتهم فلما كان من الغد يوم الجمعة خطب خطبة ذكر فيها الجهاد والامامة وتعرض الى ماجرى من هتك حرمة الخلافة ثم قال

الآلات ويتفقد أهل الثغر بالكسوات والنفقات ويرتب لهم الاطباء والجراحين وما يحتاجون اليه من الادوية والاشربة والذخائر من سائر الاصناف ويحذر كل الحذر أن يكسر لهم جامكية شهر على شهر فيدخل عليه الخلل ويفسد حال أهل الثغر ويعملون عليه الانكاد

(الباب السابع في الحروب والمصافات وتعبئة العساكر وما ينبغي لاهلها ولائمها وصفة المصاف)

الحروب هي عوارض من حوادث الزمان كالامراض كان الامن والسلامة كالصحة للاجساد فيجب حفظ الصحة بالامور السياسية ودفع المرض بالامور الحربية والاشتغال بحفظ الصحة حتى لا يؤدي الى مرض أولى من اهمال ذلك وأحزم الملوك من لم يلتمس أمر عدوه بالقتال ما وجد الى غيره سبيلا فان النفقة في القتال من الانفس والارواح وهي غير مستخلفة وفي غيره النفقة من الاموال والاعمال والعلوم فليكن أمر السائس على ما ذكرناه * قال معاوية بن أبي سفيان اني لا أضع سيفي في موضع يقوم فيه سوطي مقامه ولا أضع سوطي في موضع يقوم فيه كلامي مقامه والاقدام على الحروب يكون لسبعة أغراض أولها الانشاء دولة والثاني لتقرير دولة نشأت والثالث وثوب دولة عادلة على دولة جائرة وهو قتال البغاة والخوارج والرابع حرب بين أهل الملتين وهو الغزو والخامس ضم دولة ومملكة الى دولة أخرى كانتا عادلتين أو جائرتين والسادس وهذا

وهذا السلطان الملك الظاهر قد قام بنصر الامامة عنـد قلة الانصار وشرد جيوش الكفر بعـد ان جاسوا خلال الديار وأول الخطبة الحمـد لله الذى أقام لآل العباس ركنا وظهيرا ثم كتب بدعوته الى الآفاق وفى هذه السنة وبعدها تواتر مجيء جماعة من التتار مسلمين مستأمنين فاعطوا الاخباز اوارزاقا فكان ذلك مبدأ كفاية شرهم وفى سـنة اثنتين وستين فرغت المدرسة الظاهرية بين القصرين وولى بها تدريس الشافعية التقى بن رزين وتدريس الحديث الشرف الدمياطى وفيها زلزلت مصر زلزلة عظيمة وفى سـنة ثلاث وستين انتصر سلطان المسلمين بالاندلس أبو عبـد الله بن الاحمر على الفرنج واسترجع من أيديهم اثنين وثلاثين بلدا من جملتها اشبيلية ومرسية وفيها كثر الحريق بالقاهرة فى عدة مواضع ووجد اللفائف فيها النار والكبريت على الاسطحة وفيها حفر السلطان بحر أشمون وعمـل فيه بنفسه والامراء وفيها مات طاغية التتار هلاكو وملك بعده ابنه ابغا وفيها سلطن السلطان ولده الملك السعيد وعمره أربع سنين وركبه بابهة الملك فى قلعة الجبل وحمل الغاشية بنفسه بين يدى ولده من باب السر الى باب السلسلة ثم عاد وركب السعيد الى القاهرة والامراء مشاة بين يديه وفيها جدد بالديار المصرية القضاة الاربعة من كل مذهب قاض وسبب ذلك توقف القاضى تاج الدين بن بنت الاعز عن تنفيذ كثير من الاحكام وتعطلت الامور وأبقى للشافعى النظر فى أموال الايتام وأمور بيت المال ثم فعل ذلك بدمشق وفى رمضان منها سجن السلطان الخليفة ومنعه الناس لكون أصحابه كانوا يخرجون الى البلد ويتكلمون فى أمر الدولة وفى سنة خمس وستين وستمائة أمر السلطان بعمل الجامع بالحسينية وتم فى سنة سبع وستين وقرر له خطيب حنفى وفى سـنة أربع وسبعين وجه السلطان جيشا الى النوبة ودنقلة فانتصروا وأسر ملك النوبة وأرسـل به الى الملك الظاهر ووضعت الجزية على أهل دنقـلة ولله الحمد قال الذهبى وأول ما غزيت النوبة فى سـنة احدى وثلاثين من الهجرة غزاها عبـد الله بن أبى سرح فى خمسة آلاف فارس ولم يفتحها فهادنهم ورجع ثم غزيت فى زمن هشام ولم تفتح ثم فى زمن المنصور ثم غزاها تكين الزنكى ثم كافور الاخشيدى ثم ناصر الدولة ابن حمدان ثم نوران شاه أخو السلطان صلاح الدين فى سنة ثمانية وستين وخمسمائة ولم تفتح الى هذا العام وقال فى ذلك ابن عبد الظاهر

هذا هو الفتح لا شئ سمعت به * فى شاهد العين لا ما فى الاسانيد

وفى سنة ست وسبعين مات الملك الظاهر بدمشق فى المحرم واستقل ابنه الملك السعيد محمد بالسلطنة وله ثمان عشرة سنة وفيها جمع التقى بن رزين بين قضاء مصر والقاهرة وكان قضاء مصر قبـل ذلك مفردا عن قضاء القاهرة ثم لم يفرد بعـد ذلك قضاء مصر عن قضاء القاهرة وفى سـنة ثمان وسبعين خلع الملك السعيد من السلطنة وسير الى الكرك سلطانا بها فمات من عامه وولوا مكانه بمصر أخاه بدر الدين سلامش وله سبع سـنين ولقبوه بالملك العادل وجعلوا أتابكه الامير سيف الدين قلاوون (قلاووز) وضرب السكة باسمه على وجه وباسم أتابكه على وجه ودعى لهما فى الخطبة ثم فى رجب نزع سلامش من السلطنة بغـير نزاع وتسلطن قلاوون ولقب بالملك المنصور وفى سـنة تسع وسبعين يوم عرفة وقع بديار مصر برد كبار وصواعق وفى سـنة ثمانين وصل عسكر التتار الى الشام وحصل الرجيف فخرج السلطان لقتالهم ووقع المصاف وحصـل مقتلة عظيمة ثم حصل النصر للمسلمين ولله الحمد وفى سنة ثمان وثمانين أخذ السلطان طرابلس بالسيف وكانت فى أيدى النصارى من سنة ثلاث وخمسمائة الى الآن وكان أول فتحها فى زمن معاوية وأنشأ التاج بن الاثير كتابا بالبشارة بذلك الى صاحب اليمن يقول فيـه وكانت الخلفاء والملوك فى ذلك الوقت ما فيهم الا من هو مشغول بنفسه مكب على مجلس أنسه يرى السلامة غنيمة واذا عن له وصف الحرب لم يسـئل الا عن طرق الهزيمة قد بلغ أمله من الرتبـة وقنع بالسكة والخطبة أموال تنهب وممالك تذهب لا يبالون بما سلبوا وهم كما قيل

ان قاتلوا قتلوا أو طاردوا طردوا * أو حاربوا حربوا أو غالبوا غلبوا

حروب فتنة وسلب من غير تقرير ملك ولا نظام أمر ولا تحيز الى فئة والسابع حروب تقع بين القبائل وأهل العصيان على أسباب ضعيفة المبنى مجهولة الغرض مثل الحروب المتقدمة فى الجاهلية على فرس أو ناقة وحروب أهل الجبال والكرد والتركمان ولكل واحد من هذه الحروب قوانين وصفات وأوضاع نشرح منها ما يمكن الاختصار فيه فى صفة حروب الغزاة والخوارج والبغاة

(فصل) والذى يجب تقديمه ان الملك أو والى الحرب يجب أن يتخير ذوى الشجاعة والحمية وأهل الدين والعصبية فيوظف لهم الوظائف ويوسع عليهم النفقات ويحسن اليهم بما يقوم بصالح شأنهم ونفقاتهم لعيالهم ودوابهم والقيام بصالح خدمهم واتباعهم وسلاحهم وكراعهم ثم يؤمر عليهم من أهل لغتهم من جادت سياسته وحسنت سيرته وأمنت غائلته ثم يزيد تقديمه واحسانه لمن ظهرت شهامته ورجحت بسالته وكان صبره وثباته أكثر من تهوره واقدامه فان ذوى الجرأة والاقدام يتورطون فى المهالك والاهوال فيجب أن يكونوا تابعين لا متبوعين قال المتنبى

الرأى قبل شجاعة الشجعان
هو أول وهى المحل الثانى
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة
بلغت من العلياء كل مكان

وينبغى للملك أن ينصب لاهل الحرب قصاصا وخطباء يذكرونهم الحرب والوقائع الماضية والغزوات السالفة ومواقع الشجعان ومصارع الفرسان وما أعد الله للشهداء

الى أن أوجده الله من نصر دينه وأذل الكفر وشياطينه وذكر بعضهم ان معنى طرابلس باللسان الرومي ثلاث حصون مجتمعة وفي سنة تسع وثمانين مات السلطان قلاوون في ذي القعدة وتسلطن ابنه الملك الاشرف صلاح الدين خليل فنوه بأمر الخليفة وكان خاملا في أيام أبيه حتى ان أباه لم يطلب منه تقليدا بالملك فخطب الخليفة بالناس يوم الجمعة وذكر في خطبته توليته للملك الاشرف أمر الاسلام ولما فرغ من الخطبة صلى بالناس قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ثم خطب الخليفة مرة أخرى خطبة جهادية وذكر بغداد وحرض على أخذها وفي سنة احدى وتسعين سافر السلطان فحاصر قلعة الروم وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة قتل السلطان بتروجة وسلطنوا أخاه محمد بن المنصور ولقب الملك الناصر وله يومئذ تسع سنين ثم خلع في المحرم سنة أربع وتسعين وتسلطن كتبغا المنصوري وتسمى بالملك العادل وفي هذه السنة دخل في الاسلام قازان بن ارغون بن أبغا بن هلاكو ملك التتار وفرح الناس بذلك وفشا الاسلام في جيشه وفي سنة ست وتسعين وستمائة كان السلطان بدمشق فوثب لاجين على السلطنة وحلف له الامراء ولم يختلف عليه اثنان ولقب الملك المنصور وذلك في صفر وخلع عليه الخليفة الخلعة السوداء وكتب له تقليدا وسير العادل الى صرخد نائبا بها ثم قتل لاجين في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وأعيد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون وكان منفيا بالكرك فقلده الخليفة وسير العادل الى حماة نائبا بها فاستمر الى ان مات سنة اثنتين وسبعمائة وفي سنة احدى وسبعمائة توفي الخليفة الحاكم الى رحمة الله ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى وصلى عليه العصر بسوق الخيل تحت القلعة وحضر جنازته الدولة والاعيان كلهم مشاة ودفن بقرب السيدة نفيسة وهو أول من دفن منهم هناك واستمر مدفنهم الى الآن وكان عهد بالخلافة لولده ابن الربيع سليمان وممن مات في أيام الحاكم من الاعلام الشيخ عز الدين بن عبد السلام والعلم اللورقي وأبو القاسم القباري الزاهد والزين خالد النابلسي والحافظ أبو بكر بن سدي والامام أبو شامة والتاج ابن بنت الاعز وأبو الحسن بن عدلان ومجد الدين بن دقيق العيد وأبو الحسن بن عصفور النحوي والكمال سلار الاربلي وعبد الرحيم بن يونس صاحب التعجيز والقرطبي صاحب التفسير والتذكرة والشيخ جمال الدين بن مالك وولده بدر الدين والنصير الطوسي رأس الفلاسفة وخاصة التتار والتاج بن السباعي خازن المستنصرية والبرهان ابن جماعة والنجم الكاتبي المنطقي والشيخ محيي الدين النووي والصدر سليمان امام الحنفية والتاج بن ميسر المؤرخ والكواشي المفسر والتقي بن رزين وابن خلكان صاحب وفيات الاعيان وابن اياز النحوي وعبد الحليم بن تيمية وابن جعوان وناصر الدين بن المنير والنجم بن البارزي والبرهان النسفي صاحب التصانيف في الخلاف والكلام والرضي الشاطبي اللغوي والجمال الشريشي والنفيسي شيخ الاطباء وأبو الحسين بن الربيع النحوي والاصبهاني شارح المحصول والعفيف التلمساني الشاعر المنسوب الى الحاد والتاج بن الفركاح والزين بن المرحل والشمس الجوني والعز الفاروقي والمحب الطبري والتقي بن بنت الاعز والرضي القسطنطيني والبهاء بن النحاس النحوي وياقوت المستعصمي صاحب الخط المنسوب وخلائق آخرون

(المستكفي بالله أبو الربيع)

المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ولد في نصف المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة واشتغل قليلا وبويع بالخلافة بعهد من أبيه في جمادى الاولى سنة احدى وسبعمائة وخطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية وسارت البشارة بذلك الى جميع الاقطار والممالك الاسلامية وكانوا يسكنون بالكبش فنقلهم السلطان الى القلعة وأفرد لهم دارا وفي سنة اثنتين هجم التتار الشام فخرج السلطان ومعه الخليفة لقتالهم فكان النصر عليهم وقتل من التتار مقتلة عظيمة وهرب الباقون وفيها زلزلت مصر والشام زلزلة عظيمة

أهل الحرب قال الله تعالى يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال وقد كان عليه السلام يعزم على حرب الا ويخطب أصحابه وكذلك الصحابة والتابعون * وان خرج الملك بنفسه الى الحرب فليبعث الجواسيس ويحقق أمر العدو وما هو عليه ليقدم على خبرة وبصيرة فاذا فهم أمر عدوه واطلع على كنه حاله ومدار سياسته وتدبيره فليقابل ذلك بما يقتضيه وان أمكنه السعي في تفريق كلمة أصحابه فليجتهد في ذلك فهو الاصلح فان عجز عن استصلاحهم أو تفريقهم واقتضى الحال الحرب فليرتب أصحابه وليعبئ جيوشه ويأمر كل أمير بحفظ مركزه وصيانة طلبه ويرتب الطلائع من جهة العدو ويتقدم على تعبيته فاذا قرب اللقاء فلا يهمل أمر الشمس ويجتهد أن تكون في وجه أعدائه وكذلك الريح (كان) النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك في حروبه وقد انتظر زوال الشمس في كثير من غزواته ثم قاتل وان أمكنه أن يتجنب المواضع الكثيرة الغبار والسباخ والمواحل والوعر فعل ويتحرز من قرب المواضع التي يتوقع منها خروج الكمين الا بعد البحث والكشف فان الكمين وان قل عدده اذا خرج على عسكر كثير بدده * ويجب على الملك قبل الحرب الفحص عن الارض ومكامنها وحفائرها

هلك

هلك منها خلق تحت الهدم وفي سنة أربع أنشأ الامير بيبرس الجاشنكير المنصوري الوظائف والدروس بجامع الحاكم وجدده بعد خرابه من الزلزلة وجعل القضاة الاربعة مدرسي الفقه وشيخ الحديث سعد الدين الحارثي وشيخ النحو أبا حيان وفي سنة ثمان خرج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قاصدا الحج فخرج من مصر في شهر رمضان المعظم وخرج معه جماعة من الامراء لتوديعه فردهم فلما اجتاز بالكرك عدل اليها فنصب له الجسر فلما توسطه انكسر به فسلم من كان قدامه وقفز به الفرس فنجا وسقط من وراءه فكانوا خمسين فمات أربعة وتهشم أكثرهم في الوادي تحته وأقام السلطان بالكرك ثم كتب كتابا الى الديار المصرية يتضمن عزل نفسه عن المملكة فاثبت ذلك على القضاة بمصر ثم نفذ على قضاة الشام وبويع الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير بالسلطنة في الثالث والعشرين من شهر شوال ولقب الملك المظفر وقلده الخليفة وألبسه الخلعة السوداء والعمامة المدورة ونفذ التقليد الى الشام في كيس أطلس أسود فقرئ هناك وأوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ثم عاد الملك الناصر في رجب سنة تسع يطلب عوده الى الملك ومالأه على ذلك جماعة من الامراء فدخل دمشق في شعبان ثم دخل مصر يوم عيد الفطر وصعد القلعة وكان المظفر بيبرس فر في جماعة من أصحابه قبل قدومه بأيام ثم أمسك وقتل من عامه وقال العلاء الوداعي في عود الناصر الى الملك شعرا

الملك الناصر قد أقبلت * دولته مشرقة الشمس
عاد الى كرسيه مثل ما * عاد سليمان الى الكرسي

وفي هذه السنة تكلم الوزير في اعادة أهل الذمة الى لبس العمائم البيض وانهم قد التزموا للديوان بسبعمائة ألف دينار كل سنة زيادة على الجالية فقام الشيخ تقي الدين بن تيمية في ابطال ذلك قياما عظيما وبطل ولله الحمد وفيها أظهر ملك التتار خربندا الرفض في بلاده وأمر الخطباء ان لا يذكروا في الخطبة الا علي بن أبي طالب وولديه وأهل البيت واستمر ذلك الى أن مات سنة ست عشرة وولي ابنه أبو سعيد فأمر بالعدل وأقام السنة والترضي عن الشيخين ثم عثمان ثم علي في الخطبة وسكن كثير من الفتن ولله الحمد وكان هذا من خير ملوك التتار وأحسنهم طريقة واستمر الى أن مات سنة ست وثلاثين ولم يقم لهم من بعده قائمة بل تفرقوا شذر مذر وفي سنة سبع عشرة زاد النيل زيادة كثيرة لم يسمع بمثلها وغرق منها بلاد كثيرة وناس كثيرون وفي سنة أربع وعشرين زاد النيل أيضا كذلك ومكث على الارض ثلاثة أشهر ونصفا وكان ضرره أكثر من نفعه وفي سنة ثمان وعشرين عمرت سقوف المسجد الحرام بمكة والابواب وظاهره مما يلي باب بني شيبة وفي سنة ثلاثين أقيمت الجمعة بايوان الشافعية من المدرسة الصالحية بين القصرين وذلك أول ما أقيمت بها وفيها فرغ من الجامع الذي أنشأه قوصون خارج باب زويلة وخطب به وحضره السلطان والاعيان وباشر الخطابة يومئذ قاضي القضاة جلال الدين القزويني ثم استقر في خطابته فخر الدين بن شكر وفي سنة ثلاث وثلاثين أمر السلطان بالمنع من رمي البندق وان لا تباع قسيه ومنع المنجمين وفيها عمل السلطان للكعبة بابا من آبنوس عليه صفائح فضة زنتها خمسة وثلاثون ألفا وثلثمائة وكسر وقلع الباب العتيق فأخذه بنو شيبة بصفائحه وكان عليه اسم صاحب اليمن وفي سنة ست وثلاثين وقع بين الخليفة والسلطان أمر فقبض على الخليفة واعتقله بالبرج ومنعه من الاجتماع بالناس ثم نفاه في ذي الحجة سنة سبع الى قوص هو وأولاده وأهله ورتب لهم ما يكفيهم وهم قريب من مائة نفس فانا لله وانا اليه راجعون واستمر المستكفي بقوص الى ان مات بها في شعبان سنة أربعين وسبعمائة ودفن بها وله بضع وخمسون سنة قال ابن حجر في الدرر كان فاضلا جوادا حسن الخط جدا شجاعا يعرف بلعب الاكرة ورمي البندق وكان يجالس العلماء والادباء وله عليهم افضال ومعهم مشاركة وكان بطول مدته يخطب له على المنابر حتى في زمن حبسه ومدة اقامته بقوص وكان بينه وبين السلطان أولا محبة زائدة وكان يخرج مع السلطان الى السرحات ويلعب معه الكرة وكانا كالاخوين والسبب في الوقيعة بينهما انه رفع اليه قصة عليها خط الخليفة بأن يحضر السلطان بمجلس الشرع

ومخايضها وطرقها ومناهلها ومعاطشها ليكون على بصيرة بمن معه ان كانت الكرة له أو عليه واذا دخل أرض العدو فليتحفظ من المضايق والدربندات فربما أمسكت له أوائلها أو أواخرها أو أوساطها اما وأثناءها فلا يمسكها ويسدها الا الضعيف العاجز الذي غاية مقصوده رد خصمه وكفاية شره وضره فان دعت الضرورة الى ذلك وجاز المضايق بعد كشفها واحاطة العلم بخلوها عمن يحاربه بها فينبغي للملك أن يشحنها بالرجال الانجاد ويتركهم بها يحفظونها الى حين عوده كاسرا أو مكسورا الا أن يكون له مسلك آخر فلا يحتاج اليها ثم يجتهد في دخوله أرض العدو من التهجم على شرب مياه الآبار والغدران والاحواض فربما كانت مسمومة ولذلك علامات يعلم بها من تغير لونه أو طعمه أو ريحه أو صعود دهانة على وجهه كالقشرة أو غليان وحركة تكون فيه فاذا أحكم ذلك وعلمه فليبادر الى المنهل قبل سبق عدوه اليه فيظمأ وربما كان العطش أحد أسباب الهلاك وكذلك يحتفظ بالمناهل اذا كان عوده اليها لئلا يعقبه بعده من يفسدها فاذا عاد وهو ظمآن لا يجدها وكما انه يحترز من قلة المياه وضررها فكذلك يحترز من كثرتها فربما كانت الطريق على سباخ أو أرض رخوة وفتحت المياه اليها فيهلك من توسطها كل هذا ينبغي لوالي الحرب أن يفعله وينظر فيه ويعلم تفاصيله كما يجب على الطبيب تقدمة المعرفة بمواد تفاصيل المرض وأسبابه ومجاريه والعوارض

الشريف فغضب من ذلك وآل الامر الى أن نفاه الى قوص ورتب له على واصل المكارم أكثر مما كان له بمصر قال ابن فضل الله فى ترجمته من المسالك كان حسن الجملة لين الجملة ومن مات فى أيام المستكفى من الاعلام قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد والشيخ زين الدين الفارقى شيخ الشافعية وشيخ دار الحديث وليها بعد وفاة النووى الى الآن ووليها بعده صدر الدين بن الوكيل والشرف الفزارى والصدر بن الزرير بن الخشب والحافظ شرف الدين الدمياطى والضياء الطوسى شارح الحاوى والشمس السروجى شارح الهداية من الحنفية والامام نجم الدين بن الرفعة امام الشافعية فى زمانه والحافظ سعد الدين الحارثى والفخر التوزى محدث مكة والرشيد بن المعلم من كبار الحنفية والاربلى والصدر بن الوكيل شيخ الشافعية والكمال بن الشريشى والتاج التبريزى والفخر بن بنت أبى سعد والشمس بن أبى العز شيخ الحنفية والرضى الطبرى امام مكة والصفى أبو الثناء ومحمود الارموى والشيخ نور الدين البكرى والعلاء بن العطار تلميذ الامام النووى والشمس الاصبهانى صاحب التفسير وشرح مختصر ابن الحاجب وشرح التجريد وغير ذلك والتقى الصائغ المقرى خاتمة مشايخ القراء والشهاب محمود شيخ صناعة الانشاء والجمال بن مطهر شيخ الشيعة والكمال بن قاضى شهبة والنجم القمولى صاحب الجواهر والبحر والكمال بن الزملكانى والشيخ تقى الدين بن تيمية وابن جبارة شارح الشاطبية والنجم البالسى شارح التنبيه والبرهان الفزارى شيخ الشافعية والعلاء القونوى شارح الحاوى والفخر التركمانى من الحنفية شارح الجامع الكبير والملك المؤيد صاحب حماة الذى له تصانيف كثيرة منها نظم الحاوى والشيخ ياقوت العرشى تلميذ الشيخ أبى العباس المرسى والبرهان الجعبرى والبدر بن جماعة والتاج بن الفاكهانى والفتح بن سيد الناس والقطب الحلبى والزين الكتانى والقاضى محيى الدين بن فضل الله والركن بن القوبع والزين بن المرحل والشرف بن البارزى والجلال القزوينى وآخرون

(الواثق بالله ابراهيم)

الواثق بالله ابراهيم بن ولى العهد المستمسك بالله أبى عبد الله محمد بن الحاكم بامر الله أبى العباس أحمد كان جده الحاكم عهد الى ابنه محمد ولقبه المستمسك فمات فى حياته فعهد الى ابنه ابراهيم هذا ظنا انه يصلح للخلافة فرآه غير صالح لها لما هو فيه من الانهماك فى اللعب ومعاشرة الارذال فعدل عنه وعهد الى المستكفى ابنه أعنى ابن الحاكم وهو عم ابراهيم فكان ابراهيم هو السبب فى الوقيعة بين الخليفة المستكفى والسلطان بعد أن كانا كالاخوين لما كان يحمله اليه من النميمة به حتى جرى ما جرى فلما مات المستكفى بقوص عهد الى ابنه أحمد فلم يلتفت السلطان الى ذلك وبايع ابراهيم هذا ولقب بالواثق الى ان حضرت السلطان الوفاة فندم على ما صدر منه وعزل ابراهيم هذا وبايع ولى العهد أحمد ولقب الحاكم وذلك فى أول المحرم سنة اثنتين وأربعين قال ابن حجر راجع الناس السلطان فى أمر ابراهيم هذا ووسموه بسوء السيرة فلم يلتفت الى ذلك ولم يزل بالناس حتى بايعوه وكان العامة يلقبونه المستعطى بالله وقال ابن فضل الله فى المسالك فى ترجمة الواثق عهد اليه جده ظنا أن يكون صالحا أو يجيب داعى الخلافة صالحا فما نشأ الا فى تهتك ولا دان الا ابعد تنسك أغوى بالقاذورات وفعل ما لم تدع اليه الضرورات وعاشر السفلة والاراذل ودان عليه من عرضه ما هو باذل وزين له سوء عمله فرآه حسنا وعمى عليه فلم ير مسيأ الا محسنا وغواه اللعب بالحمام وشرى الكباش للنطاح والديوك للنقار والمنافسة فى المعز الزرائبية الطوال الآذان وأشياء من هذا ومثله مما اسقط المروأة ويثلم الوقار وانضم هذا الى سوء معاملة ومشترى سلع لا يوفى أثمانها واستئجار آدر لا يقوم بأجرها وتحيل على درهم يملأ به كفه وسحت يجمع به فيه وحرام يطعم منه ويطعم حرمه حتى كان عرضة للهوان وأكلة لاهل الاوان فلما توفى المستكفى والسلطان عليه فى حدة غضبه وتيار التحامل عليه فى شدة غلبه طلب هذا الواثق المغتر والمائق الا انه غير المضطر وكان ممن يمشى الى السلطان فى عمه بالنميمة ويعقد مكائده على رأسه عقد التميمة فحضر اليه وأحضر معه عهد جده

التى تتوقع واذاراته قبل علاجه ومداواته (قال) ما جاسب أصل الحرب استشعار الظفر وتقريره فى النفس حتى ان الفريقين اذا استشعروا ذلك اشتدت الحرب وتكافأت فليقل الملك لخواصه واركان جيشه ما يقوى به متنهم ولينصب الوعاظ والمذكرين لخطابتهم بما يقوى به نفوسهم ويشعرهم النصر فيتشجع الجبان وينشط الكسلان وتقوى عزيمة الشجاع واذا كان العدو من أهل الترفه والتنعم كان قتالهم أسهل فيسلط عليهم الاشقياء أهل الجفاء والجوع والتعب فالقليل منهم يبيد الكثير سيما ان أطمعوا بالاستيلاء على أموالهم ونعمهم فان ذلك يزيد فى حرصهم وتسلطهم واذا كانت الحرب بقرب جبل أو بحر أو نهر فانزل اليه أما الجبل فلعلك ان تستظهر به لحصانته وأما النهر فالعطش أو لمنع العدو منه اذا كان النهر فيه مسلك أو مخاضة أو مركب أو قنطرة والا فالبعد عنه وعن البحر أولى لان الاضطرار اليه أحد المهلكين * ومن دخل الى أرض العدو فليكثر من الزاد والماء وان لم يحتج اليه فانه على غرر من عدم حصول شئ منه وقد يضطر الى المقام بها والتوغل فيها واذا رأيت الرقة والضعف من العدو فانظر هل يمكن أن يكون وراءه قوة كمين أم لا ثم اجعل الحملة عليه واصدمه لتحيله عن موضعه واذا أردت جذبه اليك فأضعف فيمسك

فتمسك السلطان فى مبايعته بشبهته وصرف وجه الخلافة الى جهته وكان قد تقدم نقض ذلك العهد ونسخ ذلك العقد وقام قاضى القضاة أبو عمر بن جماعة فى صرف رأى السلطان عن اقامة الخطبة باسم الواثق فلم يفعل واتفق الرأيان على ترك الخطبة للاثنين واكتفى فيها بمجرد اسم السلطان فترحل فرحل بموت المستكفى اسم الخلافة عن المنابر كانه ما علا ذروتها وخلا الدعاء للخلفاء من المحاريب كانه ما قرع بابها ومروتها فكانما كان آخر خلفاء بنى العباس وشعارها عليه لباس الحداد وغمدوا تلك السيوف الحداد ثم لم يزل الامر على هذا حتى حضرت السلطان الوفاة وقرع الموت صفاه فكان مما أوصى به رد الامر الى أهله وامضاء عهد المستكفى لابنه وقال الآن حصحص الحق وحنا على مخلفيه ورق وعزل ابراهيم وهزل وكان قد رعى رعى البهم وستر اللؤم بثياب أهل الكرم وتسمن وشحمه ورم وتسمى بالواثق وأين هو من صاحب هذا الاسم الذى طال ماسرى رعبه فى القلوب وأميت هيبته مضاجع الجنوب وهيهات لا تعد من النسر التماثيل ولا الناموسة وان طال خرطومها كالفيل وانما سوق الزمان قد ينفق ما كسد والهر يحكى انتفاخا صورة الاسد وقد عاد الآن يعض يديه ومن يهن يسهل الهوان عليه هذا آخر كلام ابن فضل الله

(الحاكم بأمر الله أبو العباس)

الحاكم بأمر الله أبو العباس احمد بن المستكفى كان أبوه لما مات بقوص عهد اليه بالخلافة فقدم الملك الناصر عليه ابراهيم بن عمه لما كان فى نفسه من المستكفى وكانت سيرة ابراهيم قبيحة وكان القاضى عز الدين بن جماعة قد جهد كل الجهد فى صرف السلطان عنه فلم يفعل فلما حضرته الوفاة أوصى الامراء برد الامر الى ولى عهد المستكفى ولده أحمد فلما تسلطن المنصور أبو بكر بن الناصر عقد مجلسا يوم الخميس حادى عشر ذى الحجة سنة احدى وأربعين وطلب الخليفة ابراهيم وولى العهد أحمد والقضاة وقال من يستحق الخلافة شرعا فقال ابن جماعة ان الخليفة المستكفى المتوفى بمدينة قوص أوصى بالخلافة من بعده لولده أحمد وأشهد عليه أربعين عدلا بمدينة قوص وثبت ذلك عندى بعد ثبوته على نائبى بمدينة قوص فخلع السلطان حينئذ ابراهيم وبايع أحمد وبايعه القضاة ولقب الحاكم بأمر الله لقب جده وقال ابن فضل الله فى المسالك فى ترجمته هو امام عصرنا وغمام مصرنا وقام على غيظ العدى وغرق بفيض الندى وصارت له الامور الى مصائرها وسبقت اليه بصائرها فأحيى رسوم الخلافه ورسم بما لم يستطع أحد خلافه وسلك مناهج آبائه وقد طمست وأحياها بمناهج أبنائه وقد درست وجمع شمل بنى أبيه وقد طال بهم الشتات وأطال عذرهم وقد اختلف السبات ورفع اسمه على ذرى المنابر وقد عبر مدة لا يطلع الا فى آفاقه تلك النجوم ولا يسح الا من سحبه تلك الغيوم والسجوم طلب بعد موت السلطان وأنفذ حكم وصيته فى تمام مبايعته والتزام متابعته وكان أبوه قد أحكم له بالعقد المتقدم عقدها وحفظ له عند ذوى الامانة عهدها ثم تسلطن الملك المنصور أبو بكر بن السلطان وعمره له من تحت الملك الاوطان قال ابن فضل الله وقد كتبت له صورة المبايعة وهى بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله الى قوله عظيما هذه بيعة رضوان وبيعة احسان وجمعية رضى يشهدها الجماعة ويشهد عليها الرحمن بيعة يلزم طائرها العنق ويحوم بسائرها ويحمل أنباءها البرارى والبحار مشحونة الطرق بيعة يصلح الله بها الامة ويمنح بسببها النعمة ويتجارى الرفاق ويسرى الهناء فى الآفاق وتتزاحم لزهر الكواكب على حوض المجرة الدقاق بيعة سعيدة ميمونة شريفة بها السلامة فى الدين والدنيا مضمونة بيعة صحيحة شرعية ملحوظة مرعية بيعة تسابق اليها كل نية وتطاوع كل طوية ويجتمع عليها شتات البرية بيعة يستهل بها الغمام ويتهلل البدر التمام بيعة متفق عليها الاجماع والاجتماع ولبسط الايدى اليها انعقد عليها الاجماع فانعقد صحتها من سمع الله وأطاع وبذل فى تمامها كل امرئ ما استطاع حصل عليها اتفاق الابصار والاسماع ووصل بها الحق الى مستحقه وأقر الخصم وانقطع النزاع يضمنها كتاب مرقوم يشهده

موضعا من عسكره وكمن لهم وجنح فاذا اصدموه فأطبق عليهم وقد يتحيل مقدم الجيش بأن ينصب أعلاما على رؤس الجبال والروابى وحولها من سواد العسكر ودوابهم ما يوهم ان وراءها مددا كثيرا فيقع الرعب فى قلب العدو ولا يقدر على الدنو من تلك النواحى وهكذا فعل طاهر بن الحسين لما التقى على بن عيسى أخذ قافلة صحبته من التجار واستدعى جماعة من الفلاحين وأهل القرى فوكل بهم من يحفظهم ويرتبهم على رؤس الجبال ونصب عليهم الامراء ومعهم الاعلام والكوسات فلما عاينت أصحاب على بن عيسى ذلك ضعفت نفوسهم وتقدم اليهم طاهر فصدمهم وكسرهم وقتل على بن عيسى وظفر بسواده وسار الى بغداد وكان من أمره ما كان (وقال) أهل السياسة اذا حضر الحرب ولم يكن منها بد فالمبادرة اليها أولى من الاشتغال بالدفع ومن استقرأ أحوال الماضين وحروب المتقدمين علم ان البدرة لمن بدر فى أغلب الاحوال (من ذلك) قصة بهرام جور وهى من عجائب السير لما قصده خاقان الاكبر ملك الترك فى مائتى ألف فارس ودخل أرض الفرس يستبيحها ويطوى مما لكها بعث الى بهرام جور وهو يومئذ بالعراق ان أصلح ما قبلك من الطرق والجسور والانهار فانى أريد الوصول الى العراق وكان بهرام جور مشتغلا باللهو واللذة مع ندمائه وجواريه فاجتمعت عظماء الفرس اليه مرة بعد مرة ينهضونه ويحركونه

المقربون وتلقاه الائمة الاقربون الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس والينا ولله الحمد والى بنى العباس أجمع على هذه البيعة أرباب العقد والحل وأصحاب الكلام فيما قل وجل وولاة الامور والحكام وأرباب المناصب والاحكام حملة العلم والاعلام وحماة السيوف والاقلام واكابر بنى عبد مناف ومن انخفض قدره وأناف وسروات قريش ووجوه بنى هاشم والبقية الطاهرة من بنى العباس وخاصة الائمة وعامة الناس بيعة ترى بالحرمين خيامها وتخفق بالمأزمين أعلامها وتتعرف بعرفات بركاتها وتعرف بمنى ويؤمن عليها يوم الحج الاكبر وتؤم مابين الركن والمقام والحجر ولا يبتغى بها الا وجه الله الكريم بيعة لا يحل عقدها ولا ينبذ عهدها لازمة جازمة دائبة دائمة تامة عامة شاملة كاملة صحيحة صريحة متعبة مريحة ولامن يوصف بعلم ولا قضاء ولامن يرجع اليه فى اتفاق ولا امضاء ولا امام مسجد ولا خطيب ولا ذو فتوى يسئل فيجيب ولامن لزم المساجد ولامن تضمهم أجنحة المحاريب ولامن يجتهد فى رأى فيخطئ أو يصيب ولا محدث بحديث ولا متكلم فى قديم وحديث ولا معروف بدين وصلاح ولا فرسان حرب وكفاح ولا راشق بسهام ولا طاعن برماح ولا ضارب بصفاح ولا ساع بقدم ولا طائر بجناح ولا مخالط للناس ولا مقاعد فى عزلة ولا جمع كثرة ولا قلة ولامن يستقل بالجوزاء لواؤه ولامن يعل فوق الفرقدين ثواؤه ولا باد ولا حاضر ولا مقيم ولا سائر ولا أول ولا آخر ولا مسر فى باطن ولا معان فى ظاهر ولا عرب ولا عجم ولا راعى ابل ولا غنم ولا صاحب اناة ولا بدار ولا ساكن فى حضر وبادية بدار ولا صاحب عمد ولا جدار ولا ملجج فى البحار الزاخرة والبرارى والقفار ولامن يعتل صهوات الخيل ولامن يسبل على العجاجة الذيل ولامن تطلع عليه شمس النهار ونجوم الليل ولامن تظله السماء وتقله الارض ولامن تدل عليه الاسماء على اختلافها وترفع درجات بعضهم على بعض حتى آمن بهذه البيعة وأمن عليها وآمن بها ومن الله عليه وهداه اليها وأقر بها وصدق وغض لها بصره خاشعا لها وأطرق ومد اليها يده بالمبايعة ومعتقده بالمتابعة ورضى بها وارتضاها وأجاز حكمها على نفسه وأمضاها ودخل تحت طاعتها وعمل بمقتضاها وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وانه لما استأثر الله بعبده سليمان أبى الربيع الامام المستكفى بالله أمير المؤمنين كرم الله مثواه وعوضه عن دار السلام بدار السلام ونقله مزكى يديه عن شهادة الاسلام بشهادة الاسلام حيث آثره بقربه ومهد لجنبه وأقدمه على ماقدمه من مرجو عمله وكسبه وخار له فى جواره فريقا وأنزله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا الله أكبر ليومه لولا مخلفه كانت تضيق الارض بما رحبت وتجزى كل نفس بما كسبت وتنبأ كل سريرة ماأخرت وماجنت لقد اضطرم سعير الا انه فى الجوانح لقد اضطر منبر وسرير لولا خلفه الصالح لقد اضطرب مأمور وأمير لولا الفكر بعده فى عاقبة المصالح ولم يكن فى النسب العباسى ولا فى البيت المسترشدى ولا فى غيره من بيوت الخلفاء من بقايا آبائهم وجدودهم ولا من تلده أخرى الليالى وهى عاقر غير ولود من تسلم اليه أمة محمد عقد نياتها وسر طوياتها الا واحد وأين ذلك الواحد هو والله من انحصر فيه استحقاق ميراث آبائه الاطهار وتراث أجداده الاخيار ولا شئ هو الا ما اشتمل عليه رداء الليل والنهار وهو ولد المنتقل الى ربه وولد الامام الذاهب لصلبه المجمع على انه فى الايام فرد هذا الانام وواحد وهكذا فى الوجود الامام وانه الحائز لما زرت عليه جيوب المشارق والمغارب والفائز بملك مابين المشارق والمغارب الراقى فى صفح السماء هذه الذروة المنيفة الباقى بعد الائمة الماضين ونعم الخليفة المجتمع فيه شروط الامامة المتضح لله وهو ابن بيت لا يزال الملك فيهم الى يوم القيامة الذى يفضح السحاب نائله والذى لا يعزه عاذله ولا يغره عاذله والذى ما ارتقى صهوة المنبر بحضرة سلطان زمانه الا قال بأمره وقام قائمه ولا قعد على سرير الخلافة الا وعرف انه ماخاب مستكفيه ولا غاب حاكمه نائب الله فى أرضه والقائم مقام رسوله صلى الله عليه وسلم وخليفته وابن عمه وتابع عمله الصالح ووارث علمه سيدنا ومولانا عبد الله

ليتدارك مادة مه وهو لا يريدهم غير الوعد والتسويف ويقول فى أثناء كلامه ان ديننا هو دين الحق وان الله تعالى عودنا النصر ووعدنا أن لا يخذلنا ثم نعكف على شأنه ولذته فاجتمع العظماء وتشاوروا وقالوا هذا رجل نائم مغرور ولا مطمع فى فلاحه ومن المصلحة ان نكاتب هذا الجبار خاقان ونصانعه على خراج نحمله اليه من بلادنا ونستكفى شره وتسلم البلاد من مضرته فانه ان وطئ البلاد أخربها بعمره فيها فضلا عن أخذ أموالها وسبى ذراريها وهلاك أهلها ففعلوا ذلك وبعثوا اليه بالهدايا والتحف وبين يقرر لهم ذلك معه فطمع خاقان وتوسط بلاد الفرس وأطلق خيله ترعى فى المروج وجاسوا يأكلون ويشربون والرسل ترد عليهم والاموال والهدايا والاقامات تتواصل اليهم ثم ان بهرام أظهر أنه يريد الخروج الى الصيد فى البرية وأنه يغيب عشرة أيام أو مايزيد عليها بنواحى اذربيجان ثم يريد ان يزور بيت النار الذى هو بها وهو لهم حج فتخيل للناس أنه يريد الهروب ويتعلل بهذه العلل فاختار من عسكره تسعمائة فارس وجعلهم ثلاثة أقسام قسم هو فيه وقسم وراءه وقسم امامه وأخذ معه شيأ من الجوارح وآلات الصيد ومن الزاد والاطعمة وأخذ معه صناديق وفيها من الاسلحة والدروع مالم يشعر به أحد وظن الناس أن أمواله فيها وتحققوا هروبه واستخلف مكانه أخاه نرسى وسار بهرام مع عسكره المنتخب والادلاء فى غير الطريق المعروفة وجد فى السير لا يلوى وواله

ووليه ابو العباس الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين أيد الله ببقائه الدين وطوق بسيفه الملحدين وكبت تحت لوائه المعتدين وكتب له النصر الى يوم الدين وكب بجهاده على الاذقان طوائف المفسدين وأعاذ به الارض ممن لا يدين بدين وأعاد بعدله أيام آبائه الخلفاء الراشدين والائمة المهديين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون وعليه كانوا يعملون ونصر أنصاره وقدر اقتداره وأسكن في القلوب سكينته ووقاره ومكن له في الوجود وجمع له أقطاره ولما انتقل الى الله ذلك السيد ولقي أسلافه ونقل الى سرير الجنة عن سرير الخلافة وخلا العصر من امام يمسك ما بقي من نهاره وخليفة يغالب مزيد الليل بأنواره ووارث نبي بمثله ومثل آبائه استغني الوجود بعد ابن عمه خاتم الانبياء عن نبي يقتفي على آثاره ومضى ولم يعهد فلم يبق اذلم يوجد النص الا الاجماع وعليه كانت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا نزاع اقتضت المصلحة الجامعة عقد مجلس كل طرف به معقود وعقد بيعة عليها الله والملائكة شهود وجمع الناس له وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فحضر من لم يعبأ بعده بمن تخلف ولم ير بائعه وقد مد يده طامعا لمزيدها وقد تكلف وأجمعوا على رأي واحد استخاروا الله فيه فخاروا وأخذ يمين عدلها الايمان ويشد بها الايمان ويعطى عليها المواثيق وتعرض امانتها على كل فريق حتى تقلد كل من حضر في عنقه هذه الامانة وحط على المصحف الكريم يده وحلف بالله وأتم أيمانه ولم يقطع ولا استثنى ولا تردد ومن قطع عن غير قصد أعاد وجدد وقد نوى كل من حلف ان النية في يمينه نية من عقدت له هذه البيعة ونية من حلف له وتذمم بالوفاء له في ذمته وتكفله على عادة ايمان البيعة وشروطها وأحكامها المرددة وأقسامها المؤكدة بأن يبذل لهذا الامام المفترض الطاعة الطاعة ولا يفارق الجمهور ولا يفرع عن الجماعة الجماعة وغير ذلك مما تضمنته نسخ الايمان المكتتب فيها اسماء من حلف عليها مما هو مكتوب بخطوط من يكتب منهم وخطوط العدول الثقات عمن لم يكتبوا وأذنوا ان يكتب عنهم حسبما يشهد به بعضهم على بعض ويتصادق عليه أهل السماء والارض بيعة تم بمشيئة الله تمامها وعم بالصوب المغدق غمامها وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ووهب لنا الحسن ثم الحمد لله الكافي عبده الوافي ان يضاعف على كل موهبة حمده ثم الحمد لله على نعمة يرغب أمير المؤمنين في ازديادها ويرهب الا ان يقاتل أعداء الله بأمدادها ويدأب بها من ارتقى منابر ممالكه بما بان من مباينة أضدادها نحمده والحمد لله ثم الحمد لله كلمة لا يمل من تردادها ولا يحل بما تفوق السهام من سدادها ولا يبطل الا على ما يوجب تكثير أعدادها وتكبير اقدار أهل ودادها وتصغير التحقير لا التحبيب لاندادها ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تقايس دماء الشهداء وامداد مدادها وتنافس طرر الشباب وغرر السحاب على استمدادها وتجانس رقومها المدبجة وما تلبسه الدولة العباسية من شعارها والليالي من دثارها والاعداء من حدادها ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى جماعة أهله ومن خلف من أبنائها او سلف من أجدادها ورضي الله عن الصحابة أجمعين والتابعين لهم بأحسان الى يوم الدين وبعد فان أمير المؤمنين لما أكسبه الله من ميراث النبوة ما كان لجده ووهبه من الملك السليماني ما لا ينبغي لأحد من بعده وعلمه منطق الطير مما يحمله حمائم البطائق من بدائع البيان وسخر له من البريد على متون الخيل ما سخره من الريح لسليمان وآتاه الله من خاتم الانبياء ما أمتد به أبوه سليمان وتصرف وأعطاه من الفخار به ما أطاعه كل مخلوق ولم يتخلف وجعل له من لباس بني العباس ما يقضي له سواده بسودد الاجداد وينفض على ظل الهدب ما فضل به عن سويداء القلب وسواد البصر من السواد ويمد ظله على الارض وكل مكان دار ملك وكل مدينة بغداد وهو في ليله السجاد وفي نهاره العسكري وفي كرمه جعفر وهو الجواد يديم الابتهال الى الله تعالى في توفيقه والابتهاج بما يغص كل عدو بريقه ويبدأ يوم هذه المبايعة بما هو الاهم من مصالح الاسلام ومصالح الاعمال فيما تحلى به الايام ويقدم التقوى أمامه ويقرر عليها أحكامه ويتبع الشرع الشريف ويقف عنده ويوقف

على شئ حتى قرب من الارض التي فيها خاقان على غير الجادة وهو غار غافل قد طغى ولها عما طمع من الاستيلاء على البلاد ويبذل الفرس له الخراج والهدايا فضم بهرام أصحابه وخطبهم خطبة بليغة قال فيها اني لم أدخركم الا لهذه الحالة واعلموا أن بيننا وبين الترك كذا وكذا واني مبيتهم فانهم باغون علينا عاصون لربنا فاركبوا على اسم الله وخيرته وسيروا على أطلابكم مع أدلائكم والعلامة بيننا كذا وكذا فاحملوا بحملتي واظهروا بعلامتي واصدقوا القتال فالنصر وعده صادق ثم سار في جماعة من البازداريه وأمرهم أن يترفعوا على رؤس الجبال فاذا سمعوا الوقعة نشروا الاعلام وضربوا الطبول ليظنوا أنها عساكر أقبلت وأخلى لهم ناحية النهر وبيتهم قبل السحر وهم نيام عراة ودوابهم سارحة في مراعيها فوضع فيهم السيف والقتل فقاموا مذعورين وتهاربوا على وجوههم وهرب خاقان واستولى بهرام على أمواله وأثقاله ومن كان معه من الحريم والذين هربوا تاهوا في الطرق وهلك أكثرهم في المعاطش وبالجوع وعاد بهرام الى بلاده مظفرا منصورا والفرس في خجل منه وكانت هذه تعد من عوالي الهمم وعجائب السعادات (فقيق) لمن تكلف أمرا من أمور الحرب أن يترك اللذة واللهو ويشتغل فيما هو بصدده حتى ينقضي أمره (كان) المنصور في مدة خروج أولاد الحسن عليه قطع اللذة والشراب وكذلك الرشيد والمأمون والمعتصم

وجميع الحزمة من الملوك اذا دهمهم أمر اعتزلوا ذلك حتى النساء كما قيل قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار

وأما امرؤ القيس فآلى أنه لا يشرب خمرا ولا يغسل رأسه حتى يأخذ بثاره من بني أسد فلما جمع لهم وكسرهم ونهبهم وقتلهم قال

حلت لي الخمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل

فاليوم فاشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل

(فصل في المصاف وتعبية العساكر للحرب)

يستحب لوالي الحرب أن يكون في عسكره جماعة من الشجعان غرضهم كغرضه وسرورهم بالظفر كسروره متدربين عارفين بالامور الحربية وأنفسهم من الفشل والهرب في غاية من البعد فيعول على هذه الطائفة ويقدمهم ويجعلهم مقدمي أجنحته واطلابه فان الملك الحازم كثير المنفعة وأكثر ما أتيت العساكر من نقص رؤسائها والتجربة في ذلك كثيرة ثم ان العساكر لا تخلو من الاوباش والجبناء وهم بمنزلة الحشو والقليل منهم يكثر السواد ولا يضر والكثير تعود على الجيش مضرتهم لانهم بأول صدمة يهربون ويكسرون من جاورهم ومن وراءهم لا محالة ويعجز الشجاع عن الثبات على تلك الحالة فينبغي أن يكون الى الملك العسكر المعول عليه وفي القلب الملك والاعلام والاثقال على جنب ثم ان الواجب أن يخفي الملك مكانه يوم الحرب حتى لا يقصده العدو ولا يقع الفتك به بل ينتقل من موضع الى آخر ويرتب أصحابه والاخبار ولا

الناس ومن لا يحمل أمره طائعا على العين يحمله غصبا على الرأس ويجل أمير المؤمنين بما استقر به النفوس ويرد به كيد الشيطان وانه يؤس ويأخذ بقلوب الرعايا وهو غني عن هذا ولكنه يسوس وأمير المؤمنين يشهد الله عليه وخلقه بأنه اقر ولي كل أمر من ولاة أمور الاسلام على حاله واستمر به في مقيله تحت كنف ظلاله على اختلاف طبقات ولاة الأمور وطرقات الممالك والثغور برا وبحرا سهلا ووعرا شرقا وغربا بعدا وقربا وكل جليل وحقير وقليل وكثير وصغير وكبير وملك ومملوك وأمير وجندي يبرق له سيف شهير ورمح ظهير ومع من هؤلاء من وزراء وقضاة وكتاب ومن له تدقيق في انشاء وتحقيق في حساب ومن يتحدث في بريد وخراج ومن يحتاج اليه ومن لا يحتاج ومن في التدريس والمدارس والربط والزوايا والخوانق ومن له أعظم التعلقات وادنى العلائق وسائر أرباب المراتب وأصحاب الرواتب ومن له من مال الله رزق مقسوم وحق مجهول أو معلوم واستمر كل امرء على ما هو عليه حتى يستخير الله ويتبين له ما بين يديه ومن ازداد تأهيله زاد تفضيله والا فأمير المؤمنين لا يريد الا وجه الله ولا يحابي احدا في دين الله ولا يحابي حقا في حق فان المحاباة الحق مداجاة على المسلمين وكل ما هو مستمر الى الآن مستقر على حكم الله مما فهمه الله له وفهمه سليمان ان لا يغير أمير المؤمنين في ذلك ولا في بعضه تغييرا شكر الله على نعمه وهكذا يجازي من شكر ولا يكدر على أحد مورد انزله الله نعمه الصافية به عن الكدر ولا يتأول في ذلك متأول الا من جحد النعمة وكفر ولا يتعلل متعلل فان أمير المؤمنين نعوذ بالله ونعيذ ايامه الغرر من الغير وأمر أمير المؤمنين أعلى الله أمره ان يعلن الخطباء بذكره وذكر سلطان زمانه على المنابر في الآفاق وأن يضرب باسمهما النقود وتسير بالاطلاق ويوشح بالدعاء لهما عطف الليل والنهار ويصرح منه بما يشرق وجه الدرهم والدينار وقد أسمع أمير المؤمنين في هذا المجمع المشهود ما يتناقله كل خطيب ويتداوله كل بعيد وقريب ومختصره ان الله أمر بأوامر ونهى عن نواه وهو رقيب وسيفرغ الالباء لها السجايا ويفرع الخطباء لها شعوب الوصايا وتتكمل بها المزايا ويخرج من المشايخ الخبايا من الزوايا ويسمر بها السمار ويترنم بها الحادي والملاح ويرقم بها الليل المقمر ويرقم على جبين الصباح وتعظ بها مكة بطحاءها ويحيا بحدائها اقفاه ويلقنها كل أب فهمه ابنه ويسأل كل ابن نجيب أباه وهو لكم أيها الناس من أمير المؤمنين من سدد عليكم بينة واليكم ما دعاكم به الى سبيل الله من الحكمة والموعظة الحسنة ولامير المؤمنين عليكم الطاعة ولولا قيام الرعايا ما قبل الله أعمالها ولا أمسك بها البحر ودحا الارض وأرسى جبالها ولا اتفقت الاراء على من يستحق وجاءت اليه الخلافة تجر أذيالها وأخذها دون بني أبيه ولم تكن تصلح الا له ولم يكن يصلح الا لها وقد كفاكم أمير المؤمنين السؤال بما فتح الله لكم من أبواب الارزاق وأسباب الارتزاق وأجراكم على وفاقكم وعلمكم مكارم الاخلاق وأجراكم على عوائدكم ولم يمسك خشية الانفاق ولم يبق لكم على أمير المؤمنين الآن يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويعمل بما يسعد به من يحيي أطال الله بقاء أمير المؤمنين من بعده ويزيد على من تقدم ويقيم فروض الحج والجهاد وينيم الرعايا بعدله الشامل في مهاد وأمير المؤمنين يقيم على عادة آبائه موسم الحج في كل عام ويشمل بره سكان الحرمين الشريفين وسدنة بيت الله الحرام ويجهز السبيل على ضالة ويرجو ان يعود على حاله الاول في سالف الايام ويتدفق في هذين المسجدين بحره الزاخر ويرسل الى ثالثهما في البيت المقدس ساكب الغمام ويقيم بعدله قبور الانبياء صلى عليهم وسلم أينما كانوا وأكثرهم في الشام والجمع والجماعات هي فيكم على قديم سننها وقويم سننها وتزيد في أيام أمير المؤمنين لمن يضم اليه وفيما يتسلم من بلاد الكفار ويسلم منهم على يديه وأما الجهاد فكفى باجتهاد القائم عن أمير المؤمنين بأموره المقلد عنه جميع ما وراء سريره وأمير المؤمنين قد وكل منه خلد الله ملكه وسلطانه عينا لا تنام وقلد سيفا لو أغفت بوارقه ليلة واحدة عن الاعداء سلت خياله عليهم الاحلام وسيؤكد أمير المؤمنين في ارتجاع ما غلب عليه العدى وقد قدم الوصية بأن يوالي غزو العدو المخذول برا وبحرا ولا يكف عمن ظفر به منهم قتلا ولا أسرا

ولا يغفل اغلالا ولا اصرا ولا ينفك يرسل عليهم في البر من الخيل عقبانا وفي البحر غربانا تحمل كل منهما من كل فارس صقرا ويحمي الممالك ممن يتخرق أطرافها باقدام ويتحول أكنافها بأقدام وينظر في مصالح القلاع والحصون والثغور وما يحتاج اليه من آلات القتال وأمهات الممالك التي هي مرابط البنود ومرابض الاسود والامراء والعساكر والجنود وترتيبهم في الميمنة والميسرة والجناح الممدود ويتفقد أحوالهم بالعرض بما لهم من خيل تعقد ما بين السماء والارض وما لهم من زرد موضون وبيض مسها ذهب ذائب فكانت كأنها بيض مكنون وسيوف قواضب ورماح بسبب دوامها من الدماء خواضب وسهام تواصل القسي وتفارقها فتحن حنين مفارق وتزجر القوس زجرة مغاضب وهذه جملة أراد أمير المؤمنين بها اطابة قلوبكم واطالة ذيل التطول يسبل على مطالبكم ودماكم وأموالكم وأعراضكم في حماية الا ما أباح الشرع المطهر ومزيد الاحسان اليكم على مقدار ما يخفى منكم ويظهر وأما جزئيات الامور فقد علمتم ان من بعد عن أمير المؤمنين غني عن مثل هذه الذكرى وأنتم على تفاوت مقاديركم وديعة أمير المؤمنين وكلكم سواء في الحق عند أمير المؤمنين وله عليكم أداء النصيحة وابداء الطاعة بسريرة صحيحة فقد دخل كل منكم في كنف أمير المؤمنين وتحت رقه ولزمه حكم بيعته والزم طائره في عنقه وسيعلم كل منكم في الوفاء بما أصبح به عليما ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما هذا قول أمير المؤمنين وقال وهو يعمل في ذلك كله بما تحمد عاقبته من الاعمال وعلى هذا عهد اليه وبه يعهد وما سوى هذا فجور لا يشهد به عليه ولا يشهد وأمير المؤمنين يستغفر الله على كل حال ويستعيذ به من الاهمال ويسأل أن يمده لما يجب من الآمال ولا يعدله حبل الامهال ويختم أمير المؤمنين قوله بما أمر الله به من العدل والاحسان والحمد لله وهو من الخلق أحمد وقد آتاه الله ملك سليمان والله يمتع أمير المؤمنين بما وهبه ويملكه أقطار الارض ويورثه بعد العمر الطويل عقبه ولا يزال على سدة العلياء قعوده ولدست الخلافة به أبهة الجلالة كأنه مامات منصوره ولا أودى مهديه ولا رشيده وقال ابن حجر في الدرر كان أولا لقب المستنصر ثم لقب الحاكم وذكر الشيخ زين الدين العراقي انه سمع الحديث على بعض المتأخرين وانه حدث مات في الطاعون في نصف سنة ثلاث وخمسين ومن الحوادث في أيامه في عام ولايته خلع السلطان المنصور لفساده وشربه الخمور حتى قيل انه جامع زوجات أبيه ونفي الى قوص وقتل بها فكان ذلك من الله مجازاة لما فعله والده مع الخليفة وهذه عادة الله مع من يتعرض لاحد من آل العباس بأذى وتسلطن أخوه الملك الاشرف كجك ثم خلع من عامه وولي أخوه أحمد ولقب بالناصر وعقد المبايعة بينه وبين الخليفة الشيخ تقي الدين السبكي قاضي الشام وكان قد حضر معه مصر وفي سنة ثلاث وأربعين خلع الناصر أحمد وولي أخوه اسمعيل ولقب بالصالح وفي سنة ست وأربعين مات الصالح فقلد الخليفة أخاه شعبان ولقب بالكامل * وفي سنة سبع وأربعين قتل الكامل وولي أخوه أمير حاج ولقب بالمظفر * وفي سنة ثمان وأربعين خلع المظفر وولي أخوه حسن ولقب بالناصر * وفي سنة تسع وأربعين كان الطاعون العام الذي لم يسمع بمثله وفي سنة اثنتين وخمسين خلع الناصر حسن وولي أخوه صالح ولقب الملك الصالح وهو الثامن ممن تسلطن من أولاد الناصر محمد بن قلاوون وجعل شيخو أتابكه قال في ذيل المسالك وهو أول من سمي بمصر الامير الكبير وممن مات في أيام الحاكم من الاعلام الحافظ أبو الحجاج المزي والتاج عبد الباقي اليمني والشمس ابن عبد الهادي وأبو حيان وابن الوردي وابن اللبان وابن عدلان والذهبي وابن فضل الله وابن قيم الجوزية والفخر المصري شيخ الشافعية بالشام والتاج المراكشي وآخرون

(المعتضد بالله أبو الفتح)

المعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي بويع بالخلافة بعد موت أخيه في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة بعهد منه وكان خيرا متواضعا محبا لاهل العلم مات في جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة ومن الحوادث في أيامه

والرسل تأتي الى نائبه تحت العصائب وهو يردف كل مكان كثر العدو فيه بطائفة من عساكره *وأما الاجنحة فتكون أهل دربة وخبرة بالحروب والطلائع تكون أصحاب الخيول السبق والرمي والخفة في الطراد والمقابلة والساقة وأهل القلب يجب عليهم الثبات والصبر والجد وأهل الحرب يتناصحون فيها لهذه الاسباب أو لبعضها وهي الدين أو الحمية والتعصب أو القرابة أو الصحبة المتقدمة أو النعمة الوافرة والاحسان أو الاطماع لبعض الناس واما بالخوف أو بالتكليف أو بالاجرة الغير المرضية فلا يكاد تكون مناصحة وينبغي أن يحتاط في تكثير السلاح واعداد الجنائب وكثرة السهام ولا يهمل أمر المياه والاشربة فان العطاش ليس معه صبر ولا حرب وكثيرا ما كسرت العساكر بسببه من ذلك كسرة حطين حين نصر الله الاسلام على الكافرين كانت من أقوى أسبابها العطش فان المسلمين حالوا بينهم وبين بحيرة طبرية والوقت صائف وهم ملبسون فعطشوا وفني ما كان معهم من الماء فأخذوا بأسرهم * ولا يهمل أمر العلوفات وتسهيل الطرق والاقامات وترتيبها في المنازل وحمل ما تدعو الحاجة اليه منها فربما أمكنت المطاولة في الحرب فيحتاج ان يكون معه ذخائر وتسمية العسكر بالكتيبة لانضمام بعضه الى بعض كالكتاب وقد ذكر في الكتاب العزيز ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص واذا كثر

فى سنة أربع وخمسين قال ابن كثير وغيره كان بطرابلس بنت تسمى نفيسة زوجت بثلاثة أزواج ولا يقدرون عليها يظنون انها رتقا فلما بلغت خمس عشرة سنة غار ثدياها ثم جعل يخرج من محل الفرج شئ قليلا قليلا الى ان برز منه ذكر قدر أصبع وانثيان وكتب بذلك فى محاضر * وفى سنة خمس وخمسين خلع الملك الصالح وأعيد الناصر حسن وفى سنة ست وخمسين رسم بضرب فلوس جدد على قدر الدينار ووزنه وجعل كل أربعة وعشرين فلسا بدرهم وكان قبل ذلك الفلوس العتق كل رطل ونصف بدرهم ومن هنا يعرف مقدار الدراهم النقرة التى جعلها شيخو وصرغتمش لارباب الوظائف فى مدرستيهما فرادهما بالدرهم ثلثا رطل من الفلوس وفى سنة اثنتين وستين قتل الناصر حسن وولى محمد بن أخيه المظفر ولقب بالمنصور وممن مات فى أيام المعتضد من الاعلام الشيخ تقى الدين السبكى والسمين صاحب الاعراب والقوام الاتقانى والبهاء بن عقيل والصلاح العلائى والجمال بن هشام والحافظ مغلطائى وأبو امامة بن النقاش وآخرون

(المتوكل على الله أبو عبد الله)

المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن المعتضد والد خلفاء العصر ولى الخلافة بعهد من أبيه بعد موته فى جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة وامتدت أيامه خمسا وأربعين سنة بما تخللها من خلع وحبس كما سنذكره وأعقب أولادا كثيرة يقال انه جاءه مائة ولد ما بين مولود وسقط ومات عن عدة ذكور واناث وولى الخلافة منهم خمسة ولا نظير لذلك المستعين العباس والمعتضد داود والمستكفى سليمان والقائم حمزة والمستنجد يوسف وبقى من أولاده الآن واحد يسمى موسى ما أشبهه بابراهيم بن المستكفى والموجود الآن من العباسيين كلهم من ذرية المتوكل هذا أكثر الله عددهم وزاد مددهم ومن الحوادث فى أيامه فى سنة أربع وستين خلع المنصور محمد وولى شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ولقب الاشرف وفى سنة ثلاث وسبعين أحدثت العلامة الخضراء على عمائم الشرفاء ليتميزوا بها بامر السلطان وهذا أول ما أحدث وقال فى ذلك أبو عبد الله ابن جابر الاعمى النحوى صاحب شرح الالفية المشهور بالاعمى والبصير

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وفى هذه السنة كان ابتداء خروج الطاغية تمرلنك الذى أخرب البلاد وأباد العباد واستمر يعثو فى الارض بالفساد الى أن هلك الى لعنة الله فى سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة وفيه قيل شعر

فعل التتار ولو رأوا فعلا * ل تمرلنك اذا كان أعظما * وطائره فى حلق كان أشأما

وكان أصله من أبناء الفلاحين ونشأ يسرق ويقطع الطريق ثم انضم الى خدمة صاحب خيل السلطان ثم قرر مكانه بعد موته ومازال يترقى الى أن وصل الى ما وصل قيل لبعضهم فى أى سنة كان ابتداء خروج تمرلنك قال فى سنة عذاب يعنى بحساب الجمل ثلاثا وسبعين وسبعمائة وفى سنة خمس وسبعين ابتدئت قراءة البخارى فى رمضان بالقلعة بحضرة السلطان ورتب الحافظ زين الدين العراقى قارئا ثم اشرك معه الشهاب العريانى يوما بيوم وفى سنة سبع وسبعين غلا البيض بدمشق فبيعت الواحدة بثلاثة دراهم من حساب ستين بدينار وفى سنة ثمان وسبعين قتل الاشرف شعبان وتسلطن ابنه على ولقب المنصور وذلك ان الاشرف سافر الى الحج ومعه الخليفة والقضاة والامراء فثار عليه الامراء وفر راجعا الى القاهرة ورجع الخليفة ومن رجع وأرادوا أن يسلطنوا الخليفة فامتنع فسلطنوا ابن الاشرف واختفى الاشرف الى أن ظفروا به فخنقوه فى ذى القعدة وفيها خسف الشمس والقمر جميعا وطلع القمر خاسفا فى شعبان فى ليلة أربع عشرة وكسفت الشمس يوم الثامن والعشرين منه وفى سنة تسع وسبعين فى رابع ربيع الاول طلب أيبك البدرى أتابك العساكر زكريا بن ابراهيم بن المستمسك الخليفة الحاكم لخلع عليه واستقر خليفة بغير مبايعة ولا اجماع ولقب المستعصم بالله ورسم بخروج المتوكل الى

فى العساكر الاثقال والحشو والضعفاء فينبغى أن يفردهم عن الجيش فى مكان بعيد من التناول قريب من التحصين ويوكل بهم من امرائه من يدبرهم ويحفظهم ولا ينبغى للملك العظيم أن يباشر الحرب بنفسه ففيه خطر عظيم فان ظفر كان مشهورا وان ظفر به هلك بسببه خلق كثير بأسرهم وخربت البلاد واتسع الفساد لانه كالرأس للجسد بل كالروح لها ولهذا قال افلاطون الملك هو نفس لجسد الجيش فينبغى أن تكون اليه الامور النفسانية من التدبير فى نظام الجيوش فيكون اليها ما يتعلق به من السعى والبطش والحركات الجسدانية وهو يكون المحرك لها وكان بعض الملوك يجلس على السرير والناس حوله يقاتلون بين يديه

(صفة تعبيه للحرب للفرس) تصف الجيش صفا وبينه مواضع منفرجة كالدروب وتكون الرجالة امامه والناشبة تتقدم للمناوشة فتصل الى العدو ثم تعود وقد كر عليها فاذا وصلت الجماعة خرجت عليها تلك ثم تتدانى الصفوف وتترامى وتتطاعن ثم يشتد القتال والضرب فيتجالدون بالسيوف

(تعبية أخرى) يرتب الطليعة امام الجيش ثم يقسمه على ستة أقسام متباعدة عن بعضها يسيرة منها جناحان على اليمين وجناحان على الشمال والقلب فى الوسط ووراءهم الساقة وفيها من السواد والطبول ومالابد منه من الاثقال وان أمكن أن يكون امام كل طاب رجالة فلا بأس به أولا فان موضعهم قوص

قوص لامور حقدها عليه وقعت منه عند قتل الاشرف فخرج وعاد من الغد الى بيته ثم عاد الى الخلافة فى العشرين
من الشهر وعزل المستعصم فكانت مدة خلافته خمسة عشر يوما والمتوكل هو سادس الخلفاء الذين سكنوا مصر
واقيم وابعد انقطاع الخلافة مدة فحصل له هذا الخلع توفية بالقاعدة وفى سنة اثنتين وثمانين ورد كتاب من حلب
يتضمن ان اماما قام يصلى وان شخصا عبث به فى صلاته فلم يقطع الامام الصلاة حتى فرغ وحين سلم انقلب وجه
العابث وجه خنزير وهرب الى غابة هناك فعجب الناس من هذا الامر وكتب بذلك محضرا وفى صفر سنة ثلاث
وثمانين مات المنصور وتسلطن أخوه حاجى بن الاشرف ولقب الصالح وفى رمضان سنة أربع وثمانين خلع
الصالح وتسلطن برقوق ولقب الظاهر وهو أول من تسلطن من الجراكسة وفى رجب سنة خمس وثمانين قبض
برقوق على الخليفة المتوكل وخلعه وحبسه بقلعة الجبل وبويع بالخلافة محمد بن ابراهيم بن المستمسك بن الحاكم
ولقب الواثق بالله فاستمر فى الخلافة الى ان مات يوم الاربعاء سابع عشرى شوال سنة ثمان وثمانين فكلم الناس
برقوقا فى اعادة المتوكل الى الخلافة فلم يقبل وأحضر أخا محمد زكريا الذى كان ولى تلك الايام اليسيرة فبايعه ولقب
المستعصم بالله واستمر الى سنة احدى وتسعين فندم برقوق على مافعل بالمتوكل وأخرج المتوكل من الحبس
وأعاده الى الخلافة وخلع زكريا واستمر زكريا بداره الى أن مات مخلوعا واستمر المتوكل فى الخلافة الى أن مات وفى
جمادى الآخرة من السنة أعيد الصالح حاجى الى السلطنة وغير لقبه بالمنصور وحبس برقوق بالكرك وفى هذه
السنة فى شعبان أحدث المؤذنون عقب الاذان الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم وهذا أول ما أحدث
وكان الآمر به المحتسب نجم الدين الطنبذى وفى صفر سنة اثنتين وتسعين أخرج برقوق من الحبس وعاد الى ملكه
فاستمر الى ان مات فى شوال سنة احدى وثمانمائة فاقيم مكانه فى السلطنة ابنه فرج ولقب الناصر فاستمر الى
سادس ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة فخلع من الملك وأقيم أخوه عبد العزيز ولقب المنصور ثم خلع فى رابع
جمادى الآخرة من السنة وأعيد الناصر فرج وفى هذه السنة مات الخليفة المتوكل ليلة الثلاثاء ثامن عشرى
رجب سنة ثمان وثمانمائة وممن مات فى أيام المتوكل من الاعلام الشمس بن مفلح عالم الحنابلة والصلاح
الصفدى والشهاب بن النقيب والمحب ناظر الجيش والشريف الحسينى الحافظ والقطب التحتانى وقاضى
القضاة عز الدين بن جماعة والتاج بن السبكى وأخوه الشيخ بهاء الدين والجمال الاسنوى وابن الصائغ الحنفى
والجمال بن نباتة والعفيف اليافعى والجمال الشريشى والشرف بن قاضى الجبل والسراج الهندى وابن أبى
حجلة والحافظ تقى الدين بن رافع والحافظ عماد الدين بن كثير والعنابى النحوى والبهاء أبو البقاء السبكى والشمس
ابن خطيب يبرود والعماد الحسبانى والبدر بن حبيب والضياء القرمى والشهاب الاذرعى والشيخ أكمل الدين
والشيخ سعد الدين التفتازانى والبدر الزركشى والسراج بن الملقن والسراج البلقينى والحافظ زين الدين العراقى

(الواثق بالله عمر)

الواثق بالله عمر بن ابراهيم بن ولى العهد المستمسك بن الحاكم بويع بالخلافة بعد خلع المتوكل فى شهر رجب سنة
خمس وثمانين واستمر الى أن مات يوم الاربعاء تاسع عشر شوال سنة ثمان وثمانين

(المستعصم بالله زكريا)

المستعصم بالله زكريا بن ابراهيم المستمسك بويع بالخلافة بعد موت أخيه الواثق ثم خلع منها فى سنة احدى
وتسعين وثمانمائة واستمر بداره مخلوعا الى أن مات وأعيد المتوكل كما تقدم

(المستعين بالله أبو الفضل)

المستعين بالله أبو الفضل العباس بن المتوكل أمه أم ولد تركية اسمها باى خاتون بويع بالخلافة بعهد من أبيه
فى رجب سنة ثمان وثمانمائة والسلطان يومئذ الملك الناصر فرج فلما خرج الناصر لقتال شيخ وهزم وقتل

امام القلب وتتقدم الاجنحة وتناوش القتال ثم الرامحة ثم المجالدة بالسيوف (تعبية أخرى) تصطف الرجالة ووراءها ثلاث صفوف من
الخيالة وبعضهم يجعلها
سبعة والآخرهم الرماة
بالنشاب ويكون كل صف
كالسور المانع لمن أمامه
فيشتد القتال ولا يمكن
الهروب وهذا تفعله
بعض قبائل الترك والغلبة
والنصر يكونان بالتدبير
الالهى وقد يسبب له أحد
هذه الاسباب اما كثرة
العدد والعدد أو جودة
النية والفروسية وحسن
المعرفة بهما أو الشجاعة أو
حسن الكيفية أو الصبر
والثبات أو الحيل والمكايدة
وقد نطق القرآن بفوائد
الصبر قال الله تعالى ان يكن
منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين الآية ومتى
كان جيش العدو كثيرا
وصفوفه ممتدة فمن الرأى
لمحاربته تفريق عسكره
اطلابا تحيط به من جهات
متفرقة وتواعدهم على
الحملة ان اقتضت أو المزاحفة
أو المصابرة حسبما يقتضيه
الوقت فانه يؤدى الى انتقاض
ترتيب عسكر عدوه وذلك
ان الصف الواحد أو الصفين
لا يفى بمقابلة طلب يكون
قبالته فيضطرب لذلك وفى
الاطلاب والكراديس
لا تظهر القلة وفى الصفوف
تظهر ثم عند اللقاء تضرب
الطبول والكوسات وينفخ
فى الابواق وتنشر الاعلام
وقد كان ملوك اليونان
يعملون بطبول مفزعة وقاقم صياحة صياحا منكرا موحشا وباعلام فيها تماثيل هائلة وألوان مختلفة تدخل فيها الريح فتجفل الخيل منها (ولما)

بويع الخليفة بالسلطنة مضافة للخلافة وذلك فى المحرم سنة خمس عشرة ولم يفعل ذلك الا بعد شدة وتصميم وتوثق من الامراء بالايمان وعاد الى مصر والامراء فى خدمته وتصرف بالولاية والعزل وضربت السكة باسمه ولم يغير لقبه وعمل شيخ الاسلام ابن حجر فيه قصيدته المشهورة وهى هذه

الملك فينا ثابت الاساس * بالمستعين العادل العباسى
رجعت مكانة آل عم المصطفى * لمحلها من بعد طول تناس
ثانى ربيع الآخر الميمون فى * يوم الثلاثا حف بالاعراس
بقدوم مهدى الانام أمينهم * مأمون عيب طاهر الانفاس
ذو البيت طاف به الرجال فهل يرى * من قاصد متردد فى الياس
فرع نما من هاشم فى روضة * زاكى المنابت طيب الاغراس
بالمرتضى والمجتبى والمشترى * للحمد والحالى به والكاسى
من أسرة أسروا الخطوب وطهروا * مما يغيرهم من الادناس
أسدا اذا حضروا الوغى واذا خلوا * كانوا بمجلسهم ظبى كناس
مثل الكواكب نوره ما بينهم * كالبدر أشرق فى دجى الاغلاس
وبكفه عند العلامة آية * قلم يضئ اضاءة المقباس
فلبشره للوافدين مباسم * تدعى ولا جلال بالعباس
فالحمد لله المعز لدينه * من بعد ما قد كان فى ابلاس
بالسادة الامراء أركان العلى * من بين مدرك ثاره ومواسى
نهضوا باعباء المناقب وارتقوا * فى منصب العليا الاشم الراسى
وتركوا العدى صرعى بمعترك الردى * فالله يحرسهم من الوسواس
وامامهم بجلاله متقدم * تقديم بسم الله فى القرطاس
لولا نظام الملك فى تدبيره * لم يستقم فى الملك حال الناس
كم من أمير قبله خطب العلى * وبجهده رجعته بالافلاس
حتى اذا جاء المعالى كفؤها * خضعت له من بعد فرط شماس
طاعت له أيدى الملوك وأذعنت * من نيل مصر أصابع المقياس
فهو الذى قد ردعنا البؤس فى * دهر به لولاه كل الباس
وأزال ظلما عم كل معمم * من سائر الانواع والاجناس
بالخاذل المدعو ضد فعاله * بالناصر المتناقض الاساس
كم نعمة لله كانت عنده * فكأنها فى غربة وتناسى
مازال سر الشر بين ضلوعه * كالنار أوقحتهـ للارماس
كم سن سيئة عليه آثامها * حتى القيامة ماله من آس
مكرا بنى أركانه لكنها * للغدر قد بنيت بغير أساس
كل امرئ ينسى ويذكر تارة * لكنه للشر ليس بناس
أملى له رب الورى حتى اذا * أخذوه لم يفلته مر الكاس
وأدالنا منه المليك بمالك * أيامه صدرت بغير قياس
فاستبشرت أم القرى والارض من * شرق وغرب كالعذيب وفاس

كسر ملك الهند ذا القرنين فى أول حروبه لم يكن سببه سوى هروب الخيل من الافيلة فلما عاد الاسكندر أمر ان يصور فى عسكره صور الافيلة من اللبود السود وغيرها وقرب الخيل الى تلك الصور وأنسها بها وبحركتها ثم عاد الى قتال الهند فكسرهم * وينبغى أن يتخذ الكمناء ويحترز من أن يكون لهم كمين فاذا تبعهم خرجوا عليه (قال) ارسطاليس حبب الى أعدائك الهروب ولا تتبعهم * وقال فى وصاياه الحربية احذر من انتقاض التعبية وكيد المستأمنة * وقال أبو مسلم الخراسانى عول على ثلاثة من رجال الحرب اما محام عن دينه متعصب فى الله واما غضب للدولة موتورا واما محام عن الحريم * وينبغى السكوت وقت الحرب قال عتبة بن ربيعة لاصحابه لما رأى قتال أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أما ترونهم خرسا يتلمظون تلمظ الحيات والصياح المختلف وهن وفى بعض الاوقات يؤثر وكان شبيب الحرورى له صياح هائل عند الحروب وللفرس فى حروبها أصوات هائلة مزعجة تفزع من لا يعهدها اذا سمعها ولبعضهم فى وصف عظم الصوت ان صاح يوما حسبت الصخر منحدرا والريح عاصفة والموج يلتطم واياك أن تقلد الامر جبانا ولا تجعله على الاجنحة فانه يخذل أصحابه لما يشاهدونه من هلعه وجبنه * وفى البخارى عن أنس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن والكسل والجبن وضلع الدين وغلبة

آيات

آيات مجد لا يحاول جحدها * في الناس غير الجاهل الخناس
ومناقب العباس لم تجمع سوى * لحفيده ملك الورى العباسي
لا تنكروا للمستعين رئاسة * في الملك من بعد الجحود الناسي
فبنو امية قد أتى من بعدهم * في سالف الدنيا بنو العباس
وأتى أشج بني أمية ناشرا * للعدل من بعد المبير الخاسي
مولاي عبدك قد أتى لك راجيا * منك القبول فلا يرى من باس
لولا المهابة طولت أمداحه * لكنها جاءته بالقسطاس
فادام رب الناس عزك دائما * بالحق محروسا برب الناس
و بقيت تسمع المديح لخادم * لولاك كان من الهموم يقاسي
عبد صفا ودا و زمزم حاديا * وسعى على العينين قبل الراس
أمداحه في آل بيت محمد * بين الورى مسكية الانفاس

ولما وصل المستعين الى مصر سكن القلعة وسكن شيخ الاصطبل وفوض اليه المستعين تدبير المملكة بالديار المصرية ولقب نظام الملك فكانت الامراء اذا فرغوا من الخدمة بالقصر نزلوا في خدمة الشيخ الى الاصطبل فاعيدت الخدمة عنده ويقع عنده الابرام والنقض ثم يتوجه دواداره الى المستعين فيعلم على المناشير والتواقيع ثم انه تقدم اليه بان لا يمكن الخليفة من كتابة العلامة الا بعد عرضها عليه فاستوحش الخليفة وضاق صدره وكثر قلقه فلما كان في شعبان سأل شيخ الخليفة أن يفوض اليه السلطنة على العادة فاجاب بشرط أن ينزل من القلعة الى بيته فلم يوافقه شيخ على ذلك وتغلب على السلطنة وتلقب بالمؤيد وصرح بخلع المستعين و بايع بالخلافة أخاه داود ونقل المستعين من القصر الى دار من دور القلعة ومعه أهله ووكل به من يمنعه الاجتماع بالناس فبلغ ذلك نوروز نائب الشام فجمع القضاة والعلماء واستفتاهم عما صنعه المؤيد من خلع الخليفة وحصره فأفتوا بان ذلك لا يجوز فاجمع على قتال المؤيد فخرج اليه المؤيد في سنة سبع عشرة (٨١٧) وسير المستعين الى الاسكندرية فاعتقل بها الى أن تولى ططر فاطلقه واذن له في المجيء الى القاهرة فاختار سكنى الاسكندرية لانه استطابها وحصل له مال كثير من التجارة فاستمر الى ان مات بها شهيدا بالطاعون في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ومن الحوادث الغريبة في ايامه في سنة اثنتي عشرة كثر النيل في أول يوم من مسرى و بلغت الزيادة اثنتين وعشرين ذراعا وفي سنة اربع عشرة أرسل غياث الدين اعظم شاه بن اسكندر شاه ملك الهند يطلب التقليد من الخليفة وارسل اليه مالا وللسلطان هدية وممن مات في خلافته من الاعلام الموفق الناشري شاعر اليمن ونصر الله البغدادي عالم الحنابلة والشمس المعيد نحوي مكة والشهاب الحسباني والشهاب الناشري فقيه اليمن وابن الهائم صاحب الفرائض والحساب وابن العفيف شاعر اليمن والمحب بن الشحنة عالم الحنفية والدقاقي العسكر

(المعتضد بالله أبو الفتح)

المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل أمه أم ولد تركية اسمها كزل بويع بالخلافة بعد خلع أخيه سنة خمس عشرة والسلطان المؤيد فاستمر الى أن مات في محرم سنة أربع وعشرين فقلد السلطنة ابنه أحمد ولقب المظفر وجعل نظامه ططر ثم قبض عليه ططر في شعبان فلقده الخليفة السلطنة ولقب الظاهر ثم مات ططر من عامه في ذي الحجة فقلد ابنه محمدا ولقب الصالح وجعل نظامه برسباي ثم وثب برسباي على الصالح فخلعه وقلده الخليفة السلطنة في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين فاستمر الى أن مات في ذي الحجة سنة احدى وأربعين فقلد ابنه يوسف ولقب العزيز وجعل جقمق نظامه فوثب جقمق على العزيز وقبض عليه في ربيع الاول سنة اثنتين

الرجال*وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع*وينبغي أن يقرر مع أصحابه علامة يفهمون بها بعضهم من بعض ولا يفهمها غيرهم * وفي النسائي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كان سيمانا يوم بدر الصوف الابيض وفي موطن آخر قولهم يا منصور أمت وينبغي أن ينهى أصحابه عن النهب فربما غفلوا بسبب ذلك عن التوقي والاحتراز فكان فيه هلاكهم والقتال مع الرجالة صعب لانهم ان ظفروا خربوا وسبوا وأتلفوا وان كسروا هربوا وكذلك دأبهم وقل أن يربح عليهم الا أن يحاط بهم ولما كتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم يحرضه على قتال الترك بما وراء النهر فكتب اليه انهم طائفة شديدة الطلب قليلة السلب (فصل في الغارات والسرايا)* اذا نزل والي الحرب بمكان يركن اليه وجاءته الجواسيس بأخبار صحيحة عن عدوه قبل الحرب أو بعدها ورأى من المصلحة انفاذ سرية الى بعض النواحي فليؤمر عليهم من يرى نجابته وصلاحه لذلك وليكتم ذلك جهده وليور عنه بغيره فقد روي ان النبي عليه السلام فلما كان يخرج الى غارة الا ورى عنها بغيرها*وفي صحيح مسلم عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يغير اذا طلع الفجر وكان يستمع الاذان فان سمع أذانا أمسك والا أغار * و ينبغي لولي الحرب أن لا يهجم عليها هجوما ولا يقاتل الاعداء الا بعد الانذار وكذلك كان يفعل

وار بعين فقلده الخلافة ولقب القاهر فمات الخليفة في ايامه وكان المعتضد من سروات الخلفاء نبيلا ذكيا فطنا يجالس العلماء والفضلاء ويستفيد منهم ويشاركهم فيما هم فيه جوادا سمحا الى الغاية مات في يوم الاحد رابع ربيع الاول سنة خمس وار بعين وقد قارب السبعين (قاله ابن حجر) وأخبرتني ابنة أخيه انه عاش ثلاثا وستين ومن الحوادث الغريبة في أيامه سنة ست عشرة تولى الحسبة صدر الدين بن الآدمي مضافة للقضاء وهو أول من جمع بين القضاء والحسبة وفي سنة تسع عشرة وليها منكلي بغا وهو أول من ولي الحسبة من الاتراك في الدنيا وفيها ظهر بمصر شخص يدعي أنه يصعد الى السماء ويشاهد الباري تعالى ويكلمه واعتقده جمع من العوام فعقد له مجلس واستتيب فلم يتب فعلق المالكي الحكم بقتله على شهادة اثنين بانه حاضر العقل فشهد جماعة من أهل الطب انه مختل العقل فقيد في البيمارستان وفي سنة احدى وعشرين ولدت ببلبيس جاموسة مولودا برأسين وعنقين وأربعة ايدي وسلسلتي ظهر ودبر واحد ورجلين اثنين لاغير وفرج واحد انثى والذنب المفروق باثنين فكانت من بديع صنع الله وفي سنة اثنتين وعشرين وقع زلزلة عظيمة بارزنكان وهلك بسببها عالم كثير وفيها فتحت المدرسة المؤيدية وجعل شيخها الشمس بن المديري وحضر السلطان درسه وباشر ولد السلطان ابراهيم فرش سجادة الشيخ بيده وفي سنة ثلاث وعشرين ذبح جمل بغزة فاضاء لحمه كما يضيء الشمع ورمي منه قطعة لكلاب فلم يأكلها وفي سنة اربع وعشرين استمرت زيادة النيل الى آخر هاتور وغرق بذلك زرع كثير وفي سنة خمس وعشرين ولدت فاطمة بنت القاضي جلال الدين البلقيني ولدا خنثى له ذكر وفرج وله يدان زائدتان في كتفه وفي رأسه قرنان كقرني الثور ومات بعد ساعة وفيها زلزلت القاهرة زلزلة لطيفة وفيها كسر النيل في ثامن عشري أبيب وممن مات في أيامه من الاعلام الشهاب بن حجة فقيه الشام والبرهان بن رفاعة الاديب والزين أبو بكر المراغي فقيه المدينة ومحدثها والحسام الابيوردي والجمال بن ظهيرة حافظ مكة والمجد الشيرازي صاحب القاموس وخلف الحريري من كبار المالكية والشمس بن القباني من كبار الحنفية وأبو هريرة بن النقاش والوانوغي والاستاذ عز الدين بن جماعة وابن هشام العجمي والصلاح الاقفهسي والشهاب الغزي احد ائمة الشافعية والجلال البلقيني والبرهان البيجوري والولي العراقي والشمس بن المديري والشرف القباني والعلاء بن المغلي والبدر بن الدماميني والتقي الحصيني شارح أبي شجاع والهروي والسراج قارئ الهداية والنجم بن حجي والبدر البشتكي والشمس البرماوي والشمس الشطنوفي والتقي الفاسي والزين القمني والنظام يحيى السيرافي وقراء يعقوب الرومي والشرف بن مفلح الحنبلي والشمس بن القشيري وابن الجزري شيخ القرآن وابن خطيب الدهشة والشهاب الابشيطي والزين التفهني والبدر المقدسي والشرف بن المقري عالم اليمن صاحب عنوان الشرف والتقي بن حجة الشاعر والجلال المرشدي نحوي مكة والهمام الشيرازي تلميذ الشريف والجمال بن الخياط عالم اليمن والبوصيري المحدث والشهاب بن الحمرة والعلاء البخاري والشمس البساطي والجمال الكازروني عالم طيبة والمحب البغدادي الحنبلي والشمس بن عمار وآخرون

(المستكفي بالله أبو الربيع)

المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن المتوكل ولي الخلافة بعهد من أخيه وهو شقيقه وكتب له والدي رحمه الله نسخة العهد وهذه صورته هذا ما أشهد به على نفسه الشريفة حرسها الله تعالى وحماها وصانها من الاكدار ورعاها سيدنا ومولانا ذو المواقف الشريفة الطاهرة الزكية الامامية الأعظمية العباسية النبوية المعتضدية أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين ووارث الخلفاء الراشدين المعتضد بالله تعالى أبو الفتح داود أعز الله به الدين وأمتع ببقائه الاسلام والمسلمين انه عهد الى شقيقه المقر العالي المولوي الأصيلي العريقي الحسيبي النسيبي الملكي سيدي أبي الربيع سليمان المستكفي بالله عظم الله شأنه بالخلافة المعظمة وجعله خليفة بعده ونصبه اماما على المسلمين عهدا شرعيا معتبرا مرضيا نصيحة للمسلمين ووفاء بما يجب

رسول الله صلى الله عليه وسلم* وفي سنن (٢٠٦) أبي داود عن أبي هريرة قال النبي عليه السلام أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا فاذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم الا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين *ولا ينبغي أن يمثل ولا يعذب ولا يقتل الصبيان ولا النساء ولا الشيوخ ولا المرضى ولا الضعفاء وفي البخاري عن عطية القرظي قال عرضنا على النبي عليه السلام يوم قريظة فكان من ثبت قتل ومن لم يثبت خلي فكنت فيمن لم يثبت فخلي سبيلي وفي النساء عن أبي هريرة قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث وقال ان وجدتم فلانا وفلانا لرجلين من قريش فأحرقوهما بالنار ثم قال عليه السلام حين أردنا الخروج اني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا وان النار لا يعذب بها الا الله فان وجدتموهما فاقتلوهما *وفي صحيح مسلم عن بريدة بن حصيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال أغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال أو خلال فايتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى الاسلام فان أجابوك

عليه

عليه من مراعاة مصالح الموحدين واقتداء بسنة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وذلك لما علم من دينه وخيره وعدالته وكفايته وأهليته واستحقاقه بحكم انه اختبر حاله وعلم طويته وانه الذي يدين الله به انه اتقى ثقة ممن رآه وانه لا يعلم صدر منه ما ينافي استحقاقه لذلك وانه ان ترك الأمر هملا من غير تفويض للمشار اليه ادخل اذ ذاك المشقة على أهل الحل والعقد في اختيار من ينصبونه للامامة ويرتضونه لهذا الشان فبادر الى هذا العهد شفقة عليهم وقصد البراءة ذمتهم ووصول الأمر الى من هو اهله لعلمه ان العهد كان غير محوج الى رضا سائر أهله وواجب على من سمعه وتحمل ذلك منه ان يعلم به ويأمر بطاعته عند الحاجة اليه ويدعو الناس الى الانقياد له فسجل ذلك عليه من حضره حسب اذنه الشريف وسطر عن أمره قبل ذلك سيدي المستكفي أبو الربيع سليمان المسمى فيه عظم الله شأنه قبولا شرعيا وكان من صلحاء الخلفاء صالحا دينا عابدا كثير التعبد والصلاة والتلاوة كثير الصمت منعزلا عن الناس حسن السيرة وقال في حقه أخوه المعتضد لم أر على أخي سليمان منذ نشأ كبيرة وكان الملك الظاهر يعتقده ويعرف له حقه وكان والدي اماما له وكان عنده بمكان رفيع خصيصا به محترما عنده جدا وأما نحن فلم ننشأ الا في بيته وفضله وآله خير آل دينا وعبادة وخيرا ما أظن أنه وجد على ظهر الارض خليفة بعد آل عمر بن عبد العزيز أعبد من آل بيت هذا الخليفة مات في يوم الجمعة سلخ ذي الحجة سنة أربع وخمسين وله ثلاث وستون سنة ولم يعش والدي بعده الا أربعين يوما ومشى السلطان في جنازته الى تربته وحمل نعشه بنفسه

مات في أيامه من الاعلام التقي المقريزي والشيخ عبادة وابن كميل الشاعر والوفائي والقاياتي وشيخ الاسلام ابن حجر

(القائم بأمر الله أبو البقاء)

القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة بن المتوكل بويع بالخلافة بعد أخيه ولم يكن عهد اليه ولا الى غيره وكان شهما صارما أقام ابهة الخلافة قليلا وعنده جبروت بخلاف سائر اخوته ومات في ايامه الملك الظاهر جقمق في أول سنة سبع وخمسين فقلد ابنه عثمان ولقب المنصور فمكث شهرا ونصفا ثم وثب اينال على المنصور فقبض عليه فقلده الخليفة في ربيع الاول ولقب الاشرف ثم وقع بين الخليفة والاشرف بسبب ركوب الجند عليه فخلعه من الخلافة في جمادى سنة تسع وخمسين وسيره الى الاسكندرية واعتقله بها الى ان مات بها في سنة ثلاث وستين ودفن عند شقيقه المستعين والعجب ان هذين الاخوين الشقيقين خلعا من الخلافة واعتقل كل منهما بالاسكندرية ودفنا معا مات في أيام القائم من الاعلام والدي والعلاء القلقشندي

(المستنجد بالله خليفة العصر أبو المحاسن)

المستنجد بالله خليفة العصر أبو المحاسن يوسف بن المتوكل ولي الخلافة بعد خلع أخيه والسلطان يومئذ الاشرف اينال فمات في سنة خمس وستين فقلد ابنه أحمد ولقب المؤيد ثم وثب خشقدم على المؤيد فقبضه في رمضان من عامه فقلده ولقب الظاهر واستمر الى ان مات في ربيع سنة اثنتين وسبعين فقلد بلباي ولقب الظاهر فوثب عليه الجند بعد شهرين وقبضوه فقلد تمربغا ولقب الظاهر فوثبوا عليه أيضا بعد شهرين فقلد سلطان العصر قايتباي ولقب الاشرف فاستقر له الملك وسار في المملكة بشهامة وصرامة ما سار بها قبله ملك من عهد الناصر محمد ابن قلاوون بحيث انه سافر من مصر الى الفرات في طائفة يسيرة جدا من الجند ليس فيهم أحد من المقدمين الالوف ومن سيرته الجميلة انه لم يول بمصر صاحب وظيفة دينية كالقضاة والمشايخ والمدرسين الا أصلح الموجودين لها بعد طول تروية وتمهل بحيث تستمر الوظيفة شاغرة الاشهر العديدة ولم يول قاضيا ولا شيخا بمال قط وكان الظاهر خشقدم أول ما قلد قدم نائب الشام حاتم لموافقة كانت بينه وبين العسكر في سلطنته فأمر الظاهر حين

فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم انهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء الا أن يجاهدوا مع المسلمين فان هم أبوا فلهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم وذكر باقي الحديث فيما يتعلق بالحصار * ولا ينبغي أن يقتل النساء ولا الصبيان فقد ورد في الصحاح عن ابن عمر قال وجدت امرأة مقتولة في بعض تلك المغازي فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان * ولا يقتل من أعطى الامان وفي البخاري عن عبد الله ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من أربعين سنة وفي الصحاح عن أم هانئ انها اشتكت الى النبي عليه السلام عام الفتح فقالت يا رسول الله زعم علي انه قاتل رجلا قد أجرته فلان بن هبيرة فقال عليه السلام قد اجرنا من أجرت وفي النسائي عن عائشة قالت ان كانت المرأة لتجير العهد على المسلمين وفي رواية أخرى الوليدة

(فصل في ذكر بعض ولاة الحرب) لم يكن في الدولة الاموية أعظم من حروب الازارقة بعد حروب الصحابة والذي تولى معظم حربهم المهلب بن أبي صفرة ولا في الدولة العباسية أعظم من حرب البابكية الخرمية والذي ظفر ببابك هو

بلغه قدومه بطالوع الخليفة والقضاة الاربعة والعسكر الى القلعة وأرسل الى نائب الشام يأمره بالانصراف فانصرف بعد شروط شرطها وعاد القضاة والعسكر الى منازلهم واستمر الخليفة ساكنا بالقلعة ولم يمكنه الظاهر من عوده الى سكنه المعتاد فاستمر بها الى أن مات يوم السبت رابع عشرى المحرم سنة أربع وثمانين وثمانمائة بعد تمرضه نحو عامين بالفالج وصلى عليه بالقلعة ثم أنزل الى مدفن الخلفاء بجوار المشهد النفيسي وقد بلغ التسعين أو جاوزها

(المتوكل على الله أبو العز)

المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل على الله ولد سنة تسع عشرة وثمانمائة وأمه بنت جندى اسمها حاج ملك ولم يل والده الخلافة ونشأ معظما مشارا اليه محبوبا بالخاصة والعامة بخصاله الجليلة ومناقبه الحميدة وتواضعه وحسن سمته وبشاشته لكل أحد وكثرة أدبه وله اشتغال بالعلم قرأ على والدى وغيره وزوجه عمه المستكفي بابنته فأولدها أولادا صالحا فهو ابن هاشمي بين هاشميين ولما طال مرض عمه المستنجد عهد اليه بالخلافة فلما مات بويع بها يوم الاثنين سادس عشر المحرم بحضرة السلطان والقضاة والاعيان وكان أراد أولا التلقيب بالمستعين بالله ثم وقع التردد بين المستعين والمتوكل واستقر الامر على المتوكل ثم ركب من القلعة الى منزله المعتاد والقضاة والمباشرون والاعيان بين يديه وكان يوما مشهودا ثم عاد من آخر يومه الى القلعة حيث كان المستنجد ساكنا بها ففي هذه السنة سافر السلطان الملك الاشرف قايتباى الى الحجاز برسم الحج وذلك أمر لم يعهد لملك أكثر من مائة سنة فبدأ بزيارة المدينة الشريفة وفرق بها ستة آلاف دينار ثم قدم مكة وفرق بها خمسة آلاف دينار وقرر بمدرسته التي أنشأها بمكة شيخا وصوفية وحج وعاد وزينت البلد لقدومه أياما وفي سنة خمس وثمانين خرج عسكر من مصر عليهم الدوادار يشبك الى جهة العراق فالتقوا مع عسكر يعقوب شاه بن حسن بقرب الرهى فكسر المصريون وقتل منهم من قتل وأسر الباقون وأسر الدوادار وضرب عنقه وذلك في النصف الثاني من رمضان والعجب ان الدوادار وهذا كان بينه وبين قاضي الحنفية شمس الدين الامشاطي بمصر وقعة كبيرة وكل منهما يود زوال الآخر فكان قتل الدوادار بشاطئ الفرات وموت الامشاطي بمصر في يوم واحد وفي سنة ست وثمانين زلزلت الارض يوم الاحد بعد العصر سابع عشر المحرم زلزلة صعبة ماجت منها الارض والجبال والابنية موجا ودامت لحظة لطيفة ثم سكنت فالحمد لله على سكونها وسقط بسببها شرافة من المدرسة الصالحية على قاضي القضاة الحنفي شرف الدين بن عيد فمات فانا لله وانا اليه راجعون وفي هذه السنة في ربيع الاول قدم الى مصر من الهند رجل يسمى خاكد زعم ان عمره مائتان وخمسون سنة فاجتمعت به فاذا هو رجل قوى لحيته كلها سوداء لا يجوز العقل ان عمره سبعون سنة فضلا عن أكثر من ذلك ولم يأت بحجة على ما يدعيه والذى اقطع به انه كذاب ومما سمعته منه انه قال انه حج وعمره ثمان عشرة سنة ثم رجع الى الهند فسمع بذهاب التتار الى بغداد ليأخذوها وانه قدم الى مصر زمن السلطان حسن قبل ان يبنى مدرسته ولم يذكر شيأ يستوضح به على قوله وفيها ورد الخبر بموت السلطان محمد بن عثمان ملك الروم وان ولديه اقتتلا على الملك فغلب أحدهما واستقر في المملكة وقدم الآخر الى مصر فاكرمه السلطان غاية الاكرام وانزله ثم توجه من الشام الى الحجاز برسم الحج وفي شوال قدمت كتب من المدينة الشريفة تتضمن ان في ليلة ثالث عشر رمضان نزلت صاعقة من السماء على المئذنة فاحرقتها واحرقت سقوف المسجد الشريف وما فيه من خزائن وكتب ولم يبق سوى الجدران وكان أمرا مهولا مات يوم الاربعاء سلخ المحرم سنة ثلاث وتسعمائة وعهد بالخلافة لابنه يعقوب ولقبه المستمسك بالله وهذا آخر ما تيسر جمعه في هذا التاريخ وقد اعتمدت في الحوادث على تاريخ الذهبي وانتهى الى سنة سبعمائة ثم على تاريخ ابن كثير وانتهى الى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ثم على المسالك وذيله الى سنة ثلاث وسبعين ثم على أنباء الغمر لابن حجر الى سنة خمسين وثمانمائة وأما غير الحوادث فطالعت عليه تاريخ بغداد للخطيب عشر مجلدات

الحربية ما يفيده كثيرا من التجارب والمخادعات وأما المخادعات الناموسية ففي أخبار الخوارج مثل القرامطة والحرورية (نقل) أن ابن بابك الحرمي كان يوهم أصحابه أنه يعلم ما في باطنهم ويفهم وليه وناصحه من عدوه وغاشه وانه تقدم يوما الى من يريد الفتك به فقال له أريد منك أن تلبس غدا أحصن السلاح وتخرج من ليلتك فتصير في الكهف الفلاني أو الخربة الفلانية فاني مبكر عليك في أصحابي فاذا حاذيت موضعك فاخرج شاهرا على كأنك تريدني حتى أعلم من أصحابي أي أشد نصرة لي فانهم اذا ابتدروا اليك بينهم فمضى ذلك الرجل في سلاحه الى حيث أمره ثم قال لاصحابه أن فيمن أحسن اليه من أصحابي واحنو عليه من يغشني ويريد هلاكي وأنا أعلم ذلك وأغضى عنه فتبرموا من ذلك وقالوا معاذ الله أن يضمر لك أحد من أصحابك سوأ أو مكروها فقال بلى ومن جلتهم فلان ثم عزم على الخروج الى الصيد فخرج معه أصحابه مبكرا ومر بذلك الموضع فخرج عليه ذلك الشخص الذى أعده لما أعد فبادرت اليه أصحاب بابك بالسيوف والدبابيس وهو معهم فقتل قبل ان يتكلم فعظم خوف أصحابه منه وتوهموا انه يعلم ما في ضمائرهم (وقال) كسرى في خطبته الكبرى معاشر الجند والمرازبة أن فيكم قوما يبطنون الغش وتاريخ

لناوالحقد ونحن لايخفى علينا ذلك فاننا نامعه في اسارير الوجوه فاذا دخل علينا كارهنا ظهر لنا من لحانه ونظرانه وفلتات لسانه فننقبض عنه لنختبر صحة ذلك فلا تزال شواهده تظاهر حتى نقطع بصحته ونبت الحكم فيه فأوهم أصحابه انه يطلع على بواطنهم فلا يراه أحد قد انقبض الا توهم وخاف وان كان على حالة رجع عنها ويحكى أن نصر بن نوح الساماني كان قد اتخذ جماعة من الجند والرعية فاحسن اليهم سرا ووسع عليهم في النفقات وأظهر عنهم الاعراض وحجبهم ورد من يشفع لهم فاذا كان له غرض في بلد من البلاد أظهر شدة الغضب عليهم ونفاهم فينصرفون الى تلك الناحية التى يريد فيبلغونه غرضه اما بانهاء أخبار أو بتضريب أو باعانة في موعد وقد فتح قلعة وبلادا كثيرة على جيحون بهذه الحيلة وقد كان بعض الملوك يحبس قوما ويقيدهم ويشهر ذلك ثم يتغافل عنهم ليهربوا وقد رتب ما يفعلونه فينال بهم غرضه (ويحكى) أن (٢٠٩) خالد بن ملكان كان في بعض أسفاره مع خطبة فنزل في صحراء يتغذى والعسكر قد نزعوا ثيابهم وسرحوا في المرج خيولهم وشرعوا في الطبخ اذ صاح خطبة معاشر الناس اركبوا فالخيل تدرككم وركب والح على خالد فما تكاملوا على خيولهم الا والغبرة قد ظهرت من صدر البرية ثم ظهر سرعان الخيل فصادفهم على يقظة وأهبة وكان ذلك سبب سلامتهم والانتصار عليهم فسئل عن معرفته بذلك فقال رأيت الوحش قد أقبلت من البرية جافلة ملتمة من أصناف فعلمت انها مطرودة جافلة من عسكر قد راعها فكان كما ظننت وكثيرا ما جربت ونظير هذه الحكاية ما قالت حذام لقومها وقد نزلوا في فلاة من الارض وكانوا قد تحاجزوا مع محارب لهم من بني عمهم فلما كان الليل مرت بهم أسراب القطا فخرجت حذام ابنة الريان وقالت

الا ياقومنا ارتحلوا وسيروا * فلو ترك القطا ليلا لناما

فلم يتحركوا من نعتهم ولم يقبلوا منها فخرج دسيم بن طارق وصاح

اذا قالت حذام فصدقوها * فان القول ما قالت حذام

ثم ألزمهم الرحيل فساروا والجأوا الى واد بالقرب منهم واعتصموا به حتى امتنعوا من القوم وبينهم العساكر فلم يظفروا بطائل وكان كما قالت (ومن حذق الملوك) ما يحكى ان أحمد بن طولون كان في متصيد له وقد نزل يتغذى فرأى فقيرا يدور حول خيامه ويتعرض للطلب والتصدق فامر الغلام فدفع له دجاجة وبعض أوزة بين رغيفين فناوله وهو ينظر اليه من سجف الخيمة ثم أمر بادخاله اليه وسأله من أين أقبل واستنطقه ثم قال هاتوا المقارع أنت صاحب خبر فاعترف ثم ضربه يسيرا فاخرج الكتب التي صحبته فتعجب الناس من فطنته كيف استخرج ذلك وسأله خواصه عن ذلك فقال علامة فقره ظاهرة وهي الحاجة في الطلب ولما ناوله الغلام الطعام لم يهش له ولم يظهر فيه سرور يناسب فقره فعلمت انه متصنع لذلك مستغن وان قصده غير الصدقة (ويحكى) ان الشيخ عبد الله بن ياسين صاحب دولة الملثمين والمتملك على البلاد كان يوما جالسا

وتاريخ دمشق لابن عساكر سبعة وخمسين مجلدا والاوراق للصولي سبع مجلدات والطيوريات ثلاث مجلدات والحلية لابي نعيم تسع مجلدات والمجالسة للدينوري والكامل للمبرد مجلدين وامالي ثعلب مجلدا وغير ذلك وقد عمل بعض الاقدمين أرجوزة في اسماء الخلفاء ووفياتهم انتهى فيها الى أيام المعتمد وقد عملت قصيدة أحسن منها ورأيت أن اختم بها هذا الكتاب وهي هذه

الحمد لله حمدا لانفاد له * وانما الحمد حقا أس من شكرا
ثم الصلاة على الهادي النبي ومن * سادت بنسبته الاشراف والكبرا
ان الامين رسول الله مبعثه * لاربعين مضت فيما رووا وعمرا
وكان هجرته فيها الطيبة * بعد الثلاثة أعواما تلي عشرا
ومات في عام احدى بعد عشرتها * فيا مصيبة أهل الارض حين سرى
وقام من بعده الصديق مجتهدا * وفي ثلاثة عشر بعده قبرا
وهو الذي جمع القرآن في صحف * وأول الناس سمى المصحف الزبرا
وقام من بعده الفارق ثم في * عشرين بعد ثلاث غيبوا عمرا
وهو الذي اتخذ الديوان وافترض العطاء قبل وبيت المال والدررا
سن التراويح والتاريخ وافتتح الفتوح جاوز زاد الحد من سكرا
وهو المسمى أمير المؤمنين ولم * يدعى به قبله شخص من الامرا
وقام عثمان حتى جاء مقتله * بعد الثلاثين في ست وقد حصرا
وهو الذي زاد في التأذين أوله * في جمعة وبه رزق الاذان جرى
وأول الناس ولى صحب شرطته * حمى الحمى أقطع الاقطاع اذ كثرا
وبعد قام علي ثم مقتله * لاربعين فمن أرداه قد خسرا
ثم ابنه السبط نصف العام ثم أتى * بنو أمية يبغون الوغى زمرا
فسلم الامر في احدى لرغبته * عن دار دنيا بلا ضير ولا ضررا
وكان أول ذي ملك معاوية * في النصف من عام ستين الحمام عرا
وهو الذي اتخذ الخصيان من خدم * كذا البريد ولم يسبقه من أمرا
واستخلف الناس لما ان يبايعهم * والعهد قبل وفاة لابنه ابتكرا
ثم اليزيد ابنه أخبث به ولدا * في أربع بعدها ستون قد قبرا
وابن الزبير وفي سبعين مقتله * بعد الثلاث وكم بالبيت قد حصرا

فى خيمته مع خواصه فرأى حجامايدور حول خيمته ويعرض بصنعته فأمر بادخاله وسأله عن موضعه وكان غريبا فلم يزل يستنطقه حتى أمر بأن يخرج محاجمه ومشارطه وأمر بأن يشرط بها فقال لاحاجة لى بالحجامة فأمسك وجحم فورم موضع الحجامة بعد قليل وكانت المشارط مسمومة فتعجب من حضر من فطنته وسئل عن ذلك فقال الريبة ظاهرة وذلك انه غريب ويوم صائف وآخر النهار وهو يلح ويدور حولنا واستدعاه غيرنا فلم يلتفت اليه فعلمت ان القصد لنا فقرر فكان دسيسة من عند على بن يوسف وهو نائبه على البلاد وخليفته بها * (الباب الثامن فى الكسر والهزيمة وما ينبغى ان يفعله الهازم والمهزوم) * الحرب سجال وتارات والكاسر لايغتر والمكسور لاييأس ففى الوصايا الحربية اذا كسرت جيشا فلا تترك أصحابك يشتغلون بالنهب والغارة فكم قد كر العدو المخذول المكسور وخصمه بالنهب غار غافل فأوقع به فعادت الكسرة له وان لم يكن بد من ذلك فليكن مع الاحتراز وحفظ الظهور والاجتناب من جهة العدو ولما هزم اخشوار لفيروز وملك الفرس وأسر أصحابه وسقط هو عن فرسه فى خندق فمات وأخذت ابنته وأمواله فبلغ ذلك نائبه سودخذ افجمع نخبة من بقى من عسكره وسار مجدا وضم معه من وجد من الفل حتى أطل على عسكر اخشوار وقد أمنوا وتفرقوا بالغنائم واستراحوا فصدقهم القتال وكسرهم واستعاد غنائمهم (ولما) قاتل الملك رضوان جموع العرب من بنى كلاب وغيرهم كسرهم واستولى على حلالهم وأخذ نساءهم وأموالهم وباتوا فى موضعهم مع جواريهم وقد نحروا جزرهم وأغنامهم وأكلوا وشربوا وفرشوا وناموا وغفلوا واغتروا فتجمعت ملوك العرب وصبحتهم صباحا فى دارهم فقتلت منهم القتلة الذريعة وكسرتهم الكسرة الشنيعة واستولوا على أموالهم وحرمهم واستضافوا أموال الغير وأثقالهم وكان سبب ذلك مع تقدير الله تعالى غرتهم فى وطمأنينتهم فينبغى لمن قدر وملك وانتصر ان لا يتتبع فان ذلك ردىء العاقبة ولا يمثل ولا يعذب قال عليه السلام اذا قتلتم فأحسنوا القتلة (وأما الخوارج والبغاة) فلا يجوز ان يتبع مهزومهم ولا يجهز على جريحهم ولا يدل على من خفى منهم ومن حق الغالبين التناصف فيما بينهم واستعمال الامانة فيما يغتنمونه ولا يخون أحدهم صاحبه وقد وردت المناهى الشرعية بذلك والتشديد على من غل بل يجمع ويقسمه الامام أو السلطان أو والى الحرب بين الغانمين على حكم الله تعالى والسلب للقاتل وينفل من يشاء بشىء من الغنائم اذا ظهر منه النجابة وجودة المحاربة والاجتهاد ثم يشتغلون بشكر الله تعالى وحمده على ما أنعم عليهم وبما نصرهم ولا يغترون بقوتهم ولا بكثرتهم ولا بشجاعتهم فانه ردىء العاقبة ألا ترى ان أصحاب النبى عليه السلام لما قالوا يوم حنين وهم فى اثنى عشر ألف مقاتل لن نغلب اليوم من قلة فغفلوا عن الاصل وهو النصر الربانى والتأييد السماوى واغتروا بالعدد

وفى ثمانين مع ست تليه قضى * عبد الملك له الامر الذى اشتهرا
ضرب الدنانير فى الاسلام معلمة * وكسوة الكعبة الديباج مؤتجرا
وهو الذى منع الناس التراجع فى * وجه الخليفة مهما قال آوامرا
وأول الناس هذا الاسم سميه * وأول الناس فى الاسلام قد غدرا
ثم الوليد ابنه فى قبل مارجب * فى الست من بعد تسعين انقضى عمرا
وهو الذى منع الناس النداء له * باسم وكانت تنادى باسمها الامرا
وقام بعد سليمان الخيار وفى * تسع وتسعين جاء الموت فى صفرا
وبعده عمر ذاك النجيب وفى * احدى تلى مائة قد ألحدوا عمرا
وهو الذى أمر الزهرى خوف ذها * ب العلم ان يجمع الاخبار والاثرا
ثم اليزيد وفى خمس قضى وتلا * هشام فى الخمس والعشرين قد سطرا
ثم الوليد وبعد العام مقتله * من بعد ماجاء بالفسق الذى شهرا
ثم اليزيد وفى ذا العام مات وقد * أقام ست شهور مشبل ما أثرا
وبعده قام ابراهيم ثم مضى * بالخلع سبعين يوما قد أقام ترى
وبعده قام مروان الحمار وفى * ثنتين بعد ثلاثين الدماء جرى
وقام من بعده السفاح ثم قضى * بعد الثلاثين فى ست وقد حذرا
وقام من بعده المنصور ثمت فى * خمسين بعد ثمان محرما قبرا
وهو الذى خص أعمالا مواليه * وأهمل العرب حتى أمرهم دثرا
ثم ابنه وهو المهدى مات لدى * تسع وستين مسموما كذا ذكرا
ثم ابنه وهو الهادى وموته * فى عام سبعين لما هم أن غدرا
ثم الرشيد وفى تسعين تالية * ثلاثة مات فى الغزو الرفيع ذرا
ثم الامين وفى تسعين تالية * ثمانيا جاءه قتل كما قدرا
وقام من بعده المامون ثمت فى * ثمان عشرة كان الموت فاعتبرا
وقام معتصم من بعده وقضى * فى عام سبع وعشرين الذى أثرا
وهو الذى أدخل الاتراك منفردا * دوانه واقتناهم جالبا وشرا
ثم ابنه الواثق المالى الورى رعبا * وفى ثلاثين مع ثنتين قد غبرا
وذو التوكل ما أزكاه من خلف * ومظهر السنة الغراء اذ نصرا

والعدد وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين كان عاقبة ذلك انهم كسروا وقال الله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم الآية واذا أراد استبقاء البلد فليأمرهم بعمارة ماخرب وغرس ماقطع من الأشجار ويعينهم على ذلك ويحط عنهم بعض الكلف وان كان يريد خراب البلد لعجزه عن حفظها فلينقل الرعية الى بلد آخر ويسبب لهم مايعيشون به أو يوصلهم الى مأمنهم وأما الاسرى فيتعين الاحسان اليهم والشفقة عليهم فهو من المروأة والدين قال عليه السلام من أمن رجلا على دمه ثم قتله فانه يحمل لواء غدر يوم القيامة وقال تعالى فى الحث على الاحسان الى الاسير ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا *(فصل)* ومن كان مهزوما فليرجع الى الصبر والجلد ويتحفظ بما بقى ويجمع اليه من أمكنه من المنهزمين ويتراجعون على جيشهم ويجعلون من جهة العدو أكثرهم (٢١١) وأشجعهم فيكف عن المنقطعين ويلحق المتخلفين وينبغى ان يقصدوا أقرب المواضع المنيعة الحصينة (قيل) ان بعض ملوك الفرس حضر فى حرب فكسر فيها وانهزم وأدركته الخيل فنثر دنانير كانت معه وجواهر فاشتغل الذين أدركوه بجمعها حتى فاتهم وبعضهم رمى بمنطقة وتعاليقها فاشتغل عنهم بها ونجا ولما انهزم خدابنده الحرمى وتبعته الخيل انتهى الى مضيق فى غيضة ملتفة فصاح باسماء جماعة من أصحابه وقال اخرجوا اليهم يوهم انه انتهى الى كمين له فتوقف الطالب عنه حتى فات وجد فى السير (وأما) من قصده الغزاة لاغير فلا يلتهى بكسب ولا مناطق ولا يغتر بشئ منه ولا يكون غرضه الا طلب الغريم لاغير كما جرى فى فتح مصر لما فتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه فمن ذلك انه لما كان المسلمون يحاصرون الحصن كان عبادة بن الصامت رضى الله عنه فى مصلاه يصلى وفرسه عنده فرآه قوم من الروم فخرجوا اليه وعليهم حلة وبزة فلما دنوا منه سلم من صلاته ووثب على فرسه ثم حمل عليهم فلما رأوه غير مكترث بهم ولوا راجعين واتبعهم فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم يشغلونه بذلك عن طلبهم وهو لا يلتفت اليه حتى دخلوا الحصن ورمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة فرجع ولم يلتفت الى ماطرحوه ولا تعرض لشئ منه ورجع الى مصلاه الذى كان به واستقبل الصلاة وخرج الروم الى متاعهم يجمعونه (وأما) همم الملوك العلية فى جمع العساكر والحشود اذا دهمهم العدو الثقيل فانهم أعمر من ديار مصر ولا أكثر من أهلها ولا أسرع من جمع جيوشها ومما نقل فى التواريخ انه لما أوحى الله الى موسى عليه السلام أن أسر بعبادى ليلا الآية مما رواه الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال كان بنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون حليا وثيابا وقالوا ان لنا عيدا نخرج اليه فخرج بهم موسى عليه السلام ليلا وهم ستمائة ألف وثلاثة آلاف وسبعون رجلا ليس فيهم ابن ستين ولا ابن عشرين سنة فذلك قول فرعون ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون

فى عام سبع يليها أربعون قضى * قتلا حباه ابنه المدعو منتصرا
فلم يقم بعده الا اليسير كما * قد سنه الله فيمن بعضه غدرا
والمستعين وفى عام اثنتين تلى * خمسين خلع وقتل جاءه زمرا
وهو الذى أحدث الاكمام واسعة * وفى القلانس عن طول أتى قصرا
وقام من بعده المعتز ثمت فى * خمس وخمسين ففى قتله أثرا
والمهتدى الصالح الميمون مقتله * من بعد عام وقفا قبله عمرا
وقام من بعده بالامر معتمد * فى عام تسع وسبعين الحمام عرا
وذاك أول ذى أمر له حجروا * وأول الناس موكولا به قهرا
وقام من بعده بالامر معتضد * وفى ثمانين مع تسع مضت قبرا
ثم ابنه المكتفى بالله أحد فى * خمس وتسعين سبحان الذى قدرا
فى عام عشرين فى شوال بعد مئ * ثلاثة مقتل المدعو مقتدرا
وبعده القاهر الجبار بخلعه * فى اثنتين من بعد عشرين وقد سمرا
وقام من بعده الراضى ومات لدى * تسع وعشرين وانسب عنده احوا
والمتقى ومضى بالخلع منسملا * من بعد أربعة الاعوام فى صفرا
وقام بالامر مستكفيهم وقفا * من بعد عام لامر المتقى أثرا
ثم المطيع وفى ستين يتبعها * ثلاثة فى أخير العام قد عبرا
ثم ابنه الطائع المقهور بخلعه * عام الثمانين مع احدى كما أثرا
ثم الامام أبو العباس قادرهم * فى اثنتين من بعد عشرين مضت قبرا
ثم ابنه قائم بالله مات لدى * سبع وستين من شعبان قد سطرا
والمقتدى مات فى سبع بأولها * بعد الثمانين جد الملك واقتدرا
وقام من بعده مستظهر وقضى * فى سادس القرن فى اثنتين تلى عشرا
وقام من بعده مسترشد ولدى * تسع وعشرين فيه القتل حل عرا
ثم ابنه الراشد المقهور بخلعه * من بعد عام فلا عين ولا أثرا
والمقتفى مات من بعد التمكن فى * خمس وخمسين وانقادت له النصرا
وقام من بعده مستنجد وقضى * من بعد ستين فى ست وقد شعرا
والمستضئ بامر الله مات لدى * خمس وسبعين بالاحسان قد بهرا

فخرج فرعون فى أثرهم ومعه خمسمائة ألف سوى الجنبتين والقلب وفى رواية أخرى عن عمرو بن ميمون قال خرج موسى عليه السلام ببنى اسرائيل فلما أصبح فرعون أمر بشاة فأتى بها فأمر بذبحها ثم قال لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع عندى خمسمائة ألف من القبط فاجتمعوا اليه فقال لهم فرعون ان هؤلاء لشرذمة قليلون وكان أصحاب موسى ستمائة ألف وسبعين ألفا وأما أصحاب فرعون فما كان فيهم من بلغ الاربعين سنة فذلك قوله تعالى فاستخف قومه فأطاعوه فذلك مصر لا يوزن به ملك الارض عنه فيجب عليه اذا دهمه أمر بذل الاموال والمسارعة فى جمع الرجال والحماية عن الدين والحريم لترفع له الدرجات فى الدنيا وفى دار النعيم والله يؤيده بنصره وتوفيقه ويسلك به مناهج العدل وطريقه *

(الباب التاسع فى الحصار وفتح القلاع وما ينبغى ان (٢١٢) يفعله الحاصر والمحصور) *

البلاد العظام تؤخذ بتفريق الكلمة وكذلك الجموع الكثيرة والبلاد الصغار والقلاع تؤخذ بالحرب أو بالمكيدة فمنها مواضع لا ترام بأصل الخلقة مثل الجبال الشاهقة المنقطعة ذوات المسالك الصعب ومثل الجزائر التى لا مرامى حولها ومثل الشعارى الملتفة الكثيرة التى لا يطمع فى احراقها واستئصالها فأهل هذه المواضع يقنع منهم بالمسالمة وكف الاذى ويحسن اليهم على ذلك ويتفقدون بالبر والاطلاق والالطاف فان التعب عليهم كثير والظفر بهم عسير وأما المواضع التى حصنت بالاسوار والخنادق وشحنت بالرجال ووعرت طرقها فكل ذلك يمكن مقاومته بآلات الحصار وبالحيل والمصابرة فى الحرب فالاسوار المحكمة تقابل بالمنجنيقات اذا كانت مرتفعة واذا كانت مرحلة فبالكباش والدبابات واذا كانت حصانتها بالمضايق ووعر المسالك فيجتهد فى توسيع الطرق وتسهيلها وشرح ذلك يطول والى الحرب يقاوم كل شئ بما يشابهه ويقاومه أما التحيلات والمكايد فى تفريق الكلمة وفتح البلاد الكبار ولا فهو ان يبحث أولا عن أهل البلد بحثا جيدا فلا بد ان يكون فيهم اختلاف من جهة الدين أو من جهة الدنيا أو من جهة النسب ولا يخلو مع هذا ان يكون بينهم تحاسد وتباغض وتنافس فيدس اليهم من يؤلب بينهم ليفرق جمعهم وان كان لهم زعماء دس الى زعمائهم وليقصد الطائفة الضعيفة أو المقهورة فانها تلبى كل داع وبعضهم ينثر رقاعا فيها كلام يرمى بينهم وبعضهم يلقى على مسامع النساء والصبيان كلاما يكون مبدأ الاشتهار والارجاف وان كانت البلد صغيرة فالحصار كما ذكرنا وقد تحيل بعضهم بان قطع أخبار جماعة من الجند وأظهر جفوتهم وأبطل الاحسان اليهم وطردهم فيسيرون الى القلعة التى يريد حصارها ويكونون له هنالك ليوم قصده وبعضهم سير التجار وأعطاهم الاموال وبعثهم الى الناحية التى يقصدها وقريب من ذلك ما ذكر ان جنكيزخان ملك المغل حاصر قلعة مدة سنتين فلم يقدر عليها فعظم ذلك عليه فضرب مشورة مع وزرائه وأركان

وقام من بعده بالامر ناصرهم * ومات فى اثنتين مع عشرين اذ كبرا
وقام من بعده بالامر ظاهرهم * تسعا شهورا فاقلل مدة قصرا
وقام من بعده مستنصر وقضى * لاربعين وكم يرثيه من شعرا
وقام من بعده مستعصم ولدى * ست وخمسين كان الفتنة الكبرا
جاء التتار فاردوه وبلدته * فيلعن الله والمخلوقة التترا
مرت ثلاث سنين بعده ويلى * نصف ودهر الورى من قائم شغرا
وقام من بعد ذا مستنصر وثوى * فى آخر العام قتلا منهم وسرى
أقام ست شهور ثم راح لدى * مهل ستين لم يبلغ بها وطرا
وقام من بعده فى مصر حاكمهم * على وهى لا كمن من قبله غبرا
ومات فى عام احدى بعد سبع مئ * وقام من بعد مستكفيهم وجرى
فى أربعين قضى اذ قام واثقهم * ففى اثنتين مضى خلعا من الامرا
وقام حاكمهم من بعده وقضى * عام الثلاث مع الخمسين معتبرا
وقام من بعده بالامر معتضد * وفى الثلاثة والستين قد عبرا
وذو التوكل يتلوه اقام الى * بعد الثمانين فى خمس وقد حصرا
وبايعوا واثقا بالله ثمت فى * عام الثمان قضى وسمه عمرا
وبايعوا بعده بالله معتصما * لعام احدى وتسعين ازيل ورا
وذو التوكل ردوه اقام الى * ذا القرن عام ثمان منه قد قبرا
فى عهده زيد من بعد الاذان على * خير النبيين تسليم كما امرا
وأحدث السمة الخضراء للشرفا * يا حسنها من سمات بوركت خضرا
أولاده منهم خمس مجللة * جاؤا الخلافة اذ كانت لهم قدرا
فالمستعين وآل الامر أن خلعوا * فى شهر شعبان فى خمس تلى عشرا
وقام من بعده بالامر معتضد * لاربعين تليها الخمسة احتضرا
وقام بالامر مستكفيهم وقضى * فى عام الاربع والخمسين مصطبرا
وقام قائمهم من بعد ثمت فى * تسع وخمسين بعد الخلع قد حصرا
وقام من بعده مستنجد دهرا * خليفة العصر وقاه الاله ذرى
وليس يعرف فى الاعصار قبلهمو * خمس ولوا اخوة بل أربع آمرا

دولته فأشار بعضهم بأن يرحل عنها الآن وهو يدبر أمراً فإنه إذا رجع إليها بعد هذه الكرة تفتح له في ساعتها فرحل عنها واستبشر أهل القلعة ودقوا البشائر وأما ما كان من المشير على جنكيزخان من الرحيل فإنه استدعى بأولاد المغل قدر خمسمائة صبي دون العشرين سنة وفوق الخمس عشرة أعمارهم ودس إليهم إنكم تروحون إلى القلعة الفلانية تبيعكم التجار بها فإذا استقررتم هنالك ورأيتم الملك جنكيزخان قد أقبلت جيوشه إليكم فلا يكن لكم أمر إلا وضع السيف في استاذيكم وتفتحون باب القلعة وتخرجون إلى آبائكم بعد أن تقتلوا المقاتلة ولكم عنده اليد البيضاء ووعدهم بما يسرهم واستحضر التجار ودفع لهم أولئك وقال روحوا بيعوهم في القلعة الفلانية على كل من فيها بالنقد والأجل ففعلوا ذلك ثم إنه أغفلهم سنة وقال لجنكيزخان أما تعزم حتى تأخذ القلعة التي حاصرتها فتوجه ببعض عساكره فلما أقبل على (٢١٣) القلعة تأهب أهلها ولبسوا آلة الحرب وألبسوا أولئك المماليك ليقاتلوا معهم فلما استقر حالهم ورأوا الجيش قد اختلط بالقلعة صرخوا صرخة واحدة ووضعوا السيف في استاذيهم واشتغلوا بذلك وتوجه بعضهم إلى الباب ففتحوه ودخل المغل فلم يجدوا مانعاً فدخلوا القلعة وتملكوها وأوفى جنكيزخان بما وعد وشكر المشير على حسن تدبيره وضاعف الاحسان إليه (وأما) من جاد بنفسه في مصالح الناس ورد عنهم ما ليس لهم به طاقة فكما فعل شيخ من أهل هراة لما قصدهم فيروز ملك الفرس فتبرع شيخ من شيوخهم بنفسه وفداهم بها وذلك أنه قطع أنفه وأذنيه وأظهر أثر الضرب بظهره وألقى نفسه على طريقهم حتى مروا به فرحموه ورفعوه معهم وقد هالهم ذلك فقال إني أدلكم على طريق مختصرة تصلون في أيام قلائل ولا يشعرون بكم ولكن تحملون الماء معكم ثلاثة أيام ففعلوا وسار بهم وتوسط بهم البر فلما كان في اليوم الرابع اشتد بهم العطش وهو يعدهم ويقول وصلتم حتى كان أول اليوم الخامس قال لهم اعلموا أن أقرب المياه إليكم الماء الذي تركتموه وراءكم فاصنعوا ما شئتم وهذا الذي أردت منكم فسقط في أيديهم وقتلوه وساروا حيارى حتى هلكوا هم ودوابهم ولم ينج منهم إلا اليسير وقد يحيل بعضهم بإنفاذ كتب مع جواسيس إلى أعيان البلد والحصن كأنها أجوبة كتب وصلت منهم ليوقع الشك فيهم والتوحش بينهم والريبة بهم وبعضهم كتب ذلك في السهام ورمى بها تتضمن الوعود الجميلة وإسقاط الكلف التي يكرهونها وربما تضمنت التهديد والتخويف بسبي الذراري وقتلهم وإخراب الديار وقطع الأشجار وينبغي أن يقصد إلى المواضع المستضعفة فيشدد في قتالها وإذا رأى قطع الشجر وإحراق الدور فيفعل ذلك قال الله تعالى ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين وقد قطع النبي عليه السلام نخل بني النضير وإن أمكن أن تقطع عنهم الميرة والأقوات فقد استغنى عن الحصار وكل موضع يمكن قطع الماء والميرة عنه فهو مأخوذ

ولاشقيقان الا غير خامسهم * كذا الرشيد مع الهادي كذ كرا
كذا سليمان من بعد الوليد كذا * نجلا الوليد يزيد والذي أثرا
وما تكرر في بغداد من لقب * ولا تلا ابن أخ عم خلا انفرا
اثنان فالمقتفي عن راشد وكذا * مستنصر بعد مقتول التتار عرا
أولئك القوم أرباب الخلافة خذ * سبعين من غير نقص عدها حصرا
من الصحابة سبع كالنجوم ومن * بني أمية اثنان تلي عشرا
ولم أعد أبا عبد المليك فذا * باغ كما قاله من ورخ السيرا
وعدة من بني العباس شامخة * احدى وخمسون لاقات لهم نصرا
تبقى الخلافة فيهم كي يسلمها الـمهدي منهم الى عيسى كما أثرا
وبعد نظمي هذا النظم في مدد * قضى خليفتنا المذكور مصطبرا
في عام الاربع في شهر المحرم من * بعد الثمانين يوم السبت قد قبرا
وبويع ابن أخيه بعده ودعي * بذي التوكل كالجد الذي شهرا
ولم يسم امام في الأولى سبقوا * عبد العزيز سواه فاسمه ابتكرا
فالله يبقيه ذا عز ويحفظه * ويجعل الملك في أعقابه زمرا
ومات عام ثلاث بعد تسع مئ * سلخ المحرم عن عهد لمن سطرا
لنجله البر يعقوب الشريف وقد * لقب مستمسكا بالله في صفرا

(فصل) في الدولة الاموية القائمة بالاندلس أولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بويع بالخلافة لما دخل الاندلس هاربا وذلك في سنة ثمان وثلاثين ومائة وكان من أهل العلم والعدل مات سنة سبعين ومائة في ربيع الآخر وقام بعده ابنه هشام أبو الوليد ومات في شهر صفر سنة ثمانين ومائة وقام بعده ابنه الحكم أبو المظفر الملقب بالمرتضى ومات في ذي الحجة سنة ست ومائتين وقام بعده ابنه عبد الرحمن وهو أول من فخم الملك بالاندلس من الاموية وكساه أبهة الخلافة والجلالة وفي أيامه أحدث بالاندلس لبس المطرز وضرب الدراهم ولم يكن بها دار ضرب منذ فتحها العرب وإنما كانوا يتعاملون بما يحمل إليهم من دراهم أهل المشرق وكان شبيها بالوليد بن عبد الملك في جبروتيته وبالمأمون العباسي في طلب الكتب الفلسفية وهو أول من أدخل الفلسفة الاندلس مات سنة تسع وثلاثين ومائتين وقام بعده ابنه محمد مات في صفر سنة ثلاث وسبعين ومائتين وقام ابنه المنذر ومات في صفر سنة خمس وسبعين وقام أخوه عبد الله وهو أصلح خلفاء الاندلس علما ودينا مات في ربيع الاول سنة ثلاثمائة وقام حفيده عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر وهو أول من تسمى بالاندلس بالخلافة وبأمير

لامحالة وان كان لهم فى القلعة أو البلد صهاريج فيدس اليهم من يفسدها ويلقى فيها الزرنيخ وغيره حتى يطلبوا الامان وقد تحيل بعض الملوك على فتح مدينة بان جاء الى مهب الريح ودخنها بالكبريت والجيف حتى فسدت أهويتهم ومرضوا ومنهم من يطرح ذلك فى المياه الداخلة اليهم *(فصل فى آلات الحصار)* أعظمها نكاية وأشدها المنجنيق وهو من وضع الفرس ويقال ان أول من اتخذه نمروذ بن كنعان وهو على أصناف كثيرة وفيه صغير وكبير منه ماهو بلوالب ومنه ماهو بدائرة وفيها ثقالات من الرصاص اذا دار فيها الرجال رفعت السهم فاذا تركت رمت فلم تحتج الى رجال كثيرة وقد يتخذ بقسى كبار وتوترة وتجعل قبضاتها الى الارض مشدودة فى قواعد المنجنيق وفى أوتادها حبال مشدودة الى حلقة المنجنيق وتحرك بزيادة قائم حتى تنفتح أوتارها ويحرك الحجر فى الكفة ثم يرمى (٢١٤) فيخرج أشد ما يكون واذا أراد الرمى بقدور النفط أو العقارب أو ما شاء فعل فان كان خفيفا ثقله بالرصاص والاحجار وان كان من النفط والنار اتخذ له كفة من الزرد وحبلا بسلاسل وأما الدبابة فهى آلة سائرة تتخذ من الخشب الثخين الملزز وتغلف باللبود أو الجلود المنقعة فى الخل لدفع النار وتركب على عجل مستديرة وتحرك فتجرور بجماعات رجال من الخشب ودبر فيها هذا التدبير وقد يدفعها الرجال فتندفع على البكر وأما ما يتخذ أعلى من السور فتدبر حركته اما بلولب أو بمشاقص يدفع بها لانه يكون من أسفل عريضا دقيقا أعلاه مربع الشكل مضلعا وفى أسفله بكر يركب عليها واضلاع على البكر فيأتى الرجل بالمشاقص فيدخلها بين تلك الخشب ويدعمها على عوج ثم يغمزها بمرة فتندفع وتجرى على سهولة العجل التى ركبت عليها ويصعد الرجال فى أعلاه وقد أديرت حوله الستائر والطوارق ويستعلى على السور ثم يدنيه اليه فلا يلبث أو يأخذه ويحكم على المدينة والخنادق ان كانت قليلة العرض فيطرح عليها الاخشاب كالجسور والرجال امامها بالجفان تحفظ صانعها وان كان عريضا فيطرح الاولى فيه حطب جزم وزرجون وورق وتراب حتى يمتلئ ثم يطرح عليه التراب أيضا ليمهده فاذا انتهى ذلك فلينقب السور ويعلق بالاخشاب كالدعائم ثم يطرح فيه النار فيسقط وان لم يمكن ذلك استرق موضعا من السور بعد طم الخندق فينكشف شرفاته من الرجال بالنشاب ثم ينصب عليه السلالم العراض ويصعد فيها الرجال وان كان فى الخندق ماء فيجمع له فروع الشجر والحشيش والزرجون كما ذكرنا وتثقل بالاحجار حتى ترسب ثم تتكاثر حتى تعلو وتطم بالتراب وان تعذر طم الخندق من ظاهر فليبعد عن السور ويحفر تحت الارض سربا الى ان ينتهى الى حائط الخندق فيطم أو ينقب السور فهو أمن *(فصل فيما يفعله المحصور)* ينبغى أن يحترز أولا من المستأمنين من جميع ما قدمناه ذكره لئلا تتم عليه حيلة أو غلبة أو تفريق كلمة أو مجاعة وليكن بين صاحب الحصن وأهله اشارة وعلامة يعلمون بها صحة قوله اذا كان ممسكا أو محبوسا وكثيرا ما أخذت الحصون بهذه الامور

المؤمنين وذلك لما وهت الدولة العباسية فى أيام المقتدر وكان الذين قبله انما يتسمون بالامير فقط مات فى رمضان سنة خمسين وثلثمائة وقام ابنه الحكم المستنصر ومات فى صفر سنة ست وستين وقام ابنه هشام المؤيد ثم خلع وحبس سنة تسع وتسعين وقام محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر عبد الرحمن ولقب المهدى ستة عشر شهرا ثم خرج عليه ابن أخيه هشام بن سليمان بن الناصر عبد الرحمن وبويع وتلقب بالرشيد ففر به عمه وقتله واتفق الناس على خلع عمه فاختفى ثم قتل وبايعوا ابن أخى هشام المقتول سليمان بن الحكم المستنصر ولقب بالمستعين ثم قاتلوه وأسر سنة ست وأربعمائة وقام عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر ولقب المرتضى وقتل فى آخر العام ثم وهت الدولة الاموية وقامت الدولة العلوية الحسنية فولى الناصر على بن حمود فى المحرم سنة سبع وأربعمائة ثم قتل فى ذى القعدة سنة ثمان وأربعمائة وقام أخوه المامون القاسم وخلع سنة احدى عشرة وقام ابن أخيه يحيى بن الناصر على بن حمود ولقب المستعلى وقتل بعد سنة وسبعة أشهر ثم عادت الدولة الاموية فولى المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ثم قتل بعد خمسين يوما وقام محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر عبد الرحمن ولقب المستكفى وخلع بعد سنة وأربعة أشهر وقام هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر عبد الرحمن ولقب المعتمد فاقام مدة ثم خلع وسجن الى ان مات فى صفر سنة (البياض فى الاصل) وأربعمائة ومات بموته الدولة الاموية بالاندلس

(فصل) فى الدولة الخبيثة العبيدية أول من قام منهم بالمغرب المهدى عبيد الله سنة ست وتسعين ومائتين ومات فى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وقام ابنه القائم بامر الله محمد ومات سنة ثلاث وثلاثين وقام ابنه المنصور اسمعيل ومات سنة احدى وأربعين وقام ابنه المعز لدين الله سعد ودخل القاهرة سنة اثنتين وستين ومات سنة خمس وستين وقام ابنه العزيز نزار ومات سنة ست وثمانين وقام ابنه الحاكم بامر الله منصور وقتل فى سنة احدى عشرة وأربعمائة وقام ابنه الظاهر لاعزاز دين الله على ومات سنة ثمان وعشرين وقام ابنه المستنصر معد ومات سنة سبع وثمانين فاقام فى الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر قال الذهبى ولا أعلم أحدا فى الاسلام لا خليفة ولا سلطانا أقام هذه المدة وقام بعده ابنه المستعلى بالله أحمد ومات سنة خمس وتسعين وأقيم بعده ابنه الآمر باحكام الله منصور طفل له خمس سنين وقتل فى سنة أربع وعشرين وخمسمائة عن غير عقب وقام بعده ابن عمه الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ومات سنة أربع وأربعين وقام ابنه الظافر بالله اسمعيل وقتل سنة تسع وأربعين وقام ابنه الفائز بنصر الله عيسى ومات سنة خمس وخمسين وقام العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله وخلع سنة سبع وستين ومات بها وأقيمت الدعوة العباسية بمصر وانقرضت الدولة العبيدية قال الذهبى فكانوا أربعة عشر متخلفا لا مستخلفا

(فصل) فى دولة بنى طباطبا العلوية الحسنية قام منهم بالخلافة أبو عبد الله محمد بن ابراهيم طباطبا فى جمادى

ولا ينبغي أن يفتح باب الحصن بالليل ولو لصاحبه لاحتمال أن يكون معه العدو وهو مضطر الى ذلك مكره عليه (في التاريخ) ان أهل حمص لما عصوا
على مروان بن محمد واتفق أن قبض على صاحبها معاوية السكسكي فارس الشام وألزمه بتسليم الحصن والبلد فقال احملوني ودعوني أكلمهم لعلهم
يطيعونني فوكل به من يحفظه وأتاهم تحت السور وكلمهم في تسليم الحصن والبلد فانتهروه ومنعوه فقال اذا أبيتم فابعثوا الى غلامي الاسود ميسرة
ومعه ثيابي كلها آخذ منها حاجتي وأرده ثم رجع فسأل مروان الموكلين به عما جرى فاخبروه ففطن وقال ويلكم انه أمرهم ان يبيتوكم وانه قال
اذا أمسيت واسود الليل فالبسوا السلاح واحملوا على الميسرة وارجعوا فتأهب مروان لذلك فلم يشعر الا والخيل قد أقبلت وهم مستيقظون فلم
ينالوا منهم غرة ورجعوا خاسرين وأمر مروان بقطع يدي معاوية ورجليه وينبغي ان يجتهد في ارضاء أصحابه وتأليف قلوبهم واجتماع كلمتهم مع
اشتغاله بتفريق أعدائه وتنفيرهم والتضريب بينهم (ويحكى) ان الامين لما كان محصورا سمع ضجة أصحابه في القتال مع أصحاب ابن طاهر فقال
قبح الله الفريقين هؤلاء يطلبون دمي وهؤلاء يطلبون مالي ولم يزل مهملا لذلك حتى انفلتت أصحابه ولحقت بابن طاهر وأما ما يدفع به آلات الحصار
فالمنجنيق اشدها فمن أراد التوقي منه فليخرج من أعلى السور أخشابا طوالا يظهرها كالجناح المطل (٢١٥) ويدلي منها البسط والاكسية والشباك
من الحبال الغلاظ واللبود ما أمكن ولتكن مرخاة بعيدة من السور فيجيء الحجر وقد ضعف فعله وبطلت قوته وكذلك النشاب والجرخ والزيار ولا يتجاوز تلك الستائر وأما البرج فليقابل باتخاذ برج آخر فوق القلعة أو السور أعلى منه ليحكم عليه وأما الدبابة فدفعها بمنجنيق يعين وزنه عليها فان كانت ببرج خسفها وان كانت بستائر فرقت من خلفها وان غفلوا عن الجلود واللبود المبلولة بالخل والنفط يلقي في جميع ذلك فينبغي ان يحفر حول البلد حفائر وتغطى بقصب وقضبان فوقها تراب فان الخيل تعثر فيها وتتقنطر ركبها في الحفر وكذلك يطرح في الارض الحسك الحديد
المثلث وهو باربع أصابع وهذه صفته) ﷺ (فانه كيفما وقع على الارض كان منه سن مرتفع تعطب به الخيل وغيرها وان كانت الارض لينة وأمكن
تغريقها بالمياه لتتوحل فهو مانع من دخولها وان كانت الارض صلبة فزد في توعيرها بالصخر والحجر وافسد المياه التي حول البلد ان لم يكن لك به انتفاع
وقابل النفط بالخل وبالشب المخلوطين المبلولين وكذلك بالتراب وادخر في الحصن من الاقوات والحطب والملح ما أمكن والكبود المطبوخة واللحوم
المقددة والحبوب التي يطول مكثها مثل الدخن والذي لا يدوم فني سنبله وأصل جميع ذلك الماء فمنه مادة الحياة فما لا ماء فيه لا حيوان فيه ولا مقام به
(الباب العاشر في حروب البحر وصفاتها) قال صلى الله عليه وسلم في حديث أم حرام بنت ملحان عرض على قوم غزاة من أمتي يركبون ثبج هذا
البحر ملوكا على الاسرة أو مثل الملوك على الاسرة فقالت ادع الله ان يجعلني منهم والحرب في البحر شديد صعب عسر لأمور منها أن المجال ضيق
ولا تكاد السهام والاحجار تخطئ وكل رشق ينكي ومنها اختلاف الرياح بما يضر أو سكونها عند وقت الحاجة اليها ومنها انه لا يمكن فيه الهرب والفرار
ان اقتضت المصلحة ذلك ولا الاستتار * قال جاماسب ان الشطرنج وضع لتمثيل حرب البر والنرد وضع لتمثيل حرب البحر فان صاحب النرد وان
وضع المهارك في المواضع الجيدة واحترز فاذا جاءت الفصوص عالا يوافق الغرض ثم لم ينتفع باحترازه وبطل عليه تدبيره كاختلاف الريح واضطراب
البحر قال المتنبي في المعنى ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجري الرياح بما لا تشتهي السفن وبالجملة يجب على والي حرب البحر ان يستجيد المراكب

الاولى سنة تسع وتسعين ومائة وقام باليمن في هذا العصر الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن طباطبا ودعي له
بامرة المؤمنين ومات في ذي الحجة سنة ثمان ومائتين وقام ابنه المرتضى محمد ومات سنة عشرين وثلثمائة وقام أخوه
الناصر احمد ومات في صفر سنة ثلاث وعشرين وقام ابنه المنتخب الحسين ومات سنة تسع وعشرين وقام اخوه المختار
القاسم وقتل في شهر شوال سنة أربع وأربعين وقام أخوه الهادي محمد ثم الرشيد العباس ثم انقرضت دولتهم
(فصل) في الدولة الطبرستانية تداولها ستة رجال ثلاثة من بني الحسن ثم ثلاثة من بني الحسين هشام الداعي
الى الحق الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسين بن زيد الجواد بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه سنة خمسين ومائتين بالري والديلم ثم قام أخوه القائم بالحق محمد وقتل سنة ثمان وثمانين فقام
حفيده المهدي الحسن بن زيد بن القائم بالحق وقام بعده (البياض في الاصل) *(فائدة)* قال ابن أبي حاتم في
تفسيره حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا خلف الوليد حدثنا المبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن عبد
الرحمن بن أبي بكرة عن العرباض بن الهيثم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ما كان منذ كانت الدنيا رأس مائة
سنة الا كان عند رأس المائة أمر قال كان عند رأس المائة الاولى من هذه الملة فتنة الحجاج وما أدراك ما الحجاج
وفي المائة الثانية فتنة المأمون وحروبه مع أخيه حتى درست محاسن بغداد وباد أهلها ثم قتله اياه ثم قتله ثم
امتحانه الناس بخلق القرآن وهي أعظم الفتن في هذه الامة وأولها بالنسبة الى الدعاء الى البدعة ولم يدع خليفة
قبله الى شيء من البدع وفي المائة الثالثة خروج القرمطي وناهيك به ثم فتنة المقتدر لما خلع وبويع ابن المعتز
وأعيد المقتدر ثاني يوم وذبح القاضي وخلقا من العلماء ولم يقتل قاض قبله في ملة الاسلام ثم فتنة تفرق الكلمة
وتغلب المتغلبين على البلاد واستمر ذلك الى الآن ومن جملة ذلك ابتداء الدولة العبيدية وناهيك بهم افسادا وكفرا
وقتلا للعلماء والصلحاء وفي المائة الرابعة كانت فتنة الحاكم بامر ابليس لا بامر الله وناهيك بما فعل وفي المائة
الخامسة أخذ الفرنج الشام وبيت المقدس وفي المائة السادسة كان الغلاء الذي لم يسمع بمثله منذ زمن يوسف
صلى الله عليه وسلم وكان ابتداء أمر التتار وفي المائة السابعة كانت فتنة التتار العظمى التي لم يسمع مثلها أسالت
من دماء أهل الاسلام بحارا وفي المائة الثامنة كانت فتنة تمرلنك التي استصغرت بالنسبة اليها فتنة التتار على

واستجدّها ويكثرتقويتها وادخارآلاتها حتى اذا تلف شئ من ذلك وجد ما يخلفه ويحتاط فى تقييرها واحكام ما يلاقى الماء منها فانه الاصل الذى يعول عليه ويتخير القواد والرؤساء العارفين بمسالك البحر ومراسيه وعلامات الرياح وتغيرات الانواء والحركات البحرية من المد والجزر وغيره وقد صنفت الكتب فى ذلك واستقصى الشرح فيها ثم يشحنها بالزرد والخود والدرق والتراس والرماح والقسى والكلاليب والباسلقات وهى سلاسل بعصى فى رؤسها رمانة حديد وقد يتخذ فى بعض المراكب العرادة وهى صورة منجنيق لطيف ويستعد من الاحجار ما يرمى بها وكذلك من الاحجار الصغار التى ترمى من التوابيت فى أعلى الصوارى وهى صناديق مفتوحة الرأس تصعد الرماة فيها الى أعلى الصوارى قبل دنو العدو كيلا يناله سهامهم فان دهمه وصعد متترسا ثم اذا حصل فيها وضع قدميه على اضلاع معارضة فى أسفل الصندوق فيقف وهو ساتر له ويدلى مخلاة ملؤها حجارة ويرفعها اليه ويقاتل بها وكذلك يرمى بقوارير النفط ويرمى فى المراكب جرار النورة المدقوقة غير المطفأة فانها تعميهم بغبارها وتلتهب عليهم اذا تبددت ويرمى عليهم النفط وقدور الحيات والعقارب وقدور الصابون اللين فانه يزلق أقدامهم وقدور السدر والخطمى المضروبين ويعلق حول المراكب الجلود واللبود المبلولة بالخل أو الماء لدفع النفط ويحترس من هجوم العدو عليه فى الليل فلا يتخذ فى المراكب نارا ولا يشعل مصباحا ولا يترك فيه ديكا وان اشتد الخوف عليه وأراد الاختفاء فليحدد له قلوعا زرقا كيلا تظهر من بعد وينبغى ان لا يهجم على المراسى لئلا تكون مراكب العدو بها كامنة ولا يتقدم الى البر الابعد المعرفة به والاحتراز من الاحجار والشعاب والاحارش التى تنكسر عليها المراكب ويكثر من الماء والزاد ليستظهر على طول المدة ان دعت (٢١٦) الحاجة اليه كادخار أصحاب الحصون وان كان القتال بقرب البر والسواحل والجزائر فليجعل عيونه وطلائعه على الجبال فيتأهب لذلك ويفعل بمقدم المركب من تأليف أصحابه ووعدهم واستمالتهم وتحريضهم قبل الحرب كما يفعل فى البر وأبلغ من ذلك لان هذا لا منجى منه ولا مخلص الا بصدق القتال اما كاسر أو مكسور والمراكب الكبار ان سكن الريح عنها جذبتها الشوانى الى موضع القتال والمراكب الصغار والشوانى لا ينبغى ان تأتى خلف البطس والمسطحات فانها تغرق فى واديها وأمام جانبها فلا يمكنها الالتصاق بها بل تقابلها عن بعد وتنطحها بالفاس الذى يقال له اللجام وهى حديدة طويلة محددة الرأس جدا وأسفلها مجوّف كسنان الرمح يدخل عند الحرب فى اسطام المركب وهى الخشبة التى فى مقدم الشينى واذا أمكنهم الفرصة تأخروا به قليلا ثم قذفوا قذفة واحدة قوية فينطح المركب فيخرقه ويدخل الماء فيه فيطلبون الامان واذا تقرب الشينى من الشينى طرحت فيه كلاليب كبار من الحديد فيها سلاسل معقودة الى المركب فتوقفه ثم يطرح الالواح بينهما كالجسر ويدخلون اليه ويقاتلون وليس فى حرب البحر شئ أصعب من النفط بسبب الزفت والقير الذى يطلى به المركب فيحتاط لدفع ذلك باللبود المبلولة بالخل والشب والنطرون ومما يدفعه الطين المخلوط بالبورق والنطرون والخطمى المعجون بالخل كل ذلك يقاوم النفط والاصل فى قتال البحر معرفة الرياح وتحرك المراكب بالارجل حتى يتقدم مركب خصمه أو يعلو عليه فوق مهب الريح (وأما) القول فى الحلجان والانهار الصغار فهو دون هذا وهو قريب من قتال البر لامكان الهروب والصعود الى البر فى كل وقت وانما يصعب فيها السلوك فى الدحال والمضايق ويكون العدو على البر فيجذب بالكلاليب والخطاطيف ويرمى بالسهام والحجارة فاما الكلاب فيضرب بفاس ثقيل فولاذ يقطعه وأما الدحال والآجام فلا سبيل الى دخولها الا بدليل من أهلها ويتوقى المواحل التى فيها والمضايق ويقصد الاطراف واذا كان متولى الحرب كثير التجربة والتدبير ظفر بعدوه اذا ساعدته المقادير والله تعالى يديم أيام مولانا السلطان الملك المظفر ركن الدنيا والدين سيد الملوك والسلاطين بيبرس المنصورى فى سعادة مستقرة وسيادة على ممر الزمان مستمرة والعدو من خوف سطوته والملوك تخدمه لشمول نعمته والكتب تتحلى بمحاسن سيرته والالسن والاقلام تتوافق على فضائل دولته جعلها الله بالعدل دائمة لا يخاب آمله ولا نحب الردى* يوما اليه ولا نحبت نيرانه والله يحرسه ويحفظ ملكه* ويديم دولته ويعلى شأنه تم الكتاب بحمد

عظامها وأسأل الله تعالى ان يقبضنا الى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التاسعة بجاه محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أجمعين آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث بالحجة الدامغة والخبر اليقين وأصحابه أئمة الدين (أما بعد) فقد تم طبع هذا الكتاب البديع والسفر الجليل الرفيع الملقب بتاريخ الخلفاء القائمين بأمر الدين للامام العلامة السيوطى جلال الدين فانه ترجم الخلفاء واحدا بعد واحد ونثر على الافكار من أخبارهم ما يهز بالة فلا تدلم يغادر من أنبائهم شيأ الا أحصاه باسبابه ولا دقيقة الا جمعها بوطابه ابتدأ بأمراء القرن الاول مصدرا بالخلفاء الاربع وختم بأمراء القرن التاسع ذوى المقام الارفع متوخيا فى ذلك سلامة العبارة ولطف الاسلوب والاشارة ومعتمدا اصدق الاسانيد والآثار متجنبا ما مست جسمه يد العثار فجاء كما رام على أبدع منوال وأبهج مثال لا سيما وقد وشى هامشه بكتاب آثار الاول فى ترتيب الدول وبذلت العناية فى تصحيحه وتهذيبه وتنقيحه مقابلا على جملة نسخ صحيحة الاصل معتمدة الضبط والنقل وكان ذلك بالمطبعة الميمنية بمصر المحروسة المحمية ادارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد البابى الحلبى ذى العجز والتقصير فى شهر صفر الخير سنة ١٣٠٥ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحيه

آمين